٢٧٩٣

٢١٢ السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا
س. خ الحكيم الخبير، اربعة اجزاء منه، تأليف محمد بن احمد
الشربيني، شمس الدين - ٩٧٧هـ، كتبه محمد احمد
الصاوي سنة ١٢٦٨هـ.
٤ مج (٥١٠+٤٩٠+٦٢٩+٥٥٠ق)، مختلف المسطره
مختلف المقاس.
٣٧٩٣ نسخة جيده، جزء منها ناقص الاخر، خطها نسخ
معتاد (طبع).
١- الاعلام ٦ : ٢٣٤، معجم المطبوعات ١ : ١١٠٨
١- التفسير، القرآن وعلومه ا- الخطيب الشربيني، محمد
ابن احمد سنة ٩٧٧هـ. ب- اسم الناسخ ح- تاريخ
النسخ د- تفسير الخطيب الشربيني.

٧٧٨ — ٧٧٤٥
٢١/٤/١٤٠٠هـ

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات
الرقم ٣٧٩٣
العنوان السراج المنير في الإعانة على معرفة كلام ربنا الحكيم الخبير
المؤلف محمد بن أحمد الشربيني
تاريخ النسخ ١٢٦٨هـ
اسم الناسخ ... الصاوي
عدد الأوراق ٤٩٠ق
ملاحظات ٢١٢
٢. ٥

## سورة مريم عليها السلام مكية

وهي ثمان وتسعون اية وسبع ماية واثنان
وستون كلمة وثلاثة الاف وثمانماية حرفا وعرفان
بسم الله المنزه عن كل شايبة نقص القادر
على كل ما يريد الرحمن الذي عم نواله ساير
المخلوقات الرحيم بساير خلقه واختلف في تفسير
قوله تعالى كهيعص قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما هو اسم من اسما القران وقيل هو اسم
الله الاعظم وقيل هو اسم السورة وقيل قسم اقسم
الله به وعن الكلبي هو ثنا اثنى الله به على نفسه
وعنه معناه كاف لخلقه هاد يا للعباده بيده فوق
ايديهم عالم ببريته صادق في نفسه وعن ابن عباس

عباس قال الكاف من كريم وكبير والها من
هاد واليا من رحيم والعين من عليم وعظيم
والصاد من صادق وقيل انه من المتشابه الذي
استاثر الله تعالى بعلمه وقدم الكلام على ذلك في
اول سورة البقرة وقرا نافع بامالة الها واليا بين
بين وامالهما محضة شعبة والكساي وامال الها
محضة ابو عمرو وابن عامر وحمزة والسوسي بخلفه
في اليا بالامالة محضة والفتح الباقون وهم ابن كثير
وحفص بفتحهما بلا خلاف وجميع القرا في العين
المد والتوسط وقوله تعالى ذكر مبتدا محذوف
الخبر تقديره عما يتلى عليكم ذكرا وخبر محذوف المبتدا
تقديره المتلو ذكر وهذا ذكر رحمت ربك وقوله
تعالى عبده زكريا بيان له تنبيه اعلم ان الله
تعالى ذكر في هذه السورة قصص جملة من
الانبيا الاولى هذه القصة وهي قصة زكريا
ثم في كونه رحمة وجهان احدهما ان يكون رحمة
على امته لانه هداهم الى الايمان والطاعة والثاني
ان يكون رحمة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لان الله تعالى شرع له صلى الله عليه وسلم

طريقته في الاخلاص والابتهال في جميع الامور الى الله
تعالى صار ذلك لطفا داعيا ولامته الى تلك
الطريقة فكان زكريا رحمة ويحتمل ان يكون
المراد دال على هذه السورة فيها ذكر الرحمة
1 التي يرحم بها عبده زكريا اذ نادى ربه ندا مشتملا
على دعا خفيا اي سرا جوف الليل لانه اسرع الى
الاجابة وان كان الجهر والاخفا عند الله سيان
وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن
الشيخوخة وقيل اسره من مواليه الذين
خافهم وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه
كما في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه
تارة فان قيل من شرط الندا الجهر فكيف
الجمع بين كونه نداء وخفيا اجيب بوجهين
الاول انه اتى باقصى ما قدر عليه من رفع الصوت
الا ان صوته كان ضعيفا لنهاية ضعفه بسبب
الكبر وكان ندا نظرا الى الواقع الثاني انه دعا
في الصلاة لان الله تعالى اجابه في الصلاة
لقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في
المحراب ان الله يبشرك وفي كون الاجابة في الصلاة

يدل

يدل على كون الدعا فيها فيكون الندا فيها خفيا
تنبيه في ناصب اذ ثلاثة اوجه احدها
انه ولم يذكر الجرمي غيره والثاني رحمة ولم يذكر
الجلال المحلي غيره وذكر الوجهين ابو البقا والثا لث
انه بدل من زكريا بدل اشتمال لان الوقت
مشتمل عليه ثم كانه قيل ما ذلك الندا فقيل قال
رب بحذف الاداة للدلالة على غاية القربة اني وهن
اي ضعف جدا العظم مني اي هذا الجنس الذي هو
اقوى ما في بدني ولو جمع لاوهم انه وهن مجموع
عظامه لا جميعها وقوله واشتعل الراس اي مني
شيبا تمييز محول عن الفاعل اي انتشر الشيب
في شعره كما ينتشر شعاع الحطب واني اريد
ان ادعوك ولم اكن بدعائك اي بدعائي اياك رب
شقيا اي خائبا فيما مضى فلا تخيبني فيما ياتي
وان كان في غاية البعد في العادة لكنك فعلت
مع ابراهيم مثله فهو دعا شكر واستعطاف
ثم عطف على قوله اني وهن قوله واني خفت
الموالي اي الذين يلونني في النسب كبني العم ان
يسيؤا الخلافة من ورائي اي في بعض الزمان

الذي بعدي وكانت امرأتي عاقرا لا تلد اصلا
مما دل عليه فعل الكون فهب لي فتسبب عن
شيوختي وضعفي وتفويدك لي بالاجابة وخوفي
من سوء خلافة اقاربي ويأسي عن الولد عادة
بعقم امراتي وبلوغي من الكبر حد الادراك بي
معه فاني اقول لك يا قادر على كل شيء هب لي
من لدنك اي من الامور المستنبطة المستغربة
التي عندك لم تجرها على مناهج العادات
والاسباب المضطردات وليا اي ولدا من صلبي
يرثني في جميع ما انا فيه من العلم والنبوة و
العمل ويرث زيادة على ذلك من ال يعقوب
جزاء بما خصصتهم به من المنح وفضلتهم به من
النعم من محاسن الاخلاق ومعالي الشيم
فان الانبيا لا يورثون المال وقيل يرثني
الحبورة اي العلم بتحبير الكلام وتحسينه فانه
كان حبرا وهو ليعقوب بن اسحاق عليهما
الصلاة والسلام وقيل يرثني العلم ويرث
من ال يعقوب النبوة ولفظ الارث يستعمل
في النبوة المال وفي العلم والنبوة اما في المال
فلقوله

فلقوله تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
واما النبوة فلقوله تعالى واورثنا بني اسرايل
الكتاب الاية وقال صلى الله عليه وسلم العلماء
ورثة الانبيا وان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا
درهما وانما يورثوا العلم وخص اسم اقتدائه
نفسه اذ قال ليوسف عليه الصلاة والسلام
ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب ولان اسرايل
قد صار علما على الاسباط كلهم وكانت قد غلبت
عليهم الاحداث وقرا ابو عمرو والكسائي بجزم الثا
المثلثة فيهما على انه جواب الامر اذ تقديره ان
تهب يرث والباقون بالضم فيهما على انهما صفة
واعترض بان زكريا دعا الله تعالى ان يهبه
ولدا يرثه مع ان يحيى قتل قبله فلم يجبه الى
ارثه منه اجيب بان دعا الانبيا غالبة لا
لازمة فقد يتخلف لقضا الله تعالى بخلافه كما في
دعا ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حق ابيه
وكما في دعاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
في قوله وسالته ان لا يذيق بعضهم باس
بعض فمنعنيها ولما كان من قضاء الله

تعالى وقدره ان يوجد يحيى نبيا صالحا ثم
توسل استجيب دعا زكريا في ايجاده دون
ارثه ولما ختم دعاه بقوله تعالى واجعله رب
اي المحسن الي رضيا اي مرضيا عندك اجابه الله
تعالى بقوله تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه
يرث كما سالته اسمه يحيى وقرا حمزة بفتح النون
وسكون البا الموحدة وكسر الشين مشددة
وكذلك في اخر السورة تنبيه يحيا اسم اعجمي
ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقيل من
الفعل المضارع كما سموا بيعمر وانما تولى
سبحانه وتعالى التسمية تشريفا له قال تعالى
لم نجعل له من قبل سميا اي مسمى بيحيا قال
قتادة قال قتادة والكلبي لم يسم احد قبله
بيحيا تنبيه سميا ماخوذ من السمو وفيه
دلالة لقول البصريين ان الاسم من السمو
ولو كان من الوسم لقيل وسيما وقال سعيد
ابن جبير وعطا لم نجعل له شبيها ومثلا
كما قال تعالى هل تعلم له سميا اي مثلا
والمعنى انه لم يكن له مثل لانه لم يعص

ولم



ولم يهم بمعصية قط ورد هذا لان هذا
يقتضي تفضيله على الانبيا قبله كابراهيم
وموسى وليس كذلك وقيل لم يكن يميل
الى امر النسا لانه كان سيدا وحصورا وعن
ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا كانه قيل
فما قال في جواب هذه الاشارة والبشارة
العظيمة فقيل قال عالما بصدقها طالبا للتاكيد
للتلذذ بترديدها وهل ذلك من امراته او من
غيرها اذ كان سنهما يكونان على حالهما من الكبر
او غيرها غير طايش ولا عجل رب اي ايها المحسن
الي باجابة الدعا انى يكون اي من اين وكيف وعلى
لي غلام
اي ولحاله انه كانت يكون امراتي اذا كانت
شابة عاقرا غير قابلة للولد وانا وهي شابان
فلم ياتنا ولد لاختلال احد الشيئين فكيف
بها وقد اتيت قال الجلال المحلي بلغت ثمان
وتسعين سنة وقد بلغت انا من الكبر عتيا
من عتا يبس اي نهاية السن قال الجلال
المحلي مائة وعشرين سنة وربما تقرر سقطه
ما قيل لم يعجب زكريا عليه الصلاة والسلام

بقوله انى يكون لى غلام مع انه هو الذى طلب
الغلام وقرا حفص وحمزة والكسائي عتيا
وصليا وجثيا بكسر عين الاول وصاد الثاني
وجيم الثالث وضمها الباقون واما بكيا فبكسر
البا الموحدة حمزة والكسائي وضمها الباقون
واصلها عتو كسرت التا تخفيفا وقلبت
الواو الاولى بالمناسبة الكسرة والثانية بالادغام
فيها وانما استعجب للولد من شيخ فان وعجوز
عاقر اعترافا بان الموثر فيه كمال قدرته وان
الوسايط عند المحققين مبلغاة ولذلك قال
اي الله تعالى كما قال الاكثرون لانه زكريا انما
كان يخاطب الله تعالى وساله بقوله رب
اني وهن العظم مني او الملك المبلغ للبشارة
تصديقا له فنادته الملايكة وهو قايم يصلى
في المحراب ان الله يبشرك بيحيا وايضا فانه لما
قال وقد بلغت من الكبر عتيا كذلك اي الامر
كذلك فهو خبر لمبتدا محذوف ثم علله بقوله
قال ربك اي الذي عودك بالاحسان فدل
ذلك على انه كلام الملك قال ابن عادل

ويمكن

ويمكن ان يجاب بانه يحتمل ان يحصل النداآن
ندا الله تعالى ونداء الملك ثم ذكر مقول
القول فقال هو اي خلق يحيا منكما على هذه
الحالة علي اي خاصة هين اي بان ارد عليك
قوة الجماع وافتق رحم امراتك العلوق وقد خلقتك
اي قدرتك وصورتك واوجدتك من قبل ولم اي
والحال انك لم تك شيا بل كنت معدوما صرفا
وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشي ولاظهار
الله تعالى هذه القدرة العظيمة الهمه السوال
ليجاب بما يدله عليها وقرا حمزة والكسائي بعد
القاف بنون بعدها الف والباقون بعد القاف
بتا مضمومة ولما تاقت نفسه الى سرعة المبشر به
قال رب اجعل لي على ذلك اية اي علامة تدلني
على وقوعه قال ايتك على وقوع ذلك ان لا تكلم
الناس اي لا تقدر على كلامهم بخلاف ذكر الله
ثلاث ليال اي باايامها كما في الشعرات ثلاثة ايام
حال كونك سويا من غير ضر ولا مرض وجعلت
الاية الدالة عليه سكوتا ثلاثة ايام ولياليهن عن
غير ذكر الله دلالة على اخلاصه وانقطاعه

بكليته الى الله تعالى دون عزم فخرج عقبا علام
الله تعالى له بهذا على قومه من المحراب اي من المسجد
وهم ينظرونه ان يفتح لهم الباب متغير لونه فانكروه
وهو منطلق اللسان بذكر الله تعالى متنحيا عن
كلام الناس فقالوا مالك يا نبي الله فاوحى
اليهم اي اشار بشفتيه من غير نطق وقال
مجاهد كتب لهم في الارض ان سبحوا اي اوجدوا
التنزيه والتقديس لله تعالى بالصلاة و
غيرها بكرة وعشيا اي اوايل النهار واواخره
على العادة فعلم بمنعه من كلامهم حمل على
امراته بيحيى قال الجلال المحلي وبعد ولادته
بسنين قال الله تعالى له يا يحيى خذ الكتاب
اي التورية بقوة اي بجد ثم ان الله تعالى
وصفه بصفات الاولى قوله تعالى واتيناه الحكم
قال ابن عباس النبوة صبيا قال الجلال المحلي تبعا
للبغوي ابن ثلاث سنين اي احكم الله عقله
في صباه واستنباه وقيل المراد بالحكم الحكمة
وفهم التورية فقرا التورية وهو صغير
قال البغوي وعن بعض السلف

من



من قرا القران قبل ان يبلغ فهو ممن اوتي الحكم
صبيا الصفة الثانية قوله تعالى وحنانا من
لدنا اي من عندنا بلا واسطة تعليم ولا تجربة الصفة
الثالثة قوله تعالى وزكاة اي واتيناه طهارة
في دينه قال ابن عباس يعني بالزكاة الطاعة
والاخلاص وقال قتادة هي العمل الصالح وقال
الكلبي يعني صدقة تصدق الله تعالى بها
على ابويه الصفة الرابعة قوله تعالى وكان اي
جبلة وطبعا تقيا اي مخلصا مطيعا روي
انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها الصفة الخامسة
قوله تعالى وبرا بوالديه اي بارا لطيفا بهما
محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله اعظم
من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى
ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا الصفة السادسة قوله تعالى ولم يكن
جبارا اي متكبرا والمراد وصفه بالتواضع ولين
الجانب وذلك من صفات المومنين قال
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض
جناحك للمومنين وقال تعالى ولو كنت

فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولان راس
العبادة معرفة الانسان نفسه ومعرفة ربه
بالعظمة والكمال ومن عرف نفسه بالذل وعرف
ربه بالكمال كيف يليق به التجبر والترفع
ولذلك لما تجبر ابليس وتمرد صار مبعدا
عن رحمة الله تعالى وعن المومنين وقيل
الجبار الذي لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو
من التعظم والذهاب بنفسه من ان لا يلزمه
قضا حق لاحد وقيل هو كل من عاقب على
غضب نفسه الصفة السابعة قوله تعالى
عصيا اي عاقا او عصي ربه وهو ابلغ المعاصي
كما ان التعليم ابلغ من العالم الصفة الثامنة
قوله تعالى وسلام عليه منا يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث حيا فان قيل
لم خص هذه الاوقات الثلاثة دون غيرها
اجيب بوجوه الاول قال محمد بن جرير
الطبري وسلام عليه يوم ولد من ان يناله
الشيطان كما ينال ساير بني ادم ويوم يموت
اي امان من الله تعالى من عذاب القبر

ويوم



ويوم يبعث اي وامن عذاب يوم القيمة الثاني
قاله ابن عيينة اوحش ما يكون الخلق في ثلاثة
مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان
فيه ويوم يموت فيرى قوما ما شاهدهم ويوم
يبعث فيرى في محشر عظيم فاكرم الله تعالى
يحيا عليه السلام فخصه بالسلام في هذه المواطن
الثالث قال عبد الله بن معطوفة وسلام
عليه يوم ولد اي اول ما يرى في الدنيا ويوم
يموت اي اول يوم يرى فيه الجنة والنار
وهو يوم القيمة وانما قال حيا تنبيها على
كونه من الشهدا لانه قتل وقد قال تعالى
احيا عند ربهم يرزقون فروع الاول هذا السلام
يمكن ان يكون من الملايكة وعلى التقديرين فيه
دلالة على تشريفه لان الملايكة لا يسلمون الا عن
امر الله تعالى الثاني ليحيى مزية في هذا
السلام على ما لساير الانبيا لقوله تعالى سلام
على نوح سلام على ابراهيم لانه تعالى قال يوم
ولد وليس كذلك ساير الانبيا الثالث روي
ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال

ليحيى عليه الصلاة والسلام انت افضل مني لان الله تعالى قال سلام عليك وانا سلمت على نفسي قال الرازي وهذا ليس بقوي لان سلام عيسى على نفسه يجري مجرى سلام الله تعالى على يحيى لان عيسى عليه الصلاة والسلام معصوم لا يفعل الا ما امر الله تعالى انتهى ولكن بين السلامين مزية تنبيه هذه القصة قد ذكرت في العمران بقوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الى ان قال هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعا لان زكريا عليه الصلاة والسلام معصوم لا يفعل الا ما امر الله اه ولكن بين السلامين مزية تنبيه هذه القصة قد ذكرت في العمران بقوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الى ان قال هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعا لان زكريا عليه الصلاة لما راى خرق العادة

في

في حق مريم طمع في حق نفسه فدعا وقد وقعت المخالفة في ذكرها هنا وهناك في الالفاظ من وجوه الاول منها ان الله صرح في العمران بان المنادي هو الملايكة بقوله تعالى فنادته الملايكة وهو قايم يصلي في المحراب وفي هذه السورة الاكثر على ان المنادي بقوله يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى هو الله تعالى واجيب بان الله تعالى هو المبشر سوا كان بواسطة ام لا الثاني انه قال تعالى في العمران اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر فذكر والاكبر سنه ثم عقر امراته وفي هذه السورة قال اني يكون لي غلام وكانت امراتي عاقر وقد بلغت من الكبر عتيا واجيب بان الواو لا تقتضي الترتيب الثالث قال في العمران وقد بلغني الكبر وقال هنا وقد بلغت من الكبر عتيا اما بلغك فقد بلغته الرابع قال في العمران اينك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا وقال هنا ثلاث ليال سويا واجيب بان

الايتين دلتا على ان المراد ثلاثة ايام بلياليهن
كما مر القصة الثانية قصة مريم وابنها
عيسى عليه الصلاة والسلام لغرب من قصة
يحيى لان خلق الولد من شيخين فانيين
اقرب الى مناهج العادات من خلق الولد لا من
اب البتة واحسن طرق التعليم والفهم الاخذ
من الاقرب فالاقرب مرتقيا الى الاصعب
فالاصعب اشار الى ذلك بتغيير البيان فقال
عاطفا على ما تقديره اذكر هذا لهم واذكر بلفظ
الامر في الكتاب اي القران مريم اي قصتها وهي
ابنة عمران خالة يحيى كما في الصحيح من حديث
انس بن مالك بن صعصعة الانصاري في
حديث الاسرى فلما خلصت فاذا بيحيى و
عيسى وهما ابنا خالة ثم ابدل من مريم بدل
اشتمال فقال اذ اي واذكر ما اتفق لها حين
انتبذت اي كلفت نفسها ان اعتزلت وانفردت
من اهلها حالة كونه مكانا شرقيا اي شرقي بيت
المقدس قال الرازي شرقي دارها وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما اني لاعلم خلق الله

لاي



لاي شيء اتخذ النصارى المشرق قبلة لقوله
تعالى مكانا شرقيا فاتخذ ميلاد عيسى
قبلة واقتصر الجلال المحلي على الشرق من الدار
وتردد البيضاوي بينهما فقال شرقي بيت المقدس
او شرقي دارها فلا تخالفه فاتخذت اي اخذت
بقصد وتكلف ودل على قرب المكان بالاتيان
بالجار فقال من دونهم اي ادنى مكان من مكانهم
حجابا اي ارسلت سترا تستتر به لغرض هو صحيح
وليس بمذكور واختلف المفسرون فيه على وجوه
احدها انها طلبت الخلوة لئلا تشتغل عن العبادة
ثانيها انها عطشت فخرجت الى المغارة تستقي
ثالثها انها كانت في منزل زوج اختها زكريا
وفيه محراب على حدة تسكنه وكان زكريا
اذا خرج غلق عليه الباب فتمنت ان تتخذ
خلوة في الجبل لتفلي راسها او ثوبها فانفجرت
الشمس لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل
فاتاها الملك كما قال تعالى فارسلنا الامر
يدل على عظمتها اليها روحنا اي جبريل عليه
السلام ليعلمها بما يريد بها من الكرامة

بولادة عيسى عليه الصلاة والسلام من غير
اب لئلا يشتبه عليها الامر فتقتل نفسها غما
فتمثل لها شبح بشين معجمة ثم با موحدة
ثم حا مهملة وهو روحاني بصورة الجسماني
بشرا سويا في خلقه حسن الشكل رابعها
انها قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض
متحجبة بشي يسترها وكانت تتحول من
المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود
اليه اذا طهرت فبينما هي في مغتسلها اتاها
جبريل بعد لبسها ثيابها متمثلا بصورة
شاب امرد سوي الخلق لتستانس بكلامه
اذ لو اتاها في الصورة الملكية لنفرت منه
ولم تقدر على استماع كلامه قال البيضاوي
ولعله لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها
الى رحمها اي مع امنها الفتنة لعفتها قال
الرازي وكل هذه الوجوه محتملة وليس
في اللفظ ما يدل على ترجيح واحد منها
ولما رات مريم جبريل نحوها قالت اني
اعوذ اي اعتصم بالرحمن ربي الذي رحمته

عامة



عامة بجميع خلقه منك اي تقربني وفتح اني نافع
وابن كثير وابو عمرو وسكنها الباقون وهم على
مراتبهم في المد ولما تفرست فيه بما اتاها الله تعالى
من بصيرتها واصفى في سريرتها التقوى قالت
ان كنت تقيا اي مومنا مطيعا وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما دل على ما قبله اي فاني
عايذة منك او نحو ذلك دل تعوذها من تلك
الصورة الحسنة على عفتها وورعها فان قيل
انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت
تقيا اجيب بان هذا كقول القايل ان كنت
مومنا فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون ايمانك
مانعا لك من الظلم كذلك ههنا ينبغي ان تكون
تقواك مانعة لك من الفجور وهذا في نهاية
الحسن لانها علمت انه لا يوثر الاستعاذة الا في
التقي وهو كقوله تعالى وذروا ما بقي من الربا
ان كنتم مومنين اي ان شرط الايمان يوجب
هذا الا ان الله تعالى يخشى في حال دون
حال وقيل كان في ذلك الزمان انسان
فاجر يتبع النسا اسمه تقي فظنت مريم ان ذلك

الشخص المشاهد هو ذلك فاستعاذت منه
قال الرازي والاول هو الوجه ولما علم جبريل
عليه السلام خوفها قال مجيبا لها بما معناه
اني لست بمن تخشين ان يكون متهما مولدا
لاجل استعاذتها انما انا رسول ربك اي الذي
عذت به فانا لست بمتهم بل متصف بما ذكرت
وزيادة الوسيلة وعبر باسم الرب المقتضي
للاحسان لطفا ولان هذه السورة مصدرة
بالرحمة ومن اعظم مقاصدها تعداد النعم
على ما خص عباده وقوله ليهب لك قراءة ورش
وابو عمرو وقالون بخلاف عنه بالياء ليهب الله
لك وقراءة الباقون بالهمز اي لاهب انا لك مجازا
وجهان الاول ان الهبة لما جريت على يديه
بان كان هو الذي ينفخ في جيبها بامر الله تعالى
جعل نفسه كانه هو الذي وهب لها واضافة
الى من هو سبب مستعمل قال الله تعالى
في الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس
الثاني ان جبريل عليه السلام لما بشرها
بذلك كانت البشارة الصادقة جارية مجرى

الهبة



الهبة ثم بين الموهوب بقوله غلاما اي ولدا ذكرا
في غاية القوة والرجولية ثم وصفه بقوله
زكيا اي نبيا طاهرا من كل ما يدنس البشر ناميا
على الخير والبركة قالت مريم انى اي من اين وكيف
يكون لي غلام الد ولم يمسسني بشر بنكاح ولم
اك بغيا اي زانية فتعجبت مما بشرها به جبريل
عليه السلام لانها قد عرفت بالعادة ان الولادة
لا تكون الا من رجل والعادة عند اهل المعرفة
معتبرة في الامور وان جوز واخلاف ذلك في
القدرة فليس في قولها هذا دلالة على انها لم تعلم
انه تعالى قادر على خلق الولد ابتدا وكيف
وقد عرفت انه تعالى خلق ابا البشر على هذا
الحد فلانها كانت منفردة بالعبادة ومن
يكون كذلك لا بد ان يعرف قدرة الله تعالى
على ذلك ومما تقرر سقط ما قبل قولها
ولم يمسسني بشر يدخل تحته قولها ولم اك
بغيا ولهذا اقتصر عليه في سورة آل عمران
بقولها قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني
بشر فلم تذكر البغي ويجوز ان يقال انها

افردت ذكر النفخ مع دخوله في الكلام في الاول لانه
اعظم ما في بابه فهو نظير قوله تعالى حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله
تعالى وملايكته ورسله وجبريل وميكال قال
لها حافظو جبريل عليه السلام الامر كذلك من
خلق غلام منك من غير اب ولما كان لسان
الحال قايلا كيف يكون بغير سبب اجاب جبريل
بقوله قال ربك هو اي المذكور وهو ايجاد الولد على
هذه الهيئة علي وحدي لا يقدر عليه غيري هين
اي بان ينفخ فيه بامري جبريل فينك فتحمل به
ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه
ولنجعله بما لنا من العظمة اية للناس اي
علامة على كمال قدرتنا على البعث اول من
الاية يحيى عليه الصلاة والسلام
وبه تمام القسمة الرباعية في خلق البشر فانه
اوجد من انثى بلا ذكر وحوا من ذكر بلا
انثى وادم عليه الصلاة والسلام لا من
ذكر ولا من انثى وبقية اولاده من ذكر وانثى
معا ورحمة منا على العباد يهتدون به

وكان

وكان ذلك كله امرا مقضيا به في علمي وقوله
تعالى فحملته فيه حذف تقديره فنفخنا فيها
فحملته دل على ذلك قوله تعالى في سورة التحريم
ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا
فيه من روحنا واختلف في النافخ فقال بعضهم
كان النافخ هو الله لهذه الاية ولانه تعالى قال
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من
تراب ومقتضى التشبيه حصول المشابهة
الا فيما اخرجه الدليل وفي حق ادم النافخ هو الله
تعالى قال الله تعالى ونفخت من روحي فكذا
هنا وقال بعضهم هو جبريل النافخ لان
الظاهر من قول جبريل عليه السلام لاهب
لك على احد القرائتين انه النافخ واختلف في
كيفية نفخه فقيل جبريل عليه السلام رفع
درعها فنفخ في جيبها حتى لبست وقيل
مد الى جيب درعها اصابعه ونفخ في الجيب
وقيل في كم قميصها وقيل في فيها وقيل
نفخ جبريل نفخا من بعيد فوصل النفخ اليها
فحملته فجاءت اختها امراة زكريا تزورها

فلما التزمتها علمت انها حبلى وذكرت مريم
حالها وذكرت مريم فقالت امراة زكريا
اني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك
قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وقيل
حملت وهي بنت ثلاث عشر سنه وقيل
بنت عشرين وقد كانت حاضت حيضتين
قبل ان تحمل قال الرازي وليس في القران
ما يدل على شي من هذه الاحوال المذكوره
ثم عقب بالحمل قوله فانتبذت به اي فاعتزلت
وهو في بطنها حالة كونه مكانا قصيا اي
بعيدا من اهلها او من المكان الشرقي واشار
الى قرب الولادة في الحمل بفاء التعقيب في قوله
فاجاها اي فاتى به والجاها المخاض وهو
تحريك الولد في بطنها للولادة الى جذع النخلة
وهو ما برز منها من الارض ولم يبلغ الاغصان
وكان تعريفها لانه لم يكن في تلك البلاد ابار
غيرها فكانت كالعلم لما فيها من العجب لان
النخل من اقل الاشجار صبرا على البرد ولعلها

الجيت

الجيت دون غيرها من الاشجار على كثرتها
لمناسبة حال النخلة لانها لا تحمل الا باللقاح
من ذكور النخل فحملها بمجرد هزها انسب شي
لاتيانها بولد من غير والد فكيف اذا كان ذلك
في غير وقته وكانت يابسة مع ما فيها من
المنافع بالاستناد اليها والاعتماد عليها وكون
رطبها خرسة النفسا وغاية في نفعها وغير ذلك
والخرسة بخا معجمة مضمومة طعام النفسا وهو
مراد الجوهري بقوله طعام الولاده قال ابن
عباس الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل
ثلاث ساعات حملته في ساعة وصور في ساعة
ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من
يومها وقيل كانت مدته تسعة اشهر كحمل
ساير النسا وقيل كانت مدة حملها ثمانية
اشهر وذلك اية اخرى له لانه لا يعيش من ولد
لثمانية اشهر ولما كان ذلك امرا صعبا عليها
جدا كان كانه قيل يا ليت شعري ما كان
حالها فقيل قالت لما حصل عندها من خوف
العار يا ليتني مت واشارت الى استغراق

الى استغراق الزمان بالموت بمعنى عدم
الوجود فقالت من غير جار **قبل هذا** اي
الامر العظيم وقرا نافع وحفص وحمزة
والكسائي مت بكسر الميم والباقون بالضم
**وكنت نسيا** اي شيا من شانه ان يطرح
وينسى **منسيا** اي متروكا بالفعل لم يخطر على
بال فان قيل لم قالت ذلك مع انها كانت
تعلم ان الله تعالى بعث جبريل عليه
السلام اليها ووعدها بان يجعلها وولدها
اية للعالمين اجيب عن ذلك باجوبة
الاول انها تمنت استحيا من الناس
فانساها الاستحيا بشارة الملايكة بعيسى
الثاني ان عادة الصالحين اذا وقعوا في بلاء
ان يقولوا ذلك كما روي عن ابي بكر انه نظر
الى طاير على شجرة فقال طوبى لك يا طاير
تقع على الشجرة تاكل من الثمر وددت اني
ثمرة ينقرها الطاير وعن عمر انه اخذ تبنة
من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة
ولم اكن شيا وعن علي يوم الجمل يا ليتني

مت

مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال
ليت بلالا لم تلده امه فثبت ان هذا الكلام
يذكره الصالحون عند اشتداد الامر عليهم الثالث
لعلها قالت ذلك لئلا تقع في المعصية ممن يتكلم
فيها والا فهي راضية بما بشرت به وقرا حفص
وحمزة نسيا بفتح النون والباقون بالكسر
وقوله تعالى **فناداها من تحتها** قراه نافع وحفص
وحمزة بكسر من وجر التاء من تحتها والباقون
بفتح من ونصب تحتها واما الالف ناداها
حمزة والكسائي امالة محضة وقرا ورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وفي
المنادي اوجه احدها انه عيسى عليه الصلاة
والسلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير
ثانيها انه جبريل عليه السلام وانه كالقابلة
للولد ثالثها ان المنادي على القراءة بالفتح هو عيسى
وعلى القراءة بالكسر هو جبريل وهو مروي عن
ابن عيينة وعاصم قال الرازي والاول اقرب
وصدر به البيضاوي واقتصر الجلال المحلي
على الثاني والمعنى على الاول ان الله تعالى

انطقه لها حين ولدته تطييبا لقلبها وازالة للوحشة
عنها حتى تشاهد في اول الامر ما بشرها به جبريل
من علو شانها انه ذلك الولد وعلى الثاني ان الله
تعالى ارسله اليها ليناديها بهذه الكلمات كما
ارسل اليها في اول الامر تذكيرا للبشارات المتقدمة
والضمير في تحتها للسيدة مريم وعلى تقدير
ان يكون المنادي هو عيسى فهو ظاهر
وان كان جبريل فقيل انه كان تحتها يقبل
الولد كالقابلة وقيل تحتها اسفل من مكانها
وقيل الضمير فيه للنخلة اي ناداها من تحتها
ان لا تحزني يجوز فيه ان تكون مفسرة
لتقدمها ما هو بمعنى القول وعلى هذا لا ناهية
وحذف النون للجزم وان تكون الناصبة
ولا حينئذ نافية وحذف النون للنصب
ومحل ان اما نصب او جر لانها على حذف حرف
الجر فناداها بكذا قد جعل ربك اي المحسن اليك
تحتك في هذه الارض التي ما جار فيها سريا
اي جدولا صغيرا لتطيب به نفسك قال
الرازي اتفق المفسرون الا الحسن وعبد الرحمن
ابن



ابن زيد ان السري هو النهر والجدول وسمي بذلك
لان الماء يسري فيه واما الحسن وابن زيد فانهما
جعلا السري من السرو هو عيسى والسري
هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه
واشرافهم واحتج من قال هو النهر بان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل عن السري فقال هو
الجدول وبقوله تعالى فكلي واشربي فدل على
انه النهر حتى يضاف الماء الى الرطب فتاكل وتشرب
واحتج من قال انه عيسى بان النهر لا يكون
تحتها بل الى جانبها ولا يجوز ان يجاب عنه بان
المراد انه جعل النهر تحت امرها يجري بامرها
ويقف بامرها كقول فرعون وهذه الانهار
تجري من تحتي لان هذا حمل اللفظ على مجازه
ولو حملناه على عيسى لم يحتج الى هذا المجاز
وايضا فانه موافق لقوله وجعلنا ابن مريم
وامه اية اجيب بان المكان المستوى
اذا كان فيه مبدا معين فكل من كان اقرب
منه كان فوق وكل من كان ابعد منه كان
تحت تنبيه اذا قيل بان السري هو

النهر وفيه وجهان الاول قال ابن عباس ان
جبريل ضرب برجله الارض وقيل عيسى
فظهر ماء عذب وجرى وقيل كان
هناك ما جاري قال ابن عادل والاول
اقرب لان قوله قد جعل ربك تحتك سريا
يدل على الحدوث في ذلك الوقت ولان الله
تعالى ذكره تعظيما لشانها وقيل كان هناك
نهر يابس اجرى الله تعالى فيه الما واحييت
النخلة اليابسة واورقت واثمرت وارطبت
قال ابو عبيدة والفرا السري هو النهر
مطلقا وقال الاخفش هو النهر الصغير
وهزي اليك اي اوقعي الهز وهو جذب
بتحريك بجذع النخلة اي التي انت تحتها مع
يبسها وكون الوقت ليس وقت حملها
تساقط عليك من اعلاها رطبا جنيا طريا
اية اخرى عظيمة روي انها كانت نخلة
يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت
شتا فهزتها فجعل الله تعالى لها راسا
وخوصا ورطبا وقرا حمزة بفتح التا
والسين



والسين مخففة وفتح القاف وحفص بضم
التا وتشديد العين مفتوحة وفتح القاف
تنبيه البا في بجذع زايدة والمعنى هزي
اليك اي هزي بجذع النخلة كما في قوله تعالى ولا
تلقوا بايديكم قال الفرا تقول العرب هزه وهز
به وخذ الخطام وزوجتك فلانة وقال
الاخفش يجوز ان يكون على معنى هزي اليك
رطبا بجذع النخلة اي على جذعها ورطبا تمييز
وجنيا صفته والرطب اسم جنس لرطبة
بخلاف تخم فانه جمع لتخمة والفرق انهم لزموا
تذكيره فقالوا هو الرطب وتانيث ذلك
فقالوا هي التخم فذكروا الرطب باعتبار الجنس
وانثوا التخم باعتبار الجمعية قال ابن عادل
وهو فرق لطيف والرطب ما قطع قبل يبسه
وجفافه وخص الرطب بالرطب قال ابن الربيع
ابن خيثم ما للنفسا عندي خير من الرطب
ولا للمريض خير من العسل وهذه الافعال
الخارقة للعادة كرامات لمريم وارهاص
لعيسى عليه السلام وفي ذلك تنبيه

علي ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتا
قدر ان يجنيها من غير نخل ويطيب لنفسها
فلذلك قال **فكلي** اي من الرطب **واشربي** من
السري او كلي من الرطب واشربي من عصيره
**وقري عينا** اي وطيبي نفسك وارفضي عنها
ما احزنك وقدم الاكل على الشرب لان حاجة
النفسا الى الرطب اشد من احتياجها الى شرب
الما لكثرة ما سال منها من الدم فان قيل
ان مضرة الخوف اشد من مضرة الجوع و
العطش لان الخوف الم الروح والجوع الم
البدن والم الروح اقوى من الم البدن
روي انه اجيعت شاه فقدم اليها علف
وعندها ذئب فبقيت الشاة مدة لا تتناول
العلف مع الم البدن فدل ذلك على ان الم الخوف
اشد من الم الجوع واذا كان كذلك فلم قدم
ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف
واجيب بان هذا الخوف كان قليلا لان
بشارة جبريل عليه السلام كانت قد
تقدمت فما كانت تحتاج الا الى التذكير

مرة

مرة اخرى وقيل قري عينا بمولد عيسى عليه
الصلاة والسلام وقيل بالنوم فان المهموم
لا ينام وقوله تعالى **فاما** فيه ادغام نون ان
الشرطية في ما الزايدة **ترين** حذف منه لام
الفعل وعينه والقيت حركتها على الراء وكسرت
يا الضمير لالتقاء الساكنين **من البشر احدا** ينكر
عليك **فقولي** يا مريم لذلك المنكر جوابا له مع التاكيد
تنبيها على البراة لان البري يكون ساكتا
لاطمينانه والمرتاب يكثر كلامه **اني نذرت للرحمن**
اي للذي عمت رحمته **صوما** اي امساكا عن
الكلام في شانه وغيره مع الاناسي بدليل
قوله تعالى **فلن اكلم اليوم انسيا** فان كلامي
يقبل الرد والمجادلة ولكن يتكلم عني المولود
الذي كلامه لا يقبل الرفع واما انا فانزه
نفسي عن مجادلة السفها قالوا ومن اذل
الناس سفيه لم يجد مسافها فلا اكلم الا
الملايكة والخالق بالتسبيح والتقديس
وساير انواع الذكر وقيل صياما لانهم
كانوا لا يتكلمون في صيامهم فعلى هذا

كان ذكر الصوم دلالة على الصمت وهذا النوع
من النذر كان جائز في شرعهم وهل يجوز في مثل
هذا النذر في شرعنا قال القفال لعله يجوز لان
الاحتراز عن كلام الادميين وتجريد الفكر بذكر
الله تعالى قربة لا يجوز لما فيه من التضعيف
وتعذيب النفس كنذر القيام في الشمس وروي
انه دخل ابو بكر رضي الله عنه ان الاسلام قد
هدم هذا فتكلمي تنبيه اختلفوا في انها
هل قالت لهم اني نذرت للرحمن صوما فقال
قوم انها ما تكلمت معهم بهذا اي بذلك لانها
كانت ماموره بان تاتي بهذا النذر فلو
تكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة
ولكنها سكتت واشارت براسها وقال
اخرون انها قالت اني نذرت للرحمن صوما
فلن اكلم اليوم انسيا بعد هذا الكلام فاتت اي
فلما سمعت هذا الكلام اشتد قلبها وزال
حزنها واتت به اي عيسى عليه الصلاة والسلام
قومها المجادلة لكل ما يريدون اتيانه البرى
المومن بان الله معه حالة كونها تحمله غير

باليه



بالية باحد لامستحية واختلفوا في انها كانت ما
اتت به فقيل ولدته ثم حملته في الحال الى قومها
وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار
ومكثت اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها
ثم حملته الى قومها فكلمها في الطريق فقال
يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما
دخلت على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا
وكانوا اهل بيت صالحين قال الرازي وليس
في القران ما يدل على التعيين ثم كانه قيل
فلما اتت به قومها ماذا قالوا لها فقيل قالوا يا
مريم ما هذا الولد لان حالها في اتيانها به امر
عجيب لقد جيت شيا فريا اي عظيما منكرا فيكون
ذلك منهم على وجه الذم من فري الجلد يقال
افريت الاديم قطعته على جهة الافساد لا من
فريت يقال فريته قطعته على جهة الاصلاح
ويدل على ان مرادهم الاول قولهم بعد
يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء اي
زانيا وما كانت امك بغيا اي زانية فمن اين لك
هذا الولد لان هذا القول ظاهر م

التوبيخ وفي هرون هذا الدنيعة اقوال احدها
انه رجل صالح من بني اسرائيل ينسب اليه كل
من عرف بالصلاح والمراد انك كنت في الزهد
كهارون فكيف صرت هكذا وروي ان هرون
هذا لما مات تبع جنازته اربعون الفا كلهم
يسمى هرون من بني اسرائيل تبركا باسمه
سوى سائر الناس شبهوها به على معنى
انا ظننا انك مثله في الصلاح وليس المراد
منه الاخوة في النسب كقوله ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين روي المغيرة
ابن شعبة قال لما قدمت نصارى نجران
سالوني فقالوا انكم تقرون يا اخت هرون
وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم
سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون
بانبيائهم والصالحين قبلهم قال ابن كثير
واخطا محمد بن كعب القرظي في زعمه
انها اخت موسى وهرون نسبا فان
بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى
على

على من عنده ادنى علم وكان غره في اول
التورية ان مريم اخت موسى وهرون
وقومه وجنوده فاعتقد ان هذه هي تلك
وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث
الصحيح المتقدم الثاني ان هرون اخو موسى
لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا اخا
تميم وللهمداني يا اخا همدان اي يا واحدا
منهم الثالث كان فاسقا في بني اسرائيل
فنسبت اليه اي شبهوها به الرابع انه كان
لها اخ يسمى هرون من صلحاء بني اسرائيل
فعيرت به قال الرازي وهذا هو الاقرب
لوجهين الاول ان الاصل في الكلام
الحقيقة فيحمل الكلام على اخيها المسمى
بهارون الثاني انها اضيفت اليه
ووصف ابوها بالصلاح فحينئذ يصير
التوبيخ اشد لان من كان حال ابويه
واخيه هذا الحال يكون صدور الذنب
منه افحش **فاشارت اليه** اي لما بالغوا في
توبيخها سكتت واشارت الى عيسى

عليه السلام انه هو الذي يجيبكم قال ابن مسعود
لما لم يكن لها حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها
دعى السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا
سخريتها اشد من زناها قالوا كيف نكلم من
كان في المهد صبيا لم يبلغ سن هذا الكلام
الذي لا يقوله الا اكابر العقلا بل الانبياء
والتعبير بكان يدل على انه عند الاشارة
اليه لم يحوجهم الى ان يتكلموا بل حين يسمع
المحاورة وراى الاشارة بدا منه خارق
لعادة الرضع بل الصبيان روى انه كان
يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاعة واقبل
عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار
بسبابته بيمينه وقيل كلمهم ثم لم
يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان
تنبيه في كان هذا اقوال احدها انها
زايدة وهو قول ابي عبيدة اي فكيف نكلم
من كان في المهد صبيا على هذا نصب
على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور
والواقع صلة ثانيها انها تامة بمعنى

حدث



حدث ووجد والتقدير كيف نكلم من وجد
صبيا وصبيا على هذا خبرها فان قيل
كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم
اجيب بان جبريل او عيسى عليهما السلام
لما ناداها من تحتها ان لا تحزني وامرها عند
رؤية الناس بالسكوت صار ذلك كالتنبيه
لها على ان المجيب هو عيسى عليه السلام
او لعلها عرفت ذلك بالوحي الى زكريا او الهام
على سبيل الكرامة واختلفوا في المهد فقيل
هو حجرها لما روي انها اخذته عليه السلام
في خرقة فاتت به قومها فلما راوها قالوا
لها ما قالوا فاشارت اليه وهو في حجرها
ولم يكن لها منزل بعد حتى يعد لها المهد
وقيل هو المهد بعينه والمعنى كيف نكلم
صبيا سبيله ان ينام في المهد وقال
وهب اتى زكريا مريم عند مناظرتها اليهود
فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت
بها فوصف نفسه بثمان صفات الاولى
قال اني عبد الله اي الملك الاعظم الذي له الصفات

الكمال لا التعبد لغيره وفي ذلك اشارة الى انه عبد
الله لا يتخذ الها من دونه ولانه لا يستعبده
شيطان ولا هوى الصفة الثانية قوله تعالى
اتاني الكتاب واختلف في هذا الكتاب فقال
بعضهم هو التوراة لان الالف واللام في الكتاب
ينصرف للمعهود والكتاب المعهود لهم هو
التورية وقال ابو مسلم هو الانجيل لان
الالف واللام تفيد الاستغراق واقتصر بعضهم
على الاول والبقاعي على الثاني وزاد عليه
والزبور وغيرها من الصحف الصفة الثالثة
قوله وجعلني نبيا واختلف في معنى ذلك
فقيل معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني
نبيا واتى بلفظ الماضي يجعل المحقق
وقوعه كالواقع كما في قوله تعالى اتى امر الله
فلا تستعجلوه وقيل هو اخبار عما كتب في
اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه
وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا
وادم بين الروح والجسد قال الاكثرون
اوتي الانجيل وهو صغير طفلا وكان
يعقل

يعقل عقل الرجال وقال الحسن الهم التورية
وهو في بطن امه الصفة الرابعة قوله تعالى
وجعلني مباركا بانواع البركات اينما اي في اي
مكان كنت وذكروا في تفسير المبارك وجوها
احدها ان البركة في اللغة هي الثبات واصله
من بروك البعير ومعناه وجعلني ثابتا
على دين الحق فان ضلوا فمن قبل انفسهم لا من
قبله روى الحسن عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال سلمت ام عيسى عيسى الى الكتاب
فقالت للمعلم ادفعه اليك بشرط ان لا تضربه
فقال له المعلم اكتب فقال اي شيء اكتب فقال
اكتب ابجد فقال لا اكتب شيئا لا ادري فقال
اي عيسى للمعلم ان لم تفعل ما هو فاني اعلمك
الالف من الاء الله والبا من بهايه والجيم
من جماله والدال من اداء الحق الى الله ثانيها
البركة الزيادة والعلو فكانه قال جعلني
في جميع الاحوال منجحا مفلحا لاني ما دمت
اتق الله في الدنيا اكون مستعليا على الغير
بالحجة فاذا جا الوقت المعلوم اكرمني

اكرمه الله تعالى بالرفع الى السما رابعها مباركا
على الناس من حيث يحصل بسبب دعايه
احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص فقالت
طوبى لبطن حملتك ولثدي ارضعتك به فقال
عيسى مجيبا لها طوبى لمن تلى كتاب الله تعالى
واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا تنبيه
قوله تعالى اينما كنت يدل على ان حاله لم يتغير
كما قيل انه عاد الى حال الصغر وزوال
التكليف الصفة الخامسة قوله تعالى واوصاني
بالصلاة طهرة للنفس والزكاة طهرة للمال
فعلا في نفسي وامر الغير ما دمت حيا
ليكون ذلك حجة على من ادعى انه اله لان لا
شبهة في ان من يصلي الى اله ليس باله
فان قيل كيف يومر بالصلاة والزكاة
مع انه كان طفلا والقلم مرفوع عن الصغير
لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن
ثلاث الحديث اجيب بوجهين
الاول ان ذلك لا يدل على انه تعالى
اوصاه باداها في الحال بل بعد

البلوغ

البلوغ فيكون المعنى اوصاني باداها في وقت
وجوبها علي وهو وقت البلوغ الثاني
ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما انفصل
من امه صيره الله تعالى بالغا عاقلا تام الخلقة ويدل
عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم خلقه من تراب وكما كان ادم تاما كاملا
دفعة فكذا القول في عيسى عليه الصلاة و
السلام قال الرازي وهذا اقرب الى ظاهر
اللفظ لقوله ما دمت حيا فانه يفيد ان
هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان
حياته فان قيل لو كان الامر كذلك لكان
القوم حين راوه راوا شخصا كامل الاعضا
تام الخلقة وصدور الكلام عن مثل هذا
الشخص لا يكون عجبا فكان ينبغي ان لا
يتعجبوا اجيب بانه تعالى جعله مع
صغر جثته قوي التركيب كامل العقل بحيث
كان يمكنه ادا الصلاة والزكاة والاية دالة
على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض و
حين رفع الى السما وحين ينزل الصلاة

السادسة قوله تعالى وبرا اي وجعلني
بارا لما كان السياق لبراه والدته قال
بوالدتي التي اكرمها الله تعالى باحصان
الفرج والحمل بي من غير ذكر وفي ذلك
اشارة الى تنزيه امه عن الزنا اذ لو كانت
زانية لما كان الرسول المعصوم مامورا
بتعظيمها الصفة السابعة قوله تعالى
ولم يجعلني جبارا متعاظما شقيا اي عاصيا
بان افعل فعل الجبارين بغير استحقاق انما
افعل ذلك بمن يستحق وروي عن عيسى
عليه الصلاة والسلام انه قال قلبي
لين واني ضعيف في نفسي وعن بعض
العلما لا احد العاق الا جبارا شقيا سيئ
الملكة اي مختالا فخورا وتلى وما ملكت
ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا الصفة
الثامنة قوله تعالى والسلام من الله علي
فلا يقدر احد على ضري يوم ولدت
فلا يضرني شيطان ويوم اموت ايضا
ومن يولد ويموت فليس باله ويوم ابعث
حيا

حيا يوم القيمة كما تقدم في يحيى عليه السلام
والى ذلك اشارة الى انه في البشرية مثله
سوا لم يفارقه اصلا الا في كونه من غير ذكر
واذا جنس السلام عليه كان اتباعه كذلك
ولم يبق لاعدايه الا اللعن ونظيره قول
موسى عليه السلام والسلام على من اتبع
الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى
ذلك الذي تقدم نعته بقوله اني عبد الله
الى اخره وهو عيسى عيسى ابن مريم لا ما
يصفه النصارى بقولهم ان الله وابنه وم ع
اله ثالث فهو تكذيب لهم فيما يصفونه
على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث
جعل الموصوف باضداد ما يصفونه في ذلك
تنصيص على انه ابن هذه المراة وقوله تعالى
قول الحق قراة ابن عامر وعاصم بنصب اللام
على انه مصدر موكد والباقون بالرفع
على انه خبر محذوف اي هو قول الحق
الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان
والضمير للكلام السابق او لتمام القصة

ثم عجب تعالى من ضلالهم فيه بقوله تعالى الذي
فيه يمترون اي يشكون شكا يتكلمونه ويجادلون
به فيقول اليهود ساحر وتقول النصارى
ابن الله مع ان امه امراة في غاية الوضوح
ليس موضعا للشك اصلا ثم دل على كونه
حقا في كونه ابن لامه مريم لا غيرها بقوله
ردا على من ضل ما كان اي ما صح ولا يتاتى
ولا يتصور في العقول ولا يصح ولا يتاتى لانه من
المحال لكونه يلزم من الحاجة لله الغني عن كل
شي ان يتخذ من ولد واكد بمن لان المقام
يقتضي النفي العام ولما كان ايجاد الولد
من النقايص اشار الى ذلك بالتنزيه
العام بقوله تعالى سبحانه اذا قضى امرا
اي امر كان اي اذا اراد ان يحدث فانما يقول له
كن اي يريده ويصل قدرته به وقوله تعالى
فيكون قراة ابن عامر بنصب النون بتقدير ان
او على الجواب والباقون بالرفع بتقدير هو
وقوله تعالى وان الله ربي وربكم اخبار عن
عيسى عليه السلام انه قال ذلك وقراة ابن
عامر

عامر والكوفيين بكسر الهمزة على الاستيناف
والباقون بفتحها بتقدير حذف حرف الجر متعلق
بما بعده ولان الله ربي وربكم فاعبدوه وحده
لتفرده بالاحسان كما اعبده كقوله تعالى وان
المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والمعنى
لوحدانيته اطيعوه وقيل انه عطف على
الصلاة والتقدير واوصاني بالصلاة والزكاة
وبان الله واليه ذهب الفرا هذا اي
الذي امرتكم به صراط اي طريق مستقيم اي
يعود الى الجنة وقرا قنبل بالسين وخلف
باشمام الصاد والباقون بالصاد واختلف
في قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم
فقيل هم النصارى واختلافهم في عيسى هو
ابن الله او اله معها وثالث ثلاثة وسموا
احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في امر عيسى
النسطورية والملكانية واليعقوبية وقيل
هم اليهود والنصارى فجعله بعضهم ولدا
وبعضهم كذابا وقيل هم الكفار الشامل
لليهود والنصارى وغيرهم من الذين

كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال
ابن عادل وهذا هو الظاهر لانه لا تخصيص
فيه ويؤيده قوله تعالى فويل للذين كفروا
اي شدة عذاب لهم من مشهد يوم عظيم
اي حضور يوم القيمة واهواله وقوله تعالى
اسمع بهم وابصر اي بهم صفتا تعجب بمعنى
ما اسمعهم وما ابصرهم يوم ياتوننا في الاخرة
فان حالهم في شدة السمع والبصر جديرة
بان يتعجب منها فيندمون حيث لا ينفعهم
الندم ويتمنون المحال من الرجوع الى الدنيا
ليتداركوا فلا يجابون الى ذلك بل يسلك بهم
في كل ما يؤذيهم ويهلكهم ويرديهم وقوله تعالى
لكن الظالمون من اقامة الظاهر مقام المضمر
اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا
الاستماع والنظر والاصل ولكنهم اليوم في الدنيا
في ضلال مبين اي بين بذلك الضلال فعموا
عن سماع الحق وعموا عن ابصاره اي اعجب
منهم يا مخاطب في سمعهم وابصارهم في الاخرة
بعد ان كانوا في الدنيا صما عميا

وقيل



وقيل معناه التهديد بما يسمعونه ويبصرونه
مما يسوءهم ويصدع قلوبهم ثم ان الله تعالى
امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه
بقوله تعالى وانذرهم اي خوفهم يوم الحسرة
هو يوم القيمة يتحسر فيه المسيء على ترك الاحسان
والمحسن على عدم الازدياد من الاحسان لقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد
يموت الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول الله
قال ان كان محسنا يندم ان لا يكون ازداد
وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع وفي قوله
تعالى اذ قضي الامر وجوه احدها ان قضي
الامر فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار وذبح الموت كما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله اذ
قضي الامر فقال حين يجاء بالموت على صورة
كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فيزداد
اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم
وقوله تعالى وهم في غفلة وهم لا يؤمنون
جملتان حاليتان وفيهما قولان احدها

انهما حالان من الضمير المستتر في قوله تعالى
في ضلال مبين اي استقروا في ضلال مبين
على هاتين الحالتين السيئتين والثاني انهما
حالان من مفعول انذرهم اي انذرهم على
هذه الحالة وما بعدها وعلى الاول يكون
قوله وانذرهم اعتراضا والمعنى وهم في غفلة
كما يفعل بهم في الاخرة وهم لا يصدقون بذلك
اليوم ولما كان الارث هو حوز الشي بعد
الشي بعد موت اهله وكان سبحانه
وتعالى قد قضى بموت الخلايق اجمعين وانه
تعالى يبقى وحده عبر عن ذلك بالارث
مقرا به مضمون الكلام السابق فقال مؤكدا
تكذيبا لقولهم ان الدهر لا يزال هكذا احياة
الناس وموت الاخرين انا نحن بعظمتنا
التي اقتضت ذلك نرث الارض فلا ندع بها
شيا من عاقل ولا غيره ولما كان العاقل اقوى من
غيره صرح به بعد دخوله فقال ومن عليها
اي من العقلا بان نسلبهم جميع ما في ايديهم
والينا لا الى غيرنا يرجعون فنجازيهم باعمالهم



القصة الثالثة قصة ابراهيم عليه الصلاة و
السلام المذكورة في قوله تعالى واذكر في الكتاب
ابراهيم اي اخبر وقرا هشام ابراهام بالالف
بعد الها والباقون باليا وانما امر الله تعالى
نبيه بالذكر لذلك لانه صلى الله عليه وسلم
ما كان هو ولا قومه ولا اهل بلده مشتغلين
بالتعليم ومطالعة الكتب فاذا اخبر عن هذه
القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان
ذلك اخبارا عن الغيب ومعجزا باهرا دالا
على نبوته وانما ذكر الاعتبار بقصة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام لوجوه الاول ان سلوك
التوحيد الذين اثبتوا توحيدا ومعبودا سوى
الله تعالى فريقان منهم من اثبت معبودا لغير
الله تعالى حيا عاقلا وهم النصارى ومنهم من
اثبت معبودا غير الله جمادا ليس بحي ولا عاقل
وهم عبدة الاوثان والفريقان وان اشتركا في
الضلال الا ان ضلال عبدة الاوثان اعظم
فلما بين تعالى ضلال الفريق الاول تكلم في
ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الاوثان

الثاني ان ابراهيم عليه السلام كان ابا العرب
وكانوا مقرين بعلو شانه وطهارة دينه على
ما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم ومن يرغب عن
ملة ابراهيم الا من سفه نفسه فكانه تعالى
قال للعرب ان كنتم مقلدين لابيكم على قولكم
انا وجدنا اباءنا على امة فاشرف ابائكم واعلاها
قدرا هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقلدوه
في ترك عبادة الاصنام والاوثان مستدلين
فانظروا في هذه الدلايل التي ذكرها ابراهيم
عليه السلام لتعرفوا فساد عبدة الاوثان
وبالجملة فاتبعوا ابراهيم اما تقليدا واما
استدلالا الثالث انه كثير من الكفار في زمان
النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون
نترك دين ابائنا واجدادنا فذكر الله تعالى
قصة ابراهيم عليه السلام وهو انه ترك دين
ابيه وابطل قوله بالدليل ورجح متابعة
الدليل على متابعة ابيه ثم قال في صفة ابراهيم
انه كان جبلة وطبعا صديقا نبيا صديقا
اي بليغ الصدق في نفسه في اقواله وافعاله
اي كان

اي كان من اول وجوده الى نهايته موصوفا
بالصدق والصيانة وسياق الكلام على قوله
بل فعله كبيرهم هذا واني سقيم في محله ولما
كان مرتبة النبوة ارفع من مرتبة الصديقية
قال تعالى نبيا اي استنباه الله تعالى اذ اي رفعه
اعلامه رفعه من جعله الله واسطة بينه وبين
عباده وقوله تعالى اذ قال بدل من ابراهيم وما
بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا
اي كان جامعا لخصايص الصديقين والانبيا
حين قال لابيه ازر هاديا له من تيه الضلال
بعبادة الاصنام مستعطفا له في كل جملة بقوله
يا ابت والتاء عوض عن يا الاضافة ولا يجمع بينهما
وقرا ابن عامر بفتح التاء في الوصل والباقون
بكسرها واما الوقف فوقف ابن كثير وابن عامر
بالهاء والباقون بالتاء ثم ان الله تعالى حكى عنه
ايضا انه تكلم مع ابيه باربعة انواع من
الكلام النوع الاول قوله لم تعبد مريدا بالاستفهام
المجادلة واللطف والرفق واللين والادب
الجميل في نصحه له كاشفا الامر غاية الكشف

نفاية ما لا يسمع ولا يبصر اي ليس عنده قابلية
الشيء من هذين الوصفين ليرى ما انت فيه
من خدمته او يجيبك اذا ناديته محالا ومالا
ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر
فوصف الاوثان بصفات ثلاث كل واحدة منها
قادحة في الالوهية وبيان ذلك من وجوه
احدها ان العبادة غاية التعظيم فلا تستحق
الا لمن له غاية الانعام وهو الاله الذي منه
اصول النعم وفروعها على ما تقرر في تفسير
قوله تعالى وان الله ربي وربكم وكما انه
لا يجوز الاشتغال بشكر ما لم تكن منعمة
وجب اذ لا يجوز الاشتغال بعبادتها وثانيها
اذا لم تسمع ولا تبصر ولا تميز بطبعها عن من
يعصيها فاي فايدة في عبادتها وهذا تنبيه
على ان الاله يجب ان يكون عالما بكل المعلومات
وثالثها ان الدعا مخ العبادة فاذا لم يسمع
الوثن دعا الداعي فاي منفعة في عبادته
وان لم يبصر تقرب من تقرب اليه فاي منفعة
في ذلك التقرب ورابعها ان السامع والمبصر
الضار

الضار النافع افضل ممن كان عاريا عن كل ذلك
والانسان موصوف بهذه الصفات فيكون
افضل واكمل من الوثن فكيف يليق بالافضل
عبودية الاخس وخامسها ان كانت لا تنفع
ولا تضر فلا يرجى بها منفعة ولا يخاف من ضررها
فاي فايدة في عبادتها وسادسها اذا كانت لا
تحفظ نفسها عن الكسر والافساد حتى جعلها
ابراهيم عليه السلام جذاذا فاي رجا فيها
للغير فكانه عليه السلام قال ليست الالهية
الا لرب يسمع ويبصر ويجيب دعوة الداعي
اذا دعاه النوع الثاني قوله تعالى يا ابت اني
قد جاءني من المعبود الحق من العلم ما لم يأتك
منه فاتبعني اي فتسبب من ذلك الى اقول
لك وجوبا على النهي عن المنكر ونصيحة المالك
عن من الحق اجتهد بتقي اهدك صراطا اي
طريقا سويا اي مستقيما كاني لو كنت معك
في طريق محسوس واخبرتك ان اماما مهلكة
لا ينجو منه احد وامرتك ان تسلك مكانا غير
ذلك لاطعتني ولو عصيتني فيه عدك كل

عدو كل احد غاديا النوع الثالث قوله تعالى
يا ابت لا تعبد الشيطان فان الاصنام ليس لها
دعوة اصلا والله تعالى قد حرم عبادة غيره
مطلقا على لسان كل ولي له فتعين ان يكون
الامر بذلك الشيطان فكان هو المعبود
بعبادتها في الحقيقة ثم علل هذا النهي بقوله
ان الشيطان البعيد من كل خير المحترق باللعنة
كان للرحمن عصيا بالقوة من حين خلق
وبالفعل من حين امر بالسجود لابيك ادم
عليه الصلاة والسلام فابى فهو عدو الله
تعالى وله والمطيع للعاصي لشيء عاص
لذلك الشيء لان صديق العدو عدو فان قيل
هذا القول يتوقف على ثبات امور احدها
اثبات الصانع وثانيها اثبات الشيطان
وثالثها ان الشيطان عاص ورابعها انه لما
كان عاصيا لم يجز طاعته وخامسها ان الاعتقاد
الذي كان عليه ازر مستفاد من طاعة الشيطان
ومن شان الدلالة التي تورد على الخصم
ان تكون مركبة من مقدمات معلومة
يسلمها



يسلمها الخصم ولعل ابراهيم كان منازعا في هذه
المقدمات وكيف والمحكي عنه انه ما كان
يثبت الها سوى نمرود فكيف يسلم وجود
الرحمن وجوده فكيف يسلم ان الشيطان عاص
للرحمن وبتقدير تسليم ذلك يسلم الخصم
بمجرد هذا الكلام ان مذهبه مقتبس من الشيطان
بل لعله يقلب ذلك على خصمه والجواب
ان الحجة المعول عليها في ابطال مذهب ازر
وهو قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا وهذا الكلام يجري مجرى التخويف
والتحذير الذي يحمله على النظر في تلك الدلالة
فيسقط السوال النوع الرابع قوله تعالى
يا ابت اني اخاف لمحبتي لك وغيرتي عليك ان
يمسك عذاب اي كائن من الرحمن الذي هو مولى
كل من تولى لعصيانك اياه فتكون اي فتسبب
عن ذلك ان يكون للشيطان وليا اي ناصرا
وقريبا في النار لما دعى ابراهيم عليه الصلاة و
السلام اباه الى التوحيد وذكر الدلائل على
فساد عبادة الاوثان واردف تلك الدلائل

بالوعظ البليغ واورد كل ذلك مقرونا بالرفق
واللطف قابله ابوه بجواب يضاد ذلك فقال
بل جبه بالتقليد فانه لم يذكر في مقابلة حجة
الا ان قال اراغب انت عن الهتي باضافتها الى
نفسه فقط اشارة الى مبالغته في تعظيمها
والرغبة عن الشيء تركه عمدا فاصر على الدعا
الهيتها جهلا وتقليدا وقابل قوله بالرفق
يا ابت بالعنف حيث لم يقل يا بني بل قال يا
ابراهيم وقابل وعظه بالسفه حيث هدده
بالضرب والشتم بقوله مقسما لئن لم تنته
عما انت عليه لارجمنك اي لاقتلنك او لارجمنك
بالحجارة حتى تموت او تبعد عني او بالكلام
القبيح فاحذرني واهجرني اي ابعد عني بالمفارقة
من الدار والبلد وهي كهجرة النبي صلى الله عليه
وسلم والمومنين اي تباعد عني مليا اي
دهرا طويلا من اجل ما صدر منك من هذا
الكلام وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم وتاسية فيما كان يلقى من الاذى
ويقاسي من قومه من العناد ومن عمه ابي لهب
من



من الشدائد باعظم ابائه واقربهم به شبها
فلما سمع ابراهيم عليه الصلاة والسلام كلام
ابيه اجاب بامرين احدهما قال له سلام
عليك توديع ومشاركة اي سلمت مني لا اصيبك
بمكروه ما لم اومر فيك بشيء فانه لم يومر
بقتاله على كفره كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعما لكم
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما وهذا يجوز على متاركة
المنصوح اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه يحسن
مقابلة الاساءة بالاحسان ويحسن ان يكون
دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده
بالاستغفار فيكون سلام بر ولطف وهو
جواب الحليم للسفيه كقوله تعالى واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما ثم استانف قوله
تعالى ساستغفر لك ربي اي المحسن اليك بان
اطلب لك منه غفران ذنوبك بان يوفقك للاسلام
انه كان بي حفيا اي مبالغا في اكرامي مرة بعد
مرة وكرة فاثر كرة وقد وفى بوعده بقوله
المذكور في الشعرا واغفر لابي وهذا قبل

ان يتبين له انه عدو لله كما ذكر في براة وثانيها
انه قال له انقيادا لامر ابيه واعتزلكم اي
جميعا بترك بلادكم واشار الي ان من شرط
المعبود ان يكون اهلا للمناداة في الشدايد
لقوله وما تدعون اي تعبدون من دون الله
الذي له الكمال كله فمن اقبل عليه وجده اصلا
ومن اقبل علي غيره ولو طرفة عين فقد خسر
وخاب وادعوا اي اعبد ربي وحده لاستحقاقه
ذلك مني ولم يقيد الاعتزال بزمن بل اشار
الي انهم ما داموا علي هذا الدين فهو معتزل
ثم عاد لنفسه بما نبههم به علي خستة
سعيهم فقال غير جازم باجابة دعوته
وقبول عبادته اجلالا لربه وهضما لنفسه
عسي ان لا اكون بدعاء ربي المنفرد بالانفراد
والاحسان الي شقيا اي كما شقيتم بعبادة
الاصنام فانها لا تجيب دعاكم ولا تنفعكم ولا
تضركم ولما راي منابيه ومعاشرته ما راي
عزم علي غربة مشقة النوي مختارا للغربة
في البلاد علي غربة الاضداد وكان كما قال ابو
سليمن



سليمن الخطابي
وما غربة الانسان في مشقة النوا
ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست واهلها
وان كان فيها اسرتي وبها اهلي
وحقق ما عزم عليه فبين سبحانه وتعالي تحقيق
رجايه ولجابة دعايه فقال فلما اعتزلهم اي بالهجرة
الي الارض المقدسة وما يعبدون من دون الله
لم يضره ذلك دينا ولا دنيا بل نفعه وعوضه
الله اولادا كما قال تعالي وهبنا له كما هو الشان
في كل من ترك شيا لله اسحق ولدا لصلبه من
زوجته العاقر العقيم بعد تجاوزها من الياس
واخذه هو في السن الي حد لا يولد لمثله
ويعقوب ولدا لاسحق وخصهما بالذكر للزومهما
محل اقامته وقيامهما بعد موته بخلافته فيه
واما اسمعيل عليه الصلاة والسلام فكان
الله سبحنه وتعالي المتولي لتربيته بعد نقله
رضيعا الي المسجد الحرام واحيايه تلك المشاعر
العظام فافرده بالذكر على جلاله وصلا براسه

بقوله بعد واذكر في الكتاب اسمعيل فترك
ذكره مع اسحق الذي هو اخوه لذلك ثم بين
صريح بما وهب لاولاده جزاء على هجرته بقوله
تعالى **وكلا** اي منهما **جعلنا نبيا** على المقدار
وتخبر بالاخبار العظيمة كما جعلنا ابراهيم عليه
السلام نبيا **ووهبنا لهم** كلهم **من رحمتنا**
اي شيا سنيا عظيما من النسل الطاهر والذرية
الطيبة واجابة الدعوة الدعا واللطف في القضا
والبركة في المال والاولاد وغير ذلك من خيري
الدنيا والاخرة **وجعلنا لهم لسان صدق عليا**
وهو الثنا الحسن وعبر باللسان عن ما وجد
باللسان كما عبر باليد كما يطلق باليد وهو العطية
واستجاب الله تعالى دعوته في قوله تعالى
واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره
قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم فقال
تعالى ملة ابيكم ابراهيم وقد اجتمعت
فيه خصال لم تجتمع في غيره اولها انه اعتزل
عن الخلق على ما قال واعتزلكم وما تدعون
من دون الله في اولاده فقال ووهبنا
له



له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ثانيها
انه تبرا من ابيه قال عز وجل فلما تبين له انه
عدو لله تبرا منه لاجرم وسماه الله تعالى ابا
المسلمين فقال ملة ابيكم ابراهيم ثالثها تله
للجبين لاجرم فداه الله تعالى على ما قال وتله
للجبين ليذبحه في الله على ما قال وفديناه
بذبح عظيم رابعها اسلم نفسه فقال اسلمت
لرب العالمين فجعل الله تعالى النار بردا وسلاما
عليه فقال يا نار كوني بردا وسلاما على
ابراهيم اشفق على هذه الامة فقال ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم لاجرم اشركه الله
تعالى في الصلوات في قوله كما صليت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم سادسها في حق
سارة في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى
لاجرم وجعل موطي قدميه مباركا واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى سابعها عادى
كل الخلق في الله فقال فانهم عدو لي الا رب
العالمين ثم اتخذه الله خليلا ليعلم صحة قولنا
ما خير الله احدا لقصة الرابعة قصة

قصة موسى عليه الصلاة والسلام المذكورة
في قوله تعالى **واذكر في الكتاب** اي الذي لا كتاب
مثله في الكمال **موسى** الذى انقذ الله به
بنو اسرايل من العبودية ثم ان الله
تعالى وصفه بامور احدها قوله **انه كان**
**مخلصا** قراءه عاصم وحمزة والكساي بفتح
اللام اي مختارا اختاره الله تعالى واصطفاه
وقيل اخلصه الله من الدنس والباقون
بالكسر اي اخلص التوحيد لله والعبادة
ومتى ورد القران بقراتين فكل منهما ثابت
مقطوع به فجعل الله تعالى من صفة موسى
عليه الصلاة والسلام كلا الامرين ثانيها
قوله تعالى **وكان رسولا** الى بني اسرايل
والقبط **نبيا** ينبيه الله بما يريد من
وحيه لينبي به المرسل اليهم فيرتفع بذلك
قدره فلذلك صرح بها بعد دخولها
في الرسالة ضمنا اذ كل رسول نبي وليس
كل نبي رسول وسياتي الكلام عليه ان
شا الله تعالى في سورة الحج عند قوله

وما



وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ثالثها
قوله تعالى **ونادينه** اي بالنا من العظمة **من**
**جانب الطور** هو اسم جبل **الايمن** اي الذي يلقيه
موسى حين اقبل من مدين فانشاناه هناك
حتى كان متوجها الى مصر بانه رسولنا ثم اعدنا
اليه بعد اغراق فرعون فكان لبني اسرايل به من
العجايب في رحمتهم بانزال الكتاب والالذاذ
بالخطاب من جوف السحاب وفي اماتتهم لما
طلبوا الروية ثم احياهم وغير ذلك ما يجل عن
الوصف رابعها قوله تعالى **وقربناه** بما لنا من
العظمة تقريب تشريف حالة كونه **نجيا** بخبره
من امرنا بلا واسطة من النجوى وهي السر في
الكلام بين اثنين كالسر وقيل اقرب مكان
اي مكانا عليا عن الى المعالية انه قرب حتى
سمع صرير القلم حين يكتب التورية في الالواح
وقيل نجيا من اعدايه خامسها قوله
تعالى **ووهبنا له** اي هبة تليق لعظمتنا
**من رحمتنا** اي من اجل رحمتنا **اخاه** اي
معاوضة وموازرته لاستخصه وذلك

وذلك اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي
فانه كان اسن من موسى لتثنية اخاه مفعول
او بدل على تقدير ان يكون من للتبعيض وقوله
هرون عطف بيان وقوله نبيا حالة منه
هي المقصودة بالهبة القصة الخامسة
قصة اسمعيل عليه السلام المذكورة في قوله تعالى
واذكر في الكتاب اسمعيل ابن ابراهيم عليهما
الصلاة والسلام الذين هم معترفون بنبوته
ومفتخرون برسالته وابوته فلزم من ذلك
فساد تعليلهم انكار نبوتك بانك من
البشر ثم انه الله تعالى وصف اسمعيل بامور
اولها قوله تعالى انه كان اي جبلة وطبعا
صادق الوعد في حق الله وغيره لمعونة
الله له على ذلك بسبب انه لا يوعد وعدا
الا مقرونا بالاستثنا كما قال لابيه حين جزم
بامر ذبحه ستجدني ان شا الله من الصابرين
وخصه بالمدح به وان كان الانبيا كلهم كذلك
لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله مطلقا
وروي عن ابن عباس انه وعد صاحبا له

صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة
وروي ان عيسى عليه السلام قال له رجل
انتظرني حتى اتيك فقال عليه السلام هنالك
الميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من
الضحى الى غروب الشمس وسيل الشعبي عن
الرجل يعد ميعادا الى اي وقت ينتظره قال
فان واعده نهارا فكل النهار وان واعده ليلة
فكل الليل وسيل ابراهيم بن زيد عن ذلك
فقال اذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره
الى وقت صلاة اخرى ثانيها قوله تعالى
وكان رسولا نبيا قد سر تفسيرهما ثالثها قوله تعالى
وكان يامر اهله بالصلاة اي طهرت البدن
وقرة العين وخير العون على جميع المارب
والزكاة اي التي هي طهرة المال كما اوصى الله تعالى
بذلك جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمراد
بالاهل قومه وقيل اهله جميع امته كان رسوله
الى جرهم قاله الاصفهاني والى اهل تلك البراري
بدين ابراهيم والمراد بالصلاة قال ابن عباس

يريد التي افترضها الله عليهم قال البغوي
وهي الحنيفية التي افترضت علينا قيل كان
يبدا باهله في الامر بالعبادة ليجعلهم قدوة
لمن سواهم كما قال تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين وامر اهلك بالصلاة قوا انفسكم
واهليكم نارا وبالزكاة قال ابن عباس
انها طاعة الله والاخلاص فكانه تاوله على
ما يذكر به الفاعل عند ربه والظاهر كما قال
ابن عباس ان الزكاة اذا قرنت بالصلاة
ان يراد بها الصدقات الواجبة رابعها
قوله تعالى وكان عند ربه بعبادته على حسب
امره مرضيا وهذا في نهاية المدح لان المرضي
عند الله هو الفائز في كل طاعة باعلى
الدرجات فاقتدي انت به فان من اجل اباك
لتجمع بين طهارة القول والبدن والمال
فتنال رتبة الرضا القصة السادسة
قصة ادريس عليه السلام المذكورة
في قوله تعالى واذكر في الكتاب اي الجامع
لكل ما يحتاج اليه حتى ما يحتاج اليه
من



من قصص المتقدمين والمتاخرين ادريس
وهو جد ابي نوح عليه السلام قيل سمي
ادريس لكثرة دراسة الكتب واسمه اخنوخ
بمهملة ونون معجمة واخره خا معجمة ووصفه
الله تعالى باسور احدها وثانيها قوله تعالى
انه كان صديقا نبيا اي صادقا في افعاله و
اقواله ومصدقا بما اتاه الله من اياته على
السنة الملايكة ثالثها قوله تعالى ورفعناه مكانا
عليا وفيه قولان احدهما انه من رفع المنزلة
كقوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ورفعنا
لك ذكرك فان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل
عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم
ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط
الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون
الجلود واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار
ثانيها انه من رفعة المكان ثم اختلفوا
فقال بعضهم رفعه الله الى السما الرابعة
وهي التي راه النبي صلى الله عليه وسلم
بها ليلة الاسرى وقيل الى الجنة وهو حي

يموت وقالوا اربعة من الانبيا في الاحيا اثنان
في الارض الخضر والياس واثنان في السما عيسى
وادريس وقال وهب كان يرفع لادريس
كل يوم من العبادة ما يرفع لجميع اهل الارض
في زمانه فتعجبت منه الملايكة واشتاق له ملك
الموت فاستاذن ربه في زيارته فاذن له فاتاه
في صورة بني ادم وكان ادريس يصوم الدهر
فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه
فابى ان ياكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال
فانكره ادريس وقال له اريد ان اصحبك
فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض
روحي فاوحى الله اليه ان اقبض روحه
فقبض روحه وردها اليه بعد ساعة قال
له ملك الموت ما الفايدة في سوالك قبض
الروح قال لاذوق كرب الموت وغمته فاكون
اشد استعدادا له ثم قال له ادريس ان لي اليك
حاجة اخرى قال وما هي قال ترفعني الى
السما انظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله
تعالى له في ذلك فرفعه فلما قرب من
النار



النار قال لي حاجة قال وما هي قال تسال
مالكا ان يفتح ابوابها فاردها ففعل ثم قال
كما اريتني النار فارني الجنة فذهب به الى
الجنة فاستفتح ففتح ابوابها فادخله الجنة
ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مكانك
فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله
تعالى ملكا حكما بينهما قال له الملك ما لك لا
تخرج قال ان الله تعالى قال كل نفس ذايقة
الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها
وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست
اخرج فاوحى الله تعالى الى ملك الموت باذني
دخل الجنة وباذني لا يخرج فهو حي هناك وقال
اخرون بل رفع الى السما وقبض روحه وقال
كعب الاحبار ان ادريس سار ذات يوم في
حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب
اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة
خمسماية عام في يوم واحد اللهم خفف
عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك

وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال
يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيته فيه
فقال تعالى ان عبدي ادريس سالني ان
اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب
اجعل بيني وبينه خلة فاذن له حتى اتى
ادريس يساله فكان مما ساله ان قال له اني
اخبرت انك اكرم الملائكة وامكنهم عند
الموت فاشفع لي ليوخر اجلي فازداد شكرا
وعبادة فقال الملك لا يوخر الله نفسا اذا
جاء اجلها وانا مكلمه فرفعه الى السماء
ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك
الموت فقال له حاجة لي اليك لي صديق
من بني ادم يشفع بي اليك لتوخر اجله
فقال ليس ذلك الي ولكن ان احببت
اعلمته اجله فيقدم لنفسه قال نعم
فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان
وما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك قال
لا اجده يموت الا عند مطلع الشمس قال
اني اتيتك وتركته هناك قال فانطلق

فلا



فلا ادركه الا وقد مات ووالله ما بقي من
اجل ادريس شي فرفع الملك فوجده ميتا
ولما انقضى كشف هذه الاخبار العلية المقدار
الجليلة الاسرار شرع سبحانه وتعالى ينسب
اهلها باشرف نسبهم ويذكر امتن نسبهم فقال
عز من قايل **اولئك** اي العالو الرتب الشرفا
النسب المذكورون في هذه السورة من لدن
زكريا الى ادريس وهو مبتدا **الذين انعم الله**
**عليهم** بما خصهم به من مزيد القرب اليه وعظيم
المنزلة لديه صفة له وقوله تعالى **من النبيين**
اي المصطفين بالنبوة الذين انباهم الله تعالى
بدقايق الحكم ورفع معالم بين الامم بيان
لهم وهو في معنى الصفة وما بعده الى جملة
الشرط صفة فقوله **من ذرية ادم** اي ادريس
لقربه منه لانه جد ابي نوح **وممن حملنا مع نوح**
في السفينة اي ابرهيم بن ابنه سام **ومن ذرية**
**ابرهيم** اي اسمعيل واسحاق ويعقوب **ومن**
ذرية **اسرايل** وهو يعقوب اي موسى وهرون
وزكريا ويحيى وكذا عيسى لان مريم من ذريته

ومن هدينا الى اقوم الطرق واجتبينا للنبوة و
الكرامة اي من جملتهم وخيار اوليك اذا تتلى عليهم
من اي تال كان ايات الرحمن خروا سجدا للمنعم
عليهم تقربا بما لهم من البصائر المنيرة في ذكر نعمه
عليهم واحسانه اليهم وبكيا خوفا منه وشوقا
اليه فيكونوا سلم تنبيه سجدا حال مقدرة
قال الزجاج لانهم وقت الخرور ليسوا سجدا
وهو جمع ساجد وبكيا جمع باك وليس بقياس
يقاس جمعه على قضاة كقاض وقضاة ولم
يسمع فيه هذا الاصل واصل بكيا بكوي قلبت
الواو يا والضمة كسرة واختلف في هذا السجود
فقال بعضهم انه الصلاة وقال بعضهم سجود
التلاوة على حسب ما تعبدوا به قال الرازي
ثم يحتمل ان يكون المراد سجود القران ويحتمل
انهم عند الخوف كانوا قد تعبدوا بسجود
فيفعلوا ذلك لاجل السجود في الاية انتهى
وروى ابن ماجة وغيره عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اتلوا القران وابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا وعن المزني قرات
القران



القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال لي يا صاح هذه القراة فاين البكا
وعن ابن عباس اذا قراتم سجدة فقولوا فلا
سبحان الله فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان
لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وروى انه صلى
الله عليه وسلم قال ما غرغرت عين بما الا حرم
الله تعالى جسدها على النار وروى انه صلى
الله عليه وسلم قال ان القران نزل بحزن
فاذا قراتموه فتحازنوا وعن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من
بكى من خشية الله وقال العلما يدعوا
في سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرا
اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني
من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك
واعوذ بك ان اكون من المتكبرين عن امرك
وان قرا سجدة قال سبحان الله اللهم
اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك
وان قرا هذه قال اللهم اجعلني من عبادك
المنعم عليهم المهتدين الباكين عند

عند تلاوة ايات كتابك وقرا حمزة والكسائي
بكيا بكسر البا والباقون بضمها ولما وصف
سبحانه وتعالى هولا الانبيا بصفة المدح
ترغيبا لنا في التاسي بهم ذكر بعدهم من هو
بالضد منهم فقال فخلف من بعدهم اي من
بعض الزمان الذي بعد هولا الاصفيا سريعا
خلف في غاية الرداية من اولادهم يقال خلفه
اذا اعقبه خلف نسوا باسكان اللام والخلف
بفتح اللام الصالح كما قالوا وعد في ضمان الخير
ووعيد في ضمان الشر وفي الحديث في الله خلف
من هالك ومنه الشعر ذهب الذين نعاش
في اكنافهم • وبقيت في خلف كجلد الاجرب
وقال السدي اراد بهم اليهود ومن لحق
بهم وقال قتاده اضاعوا الصلاة تركوا
الصلاة المفروضة وقال ابن مسعود و
اخروها عن وقتها وقال سعيد بن
المسيب هو ان لا تصلي الظهر حتى ياتي
العصر ولا تصلي العصر حتى تغرب الشمس
واتبعوا الشهوات اي المعاصي قال ابن
عباس



عباس
هم اليهود وتركوا الصلاة المفروضة وشربوا
الخمور واستحلوا نكاح الاخت من الاب وقال
مجاهد هولا قوم يظهرون في اخر الزمان
ينزوا بعضهم على بعض في الاسواق والازقة
فسوف يلقون غيا وهو كما قال وهب وعن
ابن عباس واد في جهنم بعيد قعره تستعيذ
منه اوديتها كما رواه الحاكم وصححه وقيل هو
الخسران وقيل الشرك كقول القائل •
فمن يلق خيرا يحمد الناس خيره
ومن يغو لا يعدم على الغي لايما
على الغي متعلق بلايما وقيل يلق جزا الغي كقوله
يلق اثاما اي جزا الاثام تنبيه قوله تعالى
يلقون ليس معناه يرون فقط بل معناه
الاجتماع والملابسة هو مع ولما اخبر تعالى
عن هولا بالخيبة فتح لهم باب التوبة ودعاهم
الى الغسل هذه الحوبة بقوله الا من تاب اي مما
هو عليه من الضلال وبادر بالاعمال وحافظ
على الصلوات وكف نفسه عن الشهوات
وامن بما اخذ عليه به العهد وعمل بعد ايمانه

تصديقا له صالحا من الصلوات والزكوة وغيرها
فاولئك العالوا الهمم الطاهرو الشيم يدخلون
الجنة التي وعد المتقون ولا يظلمون شيئا من ظلم ما من
اعمالهم فان قيل لم استثنا دل على انه لا بد من
التوبة والايمان والعمل الصالح وليس الامر كذلك
لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة
او كانت المراة حايضا فانه لا يجب عليهم
الصلاة والزكاة ايضا غير واجبة وكذلك
الصوم فهنا لو مات في ذلك الوقت
كان من اهل النجاة مع انه لم يصدر عمل
فلم يجز توقف الاجر على العمل الصالح اجيب
بان هذه الصورة نادرة فالاحكام انما
تناط بالاعم الاغلب تنبيه في هذا الاستثنا
وجهان قال ابن عادل اظهرهما انه متصل
وقال الزجاج هو منقطع وهذا منجاه منه
الله المضيع للصلاة من الكفار ووافق
الزجاج الجلال المحلي ولما ذكر تعالى في التايب
انه يدخل الجنة وصفها بامور احدها
قوله تعالى جنات عدن اي اقامة لا يظعن

عنها



عنها بوجه من الوجوه وصفها بالدوام
على خلاف وصف الجنان في الدنيا التي لا تدوم
ثم بين تعالى انها التي وعد الرحمن عباده
الذي هو ارحم بهم وقوله بالغيب فيه وجهان
احدهما ان الباء حالية وفي صاحب الحال احتمالان
احدهما ضمير الجنة وهو عايد الموصول اي وعدها
وهي غايبة عنهم لا يشاهدونها والثاني عباده
اي وهم غايبون عنها لا يرونها انما امنوا بها
بمجرد الاخبار منه والوجه الثاني ان الباء سببية
اي بسبب تصديق الغيب وسبب الايمان به
ولما كان من شان الموعود على ما يتعارفه
الناس بينهم احتمال عدم الوقوع بين ان وعده
ليس كذلك بقوله تعالى انه كان اي كونا هو سنة
ماضية وعده ماتيا اي مقصودا بالفعل فلا
بد من وقوعه فهو كقوله ان كان وعد ربنا
لمفعولا ثانيها قوله تعالى لا يسمعون فيها
لغوا وهو فضول الكلام وما لا طايل تحته
وفيه تنبيه ظاهر على تجنب اللغو واتقايه
حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها

وقد مدح الله تعالى اقواما بقوله واذا مروا باللغو
مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
نعوذ بالله من اللغو ومن الجهل والخوض
فيما لا يعنينا وقوله تعالى الا سلاما استثنا
منقطع اي ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه
من العيب والنقيصة وسلاما من الله او من
الملائكة او من بعضهم على بعض ويجوز ان
يراد باللغو مطلق الكلام قال في القاموس
اللغا اللغو الكلام فيكون الاستثنا متصلا
اي لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ما
يدل على السلامة وسلاما من الله او من
الملائكة او من بعضهم على بعض ثالثها
قوله تعالى ولهم رزقهم فيها اي على ما
يتمنون ويشتهون على وجه لا بد من اتيانه
ولا كلفة عليهم فيه ولا منة عليهم به بكرة
وعشيا اي على قدرها في الدنيا وليس في
الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور ابدا وقيل
انهم يعرفون النهار ومضى الليل برفع الحجب فالليل
بارخائها



بارخائها فان قيل المقصود بهذه الايات
وصف الجنة باحوال مستعظمة ووصول
الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور
المستعظمة اجيب بوجهين الاول قال
الحسن اراد الله تعالى ان يرغب كل قوم بما
احبوه في الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب
والفضة ولبس الحرير التي كانت العجم والارائك
التي هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت
عادة اشراف اليمن ولا شي كان احب الى العرب
من الغدا والعشا فوعدهم بذلك الثاني ان
المراد دوام الرزق تقول انا عند فلان
صباحا ومساء وبكرة وعشيا يريد الدوام
لا يقصد الوقتين المعلومين وقيل المراد
رفاهة العيش وسعة الرزق اي لهم رزقهم
متى شاؤوا ولما بانت بهذه الاوصاف دار
الباطل اشار الى علو رتبتها وما هو سببها
بقوله تعالى تلك الجنة باداة البعد لعلو قدرها
وعظم امرها التي نورث من عبادنا اي
نعطي عطاء الارث وقيل تنتقل تلك المنازل

ممن لو اطاع لكانت له الى عبادنا الذين اتقوا
بهم فحمل النخل ارنا قال الحسن من كان
تقيا اى المتقين من عباده فان قيل الفاسق
المرتكب للكباير لم يوصف بذلك الوصف
فلا يدخلها اجيب بان الاية تدل على ان
الجنة يدخلها المتقى وليس فيها دلالة على ان
غير المتقى لا يدخلها وايضا صاحب الكبيرة
متق عن الكفر ومن صدق عليه انه متق
وجب ان يدخل الجنة فدلالة الاية على ان
صاحب الكبيرة يدخلها اولى من ان تدل
على ان لا يدخلها واختلف فى سبب
نزول قول جبريل للنبى صلى الله عليه
وسلم وما نتنزل الا بامر ربك فقال ابن
عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما
تزورنا فنزلت الاية وقال مجاهد ابطا
الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فقال لعلى ابطات قال قد فعلت
قال ولم لا افعل وانتم لا تستوكون

ولا



ولا تقصون اظفاركم ولا تنقون براجمكم
وقال وما نتنزل الا بامر ربك فنزلت
وقال قتادة والكلبى احتبس جبريل عليه
السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم
حين ساله قومه عن قصة اصحاب الكهف
وذى القرنين والروح وسبب سوالهم عن ذلك
ما روى ان قريشا بعثت خمسة رهط الى
يهود المدينة يسالونهم عن صفة النبى صلى الله
عليه وسلم وهل يجدونه فى كتابهم وسالوا
النصارى فزعموا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود
نجده فى كتابنا وهذا زمانه وقد سالنا رحمن
اليمامة عن ثلاث فلم يعرف فاسيلوه عنهن
فان اخبركم عن خصلتين فاتبعوه فاسالوه
عنهن فان اخبركم عن قصة اصحاب الكهف
وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب
فوعدهم ان يجيبهم غدا ولم يقل ان شاء الله فا
حتبس الوحى عنه اربعين يوما وقيل خمسة
عشر يوما فشق ذلك عليه مشقة عظيمة
وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل

جبريل عليه السلام قال له النبي صلى الله
عليه وسلم ابطات حتى ساء ظني واشتقت
اليك قال اني اليك اشوق ولكني عبد مامور
اذا بعثت نزلت واذا احتبست احتبست فنزلت
هذه الاية ونزل قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة الضحى
فان قيل قوله تلك الجنة التي نورث من
عبادنا من كان تقيا كلام الله وما نتنزل
الا بامر ربك كلام غير الله فكيف جاز عطف
هذا على ما قبله من غير فصل اجيب بانه
اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح كقوله تعالى
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وهذا
كلام الله ثم عطف عليه قوله وان الله ربي
وربكم فاعبدوه ثم علل جبريل قوله ذلك
بقوله له ما بين ايدينا اي اماما من امور الاخرة وما
خلفنا اي من امور الدنيا وما بين ذلك اي ما
يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة اي له
علم ذلك جميعه وقيل ما بين ذلك ما بين
النفختين وما بينهما اربعون سنة وقيل
ما



ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا
ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا
وقيل ما بين ايدينا بعد ان نموت وما خلفنا
قبل ان نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقيل
ما بين ايدينا الارض اذا اردنا النزول وما خلفنا
السما وما نزل فيها وما بين ذلك الهوا يريد ان
ذلك كله لله فلا نقدر على شيء الا بامره وما كان ربك
المحسن اليك نسيا يعني ناسيا وتاركا لك بتاخير
الوحي عنك لقوله تعالى ما ودعك ربك وما
قلا اي وما كان امتناع النزول الا لامتناع
الامر به وما كان ذلك عن ترك الله لك وتوديعه
اياك ثم استدل على ذلك بقوله رب السموات
والارض وما بينهما فلا يجوز عليه النسيان ولا
بد ان يمسكهما حالا بعد حال والا لبطل الامر فيهما
وفيمن يتصرف فالاية دالة على ان الله تعالى رب
لكل شيء حصل بينهما ففعل العبد مخلوق له تعالى لان
قول العبد بين السما والارض تنبيه يكون في ريب
ان يكون عبدا لا من ربك وان يكون خبر مبتدا
مضمر اي فهو رب وقوله تعالى فاعبده واصطبر لعبا دته

خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مرتب على ما
تقدم اي لما عرفت ان ربك لا ينساك فاعبده
بالمراقبة الدائمة على من ينبغي من مثلك و
اصطبر عليها ولا تتشوش بابطا الوحي وهزؤ
الكفار بك فان قيل لم يقل واصطبر على عبادته
لانها صلة فكان حقه تعديته بعلى اجيب بانه
ضمن معنى الثبات لان العبادة تكاليف قل من
يثبت لها فكانه قيل اثبت لها مصطبرا كقولك
للمحارب اصبر لقرنك ثم علل ذلك بقوله
**هل تعلم له سميا** قال ابن عباس هل تعلم له
مثلا اي نظيرا فيما يقتضي العبادة والذي
يقتضيها كونه منعما باصول النعم وفروعها
وهي خلق الاجسام والحياة والعقل وغيرها
فانه لا يقدر على ذلك احد سواه سبحانه
وتعالى واذا كان قد انعم عليك بغاية الانعام
وجب ان تعظمه بغاية التعظيم وهي العبادة
وقال الكلبي هل تعلم احدا تسمى الله غيره
فانهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على
الوثن فما اطلقوا لفظ الله تعالى على شي
وما



ولما امر تعالى بالعبادة والمصابرة عليها فكان
سايلا يسال فقال هذه العبادة لا منفعة فيها
في الدنيا واما في الاخرة فقد انكرها بعضهم فلا بد
من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر ان
الاشتغال بالعبادة مفيد فلهذا حكى الله سبحنه
وتعالى **ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف
اخرج حيا** قال الكلبي نزلت في ابي بن خلف حين
اخذ عظاما بالية فتتها بيديه وقال زعم
لكم محمد انا نبعث بعد ما نموت وقيل نزلت
في ابي جهل وقيل المراد جنس الكفار القايلين
بعدم البعث ثم ان الله تعالى اقام الدليل
على صحة البعث بقوله **اولا يذكر الانسان**
اي المجتري بهذا الانكار على ربه **انا خلقناه
من قبل** اي من قبل حد له **ولم يك شيا** اصلا
وانا بمقتضى ذلك قادرون على اعادته فلا
ينكر ذلك قال بعض العلما لو اجتمع كل الخلايق
على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار
ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا
اهون من الايجاد اولا ونظيره قوله تعالى

قل يحييها الذي انشاها اول مرة وقوله
تعالى وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو
اهون عليه وقرا نافع وابن عامر وعاصم
بسكون الذال وضم الكاف مخففة والباقون
بفتح الذال مشددة وكذا الكاف فان قيل
كيف امر الله الانسان بالتذكر بان التذكر
هو العلم بما علمه من قبل ثم تخللها سهوا
اجيب بان المراد او لا يتفكر فيعلم خصوصا
اذا قرئ او لا يذكر مشددا اما اذا قرئ مخففا
فالمراد او لا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل
احد يعلم انه لم يكن حيا في الدنيا ثم صار حيا
ثم انه تعالى لما قرر المطلوب بالدليل اردفه
بالتهديد من وجوه اولها قوله تعالى فوربك
اي المحسن اليك بالانتقام منهم لنحشرنهم بعد
البعث والشياطين الذين يضلونهم بان
يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة وفائدة
القسم امران احدهما ان العادة جارية بتاكيد
الخبر اليمين والثاني في اقسام الله باسمه
مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفخيم لشانه ورفع منه كما رفع من شان

السما



السما والارض في قوله تعالى فورب السما والارض
انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون
للعطف او بمعنى مع وهو اولى ثانيها قوله
تعالى ثم لنحضرنهم بعد طول الوقوف حول جهنم
من خارجها ليشاهد السعدا الاحوال التي نجاهم
الله تعالى منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة
الى غبطتهم وسرورا الى سرورهم ويشمتوا
باعداء الله واعدائهم فتزداد مساويهم وحسر تهم
وما يغيظهم من سعادة اوليا الله وشماتتهم
وقوله جثيا حال مقدرة من مفعول لنحضرنهم
وهو جمع جاث جمع على فعول نحو قاعد وقعود
وجالس وجلوس واصله جثوو بواوين
وجثو من جثى وجثى لغتان فان قيل
هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى
وترى كل امة جاثية ولان العادة جارية
بان الناس في مواطن مطالبات الملوك يتجا ون
على ركبهم لما في ذلك من القلق او لما يدهمهم
من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام
على ارجلهم واذا كان حاصلا للكل فكيف يدل

على مزيد ذل الكفار اجيب بانهم يكونون
من وقت المحشر الى وقت الحضور على هذه الحالة
وذلك يوجب مزيد ذلهم وقرا حفص والكسائي
جثيا وعتيا وصليا بكسر اولها والباقون
بضمه ثالثها قوله تعالى **ثم لننزعن** اي لناخذن
اخذا بشدة وعنف **من كل شيعة** اي فرقة
مرتبطة بمذهب واحد **ايهم اشد على الرحمن**
الذي غمرهم بالاحسان **عتيا** اي تكبرا متجاوزا للحد
والمعنى ان الله تعالى يحضرهم اولا حول جهنم
ثم يميز البعض من البعض فمن كان اشد تمردا
في كفره خص بعذاب عظيم لان عذاب الضال
المضل يجب ان يكون فوق عذاب من يضل
تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد ويتجبر
كعذاب المقلد ففايدة هذا التميز التخصيص
بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب
ولذا قال تعالى في جميعهم **ثم لنحن اعلم**
من كل عالم **بالذين هم** لظواهرهم وبواطنهم
**اولى بها** اي بجهنم **صليا** اي دخولا واحتراقا
فنبدا بهم ولا يقال اولى الامر مشترك لهم

واصله



واصله صلوي من صلي بكسر اللام وفتحها
تنبيه في اعراب ايهم اشد اقوال كثيرة اظهرها
عند جمهور المعربين وهو مذهب سيبويه
ايهم موصولة بمعنى الذي وان حركتها حركة
بنيت عند سيبويه لخروجها عن النظاير
اشد خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لانهم
وايهم وصلتها في محل نصب مفعولا بها ولاي
احوال اربعة ذكرتها في شرح القطر ولما كانوا
بهذا الاعلام المؤكد بالاقسام من ذي الجلال
والاكرام جديرين بان صفا الافهام الى ما توجه
اليها من الكلام التفت الى مقام الخطاب فيهما
للعموم فقال تعالى **وان** اي وما **منكم** اي
ايها الناس **الا واردها** كان ذلك الورود **على ربك**
الموجد لك المحسن اليك **حتما مقضيا** اي حتمه
اي قضى به لا يتركه والورود موافاة الكلام
المكان واختلفوا في معنى الورود هنا فقال
ابن عباس والاكثرون الورود هاهنا هو
الدخول والكناية راجعة الى النار وقالوا
يدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم

منها ويدل على ان الورود هو الدخول قوله
تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار
وبيس وروي ابن عيينة عن عمرو بن دينار
ان نافع بن الازرق حين سمع ما روي عن ابن
عباس في الورود فقال ابن عباس هو
الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول
فقال ابن عباس انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم انتم لها واردون ادخلها
هولاء ام لا ثم قال يا نافع اما والله انا وانت
سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله منها
وما ارى الله يخرجك منها بتكذيبك امر لا
ويدل عليه ايضا قوله تعالى ثم ننجي الذين
اتقوا اي الكفر منها ولا يجوز ان يقول ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين بالكفر منها
جثيا على الركب والاول الكل واردون
والاخبار المروية دالة على هذا القول روي
ان عبد الله بن رواحه قال اخبر الله تعالى
عن الورود ولم يخبر بالصدر فقال صلى
الله عليه وسلم يا ابن رواحة اقرا ما
بعدها



بعدها ثم ننجي الذين اتقوا فدل على ان ابن
رواحة فهم من الورود الدخول ولم ينكر
عليه النبي صلى الله عليه وسلم يقول الورود
الدخول ولا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون
على المومنين بردا وسلاما حتى ان للنار
ضجيجا من بردها لان حرارة النار ليست بطبعها
فالاجزا الملاصقة لابدان الكفار يجعلها الله
تعالى محرقة مودية والاجزا الملاصقة لابدان
الكفار يجعلها الله تعالى محرقة مودية والاجزا
الملاصقة لابدان المومنين يجعلها بردا وسلاما
كما قال في حق ابراهيم عليه السلام وكما ان
الملايكة الموكلين لا يجدون المها وكما في الكوز
الواحد من الما ما كان يشربه القبطي فيكون
دما وما يشربه الاسرايلي فيكون ما عذبا
وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخل اهل
الجنة الجنة وقال بعضهم لبعض اليس وعدنا
ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها
وهي خاسرة وخامدة بجا بجها اي ساكنة

وروي بالجيم اي باردة ولابد من ذلك في
الملايكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار
مع المعاقبين فان قيل فاذا لم يكن على المومنين
عذاب في دخولهم فما الفايدة في ذلك اجيب
بوجوه احدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا
علموا الخلاص منه ثانيها ان فيه لمزيد غم على
اهل النار حيث يرون المومنين الذين هم اعداوهم
يتخلصون منها وهم يبقون فيها ثالثها ان فيه
مزيد غم على اهل النار حيث تظهر فضيحتهم
عند المومنين رابعها انهم اذا شاهدوا ذلك
العذاب صار سببا لمزيد التذاذهم بنعيم
الجنة وقيل المراد الذين يردونها من تقدم ذكرهم
من الكفار فكنى عنهم اولا كناية الغيبة ثم
خاطب خطاب المشافهة وعلى هذا القول
فلا يدخل النار مومن واستدل له بقوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك
عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها والمبعد
عنها لا يوصف بانه واردها ولو وردوا
جهنم لسمعوا حسيسها وبقوله تعالى

وهم



وهم من فزع يومئذ امنون وروى عن مجاهد
من حم من المومنين فقد وردها وفي الخبر
ان الحمى كير من جهنم وهي حظ المومنين من المومن
النار وفي رواية الحمى من فيح جهنم فابردوها
بالماء بقوله من فيح جهنم اي وهجها وحرها
وقال ابن مسعود وان منكم الا واردها
يعني القيمة والكناية راجعة اليها قال البغوي
والاول اصح وعليه اهل السنة وروي انه
يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي
قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار
من لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير
ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي
قلبه مثقال ذرة من خير وفي رواية من ايمان
وعن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اني لاعلم اخر اهل النار خروجا
منها واخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج
من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل
الجنة قال فياتيها فيخيل اليه انه ملاى
فيرجع فيقول وجدتها ملاى فيقول

الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل
الدنيا وعشر امثالها فيقول اتسخر بي وانت
الملك فقد رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضحك حتى بدت نواجذه اي انيابه
واضراسه وقيل هي اعلا الاسنان وعن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا
حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون ويطرحون
على باب الجنة قال فيرش عليهم اهل الجنة الما
فينبتون كما تنبت الغثا في حمايل السيل
الحمم الفحم والغثا كلما جاء به السيل وقرا الكساى
ننجي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم
والباقون بفتح النون الثانية وتشديد
الجيم ولما اقام تعالى الحجة عليهم اي على
مشركي قريش المنكرين البعث قال تعالى
عاطفا على قوله ويقول الانسان **واذا تتلى
عليهم** اي الناس من المومنين والكفار من اي كل
كان **اياتنا** اي القران حال كونها **بينات** اي
واضحات وقيل مرتبات الالفاظ ملخصات
المعاني



المعاني وقيل ظاهرات الاعجاز **قال الذين كفروا**
بايات ربهم البينة جهلا منهم ونظرا الى ظاهر
الحياة الدنيا الذي هو مبلغهم من العلم **للذين
امنوا** اي لاجلهم او مواجهة لهم اعراضا على الاستد لال
بالايات بالاقبال على هذه الشبهة الواهية
وهي المفاخرة بالمكاثرة في الدنيا من قولهم **اي
الفريقين** نحن بما لنا من الاتساع ام انتم بما لكم من
خشونة العيش ورثاثة الحال ولو كنتم انتم
على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا
احسن من حالنا لان الحكيم لا يليق به ان يوقع
اولياءه المخلصين في الذل واعداءه المعرضين
عن خدمته في العز والراحة انما كان الامر
بالعكس فان الكفار كانوا في النعمة والراحة
والاستعلا والمومنين كانوا في ذلك الوقت
في الخوف والقلة هذا حاصل شبهتهم و
القايل ذلك هو النضر بن الحارث وذويه من
قريش للذين امنوا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وكان فيهم قشافة وفي عيشهم
خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان

المشركون يرجلون شعورهم ويلبسون
خير ثيابهم فقالوا للمومنين اي الفريقين **خير**
**مقاما** اي موضع قيام او اقامة على قراة ابن
كثير بضم الميم والباقون بفتحها ففي كلتا
القراتين يحتمل ان يكون اسم مصدر او اسم
مكان امامن قام ثلاثيا او من اقام
ثنية قالوا زيد خير من عمرو وشر من بكر
ولم يقولوا اخير منه ولا اشر منه لان هاتين
اللفظين كثرت استعمالها فحذفت همزتاهما
ولم يثبت الا في فعل التعجب فقالوا اخير
بزيد او اشر بعمرو وما اخير زيدا وما
اشر عمرو والعلة في اتيانها في فعل التعجب
استعمال هاتين اللفظتين اسما اكثر من
استعمالها فعلا فحذفت الهمزة في موضع
الكثرة وبقيت على اصلها في موضع القلة
**واحسن نديا** اي مجمعا ومتحدثا والندي
المجلس يقال ندى ونادو والجمع اندية ومنه
وتاتون في ناديكم المنكر وقال تعالى
فليدع ناديه ويقال ندوت القوم اذا

وهم



وهم اذا جمعتهم في مجلس ومنه دار الندوة
وكانت مجمع القوم فجعلوا ذلك الامتحان
بالانعام والاحسان دليلا على رضى الرحمن
مع التكذيب والكفران وغفلوا عن ان ذلك
مع التكذيب بالبعث تكذيبا عما يشاهدون
منا القدرة على العقاب اجلال النعم وسلب
النعم ولو شينا لاهلكناهم وسلبنا جميع
ما يفتخرون به **وكم اهلكنا قبلهم** ثم بين
ابهام كم بقوله **من قرن** شاهدوا ديارهم
وراوا اثارهم **هم** اي اهل تلك القرون
**احسن** من هولاء **اثاثا** اي امتعة **ورئيا**
اي ومنظرا فلو دل حصول نعم الدنيا للانسان
على كونه حبيب الله لوجب ان لا يوصل اليه
غما في الدنيا وقرا قالون وابن ذكوان بابدال
الهمزة ياء وادغامها في الياء وقفا ووصلا
واذا وقف حمزة ابدل الهمزة ياء وله فيها
الادغام والاظهار تنبيه كم مفعول اهلكنا
تقدم واجب التقدم لان له صدر الكلام
لانها اما استفهامية واما خبرية وهي محمولة

على الاستفهام مميزة اي كثيرا من القرون اهلكنا
ومن قرن تمييز لكم مبين لها وانما سمي كل
عصر قرنا لانهم يتقدمون من بعدهم وقول
البيضاوي وهم احسن صفة لكم تبع فيه
الزمخشري وغيره ورد بان كم الاستفهامية
والخبرية لا توصف ولا يوصف بها فاحسن
في محل جر صفة القرن وجمع نظرا للمعنى
لان القرن مشتمل على افراد كثيرة ثم قال
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل
لهولاء المفتخرين ردا عليهم وقطعا لمعاذيرهم
وهتكا لشبهتهم بهذا الذي افتخرتم به لا يدل
على حسن الحال في الاخرة بل على عكس ذلك
فقد جرت عادته تعالى انه من كان في الضلالة
مثلكم كونا راسخا يبسط له في الدنيا وطيب
عيشه في ظاهر الحال فيها ونعم بانواع الملاذ
وقوله فليمدد له الرحمن مدا امر بمعنى الخبر
معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره
بالبسط في الثمار والسعة في الديار والطول
في الاعمار وانفاقها فيما يستلذ به من الاوزار

ولا



ولا يزال يمده استدراجا حتى اذا راوا اي
كل من كفر باعينهم ما يوعدون من قبل الله اما
العذاب في الدنيا بايدي المومنين او غيرهم او في
البرزخ واما الساعة اي القيمة التي هم بها يكذبون
وعن الاستعداد لها معرضون ولا شي يشبه
اهوالها وحزنها ونكالها فسيعلمون اذا راوا
ذلك من هو شر مكانا اي من جهة المكان الذي
قوبل به المقام في قولهم خير مقاما واضعف
جندا اي اقل ناصرا الهم ام المومنون اي اضعف
من جهة الجند الذي اشير به الى الندي في قولهم
واحسن نديا لانهم في النار والمومنون في الجنة
فهذا رد عليهم من قولهم اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا ويزيد الله الذين اهتدوا الى الايمان
هدى بما ينزل عليهم من الايات عوض ما روي
عنهم من الدنيا لكرامتهم عنده بما بسط للضلال
لهوانهم عليه واشار الى ان مثل ما خذل اوليك
بالنوال وفق هولاء لمحاسن الاعمال باقلال
الاموال فقال عز من قايل والباقيات
الصالحات اي من الطاعات والمعارف

التي شرحت لها الصدور فانارت بها القلوب
واوصلت الى علام الغيوب خير عند ربك مما
متع به الكفرة والجبرية هذا في مقابلة قولهم
اي الفريقين خير مقاما وقيل قام صلى الله عليه
وسلم ذات يوم واخذ عودا يابسا وازال
الورق عنه ثم قال ان قول لا اله الا الله و
الله اكبر وسبحان الله تحط الخطايا كما تحط
ورق هذه الشجرة خذهن يا ابا الدردا قبل
ان يحال بينك وبينهن الباقيات الصالحات
وهي من كنوز الجنة فكان ابو الدردا يقول
لاعملن ذلك ولاكثرن عمله حتى اذا راني
الجهال حسبوا اني مجنون فقال الرازي
والقول الاول اولى لانه تعالى انما وصفها
بالباقيات الصالحات من حيث يدوم ثوابها
فلا تختص ببعض العبادات فهي باسرها
باقية صالحة نظرا الى اثرها التي هي المداية
ثم بين تعالى خيرتها بقوله تعالى ثوابا
اي من جهة الثواب وخير مردا اي من جهة
العاقبة يوم الحسرة كان قيل لا يجوز ان يقال
هذا

هذا خير من غيره والذي عليه الكفار لا خير فيه اصلا
اجيب بان المراد خير مما ظنه الكفار بقولهم
خير مقاما واحسن نديا وقيل هو كقولهم
الصيف احر من الشتا بمعنى انه حره ابلغ
منه في برده فالكفرة يردون الى فنا وخسارة
وللمومنون الى درج وبقا ولما ذكر تعالى الدلايل
اولا على صحة البعث ثم اورد شبهة المنكرين
واجاب عنها اورد عليهم الان ما ذكره على
سبيل الاستهزا طعنا في القول بالحشر فقال
تعالى افرايت الذي اي الذي يعرض على هذا
اليوم ويزيد على ذلك بان كفر باياتنا الدلالات
على عظمتنا بالدلالات المبينات وقال جراة منه
وجهلا لاوتين اي والله في الساعة على
تقدير قيامها مالا وولدا اي عظيمين فلم يكفه
جهله بتعجيز القادر حتى ضم اليه اقدار العاجز
وقرا حمزة والكسائي وولدا وكذا ولدا في جميع
ما في هذه السورة بضم الواو وسكون اللام
والباقون بفتح الواو واللام في الجميع يقال ولد
وولد كما يقال عرب وعرب وعدم وعدم اما

القرانين بفتحتين فواضحة وهو اسم مفرد قائم
مقام الجمع واما قراءته بالضم والاسكان فقيل
هي كالتي قبلها في معني وقيل بل هي جمع
لولد نحو اسد واسد وانشدوا على ذلك
شاهدا على ان الولد والولد مترادفان
قول الاخر فليت فلانا كان في بطن امه
وليت فلانا كان ولد حمار ولما كان ما ادعا
لا علم به الا باحد امرين لا علم له بواحد منهما
انكر قوله ذلك بقوله تعالى **اطلع الغيب** اي
الذي هو غايب عن كل مخلوق في بعد عن
الخلق كالعالي الذي لا يمكن احدا منهم الاطلاع
اليه وتفرد به الواحد القهار **ام اتخذ** بغاية
جهده **عند الرحمن عهدا** عاهده عليه
بان يوتيه ما ذكر بطاعة فعلها على وجهها
ليقف سبحانه وتعالى فيه عند قوله وقيل
في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له
عمل صالح قدمه فهل يرجو بذلك ما يقول
وعن الكلبي هل عهد الله اليه ان يوتيه
ذلك عن الحسن رحمه الله تعالى نزلت في

الوليد

في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن
وايل قال خباب الارت كان لي عليه دين
فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد فقلت
لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث
قال لي اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت
جيتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك
وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر
فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة
ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم ما
اني اوتى مالا وولدا فاعطيك ح ثم انه
سبحانه وتعالى بين نفي حاله ضد ما ادعاه
فقال تعالى **كلا** وهي كلمة ردع وتنبيه على
الخطا اي هو مخطي فيما يقول ويتمناه **سنكتب**
اي نحفظ عليه **ما يقول** فنجازيه به في الاخرة
وقيل نامر الملايكة حتي يكتبوا عليه ما
يقول **ونمد له من العذاب مدا** اي نزيده بذلك
عذابا فوق عذاب كفره وقيل نطيل مدة
عذابه **ونرثه** بموته **ما يقول** اي ما عنده من
المال **وياتينا يوم القيمة فردا** لا يصحبه

مالا وولدا كان له في الدنيا فضلا ان يوتى
ثم زايدا قال تعالى ولقد جيتمونا فرادى
رافضا لهذا القول منفردا عنه ولما تكلم
سبحانه وتعالى في مسيلة الحشر والنشر
تكلم الان في الرد على عبادة الاصنام فقال
واتخذوا اي كفار قريش من دون الله الاوثان
الهة يعبدونها ليكونوا لهم عزا اي منعة بحيث
يكونون لهم شفعا وانصارا ينقذونهم من
الهلاك ثم اجاب تعالى بقوله تعالى
كلا ردع وانكار لتعززهم سيكفرون
بعبادتهم اي ستجحد الالهة عبادتهم ويقولوا
ماعبدتمونا كقوله تعالى اذ تبرا الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا وفي اية اخرى ما
كانوا ايانا يعبدون بعبادتهم ويتبرون
منهم ويخصمون وهو المراد من قوله تعالى
اهولاء اياكم كانوا يعبدون وقيل ان الله
تعالى يحيي الاصنام يوم القيمة حتى
يوبخوا عبادهم ويتبروا منهم فيكون ذلك
اعظم لحسرتهم ويجوز ان يراد الملايكة
و

والاصنام ويكونون عليهم ضدا اي اعداء و
اعوانا فان قيل لم وحده وهو خبر عن جمع
اجيب بانه اما مصدر في الاصل و
المصادر موحدة مذكرة واما لانه مفرد في
معنى الجمع قال الزمخشري والضد العون ووجه
توحيده قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على
من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد
لفرط تضامهم وتوافقهم انتهى والحديث
رواه ابو داوود وغيره والشاهد فيه قوله
يد حيث لم يقل ايد ولما ذكر تعالى ما لهولاء الكفار
مع الهتهم في الاخرة ذكر بعده ما لهم مع
الشياطين في الدنيا وانهم يتولونهم وينقادون
اليهم فقال تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله
عليه وسلم الم تر اي تنظر انا ارسلنا اي سلطنا
الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا الاز والهز
والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج و
شدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتنبهم
لها بالوساوس والتسويلات فلا تعجل
عليهم اي تطلب عقوبتهم بان يهلكوا

ويبيد دواحتى تستريح انت والمسلمون
من شرورهم **انما نعد لهم عدا** اي ليس بينك
وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصوة
والنفاس معدوده ونظيره قوله تعالى
ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ وعن ابن
عباس كان اذا قراها بكا وقال اخر العدد
خروج نفسك اخر العدد دخول قبرك
اخر العدد فراق اهلك وعن ابن السماك
انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كانت
الانفاس بالعدد لم يكن لها مدد فما اسرع
ما ينفد وقيل نعد انفاسهم واعمالهم
فنجازيهم على قليلها وكثيرها وقيل نعد
الاوقات اي وقت الاجل المعين لكل احد
الذي لا يتطرق اليه الزيادة والنقصان
ثم بين تعالى ما سيظهر ذلك اليوم من
الفضل بين المتقين والمجرمين في كيفية
الحشر فقال **يوم** واذكر يوم **نحشر المتقين**
بايمانهم **الى الرحمن** اي الى محل كرامته وقوله
تعالى



تعالى **وفدا** حال اي وافدين عليه كما تفد
الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم
والوفد جماعة الوافدون يقال وفد يفد وفدا
ووفودا ووفادة اي قدم على سبيل التكرمة
فهو في الاصل مصدر ثم اطلق على الاشخاص
كالاصف وقال ابو البقا وقد جمع وافد
مثل راكب وركب وصاحب وصحب وهذا
الذي قاله ليس بمذهب سيبويه ولجاز
الاخفش وجرى عليه الجلال المحلي فقال جمع
وافد بمعنى راكب انتهى وقال ابن عباس
وفدا ركبانا وقال ابو هريرة على الابل وقال
علي رضي الله تعالى عنه والله ما يحشرون
على ارجلهم ولكن فوق نجائب رحالها الذهب
ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت
وان هموا طارت **ونسوق المجرمين** بكفرهم
**الى جهنم** وقوله تعالى **وردا** حال اي مشاة
باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق
الى الما وقيل عطاشا قد تقطعت اعناقهم من
العطش لان من يرد الما لا يرد الا بالعطش

وحقيقة الورود المسير الى الماء وقوله تعالى
**لا يملكون الشفاعة** الضمير فيه للعباد المدلول
عليهم بذكر المتقين والمجرمين وقيل للمتقين
وقيل للمجرمين وقوله تعالى **الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا** استثناء متصل على القولين الاولين
منقطع على الثالث والمعنى ان الشافعين لا
يشفعون الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا كقوله
لا يشفعون الا لمن ارتضى ويدخل في ذلك اهل
الكباير من المسلمين اذ كل من اتخذ عند الرحمن
عهدا وهو التوحيد فوجب دخوله تحت
ذلك ويؤكده ما روى ابن مسعود انه صلى
الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم
ان يتخذ عند كل صباح ومسا اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك
باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك
وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني الى نفسي
فانك ان تكلني الى نفسي تقربني الى الشر وتباعدني
من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي
عندك عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا
تخلف



انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله بطابع
ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى
مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهدا فيدخلون
الجنة فظهر ان المراد بالعهد كلمة الشهادة و
ظهر وجه الدلالة على ثبوت الشفاعة لاهل الكباير
ولما رد سبحانه وتعالى على عبدة الاوثان عاد
الى الرد على من اثبت له ولدا بقوله تعالى **وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا** اي قالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب
الملايكة بنات الله **لقد جيتم شيا ادا** قال ابن
عباس اي منكرا وقال قتادة اي عظيما وقال
ابن خالويه الاد والادا العجب وقيل العظيم
المنكر والادة الشدة وادني الامر واداني اثقلني
وعظم علي وقرا **تكاد السموات** قرا نافع والكسائي
باليا على التذكير والباقون بالتاء على التانيث
وقرا **ينفطرن منه** ابو عمرو وابن عامر وشعبة
وحمزة بعد اليا نون ساكنة وكسر الطا مخففا
والباقون بعد اليا تا وفتح الطا المشددة
يقال انفطر الشي وتفطر اي تشقق وقراة التشديد

ابلغ لان الفعل مطاوع فعل الانفعال مطاوع فعل
ولان الاصل التفعل التكلف وتنشق الارض
اي تنخسف بهم وتخر الجبال هدا اي تسقط
وتنطبق عليهم ان اي من اجل ان دعوا للرحمن
ولدا قال ابن عباس وكعب فزعت السموات
والارض والجبال وجميع الخلايق الا الثقلين
وكادت ان تزول وغضبت الملايكة واسعرت
جهنم حين قالوا لله ولدا فان قيل كيف
يوثر القول في انفطار السموات وانشقاق
الارض وخرور الجبال اجيب بوجوه
الاول ان الله تعالى يقول كدت افعل
هذا بالسموات والارض والجبال عند
وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه
بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة
الثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا
وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لقواعده
واركانه الثالث ان السموات والارض
والجبال تكاد ان تفعل كذلك لو كانت
تعقل هذا القول ثم نفى الله تعالى عن
نفسه

نفسه الولد بقوله وما ينبغي للرحمن ان يتخذ
ولدا اي ما يليق به ان يتخذ الولد كان ذلك
محال اما الولادة المعروفة فلا مقالة في
امتناعها واما التبني فان الولد لابد وان
يكون اشبه بالوالد ولا شبيه لله تعالى لان
اتخاذ الولد انما يكون لاغراض اما من سرور
او استعانة او ذكر جميل وكل ذلك لا يصح في حق
الله تعالى ان اي ما كل من في السموات و
الارض اي ان كل معبود من الملايكة في السموات
والارض من الناس منهم العزير وعيسى
الا اتي الرحمن اي ملتجي الى ربوبيته عبدا
منقادا مطيعا ذليلا خاضعا كما يفعل
العبيد ومن المفسرين كالجلال المحلي من
حمله على يوم القيمة خاصة والاول اولى
لانه لا تخصيص في الاية لقد احصاهم اي حصرهم
واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزه
وعلمه وقبضته وقدرته وكلهم تحت
تدبيره وقهره وعدهم عدا اي عد
اشخاصهم واياهم وانفاسهم وافعالهم

فان كل شي عنده بمقدار لا يخفى عليه شي من
امرهم **وكلهم اتيه** اي كل واحد منهم ياتيه
**يوم القيمة فردا** اي وحيدا ليس معه من الدنيا
شي من مال او بعض ينفعه ولما رد سبحنه
وتعالى على اصناف الكفرة وبالغ في شرح
احوالهم في الدنيا والاخرة ختم السورة بذكر
احوال المومنين فقال **ان الذين امنوا وعملوا**
**الصلحات سيجعل لهم الرحمن ودا** اي سيحدث
لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها
من قرابة او صداقة او اصطناع معروف او غير
ذلك روي الشيخان انه صلى الله عليه وسلم
قال اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في
السما ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه
اهل السما ثم توضع له المحبة في الارض
واذا ابغض الله العبد قال مالك لا احسبه
الا قال في البغض مثل ذلك والسين في
سيجعل اما لان السورة مكية وكان
المومنون ح ممقوتين بين الكفرة فوعدهم
الله



فوعدهم الله تعالى ذلك اذا قوي الاسلام
والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة واما
ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الله الى
خلقه بما يظهر من حسناتهم وروي عن كعب
قال مكتوب في التورية لا محبة لاحد في الارض
حتى يكون ابتداوها من السما من الله عز
وجل ينزلها على اهل السما ثم على اهل الارض
وتصديق ذلك في القران قوله سيجعل لهم الرحمن
ودا وقال ابو مسلم معناه يهب لهم ما يحبون
والود والمحبة سوا ولما ذكر سبحانه وتعالى
انه يسر ذلك بلسان نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله **فانما يسرناه** اي القران **بلسانك** العربي
اي لولا انه تعالى نقل قصصهم الى اللغة
العربية لما تيسر ذلك لك **لتبشر به المتقين**
اي المومنين **وتنذر** اي تخوف **به قوما لدا**
اي جمع الد اي جدل بالباطل وهم كفار مكة
ثم انه تعالى ختم السورة بموعظة بليغة
فقال تعالى **وكم** اي كثيرا **اهلكنا قبلهم من**
**قرن** اي امة من الامم الماضية بتكذيب
الرسل لانهم اذا تاملوا وعلموا انه لا بد

من زوال الدنيا وانه لابد فيها من الموت وخافوا
سوء العاقبة في الاخرة كانوا الى الحذر من
المعاصي اقرب ثم اكد ذلك بقوله تعالى **هل**
**تحس** اي ترى وتجد **منهم من احد او تسمع**
**لهم ركزا** اي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا
فلم يبق عين ولا اثر اي فكما اهلكنا اولئك نهلك
هولا تنبيه الركز الصوت الخفي دون نطق
بحروف ولا فم ومنه ركز الرمح اي غيبه
في الارض لخفائه ومنه الركاز وهو المال
المدفون لخفائه واستتاره والحديث
الذي ذكره البيضاوي تبعا للزمخشري
وهو من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات
بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى
ومريم وعيسى وساير الانبيا المذكورين
فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم
يدع حديث موضوع

**سورة طه عليه الصلاة والسلام مكية**

وهي ماية وخمسون وثلاثون اية وعدد
كلماتها الف وثلاثماية واحدى واربعو
كلمة وعدد حروفها خمسة الاف ومايتان
واثنان واربعون حرفا وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اعطيت السورة التي
ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت
طه وياسين من الواح موسى واعطيت فواتح
القران وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة
من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة **بسم الله**
الملك الحق المبين **الرحمن** الذي عم نعمه على خلقه
اجمعين **الرحيم** الذي خص بجنته عباده المو منين
وقرا **طه** شعبة وحمزة والكسائي باماله
الطا والها ووافقهم ورش وابو عمرو على امالة
الها محضة ولم يمل ورش محضة الا هذه الها
وقد تقدم الكلام في الحروف المقطعة في اول
سورة البقرة والذي زادوه هنا امور احدها
قال الثعلبي الطا شجرة طوبى والها الهاوية
فكانه اقسم بالجنة والنار ثانيها ما يحكى عن
جعفر الصادق الطا طهارة اهل البيت والها
هدايتهم ثالثها قال سعيد بن جبير هذا

افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادي رابعها
الطا مطمع الشفاعة للامة وهادي الخلق
الي الملة خامسها الطا من الطهارة والها
من الهداية فكانه قيل يا طاهرا من الذنوب
يا هاديا الى علام الغيوب سادسها
الطا طول القراة والها هيبتهم في قلوب
الكفار قال تعالي سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب سابعها الطا تسعة في الحساب
والها خمسة تكون اربعة عشر ومعناها
يا ايها البدر واما علي القول الثاني فقيل معنى
طه يا رجل لم تجب حتي وهو يروي عن ابن
عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير
وقتاده وعكرمة والكلبي وقال سعيد بن
جبير بالنبطية وقال قتادة بالسريانية وقال
عكرمة بالحبشية وقال الكلبي بلغة عك
بتشديد الكاف بن عدنان اخو معد وحكى
الكلبي انك لو قلت في عك يا رجل لم تجب حتى
تقول طه وقال السدي معناه يا فلان.
وقيل انه صلي الله عليه وسلم كان يقوم
في

في تهجده علي احدي رجليه فامر ان يطا الارض
بقدميه معا وقال الكلبي لما نزل على رسول
الله صلي الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد
في العبادة حتي كان يراوح بين قدميه في
الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله
فانزل الله هذه الاية وامره ان يخفف على نفسه
فقال تعالى **ما انزلنا عليك القران لتشقى** اي
لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك
بصلاة الليل اي خفف عن نفسك فقد
ورد انه صلى الله عليه وسلم صلى الليل
حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه
السلام ابق علي نفسك فان لها عليك حقا
ما انزلنا عليك القران لتهلك نفسك وتذيقها
المشقة وما بعثت الا بالحنيفية السمحا وروي
انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى
لا ينام وقيل لما راي المشركون اجتهاده
في العبادة قالوا انك لتشقى حيث تركت
دين ابايك لتتعبنا وتتعب نفسك وما
انزل عليك القران يا محمد الا لشقايك فنزلت

واصل الشقا في اللغة العنا وقيل المعنى انك
لا تلام على كفر قومك كقوله تعالى لست عليهم
بمسيطر وقوله تعالى وما انت عليهم بوكيل
الك لا تواخذ بذنبهم وقيل ان هذه السورة
من اوايل ما نزل بمكة وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ذلك الوقت مقهورا تحت ذل
الاعداء فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى ابدا
على هذه الحالة بل يعلوا امرك ويظهر
قدرك فانا ما انزلنا عليك القران لتبقى شقيا
فيما بينهم بل لتصير معظما مكرما وقرا حمزة
والكسائي بالامالة وابو عمرو بين بين وورش
بين اللفظين والفتح عنده ضعيف جدا وكذلك
جميع روس هذه السور من ذوات اليا وقوله
تعالى الا تذكرة استثنا منقطع اي لكن انزلناه
تذكرة قال الزمخشري فان قلت هل يجوز
ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لاختلاف
الجنسين ولكنها نصبت على الاستثنا المنقطع
الذي فيه الا بمعنى لكن لمن يخشى اي لمن في قلبه
خشية



خشية ورقة يتاثر بالانذار ولمن علم الله تعالى
منه ان يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به
وقوله تعالى تنزيلا بدل من اللفظ بفعله
الناصب له ممن خلق الارض اي من الله الذي خلق
الارض والسموات العلى اي العالية الرفيعة التي لا
يقدر على خلقها في عظمها غير الله تعالى والعلى
جمع عليا كقولهم كبرى وكبر وصغرى وصغر وقدم
الارض على السموات لانها اقرب الى الحس واظهر
عنده من السموات ثم اشار الى وجه احداث
الكاينات وتدبير امرها بان قصد العرش
واجرى منه الاحكام والمقادير وانزل منه
الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته
حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن
على العرش وهو سرير الملك استوى اي استوى
يليق به فانه سبحنه وتعالى كان ولا عرش
ولا مكان واذا خلق الخلق لا يحتاج الى مكان
فهو بالصفة التي كان لم يزل عليها ولتقدم الكلام
على ذلك في سورة الاعراف مستوفى واجعه
ثم استدل سبحنه وتعالى على كمال قدرته

بقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وما
بينهما وما تحت الثرى فهو المالك لما في السموات
من ملك ونجم وغيرهما والمالك لما في الارض من المعادن
والفلوات والمالك لما بينهما من الهوى والمالك لما
تحت الثرى وهو التراب المندى والمراد
الارضون السبع لانها تحته وقال ابن عباس
ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر وراسه
وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة
خضر لخضرة السما منها وهي الصخرة التي ذكر الله
في قصة لقمان فتكن في صخرة والصخرة على قرن
ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه
الا الله عز وجل وذلك الثور فاتح فاه واذا
جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك
الثور فاذا وقعت في جوفه يبست وقرا
ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة وورش
بين اللفظين وكذا جميع روس اي سورة من
ذوات الرا ولما كانت القدرة تابعة للارادة
وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة
علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على حد
سوا



سوا فقال تعالى وان تجهر بالقول اي تعلن
بالقول في ذكر او دعا فالله غني عن الجهر به
فانه يعلم السر واخفى قال الحسن السر ما
اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسر في نفسه
وعن ابن عباس السر ما تسر في نفسك واخفى
من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم
انه ستحدث به نفسك لانك تعلم ما تسر اليوم
ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت
اليوم وما تسر غدا وقال ابن ابي طلحة عن
ابن عباس السر ما اسر ابن ادم في نفسه و
اخفى ما اخفى عليه مما هو فاعله قبل ان يعلمه
وقال مجاهد السر العمل الذي يسر من الناس
واخفى من الوسوسة وقيل السر هو العزيمة
واخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه وقال
زيد بن اسلم يعلم اسرار العباد واخفى سره
من عباده فلا يعلمه احد ولما ذكر صفة وحد
نفسه فقال تعالى الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى التسعة والتسعون الوارد بها الحديث
والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسما الله تعالى

علي ساير الاسما في الحسن لدلالتها على معان اشرف
المعاني وافضلها روي ان لله تعالى اربعة الاف
اسم الف لا يعلمها الا الله تعالى والف لا يعلمها الا الله
تعالى والملايكة والف لا يعلمها الا الله تعالى
والملايكة والانبيا واما الالف الرابع فالمومنون
يعلمونها ثلث مايه في التورية وثلاث مايه في الانجيل
وثلثماية في الزبور ومايه في القران تسعة وتسعين
منها ظاهرة وواحد مكنون من احصاها دخل
الجنة وذكر في لا اله الا الله فضايل كثيرة اذكر
بعضها واسال الله ان يجعلنا ومحبينا من
اهلها روي انه صلى الله عليه وسلم قال
افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا
استغفر الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات وروي انه صلى
الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق
ملكا من الملايكة قبل ان يخلق السموات
والارض وهو يقول اشهد ان لا اله
الا الله مادا بها صوته لا يقطعها ولا
يتنفس



ولا يتنفس فيها ولا يتمها فاذا اتمها امر اسرافيل
بالنفخ في الصور وقامت القيمة تعظيما لله تعالى
وعن انس قال صلى الله عليه وسلم ما زلت
اشفع الى ربي ويشفعني واشفع اليه ويشفعني
حتى قلت يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله
فقال يا محمد ليست لك ولا لاحد وعزتي وجلالي
لا ادع احدا في النار قال لا اله الا الله وقال
سفيان الثوري سالت جعفر بن محمد عن
حم عسق فقال الحا حكمه والميم ملكه والعين
عظمته والسين سناوه والقاف قدرته
يقول الله تعالى بحكمي وملكي وعظمتي
وسناي وقدرتي لا اعذب بالنار من قال
لا اله الا الله محمد رسول الله وروي عن
موسى عليه الصلاة والسلام انه قال يا رب
علمني شيا اذكرك به قال قل لا اله الا الله
قال انما اردت شيا تخصني به قال يا موسى
لو ان السموات السبع ومن فوقهن في كفة
ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله
وقال بعض المفسرين في قوله تعالى

الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة انه لا اله الا الله اليه يصعد الكلم الطيب
لا اله الا الله وتواصوا بالحق لا اله الا الله قل
انما اعظكم بواحدة لا اله الا الله وقفوهم انهم
مسولون عن لا اله الا الله بل جاء بالحق
وصدق المرسلين هو لا اله الا الله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الاخرة هو لا اله الا الله ويضل الله
الظالمين عن قول لا اله الا الله وعن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال في السوق لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله
له الف الف حسنة ومحي عنه الف الف سيئة
وبنى له بيتا في الجنة قال الرازي وفي
النكت ينبغي لاهل لا اله الا الله ان يخلصوا
اربعة اشيا حتى يكونوا من اهل لا اله الا
الله التصديق والتعظيم والحلاوة والحرمة
فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن
ليس



ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له
الحلاوة فهو مراي ومن ليس له الحرمة فهو
فاجر ذكر ان بشر الحافي راي كاغدا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم فرفعه وطيبه بالمسك
فراي في النوم كانه نودي يا بشر طيبت اسمنا
فنحن نطيب اسمك في الدنيا والاخرة وذكر
ان صيادا كان يصيد السمك وكانت ابنته
تطرحه في الما وقالت انما وقعت في الشبكة
لغفلتها تلك الصبية كانت ترحم غفلتها وكانت
تلقيها في الما مرة اخرى في البحر ونحن قد
اصطادنا وسوسة الشيطان واخرجنا
من بحر رحمتك فارحمنا بفضلك وخلصنا
منه والقنا في بحار رحمتك مرة اخرى وعن
محمد ابن كعب القرظي قال قال موسى الهي
اي خلق اكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه
رطبا من ذكري قال فاي خلقك اعلم قال
الذي يلتمس الى علمه علم غيره قال فاي خلقك
اعدل قال الذي يقضي على نفسه كما يقضي
على الناس قال واي خلقك اعظم جرما

قال الذي يتهمني وهو الذي يسالني ثم لا يرضى بما
قسمت له الهنا فانا لا نتهمك فانا نعلم ان كل ما
احسنت به فهو فضل وكلما لا تفعله فهو عدل
فلا تواخذنا بسوافعالنا واعمالنا وعن الحسن
اذا كان يوم القيمة نادى مناد سيعلم الجمع
من اولى بالكرم اين الذين كانت تتجافى
جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون
رقاب الناس ثم يقال اين الذين لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي منادى
اين الحامدون الله كثيرا على كل حال ثم يكون
الحساب على من بقي الهنا نحن حمدناك و
اثنينا عليك بمقدار طاقتنا ومنتهى
قدرتنا فاعف عنا بفضلك ورحمتك فارحم
يا ارحم الراحمين ولما عظم الله تعالى حال
القران وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذكر احوال الانبيا تقوية لقلبه في الابلاغ
كقوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء
الرسل ما نثبت به فوادك وبدا بموسى
عليه الصلاة والسلام لان فتنته
كانت



كانت اعظم الفتن ليتسلى قلبه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ويصبر على حمل المكاره
فقال تعالى وهل اتاك حديث موسى . وهذا
يحتمل لان يكون هذا اول ما اخبر به من امر موسى
قال وهل اتاك اي لم يأتك الى الان فتنته وهذا
قول الكلبي ويحتمل ان يكون قد اتاه في ذلك الزمان
المتقدم فكانه قال اليس قد اتاك وهذا قول
مقاتل والضحاك عن ابن عباس وهذا وان كان
على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله تعالى
لكن المقصود منه تقرير الخبر في قلبه وهذه
الصورة ابلغ في ذلك كقولك لصاحبك هل
بلغك عني كذا فيتطلع الى معرفة السامع ما
يومي اليه ولو كان المقصود هو الاستفهام
لكان الجواب يصدر من قبل موسى لكن
من قبل الله تعالى وقيل ان هل بمعنى قد
وجرى على ذلك الجلال المحلي تبعا للبغوي
وقوله تعالى اذ راى يجوز ان يكون منصوبا
بالحديث وهو الظاهر ويجوز ان ينصب باذكر
مقدرا اي واذكر اذ راى نارا وذلك ان

موسى عليه الصلاة والسلام استاذن شعيبا
عليه الصلاة والسلام في الرجوع من مدين
الى مصر لزيارة والدته واخيه فاذن له فخرج
باهله وماله وكانت ايام الشتا واخذ على غير
الطريق مخافة ملوك الشام وامراته حامل
في شهرها لا تدري ليلا تضع او نهارا فسار
في البرية غير عارف بطريقها فالجاه المسير الى
جانب الطور الغربي الايمن في ليلة مظلمة شديدة
البرد قيل كانت ليلة جمعة واخذت امراته
الطلق وتفرقت ماشيته وما لا عنده وجعل
يقدح زنده فلا يوري فابصر نارا من بعيد
عن يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله
امكثوا اي اقيموا في مكانكم والخطاب لامراته
وولدها والخادم ويجوز ان يكون للمراة وحدها
خرج على ظاهر لفظ الاهل فان الاهل يقع على
الجمع وايضا قد يخاطب الواحد بلفظ الجمع تفخيما
وقرا حمزة بضم الها في الوصل والباقون بالكسر
اني انست اي ابصرت نارا والايناس الابصار
المبين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان
العين



العين لانه يتبين به الشي والانس لظهورهم كما قيل
الجن لاستتارهم وقيل ابصار مما يونس به فلما
وجد منه الايناس وكان مستيقنا حققه بكلمة اني
ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود
الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على
الرجا والطمع فقال لعلي اتيكم منها بقبس اي شعلة
في راس فتيلة او عود او نحو ذلك وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو بفتح اليا في اني ولعلي الاتية
والباقون بالسكون وهم على مراتبهم في المد او
اجد على النار هدى اي هاديا يدلني على الطريق
ومعنى الاستعلا في على النار ان اهل النار
يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه
في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد
ولان المطلقين لها اذا احاطوا بها كانوا مشرفين
عليها وقال بعضهم النار اربعة اقسام نار
تاكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا
تاكل وهي التي في الشجر الاخضر كما قال تعالى الذي
جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تاكل

وتشرب وهي نار المعدة ونار لاتاكل ولاتشرب
وهي نار موسي عليه الصلاة والسلام وقيل
ايضا النار اربعة احدها نار لها نور بلا حرقة
وهي نار موسي عليه الصلاة والسلام ثانيها
نار لها حرقة بلا نور وهي نار جهنم اعاذنا الله تعالى
منها ثالثها نار لها الحرقة والنور وهي نار الدنيا
رابعها نار لاحرقة ولانور وهي نار الاشجار فلما
اتاها ان وصلت هدي بعلما فلما فليس فيهما الا
التنوين للجميع وان وقف عليها فهم علي اصولهم
في الفتح والامالة وبين اللفظين تنبيه اي
النار قال ابن عباس اي شجرة خضرا من اسفلها
الي اعلاها اضات بها نار بيضا تتقد كا ضوا ما
يكون فوقف متعجبا من شدة ضو تلك النار
وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير
خضرتها ولا كثرة ما الشجرة تغير ضو النهار
قال ابن مسعود كانت الشجرة سمرة
خضرا وقال مقاتل وقتادة والكلبي كانت
من العوسج وقال وهب كانت من العليق
وقيل من العناب قال اكثر المفسرين

ان



ان الذي راه موسى لم يكن نارا بل كان نور الرب
تعالى وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما
ذكر بلفظ النار لان موسي عليه الصلاة والسلام
حسبه نارا فلما دنا منها سمع تسبيح الملايكة وراي
نورا عظيما قال وهب ظن موسي عليه الصلاة
والسلام انها نارا وقدت فاخذ من دقاق الحطب
وهو الحشيش اليابس ليقتبس من لهبها فالت
اليه كانها تريده فتاخر عنها وهابها ثم لم تزل
تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن باسرع من خمودها
كانها لم تكن ثم رمي موسي ببصره الي فروعها
فاذا خضرتها ساطعة في السما واذا نور بين
السما والارض له شعاع تكل عنه الابصار
فلما راي موسي عليه الصلاة والسلام ذلك
وضع يديه علي عينيه والقيت عليه السكينة
نودي يا موسى اني انا ربك فقال وهب نودي
من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا
وما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا
اري مكانك فاين انت فقال انا فوقك ومعك
وامامك وخلفك واقرب اليك منك فعلم

ان ذلك لا ينبغي الا لله فايقن به وقيل انه سمع
بكل اجزايه حتى ان كل جارحة منه كانت
اذنا وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الهمزة
من اني على تقدير الباء اي باني لان الندا يوصل
بها تقول ناديته بكذا وانشد الفارسي قول الشاعر ع
ناديت باسم ربيعة بن مكرم   ان المنوه باسمه الموثوق
وجوز ابن عطية ان تكون بمعنى لاجل وليس
بظاهر والباقون بالكسر اما على اضمار القول
كما هو راي البصريين اي فقيل وانما لان الندا
في معنى القول عند الكوفيين وقوله تعالى
اني يجوز ان تكون مبتدا وما بعده خبر والجملة
خبر ان ويجوز ان تكون فصلا وروى ابن
مسعود مرفوعا في قوله تعالى فاخلع نعليك
انهما كانا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ
فامر بخلعهما صيانة للواد المقدس وقال
عكرمة ومجاهد انما امر بذلك ليباشر بقدميه
تراب الارض المقدسة فيناله بركتها او يدل
لذلك انه قال تعالى عقبه انك بالواد المقدس
اي المطهر والمبارك فخلعهما والقاهما

من



من ورا الوادي هذا ما قاله اهل التفسير
وذكر اهل الاشارة في ذلك وجوها احدها
ان النعل في النوم يفسر بالزوجة وقوله تعالى
فاخلع نعليك اشارة الى انه لا يلتفت بخاطره الى
الزوجة والولد وان لا يبقى مشغول القلب
بامرهما ثانيها ان المراد بخلع النعلين ترك الالتفات
الى الدنيا والاخرة كانه امره ان يصير مستغرق
القلب بالكلية في معرفة الله تعالى فلا يلتفت
الى المخلوق بالكلية ثالثها ان الانسان حال
الاستدلال على وجود الصانع لا يمكنه ان يتوصل
اليه الا بمقدمتين مثل ان يقول العالم محسوس
محدث وكل ما كان كذلك فله مؤثر ومدبر
وصانع وهاتان مقدمتان تشبهان النعلين
لانهما يوصلان العقل الى المقصود وينتقل من النظر
في الخلق الى معرفة الخالق ثم بعد الوصول الى
معرفة الخالق وجب ان لا يبقى ملتفتا الى تلك
المقدمتين وقيل لا تكن مشتغل الخاطر
بتلك المقدمتين فانك انك وصلت من الواد
المقدس الذي هو بحر معرفة الله تعالى وقوله

تعالى **طوى** بدل او عطف بيان او عطف وقرأه
هنا وفي النازعات نافع وابن كثير وابو عمرو
بغير تنوين فهو ممنوع من الصرف باعتبار البقعة
مع العلمية وقيل لانه معدول عن طاو فهو
مثل عمر المعدول عن عامر وقيل انه اسم اعجمي
ففيه العلمية والعجمة والباقون بالتنوين فهو
مصروف باعتبار المكان ففيه العلمية فقط
عند من هو ليس باعجمي وقوله تعالى **وانا اخترتك**
اي اصطفيتك للرسالة من قومك قرا حمزة بتشديد
النون من انا وقرا اخترناك بنون بعدها الف
بلفظ الجمع والباقون بتاء مضمومة وقوله تعالى
**فاستمع لما يوحى** اليك مني فيه نهاية الهيبة
والجلالة كانه تعالى قال لقد جاءك امر عظيم
فتاهب له واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفا
اليه وفي قوله تعالى وانا اخترتك نهاية اللطف
والرحمة فيحصل له من الاول نهاية الرجاء ومن
الثاني نهاية الخوف تنبيه جوز في لام لما ان
يتعلق باستمع وهو اولى وان تكون مزيدة
في المفعول على حد قوله تعالى ردف لكم

وجوز



وجوز الزمخشري ان تكون ذلك من باب التنازع
ونازع ابو حيان بانه لو كان كذلك لاعاد الضمير
مع الثاني فكان يقول فاستمع له لما يوحى واجيب
عنه بان مراده التعلق المعنوي من حيث الصلاحية
واما تقدير الصناعة فلم يعنه وقوله تعالى **انني انا**
**الله لا اله الا انا فاعبدني** بدل مما يوحى ودل على
انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى
العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل وفي هذه
الاية دلالة على ان علم الاصول والعبادة من
علم الفروع وايضا فالفاء في قوله تعالى
فاعبدون تدل على ان عبادته انما لزمت لالهيته
وخص الصلاة بالذكر وافردها في قوله تعالى
**واقم الصلاة لذكري** للعلة التي اناط بها اقامتها
وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان
بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت
بها وقيل لاوقات ذكري لاني ذكرتها وهو مواقيت
الصلاة او لذكر صلاتي لما روي انه صلى الله
عليه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيها
فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول

واقم الصلاة لذكري وقيل لان اذكرك بالثنا والمدح
واجعل لك عليها لسان صدق عليا وقيل لذكري
خاصة لا تشوبه بذكر غيري والمخاطب تعالى
موسي عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى
فاعبدني واقم الصلاة لذكري اتبعه بقوله تعالى
ان الساعة اتية اي كاينة اكاد اخفيها قال
اكثر المفسرين معناه اكاد اخفيها من نفسي فكيف
يعلمها غيري من الخلق وكيف اظهرها لكم ذكر تعالى
على عادة العرب اذا بالغوا في كتمان شي يقولون
كتمت سرك من نفسي اي اخفيته غاية الاخفا والله
تعالى لا يخفى عليه شي والمعنى في اخفايها
التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم
الساعة كانوا على حذر كل وقت وكذلك المعنى
في اخفا وقت الموت لان الله تعالى وعد
قبول التوبة فاذا عرف وقت موته وانقضا
اجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب ذلك
الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص
من عقاب المعاصي بتعريف وقت موته
لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك

المعاصي



المعاصي او يتوب منها في كل وقت معاجلة
الاجل وقال ابو مسلم اكاد بمعنى اريد وهو
كقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ومن امثالهم
المداولة لا افعل ذلك ولا اكاد اي ولا اريد ان افعله
وقال الحسن ان كاد من الله واجب بمعنى قوله
تعالى اكاد اخفيها عن الخلق كقوله تعالى عسى ان يكون
قريبا اي هو قريب وقيل اكاد صلة في الكلام و
المعنى ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال زيد
الخيل سريع الى الهيجا شاك سلاحه * فما ان يكاد
قرنه ان يتنفس * اي فما ان يتنفس قرنه وقوله
تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى اي تعمل من خير او
شر متعلق باتية واختلف في المخاطب بقوله تعالى
فلا يصدنك اي يصرفنك عنها من لا يومن بها
فقيل وهو الاقرب كما قاله الرازي انه موسى عليه
الصلاة والسلام لان الكلام اجمع له وقيل
هو محمد صلى الله عليه وسلم واختلف ايضا في
عود هذين الضميرين على وجهين احدهما قال
ابو مسلم لا يصدنك عنها اي عن الصلاة التي امرتك
بها من لا يومن بها اي بالساعة فالضمير الاول

عايد الى الصلاة والثاني الى الساعة ومثل هذا جائز
في اللغة فالعرب تلف الخبرين ثم ترمي بجوابهما
جملة واحدة ليرد السامع الى كل خبر شانهما
قال ابن عباس فلا يصدنك عن الساعة اي عن
الايمان بها من لا يؤمن بها والضمير يعود الى اقرب
المذكورات وهاهنا الاقرب هو الساعة وما
قاله ابو مسلم انما يصار اليه عند الضرورة
ولا ضرورة هاهنا تنبيه المقصود من ذلك
نهي موسى عليه الصلاة والسلام عن التكذيب
بالبعث ولكن ظاهر هذا يقتضي نهي من لا يؤمن
عن صد موسى وفيه وجهان احدهما ان صد
الكافر عن التصديق بها سبب التكذيب فذكر
السبب ليدل على حمله على المسبب الثاني
ان صد الكافر سبب للتكذيب فذكر المسبب
ليدل على السبب كقولهم لا اريتك هاهنا
المراد نهي المخاطب عن حضوره لا ان يراه
هو فالرؤيا مسببة عن الحضور كان صد
الكافر مسبب عن الرخاوة والضعف في الدين
فقيل لا تكن رخوا بل كن شديدا صلبا حتى لا يلوح
منك



منك لمن يكفر بالبعث ان يطمع في صدك عما انت
عليه **واتبع هواه** اي ميل نفسه الى اللذات المحسوسة
المخرجة لقصر نظره عن غيرها وخالف امر الله
**فتردى** اي فتهلك ان صددت عنها وما في قوله
تعالى **وما تلك بيمينك** مبتدا استفهامية وتلك
خبره وبيمينك حال من معنى الاشارة وقوله تعالى
**يا موسى** تكرير لانه ذكره قبل قوله تعالى نودي
يا موسى وبعده في مواضع كالقها يا موسى لزيادة
الاستيناس والتنبيه فان قيل السؤال انما يكون
لطلب العلم وهو على الله تعالى محال فما الفايدة
في ذلك اجيب بان في ذلك فوايد الاولى توقيفه
على انها عصى حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة
عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره
هل تعرف هذا وهو لا يشك انه يعرفه ويريد
ان ينضم اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه الثانية
انه يقرر عنده انها خشبة حتى اذا قلبها ثعبانا
لا يخافها الثالثة انه تعالى لما اراه تلك الايات
المتضاعفة من المعجزة الى السما واسمعه كلام
نفسه ثم اورد عليه التكليف الشاق وذكر له

المعاد وختم ذلك بالتهديد العظيم فتحير
موسى عليه السلام ودهش فقيل له وما
تلك بيمينك يا موسى وتكلم معه بكلام البشر
ازالة لتلك الدهشة والحيرة فان قيل هذا
خطاب الله لموسى عليه الصلاة والسلام بلا
واسطة ولم يحصل ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم
اجيب بالمنع فقد خاطبه في قوله تعالى
فاوحى الى عبده ما اوحى الآن الذي ذكر
مع موسى افشاه الى الخلق والذي ذكر محمد
صلى الله عليه وسلم كان سرا لم يا هل له احد
من الخلق وايضا ان كان موسى تكلم معه فامة
محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة
بالتسليم والتكريم لقوله تعالى سلام قولا من
رب رحيم تنبيه قوله تعالى وما تلك
بيمينك يا موسى اشارة الى العصا وقوله
تعالى بيمينك اشارة الى اليد وفي هذا
نكت ذكرها الرازي رحمه الله تعالى الاولى
انه تعالى لما اشار اليهما جعل لكل واحد
منهما معجزة باهرة وبرهانا ساطعا ونقله
من



ونقله من حد الجمادية الى مقام الكرامة فاذا
صار الجماد بالنظر الواحد حيوانا وصار الجسم
الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر كل يوم
ثلاثمائة وستين مرة الى قلب العبد فاي
عجب لو صار القلب ثعبانا فيبلغ سحر النفس
الامارة بالسوء ثانيها ان العصا كانت في
يمين موسى عليه السلام جمادا فبسبب بركته
انقلبت ثعبانا وبرهانا وقلب المومن بين
اصبعين من اصابع الرحمن فاذا حصلت ليد
موسى عليه السلام هذه المنزلة فاي عجب
لو انقلب قلب المومن بسبب اصبعي قدرة الرحمن
من ظلمة المعصية الى نور العبودية ولما سال
تعالى موسى عليه الصلاة والسلام عن ذلك
اجاب باربعة اشيا ثلاثة على التفصيل
وواحد على الاجمال اولاها قال هي عصاي
وقدم الجواب بذلك لانه عليه الصلاة والسلام
ذكر الرجوع الاخر لانه كان يحب المكالمة مع ربه
فجعل ذلك كالوسيلة الى تحصيل هذا الغرض ثانيها
قوله تعالى اتوكأ عليها اذا مشيت واذا

واذا عييت واذا وقفت على راس القطيع وعند
الطفرة نسألها **واهش** اي اخبط ورق الشجر
بها ليسقط **على غنمي** لتأكله فبدأ عليه
الصلاة والسلام اولا بمصالح نفسه في قوله
اتوكأ عليها ثم بمصالح رعيته في قوله تعالى واهش
بها على غنمي وكذلك في القيمة يقول نفسي
نفسي ومحمد صلى الله عليه وسلم لا يشتغل
في الدنيا الا باصلاح امر الامة وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا
يعلمون فلا جرم يوم القيمة يبدا بامته
فيقول امتي امتي رابعها قوله تعالى **ولي فيها**
**مارب** جمع ماربة بتثليث الراء الحوائج **ومنافع**
**اخرى** كحمل الزاد والسقي وطرد الهوام وانما
اجمل في المارب رجاء ان يسأل ربه عن تلك
المارب فيسمع كلام الله تعالى مرة اخرى
ويطول امر المكالمة بسبب ذلك وقيل
انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقيل اسم العصا
نبعة وقيل في المارب ذات شعبتين
ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا
طلب



واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار
القاها على عاتقه فعلق بها اداوته من
القوس والكنانة والجلاب وغيرها واذا كان
في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها
والقى عليها الكسا واستظل والزندين بفتح
الزاي تثنية زند وزندة والزند العود
الاعلى الذي يقدح به النار والزندة السفلى
فيها ثقب فاذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل
زندتان واذا قصر رشاه وصله بها وكان
يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها
من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول
بطول البير وتصير شعبتاها دلوا ويكونان
شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه
واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت
وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه
ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب
وكانت تقيه الهوام وروي عن ابن عباس
انها كانت تماشيه وتحدثه ولما ذكر موسى
هذه الجوابات لربه **قال** له **القها** اي انبذها

يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى اي ثعبان
عظيم تسعى اي تمشي على بطنها سريعا وهنا
نكت حقيقية احدها انه عليه الصلاة والسلام
لما قال ولي فيها مآرب اخرى اراد الله
ان يعرفه ان فيها مآرب لا يفطن لها ولا يعرفها
وانه اعظم من سايرها واربي ثانيها ما كان
في رجله شي وهو النعل وفي يده شي وهو
العصا فالرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب
فقال اولا اخلع نعليك اشارة الى ترك الهرب
ثم قال القها وهي اشارة الى ترك الطلب كانه
تعالى قال انك ما دمت في مقام الهرب
والطلب كنت مشتغلا بنفسك وطالبا
لحظك فلا تكن خالصا لمعرفتي فكن تاركا للهرب
والطلب تكن خالصا لي ثالثها ان موسى
ان موسى عليه الصلاة والسلام مع علو
درجته وكمال صفته لما وصف وصل الى
الحضرة ولم يكن معه الا النعلان والعصا
امر بالقايهما حتى امكنه الوصول الى
الحضرة فانت في الف وقر من المعاصي
فكيف يمكنك الوصول الى جانبه فان
قيل



قيل كيف قال هذه حية تسعى وفي موضع
اخر جان وهي الحية الخفيفة الصغيرة وقال
في موضع اخر ثعبان وهو اكبر ما يكون من
الحيات اجيب بان الحية اسم جنس يقع على
الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان
والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من
الحيات كامر والجان الرقيق وفي ذلك وجهان
احدهما انها كانت في شخص الثعبان وسرعة
حركة الجان لقوله تعالى فلما راها تهتز كانها
جان قال وهب لما القى العصا على وجه
الارض نظر اليها فاذا هي حية تسعى صفرا
من اعظم ما يكون من الحيات تمشي بسرعة
لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون
ذراعا صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن
عنقا وعرفا يهتز وعيناها تتقدان كالنار
تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلقمها
فتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع
لانيابها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى
ولى مدبرا وهرب ثم نودي يا موسى ارجع

حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف قال
تعالى له خذها اي بيمينك ولا تخف وكان على
موسى مدرعة من صوف قد خللها بعود فلما
قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة
على يده فامره الله تعالى ان يكشف يده
وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده
قال له الملك ارايت ان اذن الله بما تحاذر
اكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا
ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف
عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا
كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي
الذي يضعها اذا توكا عليها كما قال تعالى سنعيدها
سيرتها الاولى وقد اظهر الله تعالى في هذه
العصا معجزات لموسى عليه السلام منها
انقلاب العصا حية ومنها وضع يده في فمها
من غير ضرر ومنها انقلابها خشبة مع الحالات
التي تقدمت لتنبيه في نصب سيرتها اوجه
احدها ان تكون منصوبة على الظرفية
اي في سيرتها اي طريقتها ثانيها على البدل

من

من ها سنعيدها بدل اشتمال لان السيرة الصفة
اي سنعيد صفتها وشكلها ثالثها على اسقاط
الخافض اي الى سيرتها وقيل غير ذلك فان قيل
لما نودي يا موسى وخص بتلك الكرامات العظيمة
وعلم انه مبعوث من عند الله تعالى الى الخلق فلم
خاف اجيب عن ذلك باوجه احدها ان ذلك
الخوف كان من نفرة الطبع لانه عليه الصلاة
والسلام ثانيها انه مجرد قوله ولا تخف
لا يدل على حصول الخوف كقوله تعالى ولا تطع
الكافرين والمنافقين لا يدل على وجود تلك الطاعة
لكن قوله تعالى فلما راها تهتز كانها جان ولى
مدبرا يدل عليه ولكن ذلك الخوف انما ظهر
ليظهر الفرق بينه وبين افضل الخلق محمد صلى
الله عليه وسلم فانه اظهر الرغبة في الجنة ولا النفرة
عن النار وقوله تعالى واضمم يدك اي اليمنى
الى جناحك اي جيبك الايسر تحت العضد في الابط
تخرج بيضاء اي نيرة مشرقة كجناح كشعاع الشمس
تغشى الابصار ولا بد فيه من حذف التقدير
واضمم يدك تنضم واخرجها تخرج فحذف من

الاول والثاني وانفي مقابليها الندلان على
ذلك ايجازا واختصارا وانما احتيج الي هذا
لايترتب على مجرد الضم الخروج وبيضا حال من
فاعل تخرج وقوله تعالى من غير سوء متعلق
بتخرج وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما الي جناحك الي صدرك والاول كما قال
الرازي اولي لانه يقال لكل ناحيتي جناحان
كجناحي العسكر لطرفيه وجناحا الانسان جانباه
والاصل المستعار منه جناحا الطير سميا بذلك
لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وجناحا
الانسان عضداه فعضداه يشبهان جناحي
الطير ولانه قال تخرج بيضا والسوء الرداءة
والقبح بكل شي فكنى به عن البرص كما كنى عن
العورة بالسوء والبرص ابغض شي الي العرب
وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه
مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى
احسن ولا الطف ولا اخف للمفاصل من كنايات
القران واراد به يروى ان موسى عليه الصلاة
والسلام كان شديد الادمة فكان اذا ادخل
اليمني



اليمني في جيبه فادخلها في ابطه الايسر واخرجها
فكانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس
من غير مرض ثم اذا ردها عادت الي لونها
الاول من غير نور وقوله تعالى اية اخرى اي
معجزة ثالثة من غير ضمير تخرج بيضا وقوله تعالى
لنريك متعلق بما دل عليه اية اي دللنا بها لنريك
وقوله تعالى من اياتنا الكبرى اي العظمى على
رسالتك متعلق بمحذوف على انه حال من
الكبرى والكبرى مفعول ثان لنريك والتقدير
لنريك الكبرى حال كونها من اياتنا اي بعض
اياتنا واختلف اي الايتين اعظم في الاعجاز فقال
الحسن اليد لانه تعالى قال لنريك من اياتنا
الكبرى والذي عليه الاكثرون ان العصا اعظم
اذ ليس في اليد الا تغير اللون واما العصا ففيها
تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق
الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وابتلاع
الحجر والشجر ثم اعادتها بعد ذلك فقد وقع
التغير في كل هذه الامور فكانت العصا
اعظم واما قوله تعالى لنريك من اياتنا

الكبرى فقد ثبت انه عايد الى الكلام وانه غير
مختص باليد فان قيل لم يقل تعالى من اياتنا
الكبرى اجيب بان ذلك ذكر لروس الاى
وقيل فيه اضمار معناه لنريك من اياتنا الاية
الكبرى وهذا التقدير يقوي قول القايل بان
اليد اعظم اية ولما اظهر سبحانه وتعالى لموسى
هذه الاية اعقبها بان امره بالذهاب الى فرعون
بقوله تعالى اذهب اي رسولا الى فرعون وبين
تعالى العلة في ذلك بقوله تعالى انه طغى اي
جاوز الحد في كفره الى ان ادعى الالهية ولهذا
خصه الله تعالى بالذكر مع انه عليه الصلاة
والسلام مبعوث الى الكل قال وهب قال الله
تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام اسمع
كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي
فانك بعيني وسمعي وان معك يدي ونصري
واني البسك هيبة من سلطاني تستكمل بها
القوة في امرك نبعثك الى خلق ضعيف من
خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا
حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي اقسم
بعزتي

بعزتي لولا الحجة والعذرة التي بيني وبين
خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن
هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي
وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا
لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي لا
يطرف ولا يتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال
فسكت موسى عليه السلام سبعة ايام لا يتكلم
ثم جاءه ملك فقال اجب ربك فيما امرك فعند
ذلك قال رب اشرح لي صدري اي وسعه لتحمل
الرسالة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
يريد حتى لا اخاف غيرك والسبب في هذا السوال
ما حكى الله سبحانه وتعالى في موضع اخر و
يضيق صدري ولا ينطلق لساني وذلك ان
موسى عليه الصلاة والسلام كان يخاف فرعون
اللعين خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده
وكان يضيق صدرا بما كلف من مقاومة فرعون
وحده فسال الله تعالى ان يوسع قلبه حتى
يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن
الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف فرعون

وشدة شوكته وكثرة جنوده وقيل اشرح
لي صدري بالفهم عنك ما انزلت علي من
الوحي **ويسر** اي سهل **لي امري** اي ما امرتني به
من تبليغ الرسالة الى فرعون وذلك لان كل ما
يصدر من العبد من الافعال والاقوال والحركات
والسكنات فالله تعالى هو الميسر له فان قيل
قوله تعالى في اشرح لي صدري ويسر لي
امري ما جدواه والامر مستتم مثبت بدونه
اجيب بانه قد ابهم الكلام اولا فقال اشرح
لي صدري ويسر لي امري فعلم ان ثم مشروحا
وميسرا ثم بين رفع الابهام بذكرها فتاكد
لطلب المشرح لصدره والميسر لامره من ان
يقول اشرح صدري على الايضاح الساذج
لانه تكرير للمعنى الواحد من طرفي الاجمال
والتفصيل **واحلل عقدة من لساني** قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما كان في لسانه عليه
الصلاة والسلام رتة وذلك ان موسى
عليه الصلاة والسلام كان في حجر فرعون
ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة
واخذ



واخذ بلحيته فقال فرعون لاسية هذا عدوي
واراد ان يقتله فقالت اسية انه صبي لا
يعقل ولا يميز وفي رواية ان ام موسى لما
فطمته ردته الى فرعون فنشا موسى في حجر
فرعون وامراته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما
هو ذات يوم يلعب بين يدي فرعون
وبيده قضيب يلعب به اذ رفع فضرب به
راس فرعون فغضب فرعون وتطير بضربه
وهم بقتله فقالت اسية ايها الملك انه صغير
لا يعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين
في احدهما جمر وفي الاخر جوهر فاراد ان ياخذ
الجوهر فاخذ جبريل عليه السلام بيد موسى
عليه الصلاة والسلام فوضعها على النار
فاخذ جمرة فوضعها في فيه فاحرق لسانه
وصارت عليه عقدة وقيل قربا اليه جمرة
وتمرة فاخذ الجمرة فجعلها في فيه فاحترق
لسانه ويروى ان يده احترقت وان فرعون
اجتهد في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال
الى اي رب تدعوني قال الى الذي

ابدا بدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم ابهام تبرا
يده لئلا تريد خلها مع فرعون في قصعة واحدة
فتعقد بينهما حرمة المواكلة وقيل كان
ذلك العقد خلقة فسال الله تعالى ازالته
واختلفوا في انه لم طلب حل تلك العقدة
فقيل لئلا يقع خلل في اداء الوحي وقيل لئلا
يستخف بكلامه فينفروا عنه ولا يلتفتوا
اليه وقيل لاظهار المعجزة كما ان حبس لسان
زكريا عن الكلام كان معجزا في حقه فكان
اطلاق لسان موسى صلى الله عليه وسلم
معجزا في حقه واختلفوا في زوال العقدة
بكمالها فقيل بعضها لقوله واخي هرون
هو افصح مني لسانا وقول فرعون ولا يكاد
يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي
الله تعالى عنهما رتة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى
وقال الحسن زالت بالكلية لقوله تعالى
قد اوتيت سولك يا موسى وضعف
هذا الرازي بانه عليه الصلاة والسلام

لم



لم يقل واحلل العقدة من لساني بل قال
واحلل عقدة من لساني فاذا حل عقدة واحدة
فقد اتاه الله تعالى سوله قال والحق انه انحل
اكثر العقدة وبقي منها شي وقال الزمخشري
في تذكير العقد فان لم يقل واحلل عقدة من
لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم
عنه فهما جيدا ولذا قال يفقهوا اي يفهموا
قولي عند تبليغ الرسالة ولم يطلب الفصاحة
الكاملة ومن لساني صفة العقدة كانه
قيل عقدة من عقد لساني تنبيه استدل
على ان في النطق فضيلة عظيمة بوجوه
الناطق اولها قوله تعالى خلق الانسان
علمه البيان فماهية الانسان هي الحيوان
الناطق ثانيها اتفاق العقلا على تعظيم
امر اللسان قال زهير
لسان الفتى نصف ونصف فواده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وقالوا ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مرسلة
اي لولا ذهب النطق اللسان لم يبق من

الانسان الا القدر الحاصل فى البهايم وقالوا المرء
باصغرنه القلب واللسان وقالوا المرء مخبوء
تحت لسانه ثالثها ان فى مناظرة ادم عليه الصلاة
والسلام مع الملايكة ما ظهرت الفضيلة الا
بالنطق حيث قال الله تعالى يا ادم انبيهم
باسمايهم فلما انباهم باسمايهم قال الم اقل لكم
انى اعلم غيب السموات والارض ولما راى
موسى عليه الصلاة والسلام ان التعاون على
الدين والتظاهر عليه مع مخالصة الود وزوال
التهمة قربة عظيمة فى الدعا الى الله تعالى
طلب المعاونة على ذلك بقوله واجعل لى وزيرا
اى معينا على الرسالة وكذلك قال عيسى بن مريم
عليه الصلاة والسلام من انصارى الى الله قال
الحواريون نحن انصار الله وقال محمد صلى
الله عليه وسلم اذا اراد الله بملك خيرا
قيض الله له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان
نوى خيرا اعانه واذا اراد شرا كفه وقال انوشروان
وان لا يستغنى اجود السيوف عن الصقيل
ولا اكرم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك
عن



عن الوزير ولما كان التعاون على الدين
منقبة عظيمة اراد ان لا يحصل هذه الدرجة
الا لاهله فقال من اهلى اى اقاربى وقوله تعالى
هرون اخى قال عطف بيان وذكر غيره اعاريب غير
ذلك لا حاجة لنا بذكرها تنبيه الوزير مشتق
من الوزر لانه يحمل عن الملك اوزاره ومونته
ومن الوزر لان الملك يعتصم برايه ويلجى اليه
اموره او من الوزارة وهى المعاونة قال
الرازى وكان هارون مخصوصا بامور منها
الفصاحة لقول موسى هو افصح منى لسانا
ومنها الرفق لقوله يا بن ام لا تاخذ بلحيتى ولا
براسى ومنها انه كان اكبر سنا منه وقال ابن
عادل كان اكبر سنا من موسى باربع سنين
وكان افصح لسانا منه واجمل واوسم ابيض
اللون وكان موسى ادم اقنى جعدا ولما طلب
موسى عليه الصلاة والسلام من الله تعالى
ان يجعل هرون وزيرا له طلب منه ان يشد
ازره بقوله تعالى اشدد به ازرى اى اقوى به
ظهرى واشركه فى امرى اى فى النبوة والرسالة

وقرا ابن عامر بسكون اليا من اخي وهمزة مفتوحه
من اشدد وهو على مرتبته من المد وهمزة
وصل مضمومة من اشركه وابن كثير وابو عمرو
بفتح اليا من اخي وهمزة وصل من اشدد
وفتح الهمزة من اشركه ثم انه تعالى حكى
عنه ما لاجله دعا بهذا الدعا فقال تعالى
كي نسبحك تسبيحا كثيرا قال الكلبي نصلي لك
كثيرا ونحمدك ونثني عليك والتسبيح تنزيه الله
تعالى في ذاته وصفاته عما لا يليق به ونذكرك
ذكرا كثيرا اي نصفك بصفات الكمال والجلال
والكبريا وجوز ابو البقا ان يكون كثيرا نعتا
لزمان محذوف اي زمانا كثيرا انك كنت بنا
بصيرا اي عالما بانا لا نريد بهذه الطاعات الا
وجهك ورضاك او بصيرا بان الاستعانة
بهذه الطاعات اي بهذه الاشيا لاجل حاجتي
في النبوة اليها او بصيرا بوجوه مصالحنا
فاعطنا ما هو الاصلح لنا ولما سال موسى
عليه الصلاة والسلام ربه تلك الامور
المتقدمة وكان من المعلوم ان قيامه بها كلف

به

به لا يتم الا باجابته اليها لا جرم قال الله تعالى
قد اوتيت سولك يا موسى اي اعطيت جميع
ما سالته منا عليك لما فيه من وجوه المصالح
ولقد مننا عليك مرة اخرى اي انعمنا عليك في
وقت اخر وفي ذلك تنبيه على امور احدها
كانه تعالى قال اني راعيت مصلحتك قبل
سوالك فكيف لا اعطيك مرادك بعد السوال
ثانيها اني كنت ربيتك فلو منعتك الان كان
ذلك ردا بعد القبول واساة بعد الاحسان
فكيف يليق بكرمي ثالثها انا اعطيناك في
الازمنة السالفة كلما احتجت اليه ورقيناك
الدرجة العالية وهي منصب النبوة فكيف
يليق بمثل هذه التربية المنع عن المطلوب
فان قيل لم ذكر تلك النعم بلفظ المنة مع
ان هذه اللفظة موذية والمقام مقام اللطف
اجيب بانه انما ذكر ذلك ليعرف موسى
عليه الصلاة والسلام ان هذه النعم التي
وصل اليها ما كان مستحقا لشي منها انما منا
خصه الله تعالى بها ذكره هنا كثيرا اجيب
بان لم يعن بمرة اخرى واحدة من

من المنن لان ذلك قد يقال في القليل والكثير ثم بين
تلك المنة وهي ثمانية اولها قوله تعالى اذ اوحينا
الى امك وحيا لا على وجه النبوة اذ المراة لا تصلح
للقضا والامامة ولا تمكن عند اكثر العلما من
تزويج نفسها فكيف تصلح للنبوة ويدل على ذلك
قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحي اليهم
والوحي جا لا بمعنى النبوة في القران كثيرا قال
تعالى واوحى ربك الى النحل واذ اوحيت الى
الحواريين ثم اختلفوا في المراد بهذا الوحي على
وجوه اولها انها رويا راتها ام موسى وكان
تاويلها وضع موسى عليه الصلاة والسلام
في التابوت وقذفه في البحر وان الله تعالى
يرده عليها ثانيها انه عزيمة جازمة
وقعت في قلبها دفعة واحدة ثالثها المراد
خطور البال وغلبته على القلب فان قيل
هذه الوجوه الثلاث يعترض عليها بان الالقا
في البحر قريب من الهلاك وهو هاك للخوف
الحاصل من القتل المعتاد من فرعون
فكيف يجوز الاقدام على احدهما لاجل الصيانة
عن الثاني اجيب بانها لعلها عرفت
بالاستقرا



بالاستقرا صدق رويا ها فكان الالقاء في البحر
الى السلامة اغلب على ظنها من وقوع الولد
في يد فرعون رابعها لعله اوحى الى بعض الانبيا
في ذلك الزمان كشعيب عليه الصلاة والسلام
او غيره ثم ان ذلك النبي عرفها اما مشافهة
او مراسلة واعترض على هذا بان الامر لو كان
كذلك لما لحقها الخوف واجيب بان ذلك
الخوف كان من لوازم البشرية كما ان موسى عليه
الصلاة والسلام كان يخاف فرعون مع ان
الله تعالى كان امره بالذهاب اليه مرارا
خامسها لعل بعض الانبيا المتقدمين
كابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة
والسلام اخبروا بذلك الخبر وانتهى ذلك الخبر
الى امه سادسها لعل الله تعالى بعث اليها
ملكا على وجه النبوة كما بعث الى ابراهيم مريم
في قوله فتمثل لها بشرا سويا واما قوله تعالى
ما يوحى فمعناه لا يعلم الا بالوحي اي مما ينبغي
ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام
ويبدل منه ان اقذفيه اي القيه في التابوت

اي الهمناها ان اجعليه في التابوت فاقذفيه
اي موسى عليه الصلاة والسلام بالتابوت
في اليم اي نهر النيل فليلقه اليم بالساحل
اي بشاطيه والامر بمعنى الخبر والضماير كلها
لموسى عليه الصلاة والسلام فالمقذوف
في البحر والملقى الى الساحل هو موسى في
جوف التابوت حتى لا تفرق الضماير فيتنافر
النظم الذي هو ام اعجاز القران والتابوت
الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما
يجب على المفسر تنبيه اليم البحر
والمراد هنا نيل مصر في قول الجميع واليم اسم
يقع على النهر والبحر العظيم قال الكسائي
والساحل فاعل بمعنى مفعول سمي بذلك
لان الما يسحله اي يقشره وقوله تعالى
ياخذه عدو لي وعدو له اي فرعون جواب
فليلقه وتكرير عدو للمبالغة ولان الاول
باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع اي
سيصير عدو اله بعد ذلك فان لم يكن في
ذلك الوقت بحيث يعادي روي انها

انها اتخذت تابوتا قال مقاتل ان
الذي صنع التابوت حزقيل مومن ال فرعون
وجعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته
فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان
يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما
هو جالس على راس بركة مع اسيه بنت مزاحم
اذ بتابوت يجي به الما فامر فرعون الغلمان والجواري
باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا صبي
اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا
شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه كما قال تعالى و
القيت عليك محبة مني وهذه هي المنة الثانية
قال الزمخشري مني لا يخلو اما ان يتعلق
بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن
احبه الله تعالى احبه القلوب واما ان
يتعلق بمحذوف وهو صفة لمحبة اي محبة
خالصة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب
وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون واسية
حتى قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه روي
انه كان رجلا على وجهه مسحة جمال وفي
عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من لا يراه

وهو كقوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا المنة
الثالثة قوله تعالى **ولتصنع على عيني** اي
تربى على رعايتي وحفظي لك فانا راعيك
ومراقبك كما يراعي الرجل الشي بعينه اذا اعتنى
به ويقول للصانع اصنع هذا على عيني
انظر اليك لئلا تخالف عن مرادي وبغيتي
ولتصنع معطوف على علة
مضمرة مثل ليتلطف بك ولتصنع او على
الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل
وفعلت ذلك وقرا بفتح اليا نافع وابن
كثير وابو عمرو وسكنها الباقون المنة
الرابعة قوله تعالى **اذ تمشي اختك** والعامل
في اذ القيت او تصنع او يجوز ان يكون من
اذ اوحينا واستشكل بان الوقتين مختلفان
متباعدان واجيب بانه يصح مع اتساع
الوقت كما يصح ان يقول لك الرجل لقيت
فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك
وربما لقيته هو في اولها وانت في اخرها **فتقول**
**هل ادلكم على من يكفله** يروى ان اخته

واسمها



واسمها مريم جاءت متفرقة خبره فصادفهم مطلبون له
مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي
امراة فقالت لهم ذلك فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل
ثديها فلذلك قال تعالى **فرجعناك الى امك كي تقر**
**عينها** بلقايك ورويتك **ولا تحزن** اي هي لفراقك
وانت بفراقها وفقد اشفاقها ويروى ان اسية
استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت
عليه وطلبت له المراضع المنة الخامسة قوله تعالى
**وقتلت نفسا** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
هو الرجل القبطي الذي قتله خطا بان وكزه حين
استغاثه الاسرايلي اليه قال الكسائي كان عمره
اذ ذاك اثنى عشر سنة **فنجيناك من الغم** اي من غم
قتله خوفا من اقتصاص فرعون كما قال تعالى
في اية القصص فاصبح في المدينة خايفا يترقب الى ان هاجر
الى مدين المنة السادسة قوله تعالى **وفتناك**
**فتونا** قال ابن عباس لخبرناك اختبارا وقيل
ابتليناك ابتلا قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه
الله منها اولها ان امه حملته في السنة التي كان

ينج

فرعون يقتل فيها الاطفال ثم القاه في البحر
في التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه
ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم
تناوله الجمر بدل الجوهرة ثم قتله القبطي
وخروجه الى مدين خايفا فان قيل انه تعالى
عدانواع منته على موسى في هذا المقام
فكيف يليق بهذا الموضع وفتناك فتونا
اجيب بجوابين الاول فتناك اي خلصناك
تخليصا من قولهم فتنت الذهب اذا اردت
تخليصه من الفضة ونحوها الثاني ان
الفتنة تشديد المحنة حتى رجع عن دينه
قال تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا
الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين ولما كان التشديد
في المحنة يوجب كثرة الثواب عند الله تعالى
من جملة النعم وتقدم تفسير ابن عباس
وهو قريب من ذلك فان قيل هل يصح اطلاق
الفتان على الله تعالى اشتقاقا من قوله
تعالى

تعالى وفتناك فتونا اجيب بانه لا يصح
لانه صفة ذم في العرف واسما الله تعالى
توقيفية لا سيما فيما يوهم ما لا ينبغي المنة
السابعة قوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين
والتقدير وفتناك فخرجت خايفا الى اهل مدين
فلبثت سنين فيهم عند شعيب عليه الصلاة
والسلام وتزوجت بابنته وهي اما عشر او ثمان
لقوله تعالى ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت
عشرا فمن عندك وقال وهب لبث موسى عند
شعيب عليه الصلاة والسلام ثمانية وعشرين
سنة منها عشر سنين مهر امراته فانه قضى
اوفى الاجلين والاية دالة على انه لبث عشر
سنين وليس فيها ما ينفي الزيادة على العشر كما
قاله الرازي وان قال ابن عادل يرده قوله
تعالى فلما قضى موسى الاجل اي الاجل المشروط
عليه في تزويجه وسار باهله ومدين بلدة
شعيب على ثمان مراحل من مصر ثم جيت على
قدر اي على القدر الذي قدرت انك تجي فيه لان
اكلمك واستنبيك غير مستقدم وقته

المتقين ولا مستاخر وقال عبد الرحمن بن كيسان
على اربعين سنة وهو القدر الذي يوحي فيه الى الانبيا
وهذا قول اكثر المفسرين اي على الموعد الذي وعد الله
تعالى وقدر انه يوحي اليه بالرسالة وهو اربعون
وكرر تعالى قوله يا موسى عقيب ما هو غاية
الحكاية للتنبيه على ذلك المنة الثانية قوله تعالى
واصطنعتك اي اخترتك لنفسي لاصرفك في
اوامري لئلا تشتغل الا بما امرتك به وهو
اقامة حجتي واقامة تبليغ رسالتي وان تكون
في حركاتك وسكناتك لي لا لنفسك ولا لغيرك
ثم بين تعالى ما له اصطنعه معه وهو الابلاغ
والاداء بقوله تعالى اذهب انت واخوك باياتي
اي بمعجزاتي وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما الايات التسع التي بعث بها موسى عليه
الصلاة والسلام وقيل انها العصا واليد
لانهما اللذان جرى ذكرهما في هذا الموضع ولم يذكر
انه عليه الصلاة والسلام اوتي قبل مجيئه
الى فرعون ولا بعد مجيئه حتى لقي فرعون
فالتمس منه اية غيرهما بين الايتين قال
تعالى

تعالى حكاية عن فرعون ان كنت جئت باية
فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضا
للناظرين وقال تعالى فذانك برهانان من
ربك الى فرعون وملايه فان قيل كيف اطلق
لفظ الجمع على الاثنين اجيب بان العصى
كانت ايات انقلابها حيوانا ثم انها في اول الامر
كانت صغيرة لقوله تعالى كانها جان ثم كانت
تعظم وهذه اية اخرى ثم انه كان عليه الصلاة
والسلام يدخل يده في فمها فما كانت تضره فهذه
اية اخرى وكذلك اليد فان بياضها اية اخرى
ثم زوالها بعد ذلك اية اخرى فدل ذلك على
انها كانت ايات كثيرة وقيل الايات العصا
واليد وحل عقدة لسانه وقيل معناه
امدكما باياتي واظهر على ايديكما من الايات
من تراح به والعلل من فرعون وقومه ولا
تنيا تفترا ولا تقصرا في ذكري اي تسبيح
وغيره فان من ذكر جلال الله تعالى لا بد
وان يكون ذكر احسانه في اداء اوامره

وقيل لا تنيا في ذكري عند فرعون بان تذكرا لفرعون
وقومه ان الله لا يرضى عنهم الكفر وتذكر ما لهم
من الثواب والعقاب والترغيب والترهيب
وقيل ان المراد بالذكر تبليغ الرسالة **اذهبا الى فرعون**
**انه طغى** اي بادعاء الربوبية تنبيه ذكر الله تعالى
المذهوب اليه هنا وهو فرعون وحذفه في قوله
اذهب انت واخوك اختصارا في الكلام وقال
القفال فيه وجهان احدهما ان قوله اذهب
انت واخوك باياتي يحتمل ان يكون كل واحد
منهما مامورا بالذهاب على الانفراد فقيل مرة
اخرى اذهبا اليه فان المراد منه ان يشتغلا
بذلك جميعا لا ان ينفرد به احدهما دون الاخر
الثاني ان قوله اذهب انت واخوك باياتي
امر بالذهاب الى كل الناس من بني اسرايل
وقوم فرعون ثم قوله تعالى اذهبا الى فرعون
امر بالذهاب الى فرعون وحده واستبعد
هذا بل الذهابان متوجهان لشي واحد وقد حذف
من كل من الذهابين ما اثبته في الاخر و
قيل انه حذف المذهوب اليه من الاول

واثبته



واثبته في الثاني وحذف المذهوب اليه وهو
باياتي في الثاني واثبته في الاول **فقولا له**
**قولا لينا** اي مثل قولك فقل هل لك الى ان تزكى
واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة
عرض ومشورة فان قيل لم امر الله تعالى
باللين مع الكافر الجاحد اجيب بان من دعاه
الجبار اذا اغلظ عليه في الوعظ يزداد عتوا
وتكبرا فامر باللين حذرا من ان تحمله الحماقة
على ان يسطوا عليهما واحتراما لما له من حق
التربية وقيل كنياه وكان له ثلاث كني ابو العباس
وابو الوليد و[illegible] وقيل وعداه شبابا
لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت وان تبقى
له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى اوان موته
واذا مات دخل الجنة فاعجبه ذلك وكان لا
يقطع امرا دون هامان وكان غايبا فلما قدم
اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت
ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى
ان لك عقلا وزايا انت رب ان تكون
مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد

فغلبه عن رايه وقوله تعالى **لعله يتذكر او يخشى**
متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجايكما
وطمعكما مباشرة من يرجو ان يثمر عمله ولا يخيب
سعيه فهو مجتهد بطوقه ويسعى باقصى
وسعه قال الزمخشري ولا يستقيم ان يرد
ذلك في حق الله تعالى اذ هو عالم بعواقب
الامور وعن سيبويه كلما ورد في القران من لعل
وعسى فهو من الله واجب بمعنى انه يستحيل
بقا معناه في حق الله تعالى وقول الغزالي
لعل بمعنى كي فتفيد العلية كما تقول اعمل
لعلك تاخذ اجرتك فان قيل قرا رجل
عند يحيى بن معاذ فقولا له قولا لينا
فبكى يحيى وقال الهي هذا برك بمن يقول
انا الاله فكيف برك بمن يقول انت الاله
فان قيل ما الفايدة في ارسالهما
والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه
تعالى بانه لا يومن اجيب بان
ذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة واظهار
ما حدث في تضاعيف ذلك من الايات
والذكر



والذكر لتحقيق والخشية للمتوهم ولذلك قدم
الاول اي ان لم يتحقق صدقها ولم يتذكر فلا
اقل من ان يتوهمه فيخشى ولذلك قدم الاول
ويروى عن كعب انه قال والذي يحلف به
كعب ان المكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا
وما قسى قلبه فلا يومن ولقد تذكر فرعون وخشي
حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين
الجمه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت
به بنوا اسرايل وانا من المسلمين ثم ان موسى
وهرون **قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط** اي يعجل
**علينا** بالعقوبة **او ان يطغى** اي يتجاوز الحد
في الاساءة علينا فان قيل لم تكرر الامر من الله
تعالى بالذهاب فعدم الذهاب والتعليل بالخوف
هل يدل على معصية اجيب بان الامر على
الفور فسقط السوال وهذا من اقوى
الدلايل على ان الامر لا يقتضي الفور فان قيل
قوله تعالى قالا ربنا يدل على ان المتكلم موسى
وهرون ولم يكن هارون هناك حاضرا
اجيب بان الكلام كان موسى

الا انه كان متبوع وهرون كان تابعا فجعل الخطاب
في حقه خطابا مع هرون وكلام هرون على سبيل
التقدير في تلك الحالة وان كان موسي وحده
الا انه تعالى اضافه اليهما كما في قوله تعالى واذ
قتلتم نفسا فادارأتم فيها وقوله لين رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وروي ان
القايل عبد الله بن ابي وحده فان قيل ان
موسي عليه الصلاة والسلام قال رب
اشرح لي صدري فاجابه الله تعالى قال
قد اوتيت سولك يا موسي وهذا يدل على
ان الله تعالى قد شرح صدره وليس لذلك
الامر اجيب بان شرح الصدر عبارة
عن تقويته على ضبط تلك الاوامر والنواهي
وحفظ تلك الشرايع على وجه لا يتطرق اليها
السهو والتحريف وذلك شي اخر غير الخوف
قال الله تعالى لهما لا تخافا انني معكما اي
حافظكما وناصركما اسمع وارى اي ما يجرى
بينكما وبينه من قول وفعل فاعل ما يوجبه
حفظي ونصري قال ابن عباس

اسمع



اسمع دعاكما فاجيبه وارى ما يراد بكما فامنع فلستا
بغافل عنكما فلا تهتما وقال القفال قوله تعالى
اسمع وارى يحتمل ان يكون مقابلا لقوله تعالى
يفرط علينا او ان يطغى يفرط علينا بان لا يسمع
منا او ان يطغى بان يقتلنا قال تعالى انني معكما
اسمع كلامكما فاسخره للاستماع منكما وارى افعاله
فلا اتركه حتى يفعل بكما ما تكرهان انه سبحانه
وتعالى اعاد ذلك التكليف فقال فاتياه
لانه سبحانه وتعالى قال في المرة الاولى
اذهبا الى فرعون وفي الثانية قال اذهب انت
واخوك باياتي وفي الثالثة قال اذهبا
الى فرعون وفي الرابعة قال ها هنا فاتياه
فان قيل انه تعالى امرهما في الثانية بان
يقولا له قولا لينا وها هنا امرهما بقوله
فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل
اي الى الشام ولا تعذبهم اي خل عنهم من
استعمالك اياهم في اشغالك الشاقة كالحفر
والبنا وحمل الثقيل وقطع الصخور وكان فرعون
يستعملهم في ذلك مع قتل الاولاد وفي هذا تغليظ

من وجوه الاول انا رسولا ربك وهذا يقتضي
انقياده لهما والتزامه لطاعتهما وذلك بعظم
على الملك المتبوع الثاني قولهما فارسل
معنا بني اسرايل فيه ادخال النقص على
ملكه لانه كان محتاجا الرابع قولهما قد
جيناك باية من ربك فما الفايدة في التليين
اولا والتغليظ ثانيا واجيب بان
الانسان اذا ظهر لحاجة فلابد من التغليظ حيث
لم ينفع التليين فانه قيل السين الاولى ان
يقول انا رسولا ربك قد جيناك باية من
ربك فارسل معنا بني اسرايل ولا تعذبهم
لان ذكر المعجز مقرونا بالدعا للرسالة اولى
تاخيره عنه اجيب بان هذا اولى
لانهما ذكرا مجموع الدعاوي ثم استدلا على ذلك
المجموع بالمعجز وقولهما قد جيناك باية
من ربك قال الزمخشري هذه الجملة
جارية من الجملة الاولى وهي ان يقول انا
رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى
الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي مجي :

الاية



الاية فان قيل ان الله تعالى قد اعطاهما اثنين
هما العصى واليد ثم قال تعالى اذهب انت
واخوك باياتي وذلك يدل على الثلاث ايات
وقال هنا جيناك باية وذلك يدل على انها
كانت واحدة فكيف الجمع اجاب القفال
بان معنى الاية الاشارة الى جنس الايات
لانهما قالا قد جيناك ببينات من عند الله ثم يجوز
ان يكون ذلك حجة او حججا كثيرة وتقدم الجواب
عن التثنية والجمع وان في العصا واليد ايات
وقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يحتمل
ان يكون من كلام الله تعالى كانه تعالى قال قولا
انا رسولا ربك وقولا السلام على من اتبع
الهدي ويحتمل ان يكون كلام الله تعالى قد تم
عند قوله تعالى قد جيناك باية من ربك وقوله
تعالى بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدي.
وعد من قبلهما لمن امن وصدق بالسلامة لدى
عقوبات الله تعالى في الدنيا والاخرة وان سلام
الملايكة وخزنة الجنة على المهتدين وقال
بعضهم ان على بمعنى السلام لمن اتبع الهدى :

كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
وقال تعالى فى موضع اخر ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اساتم فلها انا قد اوحي الينا ان
العذاب على من كذب ملجيا به وتولى اعرض عنه
قال البيضاوي ولعل تغيير النظم والتصريح
بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اول التهديد
الامر اهم وانجع وبالواقع اليق ولما اتياه وقالا انا
رسولا ربك وبلغاه ما امرا به قال لهما فمن ربكما
يا موسى انما نادى موسى وحده بعد مخاطبته
لهما معا اما لان موسى هو الاصل في الرسالة
وهرون تبع وردء ووزير واما لان فرعون
كان لخبثه يعلم الرتة التى كانت في لسان موسى
عليه الصلاة والسلام ويعلم فصاحة اخيه
بدليل قوله هو افصح مني لسانا فاراد ان يفحمه
ويدل عليه قول فرعون ولا يكاد يبين
واما لانه حذف المعطوف للعلم به اي يا موسى
وهرون قال ابو البقاء ان فرعون لم
يشتغل مع موسى بالبطش والايذاء لما
دعاه الله تعالى مع انه كان شديد القوة :

عظم

٩٠

عظم الغلبة كثير العسكر بل خرج معه فى
المناظرة انه يوذيه لنسبة الى الجهل والسفاهة
من غير حجة فاستنكف من ذلك وشرع فى المناظرة
وذلك يدل على ان السفاهة من غير حجة لم يرضه
فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف ذلك بمن يدعي
الاسلام والعلم تنبيه قال ههنا فمن ربكما
يا موسى وقال فى سورة الشعرا وما رب
العالمين وهو سوال عن الماهية فهما سوالان
مختلفان والواقعة واحدة قال ابن عادل
والاقرب ان يقال سوال من كان مقدما على
سوالهما لانه كان يقول اني انا الله والرب
فقال فمن ربكما فلما اقام موسى الدلالة على
الوجود وعرف انه لا يمكنه ان يقاومه فى هذا
المقام لظهوره وجلائه عدل الى طلب
الماهية لان العلم بماهية الله تعالى غير
حاصل للبشر فان قيل لم قال فمن ربكما ولم يقل
فمن الهكما اجيب بانه اثبت ربا فى قوله تعالى
الم نربك فينا وليدا فذكر ذلك على سبيل
التعجب كانه قال انا ربك فلم تدع ربا اخر

وعلم احوال هذه القرون مثبت عند ربي في
كتاب هو اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون ذلك
تمثيلا لتمكنه في علمه تعالى بما استحفظه العالم
وقيده بالكتبة ويويده قوله لا يضل ربي ولا ينسى
والضلال ان يخطى الشي في مكانه فلا يهتدي
اليه والنسيان ان يذهب عنه بحيث لا يخطر بباله
وهما محالان على علام الغيوب بخلاف العبد
القليل والبشر السبيل اي لا يضل تعالى ولا ينسى
كما تضل انت وتنسى ما يدعي الربوبية بالجهل
والوقاحة ثم عاد الى تتميم كلامه الاول وابراز
الدلايل الظاهرة على الوحدانية فقال الذي
جعل لكم في جملة الخلق الارض مهادا اي فراشا
تنبيه هذا الموصول في محل رفع صفة لربي
وخبر محذوف تقديره هو او منصوب على
المدح وقرا عاصم وحمزة هنا وفي سورة الزخرف
مهدا بفتح الميم للصبي وقرا الباقون بكسر
الميم وفتح الها والف بعدها وهو اسم ما يمهد
كالفراش وجمع مهد وسلك اي سهل لكم
فيها سبلا اي طرقا بين الجبال والاودية والبراري
تسلكونها

تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزلنا
من السما ما اي مطرا وعدل بقوله تعالى فاخرجنا
به عن لفظ الغيبة الى صيغة المتكلم على الحكاية
لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من
الدلالة على كمال قدرته والحكمة وايذانا بانه مطاوع
تنقاد الاشيا المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظايره
كقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها ام من خلق السموات والارض
وانزل لكم من السما ما فانبتنا به حدايق ازواجا
اي اصنافا فسميت بذلك لانها مزدوجة مقرونة
بعضها مع بعض وقوله تعالى من نبات نبات
وصفة لازواجا وكذلك شتى وهو جمع شتيت
من شت الامر تفرق نحو مرضى جمع مريض وجرحى
جمع جريح فالفه للتانيث اي ازواجا متفرقة
ويجوز ان يكون صفة للنبات فانه من حيث
انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع
اي انها مختلفة النفع والطعم واللون والرايحة و
الشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهايم
فلذلك قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم

والانعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم يقال
رعت الانعام ورعيتها والامر للاباحة
وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير اخرجنا
اي مبيحين لكم الاكل ورعي الانعام ولبقية
الحيوانات ان في ذلك اي فيما ذكرت من هذه
النعم لايات اي لعبرة لاولي النهى اي اصحاب العقول
جمع نهية كغرفة وغرف سمي به العقل لانه ينهي
صاحبه عن ارتكاب القبايح ولما ذكر سبحانه
وتعالى منافع الارض والسما بين انها غير
مطلوبة لذاتها بل هي مطلوبة لكونها وسايل
الى منافع الاخرة فقال منها اي الارض خلقناكم
فان قيل انما خلقنا من النطفة على ما بين في
ساير الايات اجيب باوجه احدها انه لما
خلق اصلنا ادم عليه السلام من تراب كما قال
تعالى كمثل ادم خلقه من تراب حسن اطلاق
ذلك علينا ثانيها ان تولد الانسان انما هو من النطفة
ودم الطمث وهما متولدان من الاغذية
والغذا اما حيواني او نباتي والحيوان ينتهي
الى النباتي والنبات انما يحدث من امتزاج



امتزاج الما والتراب فصح ان الله تعالى خلقنا منها
وذلك لا ينافي كوننا مخلوقين من النطفة
ثالثها روي ابن مسعود ان ملك الارحا م
ياتي الى الرحم حين يكتب اجل المولود ورزقه
والارض التي يدفن فيها فانه ياخذ من تراب
تلك البقعة وينثره على النطفة ثم يدخلها
في الرحم واخرج ابن المنذر عن عطا الخراساني
قال ان الملك ينطلق فياخذ من تراب المكان
الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من
من التراب ومن النطفة وفيها نعيدكم اي
مقبورين بعد الموت ومنها نخرجكم اي عند البعث
تارة اي مرة اخرى اي بتالف اجزايكم
المتفتتة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احيا
ويخرجكم كما كانوا الى المحشر يوم يخرجون من الاجدا ت
سراعا ولما كان المقام لتعظيم القدرة عطف
عليه قوله تعالى ولقد اريناه اي ابصرناه اياتنا
كلها اي التسع المختصة بموسى عليه الصلاة
والسلام وهي العصي واليد وفلق البحر
والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم

ونتق الجبل فكذب بها وزعم انها سحر وابى ان
يسلم فان قيل قوله تعالى كلها يفيد العموم
والله تعالى ما اراه جميع الايات فان من
جملة الايات ما اظهرها على ايدي الانبيا قبل موسى
عليه الصلاة والسلام وبعده اجيب بان
لفظ الكل وان كان للعموم قد يستعمل في الخصوص
مع القرينة كما يقال دخلت السوق فاشتريت
كل شي او يقال ان موسى عليه الصلاة والسلام
اراه اياته وعدد عليه ايات غيره من الانبيا
فكذب فرعون بالكل او يقال تكذيب بعض
المعجزات يقتضي تكذيب الكل فحكى سبحانه
وتعالى ذلك على الوجه الذي لزم ثم كانه
قيل كيف صنع في تكذيبه وابايه فقيل قال
حين علم حقيقة ما جاء به موسى وظهوره
وخاف ان يتبعه الناس ويتركوه في نفسه
وهنا عظيما قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا
اي الارض التي نحن مالكوها ويكون لك فيها
فصارت فرايصه ترعد خوفا مما جا به موسى
لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد
وقد



وقد الجبال لانقادت وان مثله لا يخذل ولا
يذل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة ثم
خيل لاتباعه ان ذلك سحر بقوله بسحرك يا
موسى فكان ذلك مع ما القوم من عادتهم في الضلال
صارفا لهم عن الاتباع ما رواه من البيان ثم اظهر
لهم انه يعارضه بمثل ما اوتي به بقوله فلنأتينك
بسحر مثله اي مثل سحرك يعارضه فاجعل بيننا
وبينك موعدا اي من الزمان والمكان لا نخلفه
اي لا نجعله خلفنا نحن ولا انت اي لا نجاوزه ولما
كان كل من الزمان والمكان لا ينفك عن الاخر
قال مكانا واثر ذلك المكان لاجل وصفه بقوله
سوى اي عدلا وقال ابن عباس نصفا
تستوي مسافة الفريقين اليه فانظر الى هذا
الكلام الذي زوقه ونمقه وصنعه بما وقف به
قومه عن السعادة واستمر يقودهم بعناده
حتى اوردهم البحر فاغرقهم ثم في غمرات النار
فاحرقهم وقيل معنى سوى اي سوى هذا
المكان وقرا شعبة وابن عامر وحمزة
والكسائي بضم السين والباقون بكسرها

وامال الشعبة وامال شعبة وحمزة والكسائي ففي
الوقف محضة والباقون بالفتح وقيل المراد بالموعد
الوعد لان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان اي
بل الموعد هو الذي يصح وصفه بالخلف وعدمه
والى هذا نحا جماعة مختارين له ورد عليهم بقوله
قال موعدكم يوم الزينة فانه لا يطابقه تنبيه
يحتمل ان قوله قال موعدكم يوم الزينة ان يكون
من قول فرعون فبين الوقت وان يكون
من قول موسى عليه السلام وهذا اظهر
كما قال الرازي بوجوه الاول انه جواب
لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا
الثاني وهو ان تعين يوم الزينة يقتضي
اطلاع الكل على ما سيقع فتعيينه انما يليق
بالمحق الذي يعرف ان الحق له لا المبطل الذي
يعرف انه ليس معه الا التلبيس الثالث
ان قوله موعدكم خطاب للجمع فلو جعلناه من
فرعون لموسى وهرون لزم اما ان نحمله على
التعظيم واقل الجمع اثنان فالاول لا يليق بحال
فرعون معهما والثاني غير جائز فاذا جعلناه
من



من موسى عليه السلام استقام الكلام واختلف
في يوم الزينة فقال مجاهد وقتادة النيروز
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و
سعيد بن جبير هو يوم عاشورا وقيل هو
كان يوم عيد لهم يتنزهون فيه ويجتمعون في
كل سنة وقيل يوم كانوا يتخذون فيه سوقا
ويتزينون ذلك اليوم وبني قوله وان يحشر
للمفعول لان القصد الجمع لا كونه من معين ا
الناس اي يجتمعوا ضحى اي وقت الضحوة فيكون
اظهر لما يعمل واجلى ولا ياتي الليل الا وقد قضي
الامر وعرف المحق من المبطل ويكثر التحديث
بذلك في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل
الوبر والمدر فتولى اي اعرض فرعون عن موسى
الى تهيئة ما يريد من المكيد بعد توليته عن
الانقياد لامر الله تعالى فجمع كيده اي مكره وحيلته
وخداعه الذي دبره على موسى عليه السلام
بجمع من يحصل بهم الكيد وهم السحرة حشرهم
من كل فج وكان اهل مصر اسحر اهل الارض
واكثرهم ساحرا وكانوا في ذلك الزمان اشد

اعتنا بالسحر وامهرها بما كانوا واكثر لمراتب
للمعاد الذي وقع القرار عليه عن حشرهم
من السحرة والجنود ومن تبعهم من الناس
مع توقع الدواعي على الاثبات للعبيد والنظر الى
تلك المغالبة التي لم يكن مثلها ولما تشوق السامع
للخبر عنه بقوله تعالى قال لهم موسى اي لاهل
الكيد والعناد وهم السحرة وغيرهم موسى
حين راى اجتماعهم ناصحا لهم ويلكم يا ايها الناس
الذي خلقكم الله تعالى لعبادته لا تفتروا اي
لا تتعمدوا على الله كذبا باشراك احد معه فيسحتكم
قال مقاتل فيهلككم وقال قتادة يستاصلكم
بعذاب من عنده وقرا حفص وحمزة والكسائي
بضم اليا وكسر الحا من الاسحات وهو لغة
نجد وتميم والباقون بفتحهما والسحت لغة
الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون
وانه افترى واحتال ليبقى عليه الملك فلم ينفعه
فتنازعوا اي تجاذب السحرة امرهم بينهم
لما سمعوا هذا الكلام على انهم انه لا يقدرون ان
يواجه فرعون بمثله في جميع جنوده واتباعه





ثم سلم منه الامن الله معه واسروا النجوى
قال الكلبي قالوا سرا ان غلبنا موسى اتبعناه
وقال محمد بن اسحاق لما قال لهم موسى لا
تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما
هذا بقول ساحر وبالغوا في اخفا ذلك فان النجوى
الاسرار لئلا يظهر فرعون واتباعه على ذلك فكانه
قيل ما قالوا حتى انتهى تنازعهم فقيل قالوا
اي السحرة ان هذين لساحران اي موسى
وهرون وقرا ابن كثير وحفص بسكون النون
من ان وشددها الباقون وقرا ابو عمرو باليا بعد
الذال والباقون بالالف على لغة من يجعل الالف
المثنى لازما في كل حال قال ابو حيان وهي لغة
لطوائف من العرب بني الحارث بن كعب وبعض
كنانة وخثعم وزبيد وبني النضر وبني الهجيم
ومراد وعذرة وقال شاعرهم
ان اباها وابا اباها بلغا في المجد غايتاها
وقيل تقدير الاية انه هذان فحذف الها وذهب
جماعة الى ان حرف ان هاهنا بمعنى نعم اي نعم
هذان وروي ان اعرابيا سال ابن الزبير شيا

مخرومه فقال لعن الله ناقة حملتني اليك قال ابن
الزبير ان صاحبها اي نعم وشدد ابن كثير النون
فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره
خوفا من غلبتهما وتثبيط الناس عن اتباع
موسى وهرون يريدان اي انما يقولان من دعوى
الرسالة وغيرها ان يخرجاكم ايها الناس من ارضكم
هذه التي الفتموها وهي وطنكم خلفا عن سلف بسحرهما
الذي اظهراه لكم وغيره ولما كان كل حزب بما لديهم
فرحون قالوا ويذهبا بطريقتكم المثلى مونث
الامثل وهو الافضل اي بمذهبكم الذي هو افضل
المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله تعالى
اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل اراد اهل
طريقتكم وهم بنو اسرايل فانهم كانوا ارباب
علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرايل
وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من
حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم اي من
السحر وغيره فلا تدعوا منه شيا الا جيتم به
وقرا ابو عمرو بهمزة الوصل بين الفا والجيم وفتح
الميم والباقون بهمزة مقطوعة وكسر الميم ثم ايتوا
اي



اي للقا موسى وهرون صفا اي مصطفين لانه
اهيب في صدور الرايين ساحرا وقد افلح اليوم
اختلفوا في عدد السحرة فقال الكلبي كانوا اثنين
وسبعين ساحرا اثنين من القبط وسبعون
من بني اسرايل وقال عكرمة كانوا تسع مائة ثلاث
مائة من الفرس وثلاث مائة من الروم وثلاث
مائة من الاسكندرية وقال وهب خمسة عشر الفا
وقال السدي بضعة وثلاثون الفا وقال القاسم
ابن سلام كانوا سبعين الفا وقيل اثني عشر الفا مع
كل منهم على كل قوم حبلا وعصى واقبلوا عليه
اقبالة واحدة وظاهر القران لا يدل على شي من هذه
الاقوال ولما كان التقدير فاتوا كذلك فقد استعلى
في هذا الجمع الذي ما اجتمع مثله قط من استعلى
اي فاز بالمطلوب من غلب فلما اتى السحرة موسى
قالوا له ماذكر لان لين القول مع الخصم ان لم ينفع لم
يضر قال بعضهم ذلك ان رزقهم الله تعالى الايمان
ببركته يا موسى اما ان تلقي ما معك مما اتنا ظرنا به
اولا واما ان نكون نحن اول من القى ما معه قال
لهم موسى عليه الصلاة والسلام مقابلا

لادبهم باحسن منه ولان فهم ان مرادهم الابتدا
ولتكون هو الاخر فيكون له العاقبة تسليط
معجزته على سحرهم فلا يكون بعدها شك الا
القي انا او لا بل القوا انتم او لا فانتهزت الفرصة لان
ذلك كان مرادهم بما فهموه من تغيير السياق
والتصريح بالاول في القوا ما معهم من الحبال والعصي
فاذا حبالهم وعصيهم اي التي القوها قد فاقوا
انه يخيل اليه تخييلا مبتدا من سحرهم الذين
فاقوا به اهل الارض انها لشدة اضطرابها
تسعى فان قيل كيف يجوز ان يقول موسي عليه
الصلاة والسلام بل القوا وفيا مرهم بما هو سحر
اجيب بان ذلك الامر كان مشروطا
والتقدير القوا ما انتم ملقون ان كنتم صادقين
اي ان كنتم محقين كما في قوله تعالى فاتوا
بسورة من مثله ان كنتم صادقين في القصة
اي انهم القوا الحبال والعصي اخذوا اعين
الناس فراي موسى كان الارض امتلات حيات
وكانت قد اخذت ميلا من كل جانب وراوا انها
تسعى وقيل لطخوها بالزيبق فلما وقعت

عليها



عليها الشمس اضطربت تخيل اليهم انها تتحرك وقرا
ابن ذكوان تخيل بالتا الفوقية على التانيث والباقون
بالياء على اسناده لضمير الحبال فاوجس اي
احس في نفسه خيفة موسى عليه الصلاة و
السلام فان قيل كيف استشعر وقد عرض المعجزات
الباهرات كالعصى واليد على ان الله تعالى قال
بعد ذلك انني معكما اسمع وارى فكيف وقع
الخوف في قلبه اجيب باوجه احدها
انه خاف من جهة ان سحرهم من جنس معجزاته
ان يلتبس امره على الناس فلا يومنوا به الثاني
انه خوف طبع البشرية مثلما خاف من عصاه
اول ما راها كذلك الثالث لعله كان مامورا
ان لا يفعل شيئا الا بالوحي فلما تاخر الوحي عليه في ذلك
الوقت خاف ان لا ينزل عليه الوحي في ذلك
الجمع فيبقى الخجل ثم انه زال ذلك الخوف بقوله تعالى
قلنا لا تخف من شي من امرهم ولا غيرهم ثم علل
ذلك بقوله تعالى واكده انواعا من التاكيد
لاقتضا الحال الانكار ان يغلب احد ما اظهروا
من سحرهم لفظه انك انت خاصة الاعلى

اي على الغالب عليه ظاهر لا شبهة فيها والق
ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي
لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العود
الذي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة
هذه الاجرام وعظمها فان ما في يمينك اعظم
منها اي العصى وهي التي قلنا لك اولا ما شرفناك
بالمناجاة وما تلك بيمينك يا موسى ثم اريناك
منها ما اريناك تلقف اي تبلع بقوة واجتهاد
مع سرعة لا تكاد ترى ما صنعوا اي عملوا
بعد تدرب كثير وممارسة طويلة فلما القاها
صارت اعظم حية من حياتهم ثم اخذت تزداد
عظما حتى ملأت الوادي ثم صعدت حتى
علقت ذنبها بطرف الثنية ثم هبطت واكلت
كلما عملوه في الميلين والناس ينظرون لا يحسبونه
الا انه سحر ثم انقلبت نحو فرعون لتبتلعه
فاتحة فاها ثمانين ذراعا فصاح بموسى
فاخذها فاذا هي عصا كما كانت ونظر السحرة
فاذا هي لم تكن من حبالهم وعصيهم الا اكلته و
عرفوا انه ليس سحرا واصل تلقف تتلقف
حذفت



حذفت احدى التائين وتاء مبتدأ المضارع تحتمل
التانيث على اسناد الفعل الى السبب وقرا ابن
عامر وذكوان برفع التاء على انه من لقفته بمعنى
تلقفته انما اي الذي صنعوا اي زوروا وافتعلوا
وهالك اسم كيد ساحر اي كيد سحر لا حقيقة له
ولا اثبات وقرا حمزة والكسائي بكسر السين
وسكون الحاء بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر
سحرا على المبالغة وباضافة الكيد الى السحر
الى البيان كقولهم علم فقه والباقون بفتح السين
وكسر الحاء والف بينهما فان قيل لم وحد الساحر
ولم يجمع اجيب بان القصد في هذا الكلام
معنى الجنسية لا معنى العدد فلو جمع خيل
ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله تعالى ولا
يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي كيف
ما سار وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال
فانه انما يفعل ما لا حقيقة له فان قيل لم نكر اولا
ثم عرف ثانيا اجيب بانه قال هذا الذي تواه
قسم واحد من اقسام السحر لا فائدة فيه ول

ولاشك ان الكلام على هذا الوجه ابلغ ثم انه امتثل
ما امر به ربه من القا العصي فكان ما وعده
به سبحنه وتعالى من تلقفها لما صنعوا من
غير ان يظهر عليها زيادة في ثخن ولا عرض مع ان
حبالهم وعصيهم كانت اشيا كثيرة فعلم كل من راى
ذلك حقيقته وبطلان ما فعلوا السحرة فبادر
السحرة منهم الى الخضوع لامر الله ساجدين
مبادرة من كانه القاه ملق على وجهه ولذلك
قال الله تعالى بعد ان ذكر سكرهم واجتهادهم
في معارضة موسى عليه الصلاة والسلام
وحذف ذكر الالقاء وما سببه من التلقف
لان مقصود السورة القدرة على تليين
القلوب القاسية فالقي السحرة فالقاهم
ما راوا من امر الله تعالى بغاية السرعة
وبايسر امر سجدا على وجوههم لله تعالى
قربة عما صنعوا رغبا لفرعون بسجودهم
وتعظيما لما راوا وذلك لانهم كانوا في الطبقة
العليا من علم السحرة فلما راوا فعل موسى
عليه الصلاة والسلام خارجا عن صناعتهم

عرفوا

---

عملوا انه ليس من السحر البتة ويقال قال
رئيسهم كنا نغلب الناس بالسحر وكانت الالات
تبقى علينا فلو كان هذا سحر فاين الذي القيناه
فاستدلوا بتغيير احوال الاجسام على الصانع
القادر وبظهورها على يد موسى على كونه رسولا
صادقا من عند الله لاجرم تابوا وامنوا
واتوا بما هو النهاية في الخضوع وهو السجود
قال الاصبهاني سبحان الله ما اعظم شانهم
القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا
روسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم
الفرق بين الالقائين فكان قايلا قال هذا فعلهم
فماذا قالوا فقيل قالوا امنا برب هرون وموسى
ولم يقولوا امنا برب العالمين لان فرعون ادعى
الربوبية في قوله انا ربكم الاعلى والالهية في
قوله ما علمت لكم من اله غيري فلو انهم قالوا ذلك
لكان فرعون يقول انهم امنوا بي لا بغيري
فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة
والدليل على ذلك انهم لم يقتصروا على موسى
بل قدموا هرون لان فرعون ربا موسى

في صغره وذكر هارون الاستتباع وقيل قدموه
لكبر سنه اولروي للاية فسبحان الله ما اعظم
امرهم كانوا اول النهار سحرة يقرون لفرعون
بالربوبية واخره شهدا بررة روي انهم لم
يرفعوا روسهم حتى راوا الجنة والنار وثواب
اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله
تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون
اليها في الجنة فكان قيل ما قال لهم فرعون حينئذ
فقيل قال لهم امنتم اي بالله له مصدقين
ومتعبدين قبل ان اذن لكم في ذلك قالوا ايهاما
بانه سياذن فيه ليقف الناس عن المبادرة
الى الاتباع بين خوف العقوبة ورجا الاذن
ثم استانف قوله معلما بخيلة لاتباعه صدا
لهم عن الاقتدا بالسحرة انه اي موسى لكبيركم
اي معلمكم الذي علمكم السحر اي فلم تتبعوه
لظهور الحق بل لاراد بكم شيا من المكر وافقتموه
عليه قبل حضوركم في هذا المواطن وهذا عادته
في تخييل اتباعه بما يوافقهم عن اتباع الحق ولما
خيلهم شرع يريد خبرة لبتهديد السحرة

فقال



فقال مقسما فلاقطعن اي بسبب ما فعلتم ايديكم
على سبيل التوزيع وارجلكم اي من كل يدا ورجله
وقوله تعالى من خلاف اي حال يعني حال مختلفة
اي الايد اليمنى والارجل اليسرى ولاصلبنكم وعبر
عن الاستعلا بالظرف اشارة الى تمكينهم في المصلوب
فيه تمكين الظروف في ظرفه فقال في جذوع النخل
تشنيعا لقتلكم وردعا لامثالكم ولتعلمن اينا يريد
نفسه لعنه الله وموسى عليه الصلاة والسلام
بدليل قوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب
الله كقوله يومن بالله ويومن للمومنين وفيه
تبجح باقداره وقهره وما الفه وضرى به من
تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى
عليه الصلاة والسلام واستضعاف له مع
الهزية لان موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن
قط من التعذيب في شي وقيل يريد رب موسى
الذي امنوا به اشد عذابا وابقى اي ادوم على
مخالفته فان قيل ان فرعون مع قرب عهده
بمشاهدة العصا حية وقصدها له والالتجا
انا استغاث بموسى من شرها وعجزه عن دفعها

كيف يعقل تهديد السحرة ويبالغ في وعيدهم
الي هذا الحد ويستهزي بموسي في قوله اينا
اشد عذابا وابقي اجيب بانه كان في
اشد الخوف في قلبه الا انه يظهر الجلادة والوقاحة
تمشينا لناموسه فترويجا للامر قال الرازي
ومن استقرا احوال العالم علم ان الفاجر
قد يفعل امثال هذه الاشيا ومما يدل علي
معاندته قوله تعالي لكبيركم الذي علمكم السحر
لانه كان يعلم ان موسي ما خالطهم البتة
وما لقيهم وكان يعلم من سحرته استاذ كل
واحد من هو وكيف تحصيل ذلك العلم ثم انه
كان يقول مع ذلك هذه الاشيا ثم قيل
فما قالوا له فقيل قالوا لن نؤثرك اي نختارك
علي ما جانا علي لسان موسي من البينات التي
عايناها وعلمنا انه لا يقدر احد علي مثلها
ولما بدوا بما يدل علي الخالق من الفعل سوافق
الي ذكره بعد معرفته بفعله اشارة الي علو
قدره فقالوا والذي اي ولا نؤثرك بالاتباع
علي الذي فطرنا اي ابتدا خلقنا اشارة





الي شمول ربوبية الله تعالي لهم ولجميع الناس
وتنبيها علي عجز فرعون عند من استخفه في جميع
اقواله هذه من تعظيم الله تعالي عباده وايثاره
وتحقير فرعون امر عظيم تنبيه قد علم مما
تقرر ان الذي معطوف علي ما وانما اخروا
ذكر الباري تعالي لانه من باب الترقي من الادني
الي الاعلي وقيل الواو قسم والموصول مقسم
وجواب القسم محذوف اي وحق الذي فطرنا
لا نؤثرك علي الحق ولما تسبب عن ذلك انهم
لا يبالون به وعلموا انما يفعله بهم هو باذن
الله تعالي قالوا له فاقض اي فاصنع في حكمك
الذي تمضيه ما انت قاض اي فاقض الذي
انت قاضيه ثم عللوا ذلك بقولهم انما تقضي اي
تصنع بنا ما تريد ان قدرك الله تعالي عليه
هذه الحياة الدنيا النصب علي الاتساع انما حكمك
فيها علي الجسد خاصة فهي ساعة تعقبها
واخرة ونحن لا نخاف الا ممن يملك الارواح وان
فني الجسد فذاك هو العذاب الشديد الدايم
ثم عللوا التعظيم لله والاستهانة بفرعون

بقولهم انا امنا بربنا اي المحسن الينا طول اعمارنا مع
اساتنا بالكفر وغيره ليغفر لنا من غير نفع يلحقه
بالفعل او ضرر يدركه بالترك خطايانا التي قابلنا
بها احسانه ثم خصوا بعد العموم فقالوا وما اكرهتنا
عليه وبينوا ذلك بقولهم من السحر لتعارض المعجزة
فانه كان اكمل بنا عصيانك فيه لان الله تعالى
احق بان يتقى فان قيل كيف قالوا ذلك وقد
جاوا مختارين يحلفون بعزة فرعون ان لهم
الغلبة اجيب بانه قد روي ان روسا
السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط
والباقون من بني اسرايل اكرههم فرعون على
تعلم السحر وروي انهم راوا موسى عليه
الصلاة والسلام نايما وعصاه تحرسه
فقالوا لفرعون ان الساحر اذا نام بطل سحره
فهذا لا نقدر على معارضته فابى عليهم
واكرههم على المعارضة وقيل ان الملوك في ذلك
الزمان كانوا ياخذون البعض من رعيتهم
ويكلفونه تعلم السحر فاذا شاخ بعثوا اليه
احداثا ليعلمهم في كل وقت من يحسنه ولما
كان

كان التقدير قربنا اهل التقوى واهل المغفرة معطوفا
عليه مستحضرين لكماله والله اي الجامع لصفات
الكمال خير جزاء منك فيما وعدتنا به وابقى ثوابا
وعقابا قال ابو حيان والظاهر ان الله تعالى سلمهم
من فرعون ويويده قوله تعالى ومن اتبعكما الغالبون
وقال الرازي ليس في القران ان فرعون فعل
باوليك القوم المومنين ما اوعدهم ولم يثبت في
الاخبار وقال البقاعي سياتي في اخر الحديد
ما هو صريح في نجاتهم ثم عللوا هذا الحكم بقولهم انه
اي الامر والشان من يات ربه اي الذي رباه
واحسن اليه بان اوجده وجعل له جميع ما يصلحه
مجرما اي يموت على كفره فان له جهنم دار
الاهانة لا يموت فيها فيستريح من عذابها بخلاف
عذابك فان اخره الموت وان طال ولا يحيا فيها
حياة مهناة وبها يندفع ما قيل ان الجسم الحي لا بد ان
يبقى اما حيا او ميتا فخلوه عن الوصفين محال
وقال بعضهم ان لنا حالة ثالثة وهي كحالة المذبوح
قبل ان يهدى فلا هو حي لانه قبل ذبح ذبحا لا يبقى
الحياة معه ولا هو ميت لان الروح لم تفارقه

بعد فهي حالة ثالثة ومن ياته اي ربه الذي اوجده
ورباه مومنا اي مصدقا به قد ضم الى التصديق
الايمان انه عمل اي في الدنيا الصالحات اي التي امر
بها فكان صادق الايمان مستلزما لصالح الاعمال
فاولئك اي العالوا الرتبة لهم الدرجات العلى
جمع عليا موثث اعلا التي لا نسبة لدرجاتك
التي وعدتنا اليها ثم بينوها بقولهم جنات عدن
اي اعدت للاقامة وهيئت فيها اسبابها تجري من
تحتها الانهار اي من تحت غرفها واسرتها وارضها
فلا يوجد موضع منها لا يجري فيه نهرا لا جرى وقولهم
خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او
الاستقرار وذلك جزا كل من تزكى اي تطهر من
ادناس الكفر تنبيه هذه الايات الثلاث وهي
من قوله تعالى انه من يات ربه مجرما الى هنا
يحتمل ان يكون من كلام السحرة كما تقرر وان تكون
ابتدا كلام الله تعالى وقوله تعالى ولقد اوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي عطف على قوله ولقد
اريناه اياتنا كلها وفيه دليل على ان موسى
عليه الصلاة والسلام كثر مستجيبوه فاراد .

تعالى



تعالى تميزهم من طبقة فرعون وخلاصهم فاوحى
الله تعالى اليه ان يسري بهم ليلا ليشاهدهم
العدو فيمنعهم من مرادهم او ليكون ذلك عايقا
لفرعون عن طلبه وتتبعه او ليكون اذا تقارب
العسكران لا يرى عسكر موسى عليه الصلاة
والسلام عسكر فرعون لعنه الله فلا يهابوهم
وقرا نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة الوصل
بعدها من سرى والباقون بسكون النون
وهمزة قطع بعدها من اسرى اخاتان
اي اسر ببني اسرايل من ارض مصر التي لبثت
فيها قلب فرعون لهم حتى اذن لهم في مسيرهم
بعد ان كان قد ابى ان يطلقهم او يكف عنهم
العذاب فاقصد بهم ناحية بحر القلزم فاضرب
اي اجعل لهم بالضرب بعصاك طريقا في
البحر والمراد بالطريق الجنس فان كان لكل سبط
طريق وقوله يبسا صفة لطريقا وصف به لما
يوول اليه لانه لم يكن يبسا بعد انما مرت عليه
الصبا فجففته كما روي وقيل في الاصل مصدر
وصف به مبالغة وقيل جمع يابس كخادم

وقدم وصف به الواحد مبالغة فلما امتثل ما
امر به وايبس الله تعالى له الارض والمرور
بها قال الله تعالى له **لا تخاف دركا** اي يدركك
فرعون **ولا تخشى** غرقا وقرا حمزة بجزم الفا
ولا الف بينهما وبين الخا على ان يكون نهيا
مستانفا والباقون برفع الفا والف بينهما
وبين الخا على انه مستانف فلا محل له من
الاعراب او انه في محل نصب على الحال من فاعل
اضرب غير خايف **فاتبعهم فرعون بجنوده** اي
وهو معهم على كثرتهم وعلوهم وقوتهم وفرحهم
فكانوا كالتابع الذي لا معنى له بدون
متبوعه والمتبوع بنوا اسرايل وذلك ان
موسى عليه الصلاة والسلام خرج بهم اول
الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم ومعنى
فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف
المفعول الثاني وقيل البا زايدة **فغشيهم** اي
فرعون وقومه **من اليم** اي البحر **ما غشيهم** اي امر
لا يحتمل العقول وصفه فاهلكهم وقطع دابرهم
ولم يبق منهم احد وماشك احد من عبادنا

المومنين



المومنين شوكة **واضل فرعون قومه** اي بدعايهم
الى عبادته **وما هدى** اي ارشدهم وهذا تكذيب
لفرعون فيما تحكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل
الرشاد تنبيه لا باس بذكر شي من هذه القصة
فنقول قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما
امر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام ان
يقطع لقومه البحر وكان بنوا اسرايل استعاروا
من قوم فرعون الحلي والدواب لعيد يخرجون
اليه فخرجوا ليلا وكان يوسف عليه الصلاة
والسلام عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه
معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز
على موضع العظم فاخذوه وقال موسى
عليه الصلاة والسلام للعجوز احتكمي اي انظري
لك شيا اطلبيه فقالت اكون معك في الجنة
فلما خرجوا اتبعهم فرعون على مقدمته الف الف
وخمسماية الف سوى الجنبتين والقلب فلما
انتهى موسى عليه الصلاة والسلام الى البحر
قال هنا امرت فاوحى الله تعالى اليه ان
اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم

موسى عليه الصلاة والسلام ادخلوا فيه فقالوا
كيف وهي رطبة فدعا ربه فهبت عليها الصبا
فجفت فقالوا نخاف الغرق في بعضها فجعل بينهم
كوى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا
البحر واقبل فرعون الى تلك الطرق فقالوا له قومه
ان موسى قد سحر البحر كما ترى وكان على حصان
فاقبل جبريل عليه السلام على فرس انثى في
ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل
بين يدي فرعون فابصر الحصان الفرس فاقتحم
بفرعون على اثرها فصاحت الملائكة بالناس
الحقوا حتى اذا لحق اخرهم وكادا ولهم ان يخرج
التقى البحر عليهم فغرقوا جميعا فرجع بنو اسرائيل
حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى ادع الله
ان يخرجهم لنا ننظر اليهم فلفظهم البحر الى
الساحل واصابوا من سلاحهم وذكر ابن
عباس ان جبريل قال يا محمد لو رايتني وانا
ادس فرعون في الما والطين مخافة ان يتوب
فهذا معنى قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم
ولما انعم الله تعالى على قوم موسى عليه
الصلاة



الصلاة والسلام بانواع النعم ذكر اولادهم تلك
النعمة فناداهم بقوله تعالى يا بني اسرائيل والمنا دك
من وجد من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم وخوطبوا بما انعم به على اجدادهم زمن
موسى عليه الصلاة والسلام ولا شك ان ازالة
الضرر يجب تقديمه على ايصال المنفعة الدينية
اعظم من ايصال المنفعة الدنيوية فلهذا بدا
الله تعالى بازالة الضرر بقوله قد انجيناكم من
عدوكم فان فرعون كان ينزل بهم من انواع الظلم
كثيرا من القتل والاذلال والاخراج والاعمال الشاقة
ثم ثنى بذكر المنفعة الدنيوية بقوله تعالى ووعد ناكم
جانب الطور الايمن اي الذي على ايمانكم في توجهكم
هذا الذي وجوهكم فيه الى بيت ابيكم ابرهيم
عليه الصلاة والسلام وهو جانبه الذي
جهة البحر وناحية مكة واليمن ووجه المنفعة
فيه انه انزل في ذلك القرب عليهم كتابا فيه
بيان دينهم وشرع شريعتهم ثم ثلث بذكر
المنفعة الدينية بقوله تعالى ونزلنا عليكم بعد
انزال هذا الكتاب من هذه المواعدة لانفاس

ار واحكم المن اي الترنجبين والسلوى اي الطير السماني
بتخفيف الميم والقصر وقوله تعالى كلوا من
طيبات ما رزقناكم امر باباحة ان فسر الطيب
باللذيذ لان المن والسلوى من لذائذ الاطعمة
وان فسر بالحلال لان الله تعالى انزل اليهم ولم
تمسه يد الادميين فهو امر ايجاب وقرا حمزة
والكساي قد انجيتكم ووعدتكم بتا وعدنا
وبعد القاف من رزقتكم ولا الف في الثلاثة
والباقون بالنون والف بعدها في الثلاثة
واسقط ابو عمرو الالف قبل العين من
وعدنا واثبتها الباقون ثم زجرهم عن العصيان
بقوله ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم بالاخلال
بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه من
السرف والبطر والمنع عن المستحقين وقرا
الكساي فيحل بضم الحاء اي ينزل والباقون
بكسرها اي يجب عليكم غضبي اي عقوبتي ومن
يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك
وقيل شقي وقيل وقع في الهاوية وقرا
الكساي



الكساي بضم اللام الاولى وكسرها الباقون ولما
كان الانسان محل الذلل وان اجتهد رجاه
واستعطفه بقوله تعالى واني لغفار اي ستار
باسبال ذيل العفو لمن تاب اي رجع عن ذنبه
من الشرك وما يقاربه وامن بكل ما يجب الايمان
به وعمل صالحا تصديقا لايمانه ثم اهتدى باستمراره
على ذلك الى موته فائدة اعلم انه تعالى وصف
نفسه بكونه غافرا وغفورا وغفارا وبان له
غفرانا ومغفرة وعبر عنه بلفظ الماضي و
المستقبل والامر اما وصف كونه غافرا فقوله
تعالى غافر الذنب واما كونه غفورا فقوله تعالى
وربك الغفور واما كونه غفارا فقوله تعالى
واني لغفار لمن تاب وامن واما الغفران فقوله
تعالى غفرانك ربنا واما المغفرة فقوله تعالى
وان ربك لذو مغفرة للناس واما صيغة
المستقبل فقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء وقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا
وقوله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر.

واما لفظ الاستغفار فقوله استغفروا ربكم و
يستغفرون لمن في الارض ويستغفرون للذين
امنوا وها هنا نكتة لطيفة وهي ان للعبد اسما
ثلاثة الظالم والظلوم والظلام اذا كثر منه
الظلم ولله تعالى في مقابلة كل واحد من هذه
الاسما اسم فكانه تعالى قال ان كنت ظالما فانا
غافر وان كنت ظلوما فانا غفورا وان كنت
ظلاما فانا غفارا فيجب على كل من ارتكب
معصية كبيرة او صغيرة ان يتوب منها لهذه
الاية ودلت على العمل الصالح الذي هو داخل
في الايمان لانه تعالى عطف العمل الصالح على
الايمان والمعطوف يغاير المعطوف عليه
ولما امر الله تعالى موسى عليه الصلاة و
السلام بحضور الميقات مع قوم مخصوصين
قال المفسرون هم السبعون اختارهم الله
تعالى من جملة بني اسرايل يذهبون معه
الى الطور لياخذ والتورية فسار بهم موسى
عليه الصلاة والسلام ثم عجل موسى من
بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين
وامرهم



وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال تعالى له وما
اعجلك عن قومك لمجيء ميعاد لاخذ التورية
يا موسى قال مجيبا لربه تعالى هم اولاء اي بالقرب
مني اي يلحقوني على اثر مشيتي قبل ان ينطمس
ما تقدم الى الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة
وليس بيني وبينكم الا مسافة قريبة يتقدم
بها الرفقة بعضهم على بعض وعجلت اليك
رب لترضى اي لتزداد عني رضى فان المسارعة
الى امتثال امرك والوفا بعهدك يوجب
مرضاتك تنبيه في الاية سوالات الاول
قوله تعالى وما اعجلك استفهام وهو على الله
تعالى محال اجيب عنه بانه كان في صيغة
الاستفهام ولا مانع منه الثاني ان موسى
عليه الصلاة والسلام لا يخلو اما ان يكون
ممنوعا من ذلك التقدم او لم يكن فان كان
الاول كان التقدم معصية وان لم يكن فلا
انكار اجيب عنه بانه عليه الصلاة والسلام
لعله ما وجد نصا في ذلك فاجتهد فاخطا في
اجتهاده فاستوجب العتاب الثالث

قوله وعجلت والعجلة مذمومة اجيب عنه
بانها ممدوحة في الدين قال تعالى وسارعوا الى
مغفرة من ربكم الرابع قوله لترضى يدل على انه
انما فعل ذلك ليحصل الرضى واذا لم يكن راضيا
عنه وجب ان يكون ساخطا عليه وذلك لا
يليق بحال الانبيا اجيب عنه بان المراد
تحصيل دوام الرضا او زيادته الخامس
قوله اليك يقتضي كون الله تعالى في جهة
لان الى لانتها الغاية واجيب عنه بان
اتفقنا على ان الله تعالى لم يكن في الجبل فالمراد
مكان وعدك السادس قوله تعالى وما
اعجلك عن قومك سوال عن سبب العجلة فكان
جوابه اللايق ان يقول طلبت زيادة رضاك
والتشوق الى كلامك فاما قوله هم اولاء على
اثري فغير منطبق عليه كما ترى اجيب عنه
بان سوال الله تعالى يتضمن شيين احدهما
انكار نفس العجلة الثاني السوال عن
سبب التقدم فاجاب من السوال
عن العجلة لانها اهم فقال وعجلت اليك رب.

لترضى



لترضى **قال** تعالى **فانا** اي تسبب عن عجلتك
عنهم انا **قد فتنا** اي ابتلينا **قومك من بعدك**
اي بعد فراقك لهم بعبادة العجل وهم الذين
خلفهم مع هرون وكانوا ستماية الف وما
نجا من عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا **واضلهم**
**السامري** باتخاذ العجل والدعا الى عبادته فاطاعه
بعضهم وامتنع بعضهم والسامري منسوب
الى قبيلة من بني اسرايل يقال لهم السامرة
وقيل كان علجا من اهل كرمان وقع الى مصر
وقيل كان من قوم يعبدون البقر جيران
لبني اسرايل ولم يكن منهم واسمه موسى ابن
ظفر وكان منافقا **فرجع موسى** لما اخبره
ربه بذلك **الى قومه** بعدما استوفى الاربعين
ذا القعدة وعشر ليال من ذي الحجة واخذ
التورية **غضبان** عليهم **اسفا** اي حزينا بما
فعلوا **قال** اي لقومه لما رجع اليهم مستعطفا
لهم **يا قوم** وانكر عليهم بقوله **الم يعدكم ربكم** اي
الذي احسن اليكم **وعدا حسنا** اي بانه ينزل
عليكم كتابا حافظا ويكف عنكم خطاياكم وينصركم

وينصركم على اعدايكم والى غير ذلك من كرامه ولما
جرت العاده بان طول الزمان ناقض للعزايم
مغير للعهود كما قال ابو العلا احمد بن سليمن
المعري لا ينسينك ان طال الزمان بنا وكم حبيب
تمادى عهده فنسي قال لهم **افطال عليكم العهد**
اي زمن لطف الله تعالى فتغيرتم عن ما فارقتكم
عليه كما تغير اهل الرذايل والاختلال في العزايم
لضعف العقول وقلة التدبير **ام اردتم** اي
بالنقض عن قرب العهد وذكر الميثاق **ان يحل**
اي يجب **عليكم** بسبب عبادتكم العجل **غضب**
**من ربكم** اي المحيق اليكم اي وكلا الامرين لم يكن
اما الاول فواضح واما الثاني فلا يظن باحد
ارادته والحاصل انه يقول فعلتم ما لا يفعله
عاقل **فاخلفتم** اي فتسبب عن فعلكم ذلك
انكم اخلفتم **موعدي** اي وعدكم اياي بالثبات
على الايمان بالله والقيام على ما امركم به ولما
تشوق السامع الى جوابهم استانف ذكره فقال
**قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا** اي بان ملكنا
امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري

لما



لما اخلفناه واختلف في هذا المجيب على وجهين
الاول هم الذين لم يعبدوا العجل فكانهم قالوا ما
قرينه الى نفسه كقوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر
واذ قتلتم نفسا وان كان الفا كذلك اباوهم
لاهم فكانوا قالوا الشبهة قويت على عبدة
العجل فلم نقدر على منعهم عنه ولم نقدر
ايضا على مفارقتهم لانا خفنا ان يصير ذلك
سببا لوقوع النفرة وزيادة الفتنة الثاني
ان هذا قول عبدة العجل والمراد غيرنا اوقع
الشبهة في قلوبنا وفاعل السبب فاعل المسبب
فخلف الموعد هو الذي اوقع الشبهة فانه كان
كالمالك لنا فان قيل كان رجوع قريب عن
ستمائة الف انسان من العقلا المكلفين عن
الدين الحق دفعة واحدة الى عبادة العجل
يعرف فسادها بالضرورة اجيب بان
هذا غير ممتنع في حق البلد من الناس وقرا
عاصم ونافع بفتح الميم وحمزة والكسائي بضمها
والباقون بكسرها وثلاثتها في الاصل لغتان
في مصدر ملكت الشي ثم ان القوم فسروا

الضرر الحاصل لهم على ذلك الفعل فقالوا **ولكنا حملنا**
قرا نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحا
وكسر الميم مشددة والباقون بفتح الحا والميم
مخففة **اوزارا** اي اثقالا **من زينة القوم**
اي حلي قوم فرعون استعارها منهم بنوا
اسرايل بسبب عرس وقيل استعاروها لعيد
كان لهم ثم لم يردوها عند الخروج مخافة ان
يعلموا بهم وقيل هي ما القاه البحر على الساحل
بعد اغراقهم فاخذوا قال البيضاوي ولعلهم
سموها اوزارا لانها اثام فان الغنايم لم تكن تحل
الا بعد او لانهم كانوا مستعلنين مستامنين
وليس للمستامن ان ياخذ من مال الحربي **فقذفناها**
اي في النار **فكذلك القى السامري** اي ما كان معه
اما من المال او من اثر الرسول روي ان موسى
لما وعده ربه ان يكلمه استخلف على قومه
اخاه هرون واجلهم ثلاثون يوما وذهب
فصامها ليلها ونهارها ثم ذكره ان يكلمه ربه
او ما علمت ان ريح فم الصايم اطيب من ريح
المسك ارجع وصم عشرا وقيل انهم اقاموا
بعد



بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين
بايامها وقالوا قد كملت العدة فلما راى قوم
موسى انه لم يرجع اليهم ساءهم ذلك وكان هرون
قد خطبهم وقال انكم خرجتم من مصر ولقوم
فرعون عندكم عواري فاحفروا حفرة والقوها
فيها ثم اوقدوا عليها نارا فلا يكون لنا ولا لهم
وكان السامري قد راى اثرا فقبض منه قبضة
فمر بهارون فقال له يا سامري الا تلقي ما في يدك
فقال هذه قبضة من اثر الرسول الذي جاوز بكم
البحر ولا القيها على شي الا ان يدعوا الله تعالى
اذا القيتها ان يكون ما اريد فالقاها ودعا
هرون فقال اريد ان يكون عجلا فاجتمع ما
في الحفرة وصار عجلا فهذا معنى قوله **فاخرج**
**لهم عجلا جسدا** اي من تلك الحلي المذاب لا جوف فيه
روح **له خوار** اي صوت يسمع قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما لا والله ما كان له صوت
قط وانما كان الريح يدخل في دبره ويخرج من فيه
**فقالوا** اي السامري ومن افتتن به اول ما راه
مسترشدين الى العجل **هذا الهكم واله موسى فنسي**

اي فتنبه موسى وذهب يطلبه عند الطور وفتنى
السامري اي بما ترك ما كان عليه من الايمان افلا
يرون اي قالوا ذلك فتسبب عن عملهم قولهم عن
رويته ان اي انه لا يرجع اليهم قولا ولا ادله لا يكون
ابكم ولا يملك لهم ضرا فتخافوه كما كانوا يخافون
من فرعون فيقولون ذلك خوفا من ضرره ولا
نفعا فيقولون ذلك رجا له ولقد قال لهم هرون
من قبل اي قبل رجوع موسى عليه الصلاة
والسلام مستعطفا لهم يا قوم انما فتنتم اي وقع
اختباركم ما اختبرتم في صحة ايمانكم وصدقكم فيه
وثباتكم عليه به اي بهذا العجل في اخراجه لكم على هذه
الهيئة الخارقة للعادة واكد لاجل انكارهم
فقال تعالى وان ربكم اي الذي اخرجكم من العدم
ورباكم بالاحسان الرحمن وحده الذي فضله عام
ونعمه شامله فليس على بر ولا فاجر نعمة الا وهي منه
قبل ان يوجد العجل وهو كذلك بعده ومن رحمته
قبول التوبة فخافوا نزع نعمه بمعصيته فارجعوا
اسبلغها بطاعته فاتبعوني بغاية جهدكم
في الرجوع اليه واطيعوا امري اي في الثبات على
الدين

الدين قالوا لن نبرح عليه اي العجل عاكفين مقيمين
حتى يرجع الينا موسى فدافعهم فهموا به وكان فدافعهم
معظمهم قد ضل فلم يكن معه من يتقوى به فخاف ان
يجاهد بهم الكافرين فلا يفيد ذلك شيئا مع ان موسى لم
يامره بجهاد من ضل وانما قال له واصلح ولا تتبع
سبيل المفسدين فراى من الاصلاح اعتزالهم الى ان
ياتي لتنبيه انما قال هرون ذلك شفقة على
نفسه وعلى الخلق اما شفقته على نفسه فلانه
كان مامورا من عند الله بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وكان مامورا من عند اخيه بقوله اخلفني
في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلو لم
يشتغل بالمعروف والنهي عن المنكر لكان مخالفا
لامر الله تعالى ولامر موسى وذلك لا يجوز اوحي
الله الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك
اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم
فقال يا رب هولاء الاشرار فما بال الاخيار قال
انهم لم يغضبوا لغضبي وقال انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه
غير الله فليس من الله في شيء ومن اصبح

لا يهتم بالمسلمين فليس منهم وعن النعمان بن بشير
عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المومنين
في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا
اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد وعن
عبد الله بن ابي اوفى قال خرجت آذ بينا النبي صلى
الله عليه وسلم فاذا ابو بكر وعمر غدوة فجا
صغير يبكي فقال لعمر ضم الصبي اليك فانه ضال
فاخذه عمر فاذا ام الصبي تولول كاشفة
عن راسها جزعا عن ابنها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ادرك المراة فناداها فجات واخذت ولدها
وجعلت تبكي والصبي في حجرها فالتفتت فرات
النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اترون
هذه رحيمة بولدها قالوا يا رسول الله كفى
بهذه رحمة فقال والذي نفسي بيده ان الله
ارحم بالمومنين من هذه بولدها ولقد
سلك هرون في موعظته احسن الوجوه لانه
زجرهم عن الباطل اولا بقوله وان ربكم الرحمن ثم
دعاهم ثانيا الى النبوة بقوله فاتبعوني

ثم



ثم دعاهم رابعا بقوله فاتبعوني واطيعوا امري وهذا
هو الترتيب الجيد لانه لا بد قبل كل شي من اماطة
الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة الله
تعالى فانها في الاصل ثم النبوة ثم الشريعة فبان
هذا الترتيب احسن الوجوه ولما ذكر ما قال هرون
تشوقت النفس الى علم ما قال له موسى فقيل قال يا
هرون انت نبي الله واخي ووزيري وخليفتي فانت اولى
الناس بان اوامره واحقهم بان اعاتبه ما منعك اذ
اي حين رايتهم ضلوا عن طريق الهدى فاتبعوا سبيل
الردى ان لا تتبعني في سيرتي من الاخذ على يد الظالم
طوعا او كرها تنبيه لا مزيدة للتاكيد لان النافي
اذا زيد في كلام كان نافيا لضد مضمونه فيفيد
اثباتا للمضمون ونفيا لضده فيكون ذلك في غاية
التاكيد واثبت اليا بعد النون ابن كثير وقفا ووصلا
واثبتها ابو عمرو وصلا لا وقفا وحذفها الباقون
وصلا ووقفا افعصيت اي فتكبرت عن اتباعي فتسبب
عن ذلك انك عصيت امري واخذ بلحيته وبراسه
يجره اليه غضبا بالله تعالى فكانه قيل ما قال له
فقيل قال مجيبا له مستعطفا بذكر اول وطن ضمهما

بعد نفخ الروح مع ماله من الرقة والشفقة يا ابن
ام تذكرة بها خاصة وان كان شقيقه لانها
يسوءها ما يسوءه وهي ارق من الاب وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو وحفص بفتح الميم وكسرها ابن
عامر وشعبة وحمزة والكسائي لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي اي لا بشعرهما ثم علل ذلك بقوله اني خشيت
ان تقول اذا اشتدت عليهم حتى يصل الامر الى القتال
فرقت بين بني اسرائيل بفعلك هذا الذي لم يجد
شيئا لقلة من كان معك وضعفكم عن ردهم ولم
ترقب قولي اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل
المفسدين فلم يقل واردد ولو ادى الامر الى السيف
ولما فرغ من نصيحة اقرب الناس اليه واحقهم
بنصيحته وحفظ على الهدى لذا كان راس
الهداة تشوف المسامع الى ما كان من غيره
فاستانف تعالى ذكره بقوله قال اي موسى
عليه الصلاة والسلام لراس اهل الضلالة
معرضا عن اخيه بعد قبول عذره على وجه ما نسب
اليه سببا لسؤال عن الحامل له عليه فما خطبك
اي امرك هذا العجب العظيم الذي حملك على ما صنعت
واخبرني بما انك اضللتهم به يا سامري قال

السامري له



السامري مجيبا لسؤاله بصرت من البصر والبصيرة بما لم
يبصروا به اي رايت ما لم يره بنو اسرائيل وعرفت ما لم
يعرفوا وقال ابن عباس علمت ما لم يعلموا ومنه
قولهم رجل بصير اي عالم قاله ابو عبيدة واراد انه
راى جبريل عليه السلام فاخذ من موضع حافر
دابته قبضة من تراب كما قال فقبضت اي فكان
ذلك سببا ان قبضت قبضة اي مرة من القبض
اطلقها على المقبوض تشبيها للمفعول بالمصدر من
اثر فرس ذلك الرسول اي المعهود فنبذتها
في الحلي الملقى في النار او في العجل وكذلك اي وكما
سولت لي نفسي اخذ اثره سولت اي حسنت وزينت
لي نفسي نبذها في الحلي فنبذتها فكان منها ما كان
ولم يدعني الى ذلك داع ولا حملني عليه حامل غير
التسويل تنبيه كون المراد بالرسول جبريل عليه
السلام هو ما عليه عامة المفسرين واراد باثر
التراب الذي اخذه من موضع حافر دابته لما
راه يوم فلق البحر وعن علي رضي الله عنه ان
جبريل عليه السلام لما نزل ليذهب بموسى عليه
الصلاة والسلام الى الطور ابصره السامري من

من بين الناس واختلفوا في انه كيف اختص السامري
برؤية جبريل عليه السلام ومعرفته من بين
الناس فقال ابن عباس في رواية الكلبي انما
عرفه لانه رباه في صغره وحفظه من القتل
حين امر فرعون بذبح اولاد بني اسرائيل فكانت
المراة اذا ولدت طرحت ولدها حيث لا يشعر به
ال فرعون فتاخذ الملايكة الولدان ويربونهم
حتى يترعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري
ممن اخذه جبريل عليه السلام وجعل كف نفسه
في فيه وارتضع منه اللبن والعسل فلم يزل يختلف
اليه حتى عرفه فلما راه عرفه قال ابن جريج فعلى
هذا قوله بصرت بما لم يبصروا به يعني رايت
ما لم يروه ومن فسر الابصار بالعلم فهو صحيح
ويكون المعنى علمت ان تراب فرس جبريل عليه
السلام له خاصية الاحيا قال ابو مسلم ليس
في القران تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون
فههنا وجه اخر وهو ان يكون المراد بالرسول
موسى عليه السلام وباثره سنته ورسمه الذي
امر به فقد يقول الرجل ان فلانا يقفو اثر
فلان



اثر فلان ويقتص اثره اذا كان يمتثل اثره رسمه
والتقدير ان موسى عليه الصلاة والسلام لما اقبل
على السامري باللوم والمسيلة عن الامر الذي
دعاه الى اضلال القوم في العجل فقال بصرت بما لم
يبصروا به اي عرفت ان الذي انتم عليه ليس بحق
وقد كنت قبضت قبضة من اثر الرسول اي من اثرك
ايها الرسول اي شيا من دينك فقذفته اي طرحته
فعند ذلك اعلمه موسى عليه الصلاة والسلام
بما له من العذاب في الدنيا والاخرة وانما اورد لفظ
الاخبار عن غايب كما يقول الرجل لرييسه وهو
مواجه له ما يقول الامير كذا وبماذا يامر
الامير واما ادعاوه ان موسى عليه الصلاة
والسلام رسولا مع جحده وكفره فعلى مذهب
من حكى الله عنه قوله يا ايها الذي نزل عليه
الذكر انك لمجنون وان لم يومنوا بالانزال
قال الرازي وهذا القول الذي ذكره ابو مسلم
ليس فيه الا انه مخالف للمفسرين ولكنه اقرب الى
التحقيق لوجوه احدها ان جبريل عليه السلام
ليس معهودا باسم الرسول فلم يجد له فيما تقدم

ذكر حتى يجعل لام التعريف اشارة اليه فاطلاق
لفظ الرسول لا لارادة جبريل كانه تكليف بعلم
الغيب وثانيها انه لابد فيه من الاضمار وهو
قبضة من اثر حافر دابة الرسول والاضمار خلاف
الاصل وثالثها انه لابد من التعسف في بيان
السامري كيف اختص من بين جميع الناس
برؤية جبريل ومعرفته وكيف عرف ان تراب
حافر فرسه هذا الاثر والذي ذكروه من ان جبريل
هو الذي رباه فبعيد لان السامري ان عرف انه
جبريل حال كمال عقله وان كان ما عرفه
حال البلوغ فاين ينفعه ان كون جبريل مربيا
له حال الطفولية في حصول تلك المعرفة ثم
ان موسى عليه السلام لما سمع من السامري
ما ذكر قال له فاذهب اي فتسبب عن فعلك اقول
لك اذهب من بيننا او حيث ذهبت فان لك في
الحياة مادمت ان تقول لكل من رأيته لا مساس
اي لا تمسني ولا امسك فلا تقدر ان تنفك عن
ذلك فكان يهيم في البرية مع الوحوش والسباع
واذا مس احدا او مسه احد حما جميعا
عاقبه



عاقبه الله تعالى بذلك وكان اذا لقي احدا يقول
لا مساس لك ولولدك حتى ان بقاياهم اليوم
يقولون ذلك واذا مس احد من غيرهم احدا منهم
حما جميعا في ذلك الوقت وان لك بعد الممات موعدا
للثواب ان انبت والعقاب ان ابيت لن تخلفه
قرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر اللام اي لن تغيب عنه
والباقون بفتحها اي بل تبعث اليه فلا انفكاك
لك عنه كما انك في الحياة لا تنفك عند التنفر عن
من الناس فاختر لنفسك ما يحلو ولما ذكر
ما لله له الحق من القدرة التامة في الدارين اتبعه
عجز العجل فقال وانظر الى الهك اي بزعمك الذي
ظلت اي دمت في مدة يسيرة جدا وانما اشار
تحقيق التضعيف فان اصله ظللت بلامين
اولاهما مكسورة حذفت تخفيفا عليه عاكفا اي
مقيما تعبده لنحرقنه اي بالنار و بالبرد قال البقاعي
كما سلف عن نقل وعن نص التورية وكان معنى
ذلك انه لحماه حتى لان فهان على المبارد ثم
لننسفنه اي لنذرينه اذا صار سحالة في اليم
اي في البحر الذي غرق الله تعالى فيه آل فرعون

ثم جمع الله تعالى سحالته التي هي من حيلتهم
فجمعها في نار جهنم وبكويهم بها وجعلها من اشد
العذاب عليهم واكد الفعل اظهارا لعظمة الله
تعالى الذي امره بذلك وتحقيقا للصدق
في الوعد **نسفا** قال الجلال المحلي وفعل موسى
عليه الصلاة والسلام بعد ذبحه ما ذكره
انتهى وعلى هذا لا يصح ان برده بالمبرد قاله
الرازي ويمكن ان يقال صار لحما ودما وذبح
ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث
يمكن نسفها ولما اراهم بطلان ما هم عليه بالعيان
اخبرهم بالحق على وجه الحصر فقال **انما الهكم الله**
اي الجامع لصفات الكمال ثم كشف المراد من
ذلك وحققه بقوله تعالى **الذي لا اله الا هو**
اي لا يصلح لهذا المنصب احد غيره لانه **وسع**
**كل شيء** وقوله **علما** تمييز محول عن الفاعل اي
احاط علمه بكل شيء فكل شيء اليه مفتقر وهو
غني عن كل شيء واما العجل الذي عبدوه فلا
يصلح للالهية بوجه ولا في عبادته شيء من حق

ولما



ولما شرح الله تعالى قصة موسى عليه الصلاة
والسلام مع فرعون اولا ثم مع السامري ثانيا
على هذا الاسلوب الاعظم والسبيل الاقوم
كان كانه قيل هل يعاد شيء من القصص على هذا
الاسلوب البديع والمثال الرفيع فقيل نعم **كذلك**
اي مثل هذا القص العالي في هذا النظم العزيز
الغالي كقصة موسى ومن ذكر معه **نقص**
**عليك من انبا** اي اخبار **ما قد سبق** من
الامم زيادة في علمك واجلالا لمقدارك وتسلية
لقلبك واذهابا لحزنك عما اتفق للرسل من
قبلك وتكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك
وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه
تصلبا وتتاكد الحجة على من عاند وكابر **وقد**
**اتيناك** اي اعطيناك تشريفا وتعظيما لقدرك
**من لدنا** اي من عندنا **ذكرا** اي كتابا هو القران
وفي تسمية القران بالذكر وجوه احدها انه
كتاب فيه ذكر ما يحتاج اليه وثانيها فيه انواع
الاء الله ونعمائه وفيه التذكير والموعظة وثالثها

وانه لها فيه الذكر والشرف لك ولقومك كما قال تعالى
وانه لذكر لك ولقومك ويسمي الله تعالى كل كتاب
انزله ذكرا فقال فاسيلوا اهل الذكر والتنكير فيه
للتعظيم لانه مشتمل على اسرار كتب الله تعالى
المنزلة من اعرض عنه فلم يومن به فانه يحمل يوم القيمة
وزرا حملا ثقيلا من الاثم خالدين فيه اي في عذاب
الوزر وساء اي وبيس لهم اي ذلك الحمل يوم
القيمة لهم حملا تمييز مفسر للضمير في ساء والمخصوص
بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان
ومن اقبل عليه كان متذكرا لله بكل ما يريد
من العلوم النافعة ويبدل من يوم القيمة
يوم ينفخ في الصور اي القرن النفخة الثانية
وقرا ابو عمرو بنون الاولى مفتوحة وضم
الفا على اسناد الفعل الى الامر به تعظيما له
او الى النافخ والباقون بيا مضمومة وفتح الفا
ونحشر المجرمين اي الكافرين يوميذ زرقا
اي عيونهم مع سواد وجوههم لان زرقة
العيون ابغض شي من الوان العيون الى العرب
لان



لان الروم اعداوهم وهم زرق العيون ولذلك
قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب
السبال ازرق العين وقيل المراد العمي لان حدقة
من يذهب نور بصره تزرق وقيل حال كونهم
يتخافتون اي يخفضون اصواتهم بينهم لما علا
صدورهم من الرعب والهول والهول واخفت
خفض الصوت ما خفاه ان يقول بعضهم
لبعض ما لبثتم اي مكثتم الا عشرا اي من
الليالي بايامها في الدنيا وقيل في القبور وقيل
بين النفختين وقيل وهو مقدار اربعين سنه
قالوا ذلك اما استقصارا لمدة الراحة من جنب
ما بدا لهم من المخاوف لان ايام السرور قصار
واما لانها ذهبت عنهم وانقضت والذاهب
وان طال مدته قصيرة بالانتها ومنه توقيع
عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاك كفى
بالانتها قصرا واما استطالتهم الاخرة فانه
يستقصر اليها عمر الدنيا ويقال لبث اهلها فيها
بالقياس الى لبثهم في الاخرة كما قال تعالى
كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا

يوما او بعض يوم فاسئل العادين واما غلطا
ودهشة قال الله تعالى نحن اعلم من كل احد
بما يقولون في ذلك اليوم اي يلبس كما قالوا اذ يقول
امثلهم اي اعدلهم طريقة اي رايا وعملا في الدنيا
فيما يحسبون ان اي ما لبثتم الا يوما اي سبداء
الاحاد لاهيد العقود كما قال تعالى في اية اخرى
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا
يوفكون فلا يزالون في افك وصرف عن الحق
في الدارين لان الانسان يموت على ما عاش
ويبعث على ما مات عليه ولما وصف سبحانه
وتعالى امر يوم القيمة شرع يحكي بسوال
من لم يومن بالحشر فقال تعالى ويسالونك
يا اشرف الخلق عن الجبال كيف تكون يوم القيمة
قال الضحاك نزلت في مشركي مكة قالوا يا محمد
كيف تكون الجبال يوم القيمة وكان سوالهم
على سبيل الاستهزا ولما كان مقصودهم من
هذا السوال الطعن في الحشر والنشر فلاجرم
امره الله تعالى بالجواب مقرونا بحرف التعقيب
بقوله فقل لهم ينسفها ربي نسفا لان تاخير
البيان.



البيان في مثل هذه المسالة الاصولية غير جايز
واما المسايل الفروعية فجايز فلذلك ذكر انها
في نحو قوله تعالى يسالونك ماذا ينفقون قل
العفو وقوله تعالى ويسالونك عن اليتامى قل
اصلاح لهم خير بغير حرف التعقيب والنسف
التذرية وقيل القطع الذي يقطعها من اصلها
ويجعلها هباء منثورا قال الخليل ينسفها
يلعبها يطيرها وفي ضمير فيذرها قولان احدهما
انه ضمير الارض للدلالة عليها كقوله تعالى ما
ترك على ظهرها من دابة والثاني ضمير الجبال
وذلك على حذف مضاف اي فيذرها مراكزها
ومقارها ويذر يجوز ان يكون بمعنى عليها
فيكون قاعا حالا وان يكون بمعنى ترك القصير
به فيتعدى لاثنين فقاعا ثانيهما والقاع هو
المكان المستوى وقيل الارض التي لا نبات فيها
ولا بنات وفي قوله تعالى صفصفا قولان احدهما
الارض الملسا والثاني المستوية والقاع
والصفصف قريبان من الترادف وجمع
القاع اقوع واقواع وقيعان لا ترى فيها اي

الارض او مواضع الجبال عوجا اي انخفاضا ولا
امتا اي ارتفاعا بوجه من الوجوه وعبر
في العوج الكسر وهو للمعاني ولم يعبر بالفتح
التي توصف بها الاعيان والارض او مواضع
الجبال اعيان لا معان نفيا للاعوجاج على
ابلغ وجه يعني انك لو جمعت اهل الخبرة
بتسوية الارض اتفقوا على الحكم بتسويتها
ثم لو جمعت اهل الهندسة فحكموا مقاييسهم
العلمية فيها لحكموا بمثل ذلك يومئذ اي يوم
اذ نسفت الجبال يتبعون اي الناس بعد
القيام من القبور وبغاية جهدهم الداعي
الى الحشر وهو اسرافيل ينفخ الصور على فيه
ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها
العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم
المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن لا عوج له اي
الداعي في شي من قصدهم اليه لانه ليس في الارض
ما يخرجهم الى التعويج ولا يمنع الصوت من
القعود على السوا وقيل لا اعوجاج لدعايه
وهو المطلوب اي لا عوج له عن دعاء الداعي

لا

لا يزيغون منه يمينا ولا شمالا ولا يقدرون عليه
يتبعونه سراعا وخشعت الاصوات اي سكنت
وذلت وتطامنت لخشوع اهلها للرحمن الذي
عمت نعمه فيرجى كرمه ويخشى نقمه فلا اي
فتسببه عن خشوعها انك لا تسمع الا همسا اخفى
ما يكون من الاصوات وقيل اخفي شي من الاصوات
للاقدام في نقلها الى المحشر كصوت اخفاف الابل
في مشيها يومئذ اي اذ كان ما تقدم لا تنفع الشفاعة
احدا الا من اذن له الرحمن اي ان يشفع له
ورضي له قولا ولولا الايمان المجرد قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما يعني من قال لا اله الا الله
فهذا يدل على انه لا يشفع لغير المومن ولما
بقي لن تنفع شفاعة بغير اذنه علل ذلك كما سلف
في اية الكرسي بقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم اي
الخلايق من امور الاخرة وما خلفهم من امور الدنيا
وقيل ما بين ايديهم وما قدموا وما خلفهم من
الاعمال ولا يحيطون به علما اي لا يحيط علمهم
بمعلوماته وقيل الضمير الى ما اي يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه وقيل

راجع الى الله تعالى اي ولا يحيطون بالله علما
ولما ذكر خشوع الاصوات اتبعه خضوع ذويها
فقال تعالى وعنت الوجوه اي ذلت و
خضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر
لله تعالى دون غيره وخص الوجوه بالذكر
مع ان المراد الاشخاص لشرف الوجوه ولانها
اول ما يظهر فيها الذل للحي الذي هو مطلع
على الدقايق والجلايل القيوم الذي لا يغفل
عن التدبير ومجازات كل نفس بما كسبت
روي ابي امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اطلبوا اسم الله الاعظم في
هذه السور الثلاث الله لا اله الا هو الحي القيوم
وقد خاب اي خسر خسارة ظاهرة من حمل
ظلما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
خسر من اشرك بالله والظلم الشرك ولما شرح
الله تعالى احوال القيمة ختم الكلام فيه
بشرح احوال المومنين فقال تعالى ومن يعمل
من الصالحات اي التي امر الله سبحانه وتعالى
بها بحسب طاقته لانه لن يقدر الله احد .

حق



حق قدره والدين لا يضاده احد الا غلبه وهو
مومن فيكون بناوها على الاساس كما في قوله تعالى
ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فلا يخاف ظلما
اي بزيادة في سياته ولا هضما اي بنقص من
حسناته قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وقيل لا يوخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها
وعبر تعالى بالفا اشارة الى قبول الاعمال وجعلها
سببا لذلك الحال واما غير المومن فلو عمل
امثال الجبال لم يكن لها وزن وقوله تعالى وكذلك
معطوف على قوله تعالى وكذلك نقص اي ومثل
انزال ما ذكر انزلناه اي القران قرانا جامعا لجميع
المعاني المقصودة ثم وصفه تعالى بامرين
احدهما قوله تعالى عربيا اي بلسان العرب
ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه
وخروجه عن كلام البشر الثاني قوله تعالى وصرفنا
فيه من الوعيد اي كررناه وفصلناه وبين خلقه
الوعيد بيان الفرايض والمحارم لان الوعد بهما
يتعلق بتكريره وتصريفه يقتضي بيان الاحكام
فلذلك قال تعالى لعلهم يتقون اي يجتنبون

الشرك والمحارم وترك الواجبات فتصير التقوى
لهم ملكة **او يحدث لهم ذكرا** اي عظة واعتبارا حتى
يسمعوها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند
التقوى اليهم والاحداث الى القران **فتعالى الله**
في ذاته وصفاته وعن مماثلة المخلوقين لا يماثل
كلامهم كلا يماثل ذاته وصفاته ذاتهم وصفاتهم
**الملك** اي الذي لا يعجزه شي فلا يملك في الحقيقة غيره
**الحق** اي الثابت الملك فلا يزال لكونه ملكا في زمن
ولعظمة ملكه وحقيقة ذاته وصفاته صرف
خلقه على ما هم عليه من الامور الثابتة
ولما شرح الله تعالى كيفية نفع القران للمكلفين
وبين انه سبحانه وتعالى متعال عن كل ما لا ينبغي
موصوف بالاحسان والرحمة ومن كان
كذلك صان لسانه عن السهو والنسيان في امر
الوحي فلذلك قال تعالى **ولا تعجل بالقران**
اي بقراءته **من قبل ان يقضى اليك وحيه** من الملك
النازل به اليك من حضرتنا كما انا لا نعجل
بانزاله عليك جملة بل رتبناه لك ترتيب
ونزلناه اليك تنزيلا مفصلا تفصيلا
وموصلا

وموصلا توصيلا فاستمع له ملقيا جميع
تاملك اليه ولا تساوقه بالقراءة فاذا فرغ
فاقرا فانا نجمعه في قلبك ولا نكلفك المساوقة
بتلاوته **وقل رب** لهذا المحسن اليك بافاضة
العلوم على **زدني علما** اي سل الله تعالى زيادة
العلم بدل الاستعجال فانما اوحي اليك تناوله لا محالة
روى الترمذي عن ابي هريرة قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني
بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد
لله على كل حال واعوذ بالله من حال اهل
النار وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
اذا قرا هذه الاية قال اللهم زدني علما ويقينا
ولما قال تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما
قد سبق ذكر هذه القصة انجازا للوعد فقال
تعالى **ولقد عهدنا** بما لنا من العظمة **الى ادم** ابي
البشر اي وصيناه ان لا ياكل من الشجرة وانما
عطفها على قوله تعالى وصرفنا فيه من الوعيد
للدلالة على ان اساس بني ادم على العصيان
وعرقهم راسخ بالنسيان **من قبل** اي من زمن

من الازمان الماضية قبل هولا الذين تقدم في هذه
السورة ذكر نسيانهم واعراضهم فنسي عهدي وكل
منها ولم نجد له عزما تصميم راي وثبات على الامر
اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزل له امرء
قبل ان يجرب الامور ويذوق ارمها وشرايها
وهو الاري المعسل والشري الحنظل قال
البغوي قال ابو امامة الباهلي لو وزن حلم
ادم عليه الصلاة والسلام بحلم ولده لرجح
حلمه وقد قال تعالى ولم نجد له عزما وقال
البيضاوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو وزنت احلام بني ادم بحلم ادم لرجح وقد
قال تعالى ولم نجد له عزما قال لب الاية
والحلم بالكسر الاناء والتثبت في الامور فان
قيل ما المراد بالنسيان اجيب بانه يجوز
ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وان
لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم
يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط
النفس حتى تولد من ذلك النسيان في ذلك
الوقت مرفوعا عن الانسان بل كان يواخذ به

وانما

وانما رفع عنا وكان الحسن يقول ما عصى قط
الا بنسيان وان يراد الترك وانه ترك ما
اوصي به من الاحتراز عن الشجرة واكل ثمرها
وقيل نسي عقوبة الله تعالى وظن انه نهي تنزيه
تنبيه هذا هو المرة الخامسة في قصة ادم
في القران اولها في البقرة ثم في الاعراف ثم في
الحجر ثم في الكهف ثم ههنا وقوله تعالى واذ قلنا
للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
ابى جملة مستانفة لانها جواب سوال مقدر
اي ما منعه من السجود فاجيب بانه
ابى ومفعول الا با يجوز ان يكون مرادا وقد
صرح به في الاية الاخرى وهو قوله تعالى ابى
ان يكون مع الساجدين وحسن حذفه هنا كون
العامل راس فاصلة ويجوز ان لا يراد اصلا
وان المعنى انه من اهل الابا والعصيان من
غير نظر الى متعلق الابا ما هو فقلنا يا ادم
ان هذا الشيطان الذي تكبر عليك عدو
لك ولزوجك حوا بالمد لانه ما منك وسبب
تلك العداوة من وجوه الاول ان ابليس كان

حسودا فلما راى اثار نعم الله فى حق ادم حسده
فصار عدو اله الثانى ان ادم عليه الصلاة والسلام
كان شابا عالما لقوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها
وابليس كان شيخا جاهلا لانه اثبت فضيلته
بفضيلة اصله وذلك جهل والشيخ الجاهل عدو
للشاب العالم الثالث ان ابليس مخلوق من النار
وادم مخلوق من التراب فبين اصليهما عداوة
فبقيت تلك العداوة فان قيل لم قال **فلا يخرجنكما**
**من الجنة فتشقى** مع ان المخرج لهما منها هو الله
تعالى اجيب بانه لما كان بوسوسته هو الذى
فعل ما ترتب عليه الخروج صح ذلك فان قيل لم
قال تعالى **فتشقى** اى فتتعب وتنصب فى الدنيا
ولم يقل فتشقيا اجيب بوجهين احدهما
ان فى ضمن شقا الرجل وهو قيم واميرهم شقاوتهم
كما ان فى ضمن سعادته سعادتهم فاختص الكلام
باسناده اليه دونها مع المحافظة على كونه
راس فاصلة وعن سفيان بن عيينة قال لم
يقل فتشقيان لانها دخلت معه فوقع المعنى
عليهما جميعا وعلى اولادهما جميعا كقوله تعالى
يايها

يايها النبى اذا طلقتم النسا ويايها النبى لم تحرم
ما احل الله لك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
فدخلوا فى المعنى معه وانما كلم النبى وحده
الثانى اريد بالشقا التعب فى طلب القوت وذلك
على الرجل دون المراة لان الرجل هو الساعى على
زوجته روى انه هبط الى ادم ثور احمر فكان
يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ويحتاج
بعد الحرث الى الحصد والطحن والخبز وغير ذلك
مما يحتاج اليه وعن الحسن قال عنى به شقا
الدنيا فلا تلق ابن ادم الا شقيا والرى والكسوة
ولكن هى الامور التى يدور عليها كفاف الناس
ذكر الله تعالى حصول هذه الاشيا فى غير الجنة
من غير حاجة الى الكسب والطلب وذكرها بلفظ
النفى لاضدادها بقوله تعالى **ان لك الا تجوع**
**فيها ولا تعرى وانك لا تظما** تعطش **فيها ولا**
**تضحى** اى لا يحصل لك شمس الضحى لانتفا الشمس فى
الجنة بل اهلها فى ظل ممدود وهذه الاشيا كانها
تفسير الشقا المذكور فى قوله تعالى فتشقى
**فوسوس** اى فتعقب تحذيرنا هذا من غير بعد

في زمان ان يوسوس اليه الشيطان المحترق المطرود
وهو ابليس اذا انهى اليه الوسوسة واما وسوسته
فمعناه لاجله فلذلك عدي تارة باللام في قوله
تعالى فوسوس لهما وتارة بالي ثم بين تعالى تلك
الوسوسة ما هي بقوله تعالى قال يا ادم هل ادلك
على شجرة الخلد اي على الشجرة التي ان اكلت منها
بقيت مخلدا وملك لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى
قال الرازي واقعة ادم عجيبة وذلك لان الله
تعالى رغبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة
بقوله تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما
فيها ولا تضحى ورغبه ابليس ايضا في دوام الراحة
بقوله على ادلك على شجرة الخلد وفي انتظام
المعيشة بقوله وملك لا يبلى فكان الشيء
الذي رغبه الله تعالى فيه هو الذي رغبه
ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك الامر
على الاحتراس عن تلك الشجرة وابليس لعنه
الله تعالى وقفه على الاقدام عليها ثم ان
ادم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه
بان

بان الله تعالى مولاه وناصره ومربيه واعلمه
بان ابليس لعنه الله تعالى عدوه حيث امتنع
من السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب
عداوته كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود
الواحد قول ابليس لعنه الله مع علمه بعداوته
واعرض عن قول الله تعالى مع علمه بانه الناصر
له والمربي ومن تامل هذا الباب طال تعجبه
وعرف اخر الامر ان هذه القصة كالتنبيه
على انه لا دافع لقضا الله ولا مانع منه وان
الدليل وان كان في غاية الظهور ونهاية القوة
فانه لا يحصل النفع به الا اذا قضى الله تعالى
ذلك وقدره انتهى ويدل على ذلك ما ثبت في الحديث
الصحيح وروي البخاري ومسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال احتج ادم عليه الصلاة والسلام
وموسى عليه السلام فقال موسى انت ادم الذي
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد
لك ملايكته واسكنك جنته ثم اهبطت الناس
بخطيئتك الى الارض فقال ادم عليه الصلاة و
السلام انت موسى الذي اصطفاك الله تعالى

برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها بيان كل
شي وقربك نجيا فبكم وجدت الله تعالى كتب التورية
قبل ان اخلق ياموسى باربعين عاما قال ادم فهل
وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال
افتلومني على ان عملت عملا كتب الله علي ان اعمله
قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحج ادم موسى عليه الصلاة
والسلام وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه
على الما وقال كل شي بقدر حتى العجز والكسل
ثم كان ابليس قال لادم بلسان الحال والقال
مشيرا الى الشجرة التي نهي عنها ما بينك وبين
الملك الدايم الا ان تاكل منها **فاكلا** اي فتسبب
عن قوله وتعقب ان اكل **منها** هو وزوجته
متبعين لقوله ناسين ما عهد اليهما الامر قدره الله
في الازل **فبدت لهما سواتهما** قال ابن عباس عري اي
النور الذي كان البسهما الله تعالى حتى بدت
زوجها

فرجهما وانما جمع سواتهما كما قال صغت قلوبكما
اي فظهر لكل منهما قبله وقبل الاخر ودبره وسمى
كل منهما سواة لان انكشافه يسوء صاحبه **و**
**طفقا يخصفان** اي اخذا يلزقان **عليهما من ورق**
**الجنة** ليستترا به قال ابن عادل وهو ورق
التين **وعصى ادم** بالاكل والشرب وانما فعل المنهي
نسيانا لان عظم مقامه وعلو رتبته يقتضيان له
مزيد الاعتنا ودوام المراقبة **ربه** المحسن اليه
بما لم ينله احد من بنيه من تصويره له بيده
واسجاد ملايكته له ومعاداة من عاداه
**فغوى** اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطا طريق
القوم وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهي عنه
فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل
ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان
يقال عصى ادم ولا يجوز ان يقال ادم عاص لانه
انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل
يخيط الثوب فيقال خاط ثوبه ولا يقال هو
خياط حتى يعاوده ويعتاده تنبيه
تمسك بعضهم بقوله تعالى وعصى ادم ربه

فهوي في صدور الكبيرة عنه من وجهين
الاول ان العاصي اسم للذم فلا ينطلق على صاحب
الكبيرة ولقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدين فيها ولا معنى لصاحب
الكبيرة الا من فعل فعلا يعاقب عليه الثاني
ان الغواية والضلالة اسمان مترادفان
والغي ضد الرشاد ومثل هذا لا يتناول الا
الفاسق المنهمك في فسقه والجواب
بان المعصية مخالفة الامر والامر قد
يكون بالواجب وقد يكون بالمندوب فانك
فانك تقول امرته فعصاني وامرته بشرب الدوا
فعصاني واذا كان كذلك لم يمتنع اطلاق اسم
العصيان على ادم بكونه للمندوب وان كان
وصف تارك المندوب بانه عاص مجاز واجاب
ابو مسلم الاصبهاني بانه عصى في مصالح الدنيا
لا فيما يتصل بالتكاليف وكذا القول في غوى
قال الرازي والاولى عندي في هذا الباب ان
يقال هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد تقدم
شرح ذلك في سورة البقرة وقيل بل اكل من

الشجرة



من الشجرة تنا ولا وهو لا يعلم ان الشجرة التي
نهى الله تعالى عنها شجرة مخصوصة لا على الجنس
ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من
المخالفة ومن ثم قيل حسنات الابرار سيات المقربين
المترونها بالاضافة الى علو احوالهم كالسيات
ثم اجتباه ربه اي اختاره واصطفاه فتاب عليه
اي قبل توبته وجاد عليه بالعفو والمغفرة
وهدى اي هداه لرشده حتى رجع الى الندم
والاستغفار ولما كانت دار الملوك لا تحتمل مثل
ذلك وان كان قد هياه بالاجتبا لها قال على
طريق الاستيناف قال الرب سبحانه وتعالى
والتي انتهكت حرمة داره اهبطا اي ادم وحوا
بما اشتملتما عليه من ذريتكما منها اي الجنة جميعا
وقيل الخطاب لادم ومعه ذريته لا لابليس فقوله
تعالى بعضكم لبعض عدو يكون على التفسير
الاول بعض الذرية لبعض عدو ومن ظلم بعضهم
لبعض وعلى الثاني ادم وذريته وابليس
وذريته وقوله تعالى فاما فيه ادغام نون
ان الشرطية في ما الزائدة ياتينكم مني هدى اي

كتاب ورسول فمن اتبع هداي اي الذي اسعفت به
من اوامر الكتاب والرسول فلا يضل اي بعد
ذلك عن طريق السعادة في الدنيا ولا يشقى في
الاخرة قال ابن عباس من قرا القران واتبع ما
فيه هداه الله تعالى من الضلالة ووقاه الله
تعالى يوم القيمة سوء الحساب وذلك ان الله تعا
يقول فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ولما
وعد تعالى من اتبع الهدى اتبعه بالوعيد
لمن اعرض فقال تعالى ومن اعرض عن ذكري اي عن
القران فلم يومن به ولم يتبعه فان له معيشة ضنكا
والضنك اصله الضيق والشدة وهو مصدر
فكانه قال له معيشة ذات ضنك واختلف في
ذلك فقال ابو هريرة وابو سعيد الخدري
وابن مسعود المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر
وروى ابو هريرة عذاب القبر للكافر قال صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتسلط عليه
في قبره تسعة وتسعين تنينا هل تدرون ما
التنين تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة
روس يخدشونه ويلسعونه وينفخون في جسمه
الى

جسمه الى يوم يبعثون وقال قتادة والحسن
والكلبي هو الضيق في الاخرة في جهنم قال طعامهم
الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا
يموتون فيها ولا يحيون وقال ابن عباس المعيشة
الضنك هي ان يضيق عليه ابواب الخير فلا يهتدى
لشيء منها وعن عطا المعيشة الضنك هي المعصية
للكافر لانه غير موقن بالثواب والعقاب وروي
عن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال عقوبة المعصية ثلاثة ضيق
المعيشة والعسر والتيسر في الشدة وان لا يتوصل
الى قوته الا بمعصية الله تعالى وذلك ان مع الدين
من التسليم والقناعة والتوكل على الله تعالى
وعلى قسمته فهو ينفق مما رزقه الله تعالى بسماح
وسهولة فيعيش عيشا رفيعا كما قال تعالى فلنحيينه
حياة طيبة والمعرض عن الدين مسول عليه الحرص
الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط
عليه الشح الذي يقبض يده على الانفاق فعيشه
ضنك وحالته مظلمة قال صلى الله عليه وسلم
لو كان لابن ادم واد من ذهب لابتغى اليه ثانيا ولو انه

له واديين لابتغى لهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم
الا التراب ويتوب الله على من تاب متفق عليه
قال بعض الصوفية لا يعرض احد عن ذكر ربه الا
اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه وقال
تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
ماء غدقا وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السما عليكم مدرارا ثم ذكر حال
المعرض في الاخرة بقوله تعالى ونحشره يوم القيمة
اعمى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا خرج
من القبر خرج بصيرا فاذا سيق الى المحشر عمى
ولعله جمع بذلك بين هذا وبين قوله تعالى اسمع
بهم وابصر يوم ياتوننا وعن عكرمة قال عمى
عليه كل شي الا جهنم وفي لفظ قال لا يبصر الا النار
وعن مجاهد المراد بالعمى عدم الحجة ويؤيد
الاول قوله تعالى قال رب لم حشرتني اعمى في هذا
اليوم وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وفي هذا
اليوم فكانه قيل ثم اجيب فقيل قال له ربه
كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره بقوله فقال
اتتك اياتنا واضحة نيرة فنسيتها عميت عنها
وتركتها

عنها وتركتها غير منظور لها وكذلك اي ومثل ذلك
تركك اياها اليوم تنسى اي تترك في العمى والعذاب
وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي من اسرف
في متابعة هواه فتكبر عن متابعة اوامرنا ولم
يؤمن بل كذب بايات ربه وخالفها ولعذاب
الاخرة اشد مما نعذبهم به في الدنيا والقبر لعظمته
وابقى فانه غير منقطع ولما بين تعالى ان من اعرض
عن ذكره كيف يحشر يوم القيمة اتبعه بما يعتبر به
المكلف من الافعال الواقعة في الدنيا ممن كذب
الرسل فقال تعالى افلم يهد لهم اي يبين بيانا
يعود الى المقصود لهم اي لهولاء الذين ارسلت
اليهم اعظم رسلي وفاعل يهد مضمون قوله تعالى
كم اهلكنا وقال ابو البقا الفاعل ما دل عليه اهلكنا
اي اهلاكنا والجملة مفسرة له وقال الزمخشري
فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا
بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه
في الاخرين هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير
الله والرسول اه وكم خبرية مفعول اهلكنا
قبلهم من القرون اي بتكذيبهم لرسلنا حال

حال كونهم **يمشون** اي هولاء العرب من اهل مكة و
غيرهم **في مساكنهم** اي في سفرهم الى الشام ويشاهدون
اثار هلاكهم **ان في ذلك** اي الاهلاك العظيم الشان
المتوالي في كلام الله تعالى **لايات** عظيمات البينات **لاولي**
**النهى** اي لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي
ولما هددهم باهلاك الماضين ذكر سبب التاخر
عنهم بقوله تعالى **ولولا كلمة** اي عظيمة ماضية نافذة
**سبقت** اي في ازل الازل **من ربك** الذي عودك
بالاحسان بتاخير اي الاخرة فانه يعامل بالحلم والارادة
**لكان** اي العذاب **لزاما** اي لازما اعظم لزوم لهم
في الدنيا مثل ما نزل بعاد وثمود ولكن نمد لمن يزد
من نشائهم وتخرج من اصلاب بعضهم من يومن
وانما فعلنا ذلك اكراما لك ورحمة لامتك فكثير ابناءك
فيعملون الخلق الخيرات فيكون ذلك زيادة في شرفك
والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله تعالى
الي فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا وفي قوله
تعالى **واجل مسمى** وجهان اظهرهما عطفه
على كلمة اي ولولا اجل مسمى لكان العذاب

لازما

١٠٣

لازما لهم وهذا ما صدر به البيضاوي والثاني انه
معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل
بخبرها مقام التاكيد واقتصر الجلال المحلي على ذلك
وجوزه الزمخشري والبيضاوي وفي هذا الاجل
المسمى قولان احدهما ولولا اجل مسمى في الدنيا
لذلك العذاب وهو يوم بدر والثاني ولولا اجل
مسمى في الاخرة لذلك وكما قال الرازي اقرب هذا
قال اهل السنة له تعالى بحكم المالكية ان يخص من
شاء بفضله ومن شاء بعذاب من غير علة اذ لو كان
فعله لعلة لكانت تلك العلة اما قديمة فيلزم
قدم الفعل واما حادثة فيلزم افتقارها الى علة اخرى
ويلزم التسلسل ثم انه تعالى لما اخبر نبيه صلى
الله عليه وسلم بانه لا يهلك احدا قبل استيفاء
اجله امره بالصبر فقال **فاصبر على ما يقولون** لك
من الاستهزاء وغيره وهذا كان كله في اول الامر ثم
نسخ باية القتال **وسبح** اي صل وقوله تعالى
**بحمد ربك** حال اي وانت حامدا لربك على انه وفقك
لذلك واعانك عليه **قبل طلوع الشمس** صلاة الصبح
**وقبل غروبها** صلاة العصر **ومن اناء الليل** ساعات

فسبح صل المغرب والعشا وقوله تعالى واطراف النهار
معطوف على محل من اناء المنصوب اي صل الظهر
لان وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف
الاول وطرف النصف الثاني قال ابن عباس رضى
الله عنهما دخلت الصلوات الخمس في النوافل لان
الزمان اما ان يكون قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
فالليل والنهار داخلان في هاتين العبادتين
واوقات الصلوات الواجبة دخلت فيها بقي قوله
تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار للنوافل
وقال ابو مسلم لا يبعد حمل التسبيح على التنزيه
والاجلال والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى
في هذه الاوقات فان قيل النهار له طرفان فكيف
قال واطراف النهار ولم يقل واطرفي النهار اجيب
بوجهين اظهرها انه انما جمع لانه يلزم في كل
منهما نهار ويعود والثاني ان اقل الجمع اثنان
وقرا قوله تعالى لعلك ترضى قرا ابو بكر والكسائي
بضم التا اي ترضى بما تنال من الثواب كقوله تعالى
وكان عند ربه مرضيا وقرا الباقون بفتحها
اي ترضى بما تنال من الشفاعة قال تعالى ولسوف

يعطيك



يعطيك ربك فترضى وقال تعالى عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا والمعنى على القراتين لا يختلف
لان الله تعالى اذا ارضاه فقد رضي واذا رضيه
فقد ارضاه ولما كانت النفس مائلة الى الدنيا
مرهونة بالحاضرين فاين العطايا وكان تخليها
عن ذلك هو الموصول الى حريتها الموذن بعلو
همتها قال تعالى موكدا لايذانا بصعوبة ذلك ولا تمدن
موكدا له بالنون الثقيلة عينيك اي لا تطول نظرها
بعد النظرة الاولى المعفو عنها الى ما متعنا به في هذه
الحياة الفانية ازواجا اي اصنافا منهم الكفرة استحسانا
له وتمنيا ان يكون ذلك مثله والامتاع الالذاذ
بما يدرك من المناظر الحسنة ويسمع من الاصوات
المطربة ويشم من الروائح الطيبة وغير ذلك من
الملابس والمناكح وقوله تعالى زهرة الحياة الدنيا
اي زينتها وبهجتها منصوبة بمحذوف دل عليه
متعنا او به على تضمنه معنى اعطينا فازواجا
مفعول اول وزهرة هو الثاني وذكر ابن عادل
على هذين الوجهين سبعة اوجه لا حاجة لنا
بذكرها ثم علل تعالى تمتعهم بقوله تعالى لنفتنهم فيه

اي ليفعل بهم فعل المختبر ليكون سبب عذابهم في الدنيا
بالمعيشة الضنك كما مضى و في الاخرة بالعذاب الاليم
فصورته تغر من لم يتامل معناه حق التامل
فما انت خير مما هم فيه ورزق ربك في الجنة خير
مما اوتوه في الدنيا وابقى اي ادوم او ما رزقته
من نعمة الاسلام والنبوة ولان اموالهم
الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة
من بعض الوجوه والحلال خير وابقى قال
الزمخشري لان الله تعالى لا ينسب الى نفسه الا ما
حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى
رزقا اه وهذا جار على مذهب المخالف لاهل
السنة من ان الحرام لا يسمى رزقا وقال ابو
مسلم الذي نهي عنه بقوله ولا تمدن عينيك ليس
هو الا الاسف اي لا تاسف على ما فاته مما نالوه
من حظ الدنيا وقال ابو رافع نزلت هذه الاية
في ضيف نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني
الى يهودي يبيع او يسلف الى مدة فقال
والله لا افعل الا برهن فاخبرته بقوله فقال
صلى الله عليه وسلم اني لامين في السما واني
لامين

لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزل
قوله تعالى ولا تمدن عينيك وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى
اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقال
ابو الدردا الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال
له ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا الحمق
الناس لخربت الدنيا وعن عيسى بن مريم عليه
الصلاة والسلام لا تتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم
عبيدا ولما امر الله تعالى نبيه بتزكية النفس
امره بان يامر اهله بالصلوة بقوله تعالى
وامر اهلك بالصلوة اي امر اهل بيتك و
التابعين لك من امتك بالصلاة كما كان ابوك
اسمعيل عليه الصلاة والسلام يدعوهم الى كل
خير اذ الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر وليتعا ونوا
على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر
المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة وكان
صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية
يذهب الى فاطمة وعلي رضي الله تعالى عنهما
كل صباح ويقول الصلاة واصطبر اي داوم
عليها لا نسالك اي لا نكلفك رزقا لنفسك

ولا الغرك عن رزقك وغرك كما قال تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من
رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين ففرغ بالك لامر الاخرة وفي
معناه قول الناس من كان في عمل الله تعالى
كان الله تعالى في عمله وروي انه صلى الله
عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم
بالصلاة وتلا هذه الاية وعن عروة بن الزبير
انه كان اذا راى ما عند السلطان قرا ولا
تمدن عينيك الاية ثم ينادي الصلاة رحمكم الله
وعن ابي بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب
اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله
تعالى ورسوله ثم يتلو هذه الاية والعاقبة
اي الجميلة للتقوى اي لاهل التقوى قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما الذين صدقوك و
اتبعوك واتقوني ويويده قوله تعالى
في موضع اخر والعاقبة للمتقين ولا معونة
على الرزق وغيره بوادي الصلاة فقد كان
صلى الله عليه وسلم اذا اخزنه امر
اي



اي بالباء الموحدة اي احزنه فزع الى الصلاة وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله
عليه وسلم يقول الله تعالى تفرغ لعبادتي املا
صدرك غنى واسد فقرك وان لم تفعل ملات
صدرك شغلا ولم اسد فقرك وعن ابن عباس
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من جعل الهموم هما واحدا هم المعادة كفاه الله تعالى
هم دنياه ومن تشعبت به هموم احوال الدنيا
لم يبال الله في اوديتها هلك وعن زيد بن ثابت
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كانت الدنيا همه فرق الله همه جمع الله له
امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة
ثم انه تعالى بعد هذه الوصية حكى عنهم شبهتهم
بقوله تعالى وقالوا لولا ياتينا باية من ربه فكان
من لوازمه قوله تعالى فاصبر اولم تاتهم بينة اي
بيان ما في الصحف الاولى من التوراة والانجيل
وساير الكتب السماوية وهو المشتمل عليه القران
من انبا الامم الماضية واهلاكهم بتكذيب الرسل فما
يامنهم ان تكون حالهم في سوال الايات كحال اولئك

وقرا ابو عمرو ونافع وحفص بالفوقية على التانيث
والباقون بالتحتية على التذكير ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله اي
معاملة في عصيانهم هذا القران المذكور في الاية الماضية وما قاربها
وفي قوله تعالى ولا تعجل بالقران وفي مثنى
السورة فيما انزلنا عليك القران لتشقى او من
قبل محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا اي يوم
القيمة ربنا اي يا من هو متصف بالاحسان
الينا لولا اي هلا ولم لا ارسلت الينا رسولا
يامرنا بطاعتك فنتبع اي فتسبب عنه ان نتبع
اياتك التي تنجينا من قبل ان نذل بالعذاب
هذا الذل ونخزى بالمعاصي التي عملناها على جهل
فلاجل ذلك ارسلناك اليهم واقمنا بك الحجة عليهم
ولما علم بهذا ان ايمانهم كالتمتع وجدالهم لا ينقطع
بل ان جاءهم الهدى طعنوا فيه وان عذبوا
قبله تعللوا بانه قيل فما الذي افعل معهم
فقيل قل لهم كل مني ومنكم متربص اي منتظر
ما يؤول اليه امري وامركم فتربصوا فكانكم كالبهائم
ليس لكم تامل فستعلمون اي عما قريب بوعد لا
خلف فيه وهو يوم القيمة من اصحاب الصراط

اي



اي الطريق السوي اي المستقيم ومن اهتدى اي
من الضلالة فحصل على جميع ما ينفعه واجتنب
جميع ما يضره الخزي ام انتم قال ابن عادل عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان يخلق
ادم بالفي عام فلما سمعت الملائكة القران قالوا
طوبى لامة محمد لاجواف تحمل هذا وعن الحسن ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرا اهل
الجنة من القران الا يس وطه اهـ ولم يذكر لذلك
سندا واما ما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة طه
اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار
حديث موضوع

## سورة الانبيا عليهم الصلاة والسلام مكية

قال الرازي باجماع وهي مائة واحدى او ثنتا
عشرة اية والف وستون كلمة واربعة الاف
وثمان وتسعون حرفا بسم الله الحكم العدل
الذي تمت قدرته وعم امره الرحمن الذي ساوى
بين خلقه في رحمة ايجاده الرحيم الذي

نجا من شاء من عباده في معاده قال ابو جعفر بن
الزبير في برهانه لما تقدم قوله تعالى ولا تمدن عينيك
الى قوله فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن
اهتدى قال تعالى **اقترب** اي قرب **للناس حسابهم**
اي في يوم القيمة اي فلا تمدن عينيك الى ذلك فانه
جعلته فتنة واشار بصيغة الافتعال الى مزيد
القرب لان لا امة بعد هذا ينتظر امرها واخر
الفاعل تهويلا لتذهب النفس في تبيينه كل
مذهب فان قيل وصف ذلك اليوم بالاقتراب
وقد عدت دون هذا القول اكثر من ستماية
عام اجيب بانه مقترب عند الله تعالى والدليل
عليه قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل
آت قريب وان طالت اوقات استقباله
وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد
وانقرض قال الشاعر

فلا زال ما تهواه اقرب من غد
ولا زال ما تخشاه ابعد من امس

ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف





منها بدليل انبعاث خاتم النبيين صلوات الله
وسلامه عليه الموعود ببعثته في اخر الزمان
وقال بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه
وقال صلى الله عليه وسلم ختمت النبوة بي
كل ذلك لاجل ان الباقي من مدة التكليف اقل من
الماضي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان
المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس
على بعضه للدليل القايم وهو ما يتلوه من صفات
المشركين وهو قوله تعالى **وهم** اي والحال انهم **في**
**غفلة** اي من الحساب **معرضون** عن التاهب لهذا
اليوم لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتعظون لما
ترجع اليهم اليه خاتمة امرهم مع قضاء عقولهم
انه لابد من جزاء المحسن والمسي وايضا ان هذه
الاية نزلت في كفار مكة ولما اخبر الله تعالى
عن غفلتهم واعراضهم دل على ذلك بقوله تعالى
**ما ياتيهم من ذكر** اي وحي ينبههم عن سنة الغفلة
والجهالة وقوله تعالى **من ربهم محدث** انزاله
اي ما يحدث الله تعالى من تنزيل شي من القران
يذكرهم ويعظهم به وبهذا اسقط احتجاج المعتزلة

بان القران حادث بهذه الاية وقيل معناه ان الله
تعالى يحدث الامر بعد الامر فينزل الاية بعد الاية
والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان
الاحكام وغيرها من الامور والوقايع وقيل
الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم
وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في
القران واضافه اليه لان الله تعالى قال وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى الا
استمعوه اي قصدوا استماعه وهو اجد
الجد واحق الحق وهم والحال انهم يلعبون
اي يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء و
السخرية لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم
عن النظر في الامور والتفكر في العواقب
لاهية اي غافلة معرضة قلوبهم عن ذكر
الله تنبيه لما ذكر سبحانه وتعالى ما
يظهرونه في حالة الاستماع من اللهو واللعب
ذكر ما يخفونه بقوله تعالى عطفا على ما
استمعوه وهم يلعبون واسروا اي الناس
المحدث عنهم النجوى اي بالغوا في اسرار
كلامهم

٢٢٦

كلامهم وبقوله سبحانه وتعالى الذين ظلموا بدل من
واو واسروا انباء بانهم ظالمون فيما اسروا به او مبتدا و
الجملة المتقدمة خبره والمعنى وهولاء اسروا النجوى
فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه
ظلم وقيل جا على لغة من قال اكلوني البراغيث وقيل
منصوب المحل على الذم ثم بين سبحانه وتعالى ما تناجوا به
جوابه بقوله تعالى هل اي فقالوا في تناجيهم هذا
متعجبين من ادعائه النبوة مع مماثلته في البشرية
لهم هل هذا اي الذي اتاكم بهذا الذكر الا بشر مثلكم اي في
خلقه واخلاقه من الاكل والشرب والحياة والممات
فكيف يختص عنكم بالرسالة ما هذا الذي جاكم به
مما تقدرون على مثله الا سحر لا حقيقة له تسبب عن
هذا الانكار قولهم افتاتون السحر وانتم اي والحال انكم
تبصرون تبصرون باعينكم انه بشر مثلكم فكانهم استدلوا
بكونه بشرا على كذبه في ادعاء النبوة والرسالة
سحر لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا و
استلزموا منه ان ما جا به من الخوارق كالقران
فانكروا حضوره فان قيل لم اسروا هذا الحديث
وبالغوا في اخفايه اجيب بان ذلك يشبه

التشاور فيما بينهم والتجاوز في الطلب للطريق الى عدم
امره وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا
اعداءهم في مشورة يتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما
امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا
على قضاء حوائجكم بالكتمان قال البقاعي فيا لله
العجب من قوم راوا اعجزهم فلم يجوزوا ان
يكون ذلك من الرحمن والداعي الى الفوز بالجنان
وجزموا انه من الشيطان الداعي الى الهوان بالصلا
النيران والعجب ايضا انهم انكروا الاختصاص
بالرسالة مع مشاهدتهم بما يخص الله تعالى
بعض الناس عن بعض من الذكا والفطنة
وحسن الخلايق والاخلاق والقوة والصحة
وطول العمر وسعة الرزق ونحو ذلك اوولا
عجب فانما عقول اضلها باريها ثم كانه قيل
فماذا يقال لهولا فقيل قل لهم ربي اي المحسن الي
يعلم القول سوا كان سرا ام جهرا كاينا في السما
والارض على حد سوا لانه لا مسافة بينه وبين
شي من ذلك وهو السميع العليم فلا يخفى
عليه ما يسرون ولا ما يضمرون فان قيل
هلا



هلا قيل يعلم السر لقوله سبحنه وتعالى واسروا
النجوى واجيب بان القول عام يشمل السر
والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان
اثر في بيان الاطلاع على نجواهم من يقول يعلم سرهم و
نجواهم فان قيل فلم ترك الاكد في سورة الفرقان
في قوله سبحانه وتعالى قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض ولم يقل يعلم القول كما هنا
اجيب بانه ليس بواجب ان ياتي بالاكد في كل
موضع ولكن يجي بالتاكيد تارة وبالاكد اخرى
كما يجوز بالحسن في موضع وبالاحسن في اخرى في غيره
لتعين الكلام افتنانا ويجمع الغاية وما دونها
على ان اسلوب تلك الاية خلاف اسلوب هذه من قبل
ان قدم ههنا انهم اسروا النجوى فكانه ازاد ان
يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع
ذلك للمبالغة وثم قصد وصفه بانه انزله الذي
يعلم السر والنجوى في السموات والارض فهو
كقوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب
عنه مثقال ذرة وقرا حفص وحمزة والكسائي
قال بصيغة الماضي بالاخبار عن الرسول

والباقون قل بصيغة الامر ثم انه تعالى بين ان
المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله
عليه وسلم وفيما يقوله بقوله سبحنه وتعالى
بل قالوا اضغاث احلام اي اخلاط رءاها في
النوم وقال بعضهم بل افتراه اي اختلقه من عند
نفسه ونسبه الى الله تعالى وقال بعضهم
بل هو اي النبي صلى الله عليه وسلم شاعر فما
جاءكم به شعر والشاعر تخييل ما لا حقيقة له لغيره
وانهم كلهم اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه
تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من عنده
ثم الى انه قول شاعر وهكذا المبطل متحير
رجاع غير ثابت على قول واحد قال الزمخشري
ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم
الفاسدة في درج الفساد وان قولهم الثاني
افسد من الاول والثالث افسد من
الثاني وكذلك الرابع من الثالث ثم انهم لما
قدحوا في اعظم المعجزات طلبوا اية غيره فقالوا فليأتنا
دليلا على رسالته باية كما اي مثل ارسل الاولون
بالايات تسبيح الجبال وتسخير



وتسخير الريح وتفجير الماء واحيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص وصحة والتشبيه من حيث ان الارسال
تضمن الاتيان بالاية قال الله تعالى مجيبا لهم
ما امنت قبلهم اي قبل مشركي مكة من قرية اي من
اهل قرية اتتهم الايات اهلكناها باقتراح الايات
لما جاءتهم افهم يومنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم
وفيه دليل على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء
عليهم اذ لو اتى به لم يومنوا واستوجبوا عذاب
الاستيصال كمن قبلهم ولما بين تعالى بطلان
ما اقترحوا به في الرسول صلى الله عليه وسلم
بكونه قال تعالى عاطفا على امنت مجيبا عن قولهم
هل هذا الا بشر مثلكم وما ارسلنا قبلك اي في
جميع الزمان الذي تقدم زمانك في جميع طوائف
البشر الا رجالا يوحى اليهم اي لم نرسل الملائكة
الى الاولين انما ارسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك
ثم انه تعالى امر المشركين ان يسالوا اهل الكتاب
بقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر وانما احالهم
على هؤلاء لانهم كانوا لا ينكرون ان الرسل كانوا
بشرا وانما انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وقيل المراد بالذكر القران اي فاسئلوا المومنين
العالمين من اهل القران وقرا ابن كثير والكساي
بفتح السين ولا همزة بعدها وكذا يفعل حمزة
في الوقف والباقون بسكون السين وهمزة
مفتوحة بعدها ثم نبه تعالى على انهم غير محتاجين
في ذلك السوال لما قد كان سلفهم على الاجمال من
احوال موسى عليه الصلاة والسلام وابرهيم
واسمعيل وغيرهم عليهم الصلاة والسلام
بقوله تعالى معبرا باداة الشك محركا لهم الى
المعالي ان كنتم بجهلكم لا تعلمون اي لا اهلية
لكم في اقتصاص علم بل كنتم اهل تقليد محض
وتبع صرف ولما بين تعالى انه صلى الله عليه
وسلم على سنة من مضى من الرسل في كونه
رجلا بين انه على سنتهم في جميع الاوصاف
التي حكم بها على البشر في العيش والموت فنبه
على ان الاول بقوله تعالى وما جعلناهم
اي الذين اخترنا بعثهم الى الناس ليامروهم
باوامرنا جسدا اي ذوي جسد ولحم ودم
ومتصفين بانهم لا ياكلون الطعام بل جعلناهم

اجسادا



اجسادا ياكلون ويشربون وليس ذلك بمانع
من ارسالهم فايدة قال ابن فارس
في المجمل وفي كتاب الخليل ان الجسد لا يقال
لغير الانسان وتوحيد الجسد لارادة الجنس
كانه قيل ذوي ضرب من الاجساد او على حذف
مضاف اي ذوي جسد كما مر وتاويل الضمير
لكل واحد وهو جسم ذو لون قال ولذلك
اي ولكون الجسد جسما ذا اللون لا يطلق على الما
والهوا وهو في الما مبني على انه لا لون له وانما
يتلون بلون ظرفه او مقابله لانه جسم شفاف
لكن قال الامام الرازي بل له لون ويرى
ومع ذلك لا يحجب مع دوام رويته ما وراءه ثم نبه
على الثاني بقوله تعالى وما كانوا خالدين
اي باجسادهم بل ماتوا كما مات الناس قبلهم
وبعدهم وانما امتازوا عن الناس باتيانهم بما
يانبيهم عن الله تعالى ورسولكم صلى الله عليه
وسلم ليس بخالد فتربصوا كما اشار اليه ختم طه
فانه متربص بكم وانتم عاصون الملك الذي
اقترب حسابه لخلقه وهو مطيع له ثم صدقناهم

**الوعد** اي الذي وعدناهم باهلاكهم وهذا قوله
تعالى واختار موسى قومه في حذف الجار والاصل
في الوعد من قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني
سن بكره والاصل في هذا المثل ان اعرابيا عرض
بعيرا للبيع فقال له المشتري ما سنه قال بكر فاتفق
انه ند فقال صاحبه هدع هدع وهذه اللفظة
مما يسكن بها صغار الابل لا الكبار فقال المشتري صدقني
سن بكره واعرض فصار مثلا تنبيه اشار تعالى باداة
الترجي الا انه طال بلاؤهم بهم وصبرهم عليه ثم احل بهم سطوته
واراهم عطيته **فانجيناهم** اي الرسل **ومن نشاء** وهم المومنون
ومن في ابقايه حكمة كمن سيومن هو او واحد من ذريته
وكذلك حميت به العرب من عذاب الاستيصال **واهلكنا**
**المسرفين** اي المشركين لان المشرك يسرف على نفسه
**لقد انزلنا اليكم** يا معشر قريش **كتابا** اي القران
**فيه ذكركم** اي شرفكم وصيتكم كما قال تعالى وانه
لذكر لك ولقومك او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم
تطلبون بها الثنا وحسن الذكر كحسن الجوار والوفا
بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخا
وما اشبه ذلك وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه





من امور دينكم او لانه نزل بلغتكم وقيل فيه تذكر
لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد
**افلا تعقلون** فتومنون به وفيه ذلك حث على
التدبر لان الخوف من لوازم العقل **وكم قصمنا**
اي اهلكنا **من قرية** اي اهلها بقصم شديد لان
القصم اقطع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاوم
الاجزاء بخلاف الفصم وقوله تعالى **كانت ظالمة**
اي كافرة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت
مقامها ثم بين الغنى عنها بقوله تعالى **وانشانا**
**بعدها** اي بعد اهلاك اهلها **قوما اخرين** مكانهم
ثم بين حالها عند احلال الباس بها بقوله تعالى
**فلما احسوا** اي ادرك اهلها بحواسهم **باسنا**
اي عذابنا **اذا هم** اي من القرية **منها يركضون**
هاربين منها مسرعين راكضين دوابهم لما ادركتهم
مقدمة العذاب والركض ضرب الدابة بالرجل
ومنه اركض برجلك او مشبهين بهم من فرط
اسراعهم بعد تجبرهم على الرسل وقولهم لهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا فناداهم لسان
الحال تقريعا وتشبيها لحالهم **لا تركضوا** او المقال

او المقاتلة والقايل ملك او من ثم من المومنين وارجعوا
الي قريتكم الي ما اترفتم اي تمتعتم فيه من التنعم
والتلذذ والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه
ولما كان اعظم ما يوسف عليه بعد العيش الناعم
المسكن قال ومساكنكم اي التي كنتم تفتخرون بها
علي الضعفا بما اوسعتم من فنايها وعليتم من بنايها
وحسنتم في مشاهدها لعلكم تسالون نوع
هذا تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الي نعيمكم و
مساكنكم لعلكم تسالون غدا عما يجري عليكم
ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السايل
علي علم ومشاهدة وارجعوا واجلسوا كما كنتم
وترتبوا في مراتبكم حتي يسالكم عبيدكم وحشمكم
ومن تملكونا مره وتنفذون فيه امركم ونهيكم
وتقولون لكم بم تامرون وماذا ترسمون
او شيا من دنياكم علي العادة او لسان الحال
او تسالون في الايمان كما كنتم تسالون فتابوا ايما
عندكم من الانفة والحمية والعظمة وفي المهمات
كما يكون الروسا في مقاعدهم العلية ومراتبهم
السنية فيجيبون مسايلهم بما شاوا ولما
كان



كان كانه قيل بما اجابوا هذا القايل قالوا حين
لا ينفع لقولهم عند نزول الباس ياويلنا اشارة
الي انه سبيلهم لانه ينادي بما القرب وترفعا له
كما يقال الشخص لمن تضربه يا سيدي كانه يستغيث
به ليكف عنه وذلك غباوة منهم وعمي عن الذي
احله بهم لانهم كالبهايم لا ينظرون الا السبب الاقرب
عما عللوا حلوله بهم تاكيدا لترافعهم بقولهم انا
كنا جبلة وطبعا ظالمين حيث كذبنا الرسل
وعصينا امر ربنا فاعترفوا القرية حضور بفتح
الحا والضاد المعجمة وهي وسحول قريتان قريبتان
باليمن تنسب اليها الثياب وفي الحديث كفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين
وروي حضور نبي بعث الله لهم نبيا فقتلوه
فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلط الله علي
اهل بيت المقدس فاستاصلهم وروي انه لما
اخذتهم السيوف نادي منادٍ من السما يالثارات
الانبيا وهي بفتح اللام ومثلثة وهمزة ساكنة يا
اهل ثاراتهم اي الطالبة بدمهم فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فندموا وقالوا ذلك فما

اي فتسبب عن احلالنا بهم ذلك البأس انه ما **زالت تلك**
الدعوى المبعدة عن الخير والسلامة وهي قولهم يا ويلنا
**دعواهم** يرددونها لا دعوى لهم غيرها لان الويل ملازم
لهم غير منفك عنهم وترفعهم له غير نافع **حتى جعلناهم**
**حصيدا** كالزرع المحصود بالمناجل فانهم قتلوا بالسيف
تنبيه حصيد على وزن فعيل بمعنى مفعول ولذلك
لم يجمع لانه يستوي فيه الجمع وغيره **خامدين** اي ميتين
كخمود النار اذا طفئت وصارت رمادا فان قيل كيف ينصب
جعل ثلاثة مفاعيل اجيب بان حكم الاثنين الاخيرين
حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا
جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصد والخمود او خامدين صفة
لحصيدا او حال من ضميره ثم نبههم سبحانه وتعالى
على النظر في خلق السموات والارض وما بينهما
ليعتبروا بقوله تعالى **وما خلقنا السما** على علوها
واحكامها **والارض** على اعظمها واتساعها **وما بينهما**
مما دبرناه لتمام النفع من اصناف البدائع وغرائب
الصنائع **لاعبين** اي عابثين كما يسوي
الجبابرة سقوفهم وفرشهم وساير زخاريفهم

زخاريفهم للهو واللعب وانما خلقناها مشحونة
بضروب البدائع تبصرة للناظر وتذكرة لذوي
الاعتبار وتسببا لما ينتظم به امر العباد في
المعاش والمعاد ولما نفى الله عن اللعب
اتبعه دليله بقوله **لو اردنا** اي بما لنا من العظمة
**ان نتخذ لهوا** اي ما يتلهى به ويلعب وقيل
هو الولد بلغة اهل اليمن وقيل الزوجة والمراد
الرد على النصارى **لاتخذناه من لدنا** اي من عندنا
مما يليق ان ينسب الى حضرتنا من الحور العين
والملائكة من العظمة ومن تمام القدرة وكمال
العظمة **ان كنا فاعلين** ذلك لكنا لم نفعله لانه لا يليق
بجنابنا فلم نرده وقوله تعالى **بل نقذف** اي نرمي
**بالحق** اي الايمان **على الباطل** اي الكفر اضراب عن
اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب بل شاننا ان
نرمي بالحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من
عداده اللهو **فيدمغه** اي يذهبه واستعار لذلك
الباطل بالحق القذف والدمغ تصويرا لابطاله به
واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة
ووجه القذف والدمغ لما ذكر ان اصل استعماله

في الاجسام كما استعير القذف منحسي والمستعار
له عقلي فاذا هو في الحال زاهق اي ذاهب والزهوق
ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز من اطلاق
القذف على دحض الحق ثم عطف على ما فايدته
اذا قوله تعالى ولكم اي واذا الكلام هذا المطلوب
الويل اي العذاب الشديد مما تصفون الله تعالى
به بما تهوى انفسكم كالزوجة والولد تنبيه ما
اما مصدرية او موصولة او موصوفة ولما
حكى الله تعالى كلام المطاعنين في النبوات والجواب
عنها بين ان اغراضهم من تلك المطاعنة التمرد
وعدم الانقياد بين بقوله تعالى وله من في
السموات اي الاجرام العالية وهي ما تحت العرش
وجمع السما هنا لاقتضا تفخيم الملك ذلك ولما
كانت عقولهم لا تدرك بعد الارض وحدها
فقال تعالى والارض اي له ذلك خلقا وملكا
انه منزه عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع
المحدثات والمخلوقات وعبر بمن تغليب
للعقلا وقوله تعالى ومن عنده اي وهم الملايكة
باجماع الامة ولان الله تعالى وصفهم بانهم

يسبحون



يسبحون الليل والنهار وهذا لا يليق بالبشر مبتدا
خبره لا يستكبرون عن عبادته بنوع تكبر طلبا ولا
ابعادا وخصهم بالذكر اكراما لهم عليه تنزيلا لهم منزلة
المقربين عند الملك تنبيه العندية للشرف والرتبة
لا عندية المكان والجهة فكانه تعالى قال الملايكة
كمال شرفهم وعلو درجاتهم ونهاية جلالتهم لا يستكبرون
عن عبادته فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرد
عن طاعته ومع ذلك ايضا ولا يستحسرون
اي لا يعيون وانما جي بالاستحسار الذي هو ابلغ
من الحسور تنبيها على ان عبادتهم من ثقلها
ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون
ولا يطلبون ان ينقطعوا عنها فانتج ذلك قوله تعالى
يسبحون اي ينزهون المستحق للتنزيه بانواع
التنزيه من الاقوال والافعال الليل والنهار اي جميع
اناتهما دايما لا يفترون عن ذلك وقتا من الاوقات
فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل
ولما كانوا عند هذا البيان جديرين بان يبادروا
الى التوحيد فلم يفعلوا كانوا حقيقين بعد
الاعراض عنهم بالتوبيخ والتهكم والتعنيف

فقال تعالى ام اتخذوا اي بل اتخذوا فام ام بمعنى
بل للانتقال والهمزة لانكار اتخاذهم الهة من الارض
ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التى تعبد
في الارض لان الالهة على ضربين ارضية وسماوية
ومن حديث الامة التى قال لها رسول الله صلى ذلك
الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السما فقال
انها مومنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الالهة الارضية
التى هي الاصنام لا اثبات ان الاله اما ان تنحت من
بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهرها هم ينشرون
اي يحيون الموتى وان لم يصرحوا بذلك لزم
ادعاوهم لها الهية يقدرون على ذلك فان من
لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد
به تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة في ذلك زيد
الضمير الموهم لاختصاص لا انتشار بهم انه سبحانه
وتعالى اقام البرهان القطعي على نفي اله غيره
ببرهان التمانع وهو اشد برهان لاهل الكلام فقال
تعالى لو كان فيهما اي السموات والارض تدبرها
الهة الا الله اي غير الله لفسدتا اي لخرجتا عن
انتظامها المشاهد لوجود التمانع



التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم
وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد
شرف كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا
يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة
التمانع فقال المتكلمون ان القول بوجود الهين
مفض الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلابد
ان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات
ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك
زيد وتسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال
لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهم
وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد
منهما مراد الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند
وجود مراد ذلك وبالعكس ويقع مراد
احدهما دون الاخر وذلك ايضا محال لان الذي
وقع مراده قادرا والذي لم يقع مراده يكون
عاجزا والعجز نقص وهو على الله محال فثبت
ان الفساد لازم على كل التقديرات واذا وقفت
على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في
العالم العلوي والسفلي من المخلوقات دليل

على ان وحدانية الله تعالى والدلايل السمعية على
الوحدانية كثيرة في القرآن ولما افاد هذا الدليل
انه لا يجوز ان لا يكون المدبر السموات والارض
الا واحدا وان ذلك الواحد لا يكون الا الله تعالى
قال تعالى فسبحان الله اي فتسبب عن ذلك
تنزه المتصف بصفات الكمال رب اي خالق العرش
اي الكرسي المحيط بجميع الاجسام القديم الذي
هو محل التدبير ومنشا التقادير عما يصفون
اي الكفار الله تعالى به من الشريك له وغيره
ثم بين تعالى ذلك بقوله تعالى لا يسئل اي من اي
سايل ما عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه
واذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسالهم
من في مملكتهم عن افعالهم وعن ما يريدون و
يصدون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا
ان مع جواز الخطا والزلل وانواع الفساد
عليهم لان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم
ورازقهم اولى ان لا يسال عن افعاله مع ما
علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كل فعل
بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطا وهم يسالون

ام



ام اتخذوا من دونه الهة استفظاعا لشانهم و
استعظاما لكفرهم واظهارا لجهلهم ولما كان
جوابهم تخذنا والامر جمع امر الله تعالى بنبيه
صلى الله عليه وسلم بجوابهم فقال تعالى قل هاتوا
برهانكم اي ما ادعيتموه من عقلي ونقلي كما اتيت
ببرهان النقل المويد بالعقل ولما كان تعالى
لا يواخذ بمخالفة العقل ما لم ينضم اليه دليل
النقل اتبعه قوله مشيرا الى ما بعث الله تعالى به
الرسل من الكتب هذا ذكر اي موعظة وشرف من
معي من امتي وهو القرآن الذي عجزتم عن معارضته
وذكر اي وهذا ذكر من قبلي من الامم الماضية وهو
التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية
فانظروا هل تجدوا فيها الا الامر بالتوحيد والنهي
عن الاشراك ولما كانوا لا يجدون شبهة لهم فضلا
عن حجة ذمهم الله تعالى على جهلهم بمواضع
الحق فقال تعالى بل اكثرهم اي هولاء المدعون
لا يعلمون الحق فلا يميزون بينه وبين الباطل
بل هم جهلة والجهل الفساد فهم اي فتسبب
عن جهلهم ما افتتحنا به السورة من انهم معرضون.

أصل

عن التوحيد واتباع الرسل ولما كان الارسال بالفعل
عن مستغرق للزمان المتقدم كما ان الرسالة لا يقوم
بها كل احد فلذلك الارسال لا يصلح له كل زمن اثبت
الجار في قوله تعالى **وما ارسلنا من قبلك** واغرق في
النفي فقال **من رسول** في شيع الاولين **الا نوحي**
**اليه** من عندنا **انه لا اله الا انا فاعبدون** وهذا
مقرر لما سبقه من امر التوحيد وقال تعالى الا انا
ولم يقل نحن لئلا يجعلوا ذلك وسيلة الى ما ادعوه من
تعدد الالهة ولذلك قال فاعبدون بالافراد وقرا حفص
وحمزة والكسائي بالنون وكسر الحا والباقون
بالياء وفتح الحا ولما بين سبحنه وتعالى بالدلائل الباهرة
كونه سبحانه وتعالى منزها عن الشريك والضد والند
اردف ذلك براءته عن اتخاذ الولد بقوله **وقالوا اتخذ**
**الرحمن** اي تكلف كما يتكلف من يكون له ولد الرحمن اي
الذي كل موجود من فيض نعمه **ولدا** نزل في خزاعة
حيث قالوا الملايكة بنات الله وقيل نزل ذلك
في اليهود حيث قالوا انه تعالى صاهر الجن فكانت
منهم الملايكة **سبحنه** اي تنزه من ان يكون له ولد
فان ذلك تقتضي المجانسة بينه وبين



الولد ولا يصح مجانسة النعمة للمنعم الحقيقي
كما حكى الله تعالى عنهم قولهم فجعلوا وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا ثم انه سبحانه وتعالى نزه نفسه
عن ذلك بقوله تعالى **بل عباد** اي الذين جعلوهم له
ولدا وهم الملايكة عباد من عباده انعم عليهم
بالايجاد كما انعم على غيرهم بالاولاد فان العبودية
تنافي الولدية **مكرمون** بالعصمة من الزلل ولذلك
فسر الاكرام بقوله تعالى **لا يسبقونه** اي لا يسبقون
اذنه **بالقول** اي لا يقولون شيا حتى يقوله كما هو
شان العبيد المودبين **وهم بامره** اذا امرهم
**يعملون** اي لا بغيره لانهم في غاية المراقبة له فجمعوا
في الطاعة بين القول والفعل وذلك في غاية
الطاعة ثم علل اخبارهم بذلك بجملة مما هو المخبر به
مندرج فيه بقوله تعالى **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم**
اي ما عملوا وما هم عاملون لا يخفى عليه خافية مما
قدموا واخروا ثم صرح تعالى بلازم الجملة الاولى
فقال **ولا يشفعون** اي في الدنيا ولا في الاخرة
**الا لمن ارتضى** فلا يطمعوا في شفاعتهم لكن بغير رضاه
قال ابن عباس والضحاك الا لمن ارتضى اي الا لمن

قال لا اله الا الله فسقط بذلك القول قول المعتزلة
ان الشفاعة في الاخرة لا تكون لاهل الكباير ثم
صرح بلازم الجملة فقال تعالى وهم من خشيته
اي لا من غيرها مشفقون اي خائفون واصل
الخشية خوفا مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء
والاشفاق خوف من اعتنى فان عدي بمن فمعنى
الخوف فيه اظهر وان عدي فبالعكس ولما نفى تعالى
الشريك مطلقا ثم مقيدا بالولدية اتبعه التهديد
على ادعاية بتعذيب المبتدع الموجب لتعذيب
التابع بقوله تعالى ومن يقل منهم اي من الخلايق
حتى العباد المكرمون الذي وصف كراماتهم و
قرب منزلتهم عنده والثني عليهم اني اله من دونه
اي الله اي غيره والذي قال ذلك كما قال الجلال
المحلي هو ابليس دعا الى عبادة نفسه وامر بطاعتها
فذلك اي الملعون الذي لا يصلح للتقريب اصلا
نجزيه جهنم لظلمه كذلك اي مثل هذا الجزاء
القطيع جدا نجزي الظالمين اي المشركين ثم انه سبحنه
وتعالى شرع الان في الدلايل الدالة على وجود
الصانع



الصانع بذكر منها ستة انواع النوع الاول قوله تعالى
اولم ير اي يعلم الذين كفروا علما هو كالمشاهدة
ان السموات والارض كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة
السموات وجماعة الارض رتقا قال ابن عباس والضحاك
كانتا شيا واحدا ملتزقتين رتقة واحدة ففتقناهما
اي فصلنا بينهما بالهوا والرتق في اللغة السد والفتق
الشق قال كعب الاحبار خلق السموات والارض
بعضها على بعض ثم خلق ريحا فوسطها ففتحها بها
وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتفقة طبقة
ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت
مرتفقة طبقة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال
عكرمة وعطية كانت السموات رتقا لا تمطر والارض
رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض بالنبات
فيكون المراد بالسموات سما الدنيا وجمعها باعتبار
الافاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا في
الامطار وانما قال تعالى رتقا على التوحيد وهو
من نعت السموات والارض لانه مصدر والكفرة
وان لم يعلموا ذلك فهم من المتمكنون من العلم
بالنظر او بالاستفسار من العلما او مطالعة الكتب

وقرا ابن كثير بغير واو بين الهمزة ولم والباقون
بالواو بين الهمزة واللام والنوع الثاني من الدلايل
قوله تعالى وجعلنا اي خلقنا بما اقتضته عظمتنا
من الما الماء هو الدافق وغيره كل شي حي مجاز
من النبات وحقيقة من الحيوان فان قيل قد خلق
الله تعالى بعض ما هو من غير الما كادم وعيسى
والملايكة اجيب بان هذا خرج مخرج الغالب
والاكثر اي ان اكثر ما خلق الله تعالى خلق من الماء
ولقاوم بالماء وقيل المراد بالماء ما انزل من السماء
او نبع من الارض افلا يومنون من ظهور هذه الايات
الواضحات بتوحيدي النوع الثالث من الدلايل
قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي اي
جبالا ثوابت كراهة ان تميد اي تتحرك بهم قيل ان
الارض بسطت على الما فكانت تتحرك كالسفينة
في الماء فارساها الله تعالى واثبتها بالجبال
النوع الرابع من الدلايل قوله تعالى وجعلنا فيها اي
في الرواسي فجاجا اي مسالك واسعة سهلت
ثم ابدل منها سبلا اي مذللة للسلوك ولولا ذلك
لتعسر او تعذر الوصول الى بعض البلاد لعلهم يهتدون



الى منافعهم من ديارهم وغيرها الى ما فيها من
الدلايل على الوحدانية النوع الخامس من الدلايل
قوله تعالى وجعلنا السما وافرد [illegible] اراده
الجنس لان اكثر الناس لا يشاهدون منها الا السما
الدنيا ولان الحفظ الشي الواحد اتقن سقفا
اي للارض كالسقف للبيت محفوظا اي عن
السقوط بالقدرة وعن الفساد والانحلال الى
الوقت المعلوم بالمشيه وعن الشياطين بالشهب
وهم اي اكثر الناس عن اياتها اي من الكواكب الكبار
والصغار ومن الرياح والامطار وغير ذلك من
الدلايل التي تفوت الانحصار الدالة على قدرتنا
على كل ما تريد من البعث وغيره وعلى عظمتنا
بالتفرد بالالهية وغير ذلك من اوصاف الكمال من
الجلال والجمال معرضون لا يتفكرون فيما فيها من
التسيير والتدبير وغير ذلك فيعلمون ان خالقها
لا شريك له النوع السادس من الدلايل قوله تعالى
وهو اي لا غيره الذي خلق الليل والنهار الذين هما
اعظم اياتها بقوله تعالى والشمس اي التي هي اعظم ايات النهار
والقمر الذي هو اعظم ايات الليل كل اي من الشمس

والقمر تابعه وهو النجوم في فلك مستدير
كالطاحونة في السما يسبحون اي يسيرون
بسرعة كالسابح في الما وللتشبيه به اتى بضمير
جمع من يعقل والمراد بالفلك الجنس كقولهم
كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم
اي كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفي بما
يدل على الجنس اختصارا لان الغرض الدلالة على
الجنس ونزل لما قال الكفار ان محمدا سيموت
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي البقا في الدنيا
افاين اي يتمنون موتك فان مت فهم الخالدون
فيها لا والله ليسوا في الدين فالجملة الاخيرة محل
الاستفهام الانكاري في معنى ذلك
قول فروة بن مسيك الصحابي
وقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا
وقرا نافع وحفص وحمزة والكسائي بكسر الميم
والباقون بضمها ثم بين تعالى ان احدا لا يبقى في هذه
الدنيا بقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت اي ذائقة
مرارة الموت اي مرارة مفارقة روحها جسدها

فلا



فلا يفرح احد ولا يحزن بموت احد بل يشتغل بما
يهمه والى الاشارة بقوله تعالى ونبلوكم اي نعاملكم
معاملة المبتلى المختبر ليظهر في عالم الشهادة الشاكر
والصابر والمومن والكافر كما هو عندنا في عالم الغيب
بان نخالطكم بالشر وهو المضار الدنيوية من الفقر
والالام وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين والخير
وهي نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكن
من المرادات وقوله تعالى فتنة مفعول له اي
لننظر اتصبرون وتشكرون ام لا كما يفتن الذهب
اذا اريد تصفيته بالنار عما يخالطه من الغش
فبين تعالى ان العبد مع التكليف يتردد بين
هاتين الحالتين لكي يشكر على المنح ويصبر
على المحن فيعظم ثوابه اذا قام بما يلزم والينا
بعد الموت لا الى غيرنا ترجعون فنجازيكم بما تعلمون
ثم عطف تعالى على قوله تعالى واسروا النجوى
قوله تعالى واذا راك اي وانت اشرف الخلق
الذين كفروا ان اي ما يتخذونك اي حال الرؤية الا
هزوا اي مهزوا بك يقولون انكارا واستصغارا

**هذا الذي يذكر الهتكم** اي يسبوا الذكر يكون بالخير
والشر واذا دلت القرينة على احدهما اطلق عليه
وذكر العدد لايكون الا بسوء **وهم** اي والحال
انهم **بذكر الرحمن** اي اذا ذكر لهم الرحمن **هم كافرون**
وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا مسيلمة
الكذاب وهم الثانية للتاكيد ونزل في استعجالهم
العذاب **خلق الانسان من عجل** كانه خلق منه
لفرط استعجاله وقلة ثباته والعرب يقولون
للذي يكثر منه الشي خلقت منه كقولك خلق
زيد من الكرم فجعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع
هو مبالغة في لزومه ولذلك قيل انه على
القلب اي خلق العجل من الانسان ومن عجلته
مبادرته الى الكفر واستعجال الوعد وقال سعيد
ابن جبير والسدي لما دخل الروح في جسد ادم
وعينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل الروح في جوفه
اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى
رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق
الانسان من عجل والمراد بالانسان ادم واورث

اولاده



اولاده العجلة وقال قوم معناه خلق الانسان
يعني ادم من تعجيل في خلق الله اياه لان
خلقه كان بعد خلق كل شي في اخر النهار يوم
الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس قال
مجاهد فلما احيا الروح راسه قال يارب
استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل بسرعة و
تعجيل على غير ترتيب خلق ساير الادميين من
النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها وقال قوم
من عجل اي من طين قال الشاعر
والنبع في الصخرة الصما منبته
والنخل ينبت بين الما والعجل
ثم قال تعالى مهددا للمكذبين **ساريكم اياتي**
اي مواعيدي بالعذاب **فلا تستعجلون** اي
تطلبون ان اوجد العجلة بالعذاب او غيره
فان منزه عن العجلة التي هي من جملة الله نقايصكم
لانها ارادة الشي قبل اوانه فان قيل لم نهاهم
عن الاستعجال مع قوله تعالى خلق الانسان
من عجل وقوله تعالى وكان الانسان عجولا
اليس هذا من تكليف ما لا يطاق اجيب

بان هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها
لانه اعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة
وترك العجلة وقدارهم بعض اياته وهو القتل
ببدر ويقولون في استهزايهم متى هذا الوعد
اي باتيان الايات من الساعة ومقدماتها
وغيرها ان كنتم فيما توعدون صادقين اي غير
يقين فى هذا الوصف يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم واصحابه وهذا هو الاستعجال
المذموم المذكور على سبيل الاستهزا ثم بين
تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم بقوله تعالى
لو يعلم الذين كفروا حين اي وقت لايكفون اي لا يدفعون عن
وجوههم اي التي هي اشرف اعضايهم النار استسلاما
وعجزا ولا عن ظهورهم التي هي اجسامهم من البساط
ولاهم ينصرون اي لا يمنعون من العذاب
في القيمة وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا
لما اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا العذاب
ولا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
بل تاتيهم القيمة بغتة اي فجاة فتبهتهم
اي تحيرهم يقال فلان مبهوت اي متحير

فلا



فلا يستطيعون ردها اي لا يطيقون طوع ذلك
لهم في ذلك الوقت لياسهم عنه ولاهم ينظرون
اي يمهلون لتوبة او معذرة ولما كان التقدير
حاق بهم هذا باستهزايهم بل اتبعه ما يدل على
ان الرسل في ذلك شرع واحد تسلية له صلى
الله عليه وسلم فقال عاطفا على واذا راك ولقد
استهزئ برسل من قبلك اي كثيرين لك بهم
اسوة وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة في الوصل
بكسر الدال والباقون بالضم واذا وقف حمزة
ابدل الهمزة يا ساكنة فحاق اي نزل بالذين
سخروا منهم ما كانوا يستهزءون وهو العذاب
فكذا يحيق بمن استهزا بك ولما اعلم الله تعالى
ان الكفار في الاخرة لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم بسايرما وصفهم به
اتبعه بانهم في الدنيا ايضا لولا ان الله تعالى يحرسهم
ويحفظهم لما بقوا في السلامة فقال تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم قل يا اشرف المرسلين
للمستهزءين من يكلوكم اي يحفظكم بالليل والنهار

من الرحمن اي من عذابه ان نزل بكم اي لا احد يفعل
ذلك بل هم عن ذكر ربهم اي القران معرضون لا
يتفكرون فيه ولا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا
باسه ام فيها معنى الهمزة كل انكار اي لهم
الهة موصوفة بانها تمنعهم مما يسوؤهم من
دوننا ليس لهم ذلك ثم وصف الهتهم بالضعف
فقال لا يستطيعون اي الالهة نصر انفسهم
فكيف ينصرون عابديهم ولا هم اي الكفار
منا اي من عذابنا يصحبون يقال صحبك
الله اي حفظك واجارك بل متعنا هولاء اي
الكفار على حقارتهم واباهم من قبلهم من النعم
استدراجا حتى طال عليهم العمر اي امتدت
بهم ايام الدنيا بالروح والطمانينة فحسبوا ان لا
يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب
امنهم واستمتاعهم وغلط ورش اللام بخلاف
عنه فاغتروا بذلك وذلك طمع فارغ وامل
كاذب افلا يرون اي يعلمون علما هو في وضوحه
مثل الرؤية بالبصر انا ناتي الارض اي ارض
الكفر



الكفر ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين
عليها واظهارها على اهلها بقتل بعض ورد بعض
عن رتبة دين الاسلام في نقص واوليا ونا
الى زيادة افهم الغالبون اي مع مشاهدتهم
لذلك ام اولياؤنا ولما كرر سبحنه وتعالى
في القران الادلة وبالغ في التنبيه على ما تقدم
اتبعه بقوله تعالى قل يا اشرف الخلق لهولا
المشركين انما انذركم اي اخوفكم بالوحي من الله
لا من قبل نفسي ولا يسمع الصم الدعا اي لمن
يدعوهم اذا ما ينذرون اي يخوفهم لترك العمل
بما يسمعون كالصم فان قيل الصم لا يسمعون
دعا البشر كما لا يسمعون دعا المنذر فكيف اذا ما
ينذرون اجيب بانه وضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم
اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراة
والجسارة وعلى التصام من الايات الانذار
وقرا ابن عامر ولا تسمع بالتا الفوقية مضمومة
وكسر الميم ونصب ميم الصم ونصب الدعا واذا هم

مختلفتان من كلمتين الاولى مفتوحة والثانية
مكسورة فنافع وابن كثير وابو عمرو بتخفيف
الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء
والباقون بتخفيف الهمزتين هنا في حال
الوصل فان وقف على الهمزة الاولى فالجميع
يبتدون الثانية بالتخفيف ويقف حمزة
وهشام بابدال الهمزة الفا مع المد والتوسط
والقصر ولئن مستهم اي اصابتهم نفحة اي
وقعة حقيقة وفي ذلك مبالغات ذكر المس
وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح
هبوب رائحة الشي والتا الدالة على المرة
من عذاب ربك المحسن اليك بنصرك عليهم
من الذي ينذروا به ليقولن وقد اذهلهم
امرها يا ويلنا الذي لا نرى يحضرنا الان غيرها
انا كنا ظالمين دعوا على انفسهم بالويل بعد
ما اقروا بالظلم ثم ذكر تعالى بعض ما يفعل في
حساب الساعة من العدل فقال عاطفا
على قوله تعالى بل تاتيهم بغتة ونضع الموازين
القسط اي ذوات العدل ليوم القيامة اي فيه

وانما



وانما جمع الموازين لكثرة من توزن اعمالهم ويجوز ان
يرجع الى الموزونات وقيل وضع الموازين تمثيلا
لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال
بالعدل والصحيح الذي عليه ايمة السلف ان الله
تعالى يضع ميزانا حقيقة يزن به اعمال العباد وعن
الحسن هو الميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود
عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فاراه كل
كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم افاق
فقال الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات
قال يا داود اذا رضيت عن عبدي ملاتها
بتمرة فان قيل كيف توزن الاعمال مع انها اعراض
اجيب بان فيه طريقتين احدهما انها توزن
صحايف الاعمال فتوضع صحايف الحسنات في كفة وصحايف
السيات في كفة والثاني ان توضع في كفة الحسنات
جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيات جواهر سود
مظلمة فان قيل هذه الاية تناقضها قوله تعالى
في الكفار فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اجيب
بان المراد منه انا لا نكرمهم ولا نعظمهم فلا تظلم نفس شيا
اي من نقص حسنة او زيادة سيئة وان كان

اي العمل مثقال اي وزن حبة من خردل او اصغر
منه وانما مثل به لانه لا غاية عندنا لها في القلة
وقرا نافع برفع اللام على ما كان التامة والباقون
بالنصب وكذا في لقمان اتينا بها اي بوزنها ولما
كان حساب الخلايق كلهم هي كل ما صدر منهم
امرا باهرا للعقل حقره عند عظمته فقال وكفى
بنا اي بما لنا من العظمة حاسبين اي محصين
في كل شي فلا يكون في الحسنا احد مثلنا ففيه
توعد من جهة ان معناه انه لا يروج عليه شي من
خداع ولا يقبل غلطا ولا يضل ولا ينسى الى ذلك
من كل ما يلزم منه نوع لبس وشرب سنقص
ووعد من جهة انه مطلع على حسن قصد وان
دق وخفي ولما تكلم سبحانه وتعالى في دلايل
التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص
الانبيا عليهم الصلاة والسلام تسلية
لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما يناله من
قومه وتقوية لقلبه على اداء الرسالة والصبر
على كل من عارض وذكر منها عشر القصة
الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة
في



في قوله تعالى فقال ولقد اتينا موسى وهارون
اي اخاه الذي سال ربه ان يشد ازره به
الفرقان اي التوراة الفارقة بين الحق والباطل
وبين الحلال والحرام وضياء بها لا ظلام معه
اي ليستضاء بها في الظلمات الحيرة والجهل وقرا قنبل
بعد الضاد بهمزة مفتوحة ممدودة والباقون
بيا بعدها الف وذكرا اي عظة للمتقين
او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرايع وقيل الفرقان
النصر وقيل فلق البحر ويراد بالضيا على هذه
التورية ثم بين المتقين بوصفهم بقوله تعالى
الذين يخشون اي يخافون خوفا عظيما ربهم
اي المحسن اليهم بعد الايجاد بالتربية وانواع الاحسان
بالغيب عن الناس اي في خلاتهم او بالغيب
قبل ان يكشف لهم الحجاب في الجنة وهم من
الساعة اي التي توضع فيها الموازين وقد
اعرض عنها الجاهلون مع كونها اعظم حامل على كل
خير ومساعد عن كل ضير مشفقون اي خايفون
لانهم لقيامها متحققون ولنصب الموازين فيها
عالمون ولما ذكر تعالى فرقان موسى عليه

السلام وكان العرب يشاهدون تمسك اليهود به
حثهم على كتابهم الذي هو اشرف منه بقوله
تعالى وهذا اي القران واشار اليه باداة القرب
اي الى سهولة تناوله عليهم ذكر اي موعظة مبارك
اي كثير خيره انزلناه على اشرف الرسل محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى افانتم له
منكرون اي جاحدون استفهام توبيخ القصة
الثانية قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
المذكورة في قوله تعالى ولقد اتينا عما لنا من القصة
ابراهيم رشده اي صلاحه وهداه من قبل
اي من قبل موسى وهرون ومحمد صلى الله
عليه وسلم وقيل من قبل استنبائه او بلوغه
حيث قال اني وجهت وجهي وكنا به
ظاهرا وباطنا عالمين بانه متاهل لما اتيناه
لانه جبلة خير جامع لمحاسن الاوصاف
ومكارم الخصال يدوم على الرشد ويترقى
فيه الى اعلا درجاته لما طبعناه عليه وفي ذلك
اشارة الى انه تعالى فعله باختيار وحكمة وانه
عالم بالجزئيات وتعليق اذ قال ابراهيم لابيه وقومه

بعالمين



بعالمين اشارة الى انه قوله لما كان باذن منا ورضى لنا
نصرناه وهو وحده على قومه كلهم ولو لم يكن برضينا
لمنعناه منه بنصر قومه عليه وتمكين النار منه
ثم ذكر مقول القول منكرا عليهم محقرا لاصنامهم ما
هذه التماثيل اي الصور التي صنعتموها مماثلين
بها فيها روح الله جاعلين الهتنا ما لا يكون الا لمن
لا مثل له وهي الاصنام التي انتم لها اي لاجلها وحدها
مع كثرة ما يشابهها وما هو افضل منها عاكفون
اي مقيمون على عبادتها فان قيل هلا قال عليها
عاكفون كقوله تعالى يعكفون على اصنام لهم اجيب
بان اللام للاختصاص لا للتعدية ولو قصد التعدية
لعداه بصلته التي هي على ثم انه تعالى ذكر جوابهم
له بما لزم الاستفهام عن السؤال بانهم قالوا وجدنا
اباءنا لها عابدين قال فاقتدينا بهم لا حجة لنا غير
ذلك حتى استدرجهم الى ان قلدوا اباهم في عبادة
التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون
فانظر ما اقبح التقليد وما اعظم كيد الشيطان
للمقلدين وهم معتقدون انهم على شيء وجادون

من التعجب من تسهيل الكيد على يديه وتأتيه لان ذلك
كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري
ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في
زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه
وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا اراد الله شيا
عقب بشي تيسرا ولما كان عزمه على ايقاع الكيد
في جميع الزمان الذي يقع فيه تولهم في اي حين
تيسر له منه اسقط الجار فقال بعد ان تولوا مدبرين
اي بعد ان تدبروا منطلقين الى عيدكم قال
مجاهد وقتادة انما قال ابراهيم هذا سرا من
قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد فافشاه
عليه وقال انا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
وقال السدي كان لهم في كل سنة مجمع عيد
فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام
فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك
العيد قال لابراهيم ابونا ابراهيم له لو خرجت
معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم
فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني
سقيم

سقيم يقول اشتكي رجلي فلما مضوا نادى في اخرهم
وقد بقي ضعفا الناس تالله لاكيدن اصنامكم
فسمعوها منه فلما رجع ابراهيم الى بيت الالهة
وهو في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم
الى جنبه اصغر منه والاصنام بعضها الى جنب
بعض كل صنم يليه اصغر منه الى باب البهو واذا هم
قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدي الالهة وقالوا
اذا رجعنا وقد تركت الاصنام الالهة عليه اكلنا
منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين ايديهم من
الطعام قال لهم على طريق الاستهزا الا تاكلون
فلما لم يجيبوه قال لهم ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم
ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاس في يده حتى
لم يبق الا الصنم الاكبر علق الفاس في عنقه ثم خرج
فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا اي فتاتا وقرا
الكسائي بكسر الجيم والباقون بضمها الا كبيرا لهم فانه
لم يكسره ووضع الفاس في عنقه وقيل ربطه
بيده وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها
من ذهب وبعضها من حديد ورصاص وخشب
وحجر وكان الصنم الكبير من الذهب مكلل

بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان لعلهم اي هولا
الضلال اليه اي ابراهيم يرجعون عن الزامه بالسوال
فتقوم عليه الحجة فلما عادوا الي اصنامهم وجدوها
علي تلك الحالة قالوا من فعل هذا الفعل الفاحش بالهتنا
انه لمن الظالمين حيث وضع الاهانة في غير موضعها
فان الالهة حقها الاكرام لا الاهانة والانتقام
قالوا اي الذين سمعوا قوله وتالله لاكيدن
اصنامكم سمعنا فتى اي شابا من الشباب يذكرهم
اي يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم اي هو الذي
يظن انه صنع هذا فلما بلغ ذلك نمرود الجبار
واشراف قومه قالوا فاتوا به الي بيت الاصنام
علي اعين الناس اي جهرة والناس ينظرون اليه
نظرا لا خفا معه حتي كانه ماش علي ابصارهم
متمكنا منها تمكن الراكب علي المركوب لعلهم يشهدون
عليه بانه الذي صنع وفعل بالالهة هذا الفعل
كرهوا ان ياخذوه بغير بينة وقيل معناه
لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما اتوا به
قالوا منكرين عليه انت فعلت هذا الفعل
الفاحش بالهتنا يا ابرهيم تنبيه هنا همزتان
مفتوحتان من كلمة فالكوفيون يحققون الاولي واما

١٦٠

١٥٨

واما الثانية يسهلها نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام
بخلف عنه وادخل الفا قالون وابو عمرو والباقون
بتخفيفها وعدم الادخال بينهما ثم قال ابراهيم متهكما
بهم وملزما بالحجة بل فعله كبيرهم غيرة ان تعبد
معه من دونه وتقييده بقوله هذا اشارة الي
الذي تركه من غير كسر ولما اخبرهم فلم يكن احد رآه
حتي ليشهد علي فعله وكانوا قد رحلوا بعبادتهم
ووضع الطعام لهم تحيل من يعقل لتسبب عن
اسرهم بسوالهم فقال فاسالوهم اي عن الفاعل المجرم
به وقوله ان كانوا ينطقون اي علي زعمكم انهم الهة
ينفعون ويضرون فيه تقديم جواب الشرط اي فان
قدروا علي النطق اسكنت عنهم القدرة والا فلا قرارهم
عجزهم عن النطق وفي ضمنه انا فعلت ذلك روي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهم في ذات
الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا
وقوله لسارة هذه اختي وقال في حديث الشفاعة
ويذكر كذباته اي انه لم يتكلم بكلمات صورتها صورة
الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات وقيل

في قوله اني سقيم اي ساسقم وقيل سقيم القلب اي
مغتم بضلالتكم وقوله لسارة هذه اختي اي في
الدين وقوله بل فعله كبيرهم هذا روي عن الكسائي
انه كان يقف عند قوله بل فعله ويقول كبيرهم
هذا مبتدا وخبر قال البغوي وهذه التاويلات
لنفي الكذب والاولى هو الاول للحديث فيه
ويجوز ان يكون الله تعالى قد اذن له في ذلك
لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما
اذن ليوسف عليه السلام حتى نادي مناديه
فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا
وقال الرازي الحديث محمول على المعاريض كذبا
لما اشبهت صورتها صورته وقرا ابن كثير والكسائي
بفتح السين وترك الهمزة وكذا يفعل حمزة في الوقف
والباقون بسكون السين وبعدها همزة مفتوحة
وقيل الوقف على بل فعله ثم يبتدي بقوله
كبيرهم هذا ولما اضطرهم الدليل الى انهم تحققوا على
محض الباطل فرجعوا الى انفسهم بالتفكر فقالوا
اي بعضهم لبعض انكم انتم الظلمون لكونكم وضعتم
العبادة في غير موضعها لابراهيم فانه اصاب

باهانتهم



باهانتهم ثم نكسوا على رءوسهم اي انقلبوا عن
مستحيين مما يلزمهم من الاقرار بالسفه الى المجادلة
له بعد ما استقاموا بالمراجعة من قولهم نكس
المريض اذا عاد الى حاله الاولى شبه عودهم الى الباطل
بصورة اسفل الشي مستعليا على اعلاه ثم انهم قالوا
في مجادلتهم عن شركائهم والله لقد علمت يا ابراهيم
ما هؤلاء صحيحهم ولا جريحهم ينطقون اي فكيف
تامرنا بسؤالهم ولما تسبب عن قولهم هذا اقرارهم
بانهم لا فايدة فيهم اتجه لابراهيم عليه السلام الحجة
عليهم قال منكرا عليهم موبخا لهم افتعبدون من
دون الله اي بدله ما لا ينفعكم شيا من رزق وغيره
لترجوه ولا يضركم شيا اذا لم تعبدوه لتخافوه اف
اي تبا وقبحا لكم ولما تعبدون من دون الله اي غيره
وقرا نافع وحفص بتنوين الفا المكسورة وابن كثير
وابن عامر بفتح الفا من غير تنوين والباقون بكسر
الفا من غير تنوين ولما تسبب عن فعلهم هذا الوضوح
انه لا يقربه عاقل انكر عليهم ووبخهم بقوله افلا تعقلون
قبح صنعكم وانتم شيوخ قد مرت بكم الدهور وحنكتكم
التجارب ولما دحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر

الحق واندفع الباطل قالوا عادلين الى العناد في
استعمال القوة السيئة حرقوه بالنار لتكونوا قد
فعلتم فيه فعلا اعظم مما فعل بالهتكم وانصروا
الهتكم التي جعلها جذاذا ان كنتم فاعلين رضي
قال ابن عمر ان الذي قال هذا رجل من الاكراد
قيل اسمه سبتوت فخسف الله تعالى به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقيل قاله نمرود
ابن كوش بن حام بن نوح عليه وسلم وروي صلى الله
نمرود وقومه حين هموا باحراقه حبسوه في بيت
ثم بنوا عليه بيتا كالحظيرة بقرية يقال لها
كوثى ثم جمعوا له اصناف الحطب من اصناف الخشب
مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت
لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المراة تغزل وتشترى
بغزلها الحطب احتسابا في دينها وكان الرجل
يوصي بشرى الحطب والقايه فيه فلما جمعوا ما
ارادوا اشتعلوا في كل ناحية من الحطب نارا
فاشتعلت النار واشتدت حتى كان الطير
ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها واوقدوا
عليها سبعة ايام فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم
لم يعلموا كيف ان يلقوه فجاءهم ابليس عليه
اللعنة



اللعنة فعلمهم عمل المنجنيق مقيدا مغلولا
فصاحت الملايكة والسما والارض ومن فيها
من الملايكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة
واحدة ربنا خليلك يلقى في النار وليس في ارضك
من يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته فقال عز
وجل انه خليلي وليس لي خليل غيره وانا
الهه وليس له اله غيري فان استغاث باحد
منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك
وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا
بيني وبينه فلما اراد القاءه في النار اتاه خازن
المياه فقال ان اردت ان اخمد النار واتاه
خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار
في الهوى فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم
حسبي الله ونعم الوكيل وروي عن كعب الاحبار
ان ابراهيم قال حين اوثقوه ليلقوه في النار
لا اله الا انت سبحنك اني كنت من الظالمين رب العالمين
لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به
في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال
يا ابراهيم الك حاجة فقال اما اليك فلا

ثم قال جبريل فاسال ربك فقال ابراهيم حسبي
من سوالي علمه بحالي وعن ابن عباس في قوله
تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم
عليه السلام حين القي في النار وقالها اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قال كعب
الاحبار جعل كل شي يطفي النار عنه الا الوزغ
فانه كان ينفخ في النار على ابراهيم ولما
اراد الله تعالى النجاة له العقوبة جميعا سلامة
منها قال تعالى قلنا يا نار كوني باردتنا لا
تتخلف عنها مرادا بردا قال ابن عباس لو لم
يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها وفي
الاثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا
طفيت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم
ولو لم يقل تعالى على ابراهيم بقيت ذات برد
ابدا والمعنى كوني ذات برد ابدا وسلام
على ابراهيم فبولغ في ذلك حتى كان ذاتها
برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك
ابراهيم او ابردي بردا غير ضار قال السدي
فاخذت



فاخذت الملايكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه على
الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس
قال كعب ما احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه
قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة ايام
قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت ايام
قط انعم مني في الايام التي كنت في النار وقال ابن
يسار وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة
ابراهيم فقعد فيها الى جنب ابراهيم يونسه قال
وبعث الله جبريل عليه السلام بقميص من حرير
الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على
الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا
ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر
احبابي ثم نظر نمرود واشرف على النار من صرح
له فراه جالسا في روضة والملك قاعدا الى جنبه
وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم
بالهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين
ما ارى هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم
قال تخشى ان قمت فيها ان تضرك قال لا قال قم
فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج

منها فلما خرج اليه قال له من الرجل الذي رايت
معك في مثل صورتك قاعدا الي جنبك قال ذلك
ملك المظل ارسله الي ربي يونسني فيها فقال
نمرود اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته
وعزته فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته
وتوحيده اني ذابح له اربعة الاف بقرة قال
اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى
تفارقه على ديني فقال لا استطيع ترك ملكي
ولكن سوف اذبحها له فذبحها له نمرود ثم
كف عن ابراهيم ومنعه الله تعالى منه
وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ستة عشر سنة
واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول
ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء في الحديث
لا يعذب بالنار الا خالقها وقيل ان الله
تعالى نزع عنها الذي طبعها عليه من الحر
والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق
والاشتعال كما كانت والله على كل شي قدير
فدفع عن ابراهيم حرها كما يدفع الله ذلك
عن خزنة جهنم وارادوا به كيدا اي
مكرا



مكرا في اضرامه بالنار وبعد خروجه منها
فجعلناهم بما لناس من الجلال الاخسرين اي اخسر
من كل خاسر عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم
على الباطل وابراهيم على الحق موجبا الزيادة درجته
واستحقاقهم اشد العذاب وقد ارسل الله تعالى
على نمرود وعلى قومه البعوض واكلت لحومهم
وشربت دماهم ودخلت في دماغهم بعوضة
فاهلكته فائدة وقع من هذه القصة
لبعض اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وهو ابو مسلم الخولاني طلبه الاسود العنسي
لما ادعى النبوة فقال اتشهد اني رسول الله
قال ما اسمع قال تشهد ان محمدا رسول الله
قال نعم فامر بنار فالقي فيها ثم وجده قايما
يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما وقدم
المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم
فاجلسه عمر بينه وبين ابي بكر رضي الله عنهما
وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى اراني من امة محمد
صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم
خليل الله ونجيناه ولوطا اي من نمرود وقومه

من ارض العراق الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين وهي الشام بارك الله فيها بالخصب
وكثرة الاشجار والثمار والانهار ومنها
بعث اكثر الانبيا قال ابي بن كعب بارك الله فيها
وسماها مباركة لانه ما من عذب الا وينبع اصله
من تحت الصخرة التي ببيت المقدس اي يهبط من
السما الى الصخرة ثم يتفرق في الارض قال ابو العالية
وعن قتادة ان عمر رضي الله تعالى عنه قال
لكعب الاحبار الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال
كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا امير المومنين
ان الشام كنز الله في ارضه وبها كنزه من عباده
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون
هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم
قال محمد بن اسحاق استجاب لابراهيم رجال
من قومه حين راوا ما صنع الله به عز وجل
من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف
من فرعون نمرود وملايه وامن به لوط
وكان



وكان ابن اخيه وهو لوط بن هاران
ابن تارخ وهاران هو اخو ابراهيم وكان لهما
اخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ وامنت به
ايضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران
الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوثى وهي بضم الكاف
وسكونه قال ابن الاثير هي كوثى العراق
وهي بشدة السواد وبها ولد ابراهيم الخليل
عليه السلام فخرج منها مهاجرا الى ربه ومعه
لوط وسارة كما قال تعالى فامن له لوط
وقال اني مهاجر الى ربي فخرج يلتمس الفرار
بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران
فمكث بها ما شا الله ثم خرج منها مهاجرا حتى
قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل
السبع من ارض فلسطين وهو قرية بالشام
ونزل لوط بالموتفكة وهي على مسيرة يوم
وليلة من السبع فبعثه الله تعالى نبيا الى
اهله وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
بالخلفاء الراشدين وغيرهم من العلما الصالحين

الذين اثبت خيراتهم العملية والعلمية والمالية في جميع
الاقطار ولما اولد لابراهيم عليه السلام في حال
شيخوخته وعجز امراته مع كونها عقيما وكان ذلك
دالا على الاقتدار على البعث الذي السياق في كله قال
تعالى **ووهبنا له** دالا على ذلك بنون العظمة **اسحق**
اي من شبه العدم وترك شرح حاله لتقدمه اي فكان
دليلا على اقتدارنا على ما نريد لا سيما من اعادة الخلق
في يوم الحساب ثم انه قد يظن ان لتولده بين شيخ
فان وعجوز عقيم كان على حالة من الضعف لا يولد
لمثله معها ننفي ذلك بقوله تعالى **ويعقوب نافلة**
اي ولدا لا استحق زيادة على ما دعى به ابراهيم
عليهما السلام ثم بني سبحنه وتعالى اولاد يعقوب
وهو اسرائيل وذرياتهم الى ان ساموا النجوم
عدة وبادوا الجبال شدة **وكلا** من هولاى
الاربعة وهم ابراهيم ولوط واسحق ويعقوب
وعظم رتبتهم بقوله تعالى **جعلنا صالحين**
مهيين لطاعتهم لله تعالى لكل ما يريدونه
او يرادونه او يراد منهم ثم ولما ذكر انه تعالى
اعطاهم رتبة الصلاح في انفسهم ذكر انه تعالى

اعطاهم



اعطاهم رتبة الصلاح لغيرهم فقال تعالى معظما
لاماستهم **وجعلناهم ايمة** اي اعلاما ومقاصد
يقتدى بهم في الدين لما اتيناهم من العلم والنبوة
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة
الثانية المكسورة بين الهمزتين والياء ويجوز ابدالها
عندهم ياء خالصة ولا يدخلون بينهما شيئا وقرا
هشام بتحقيق الهمزتين وادخال الف بينهما بخلاف
عنه في الادخال وعدمه والباقون بتحقيق الهمزتين
من غير ادخال بلا خلاف **يهدون** اي يدعون
الناس ووفقناه للهداية **بامرنا** اي باذننا **واوحينا**
**اليهم** ايضا **فعل** اي ان يفعلوا **الخيرات** يحثوهم عليها
فيتم كمالهم بانضمام العلم الى العمل قال البقاعي
ولعله تعالى عبر بالفعل دلالة على انهم امتثلوا
كلما يوحى اليهم وقال الزمخشري اصله ان يفعل
الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلاة وايتاء
الزكاة انتهى وقوله تعالى **واقام الصلاة وايتا**
**الزكاة** من عطف العام على الخاص تعظيما لشانهما
لان الصلاة تقرب العبد الى الحق تعالى
والزكاة الاحسان الى الخلق قال الزجاج

الاضافة في الصلاة عوض عن تاء التانيث معني
فيكون من الغالب لا من القليل وكانوا لنا دائما
جبلة وطبعا عابدين اي موحدين مخلصين
في العبادة وكذلك قدم الصلاة القصة الثالثة
قصة لوط عليه السلام المذكورة في قوله تعالى
ولوطا اي واتينا لوطا اي واذكر لوطا ثم استانف
قوله تعالى اتيناه حكما اي نبوة وعملا محكما بالعلم
وقيل فصلا بين الخصوم وعلما مزينا بالعمل مما
ينبغي علمه للانبيا ونجيناه من القرية اي قرية
سدوم التي كانت قبل اجابتنا له منها تعمل
اي اهلها الاعمال الخبائث من اللواط و
الرمي بالبندق واللعب بالطنبور والتضارط
في انديتهم وغير ذلك وانما وصف القرية
بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف
واقامته مقامه ويدل عليهم انهم كانوا اي
بما جبلوا عليه قوم سوء اي ذوي قدرة على
الشر بانهماكهم في الاعمال السيئة فاسقين
اي خارجين من كل خير وادخلناه دونهم في رحمتنا
اي في الاحوال السنية والاقوال العلية والافعال
الزكية التي هي سبب للرحمة العظمى ومسببة

عنها

عنها ثم علل ذلك بقوله تعالى انه من الصالحين
اي الذين سبقت لهم منا الحسنى اي لما جبلناه عليه
من الخير القصة الرابعة قصة نوح عليه السلام
المذكورة في قوله تعالى ونوحا اي واذكر نوحا اذ اي
حين نادى اي دعا ربه على قومه بالهلاك بقوله
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ونحوه من
الدعا من قبل اي من قبل لوط ومن تقدمه فاستجبنا
له اي اردنا الارادة واوجدناها بعظمتنا له في
ذلك النداء ثم سبب عن ذلك قوله تعالى فنجيناه
واهله اي الذين دام ثباتهم في الايمان وهم من كان
معه في السفينة من الكرب العظيم اي من اذى
قومه ومن الغرق والكرب الغم الشديد وقال
المسكي وقال ابو حيان الكرب اقصى الغم والاخذ
بالنفس وهو هنا الغرق عبر عنه باول الحول لما
اخذ الغريق ونصرناه اي منعناه من القوم اي
المتصفين بالقوة الذين كذبوا باياتنا من ان
يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على انهم كانوا
قوم سوء اي لا عمل لهم الا ما يسوء فاغرقناهم اجمعين
لاجتماع الامرين بتكذيب الحق والانهماك في الشر

لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله تعالى القصة
الخامسة قصة داوود وسليمن عليهما
السلام المذكورة في قوله تعالى وداوود و
سليمان ابنه اي اذكرهما واذكر شانهما اذ اي
حين يحكمان في الحرث الذي انبت الزرع وهو من
اطلاق اسم السبب على المسبب كالسماء على
المطر والنبت قال ابن عباس واكثر المفسرين كان
ذلك كرما قد تدلت عناقيده وقال قتادة كان
زرعا قال ابن الخازن وهو اشبه بالعرف
اذ نفشت اي انتشرت ليلا بغير راع فيه غنم
القوم فرعته قال قتادة النفش في الليل
والهمل بالنهار وكنا لحكمهم اي الحاكمين والمتحاكمين
اليهما شاهدين اي كان ذلك بعلمنا ومرآنا
لا يخفى علينا علمنا وقال الفراء جمع اثنين فقال
لحكمهم ويريد داوود وسليمن لان الاثنين جمع
وهو مثل قوله تعالى فان كان له اخوة فلامه
السدس وهو يريد اخوين قال ابن عباس
وقتادة وذلك ان رجلين دخلا على
داوود عليه السلام احدهما صاحب حرث
والاخر

والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان هذا
انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فافسدته فلم
تبق منه شيا فاعطاه داوود رقاب الغنم بالحرث
فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشر سنه فقال
لو وليت امرهما لقضيت بغير هذا وروي انه قال
غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داوود فدعاه
فقال كيف تقضي ويروى انه قال بحق النبوة و
الابوة الا ما اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين
قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها
ونسلها وصوفها ويبذر صاحب الغنم لصاحب
الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته دفع
الى اهله واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود
القضا ما قضيت كما قال تعالى ففهمناها
اي الحكومة سليمن اي علمناه القضية والهمنا له
تنبيه يجوز ان تكون حكومتهما بوحي الا ان
حكومة داوود نسخت بحكومة سليمن ويجوز ان
يكون باجتهاد الا ان اجتهاد سليمن اشبه بالصواب
فان قيل ما وجه كل واحدة من الحكومتين اجيب
بان وجه حكومة داوود ان الضرر وقع

بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجنى عليه كما قال ابو
حنيفة فى العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى
بذلك او يفديه وعند الشافعى يبيعه فى ذلك
او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان
فى الحرث ووجه حكومة سليمن انه جعل الانتفاع
بالغنم بازاء ما فات بالانتفاع بالحرث من غير ان
يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب
الغنم ان يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان
مثاله ما قاله اصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا وابق
من يديه انه يضمن بالقيمة فينتفع بها المغصوب
منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد
فاذا ظهر ترادا فان قيل لو وقعت هذه
الواقعة فى شريعتنا ما حكمها اجيب بان
اباحنيفة واصحابه لا يرون فيها ضمانا
بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة
سايق او قايد لقوله صلى الله عليه وسلم
جرح العجما جبار اى هدر رواه الشيخان
وغيرهما والشافعى واصحابه بوجوب الضمان
بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب

ليلا



ليلا ولذلك قضى النبى صلى الله عليه وسلم
لما دخلت ناقة البرا حايطا وافسدته فقال على اهل
الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها
بالليل ولما كان ذلك ربما اوهم شيا فى امر داود
نفاه بقوله تعالى وكلا منهما اتينا حكما اى نبوة
وحكما وعلما موسسا على حكمة العلم وعلما موبدا بمصالح
العمل وعن الحسن لولا هذه الاية لرايت القضاة
قد هلكوا ولكنه تعالى اثنى على سليمان عليه
السلام لصوابه وعذر داود عليهما السلام
باجتهاده اه وهذا على الراى الثانى وعليه
اكثر المفسرين وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا
حكم فاجتهد فاخطا فله اجر وهل كل مجتهد
مصيب او المصيب واحد لا بعينه روايتان
اظهرهما الثانى وان كان مخالفا لمفهوم الاية
اذ لو كان كل مجتهد مصيبا لم يكن للتقسيم فى الحديث
معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا حكم
فاجتهد فاخطا فله اجر لم يرد به انه موجر

على الخطا بل يوجر على اجتهاده في طلب الحق لان
اجتهاده عبادة والاثم في الخطا عنه موضوع
فايدة من احكام داوود عليه السلام و
سليمان عليهما السلام ما روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول كانت امراتان معهما ابناهما فجاء
الذيب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما
ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك
فتحاكما الى داوود فقضى به للكبرى فخرجتا
على سليمن فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين
اشقه بينكما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله
هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه في الصحيحين
كما انه تعالى ذكر لداوود وسليمن بعض المعجزات
فمن بعض معجزات الاول ما ذكره بقوله **وسخرنا**
**مع داوود الجبال** مع صلابتها وعظمها **يسبحن**
معه اي يقدسون الله تعالى ولو شينا لجعلنا
الحرث والغنم تكلمه بصواب الحكم وقال ابن عباس
كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقوله تعالى **والطير**
عطفا على الجبال او مفعول معه وقال وهب كانت
الجبال



الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذا الطير قال قتادة
يسبحن اي يصلين معه اذا صلى وقيل كان
داوود اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير
لينشط في التسبيح ويشتاق اليه وقيل يسبحن
بلسان الحال وقيل يسبح من راها تسير معه
بتسبير الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت
به **وكنا فاعلين** اي من شاننا الفعل مثل هذه
الافاعيل ولكل شي نريده فلا يستكبر علينا امر
وان كان عندكم عجبا وقد اتفق نحو هذا لغير
واحد من هذه الامة كان مطرف بن عبد الله
ابن الشخير اذا دخل بيته سبحت معه
انيته واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان
الطعام يسبحن بحضرته والحصا وغيره **وعلمناه**
**صنعة لبوس** اي صنعة الدروع وسردها
واتخذها حلقا داوود وكانت من قبل صفايح
وقد الان الله تعالى الحديد لداوود فكان
يعمل منه بغير نار كانه طين قال البغوي وهو اي
اللبوس في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل
في الاسلحة كلها وهو بمعنى الملبوس كالحلوب

والركوب وقوله تعالى لكم متعلق بعلم او صفة
للبوس وقوله تعالى ليحصنكم من باسكم بدل
من بدل الاشتمال باعادة الجار وموضع الضمير
يختلف باختلاف القراة فقرا الشعبة بالنون
فالضمير للصنعة وللبوس على تاويل الدرع
وقرا الباقون بالياء التحتية فالضمير لداود
واللبوس وقوله تعالى فهل انتم شاكرون
اي لنا على ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام
للمبالغة او التقريع ومن بعض معجزات الثاني
ما ذكره بقوله تعالى ولسليمن اي وسخرنا
لسليمن الريح قال البغوي وهي هوا يتحرك
وهو جسم لطيف يمنع بلطفه عن القبض عليه
ويظهر للحس بحركته والريح تذكر وتونث
عاصفة اي شديدة الهبوب فان قيل قد قال
تعالى في موضع اخر تجري بامره رخاء والرخا
اللين اجيب بانها كانت تجري امره ان اراد
ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت
وقيل كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا
مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على
ما



على ما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر
وقوله تعالى تجري بامره اي بمشيته حال ثانية
او بدل من الاول او حال من ضميرها الى الارض
التي باركنا فيها اي الشام وذلك انها كانت تجري
لسليمن واصحابه الى حيث شا سليمن ثم تعود الى
منزله بالشام قال وهب بن منبه كان سليمن
عليه السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه
الطير وقام اليه الجن والانس حتى يجلس على
سريره وكان امرا وكان غزاة قل ما يقعدون عن
الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا
اتاه حتى يذله وكان اذا اراد الغزو امر بعسكره
فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل
عليه الناس والدواب والة الحرب فاذا حمل معه
ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك
الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخا
فمر به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث
اراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخا بالمزرعة فما
تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طايرا وقال مقاتل
نسجت الشياطين لسليمن بساطا فرسخا في فرسخ

ذهبا في ابريسم وكان يوضع عليه منبرا من الذهب
في وسط البساط ويقعد عليه وحوله ثلاثة الاف
كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبيا على كراسي
الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن و
الشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه
الشمس وترفع عليه ريح الصبا البساط مسيرة
شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح
قال سعيد بن جبير كان يوضع لسليمن ستمائة
الف كرسي تجلس الانس فيما يليه ثم يليهم الجن
ثم تظلهم الطير ثم تحملهم الريح وقال الحسن لما شغلت
الخيل نبي الله سليمن حتى فاتته الصلاة صلاة
العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها
خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف يشا
فكان يغدوا من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح
منها فيكون رواحها ببابل وقال ابن زيد كان
له مركب من خشب وكان له الف ركن في كل ركن
الف بيت تركب فيه الجن والانس تحت كل ركن
الف سلطان يقفون ذلك المركب فاذا ارتفعت
اتت الريح الرخا فسارت به وهم فيقيل عند

قوم

١٧٠

قوم بينه وبينهم شهر ولا تدري القوم الا فيها
وقد اظلهم معه الجيوش وكنا اي ازلا وابدا
باحاطة العظمة بكل شي اي من هذا وغيره
من امره وغيره عالمين ومن علمنا ان ذلك لا يزيد هم
الا تواضعا وسخرنا الريح كما سخرناها للنبي صلى
الله عليه وسلم ليالي الاحزاب قال حذيفة رضي الله
عنه حتى كانت تقلبهم بالحجارة ما يجاوز عسكرهم
فهزمهم الله تعالى وردوا بغيظهم لم ينالوا خيرا
واعطى صلى الله عليه وسلم اعم ما اعطى جميع
الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقد اعطى صلى
الله عليه وسلم التصرف في العالم العلوي الذي
جعل الله تعالى منه الفيض على العالم السفلي
بالاحتراق لطباقه بالاسترارة وبامساك لما
دعا بسبع كسبع يوسف عليه السلام اخرى
كما في احاديث كثيرة واتي مع ذلك بمفاتيح خزاين
الارض كلها فردها صلى الله عليه وسلم ومن
اي وسخرنا لسليمن من الشياطين الذين هم
اكثر شي تمردا وعتوا من يغوصون له اي لاجله
في البحر فيخرجون الجواهر وغيرها من المنافع

وذلك بانا اكتنفنا اجسامهم مع لطافتها الذى
جاءه بشهاب من نار واسر جماعة من اصحابه
رضى الله عنهم عفاريت اتوا الى تمر الصدقة
واسكنهم الله تعالى منهم **ويعملون عملا دون
ذلك** اي سوى الغوص كبنا المدن والقصور
واختراع الصنايع الغريبة كقوله تعالى يعملون
له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان
كالجوابي الاية **وكنا لهم حافظين** اي حتى لا يخرجوا
من امره وقال الزجاج معناه حفظناهم من ان
يفسدوا ما عملوا وكان من عادة الشياطين
اذا عملوا عملا بالنهار وفرغوا منه قبل الليل
افسدوه وخربوه وفي القصة ان سليمن
كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا
قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل
اخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه القصة السابعة
قصة ايوب عليه السلام المذكورة في قوله تعالى
**وايوب** اي واذكر ايوب ويبدل منه **اذ نادى ربه**
اي واذكر ايوب قال وهب بن منبه كان ايوب
عليه الصلاة والسلام رجلا من الروم

وهو



وهو ايوب بن اموص بن زوارح بن روم بن
عيص بن اسحاق بن ابراهيم وكانت امه
من ولد لوط بن هارون وكان الله قد اصطفاه
ونباه وبسط عليه الدنيا وكانت له البثنية
من ارض البلقاء من اعمال حوران من ارض الشام
كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف
المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير
ما لا يكون لرجل افضل منه في العدة والكثرة
وكان له خمسماية فدان يتبعها خمسماية عبد
لكل عبد امراة وعبد وولد ومال ويحمل له
كل فدان اتان لكل اتان من الولد اثنين او
ثلاث او اربع او خمس وفوق ذلك وكان الله
تعالى قد اعطاه اهلا وولدا من رجال ونسا
وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم
ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف
ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله
تعالى مؤديا لحق الله تعالى قد امتنع من
عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب
من اهل الغنى من العزة والغفلة والتشاغل

عن امر الله تعالى بما فيه من الدنيا وكان معه
ثلاث نفر قد امنوا به وصدقوه رجل من اليمن
يقال له اليفن ورجلان من بلده يقال
لاحدهما بلدد والاخر صابر وكانوا كهولا
ملوكا وكان ابليس لا يحجب عن شي من السموات
وكان يقف فيهن حيث ما اراد حتى رفع
الله عيسى عليه الصلاة والسلام فلما
حين ذكره الله تعالى واثنى عليه وادركه
البغي والحسد فصعد سريعا حتى وقف من
السما موقفا كان يقفه فقال الهي نظرت
في امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت
عليه فشكرك وعافيته في ملكه ولو ابتليته
بنزع ما اعطيت لحال عما هو عليه من شكرك
وعبادتك ولخرج من طاعتك فقال الله تعالى
انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو
الله ابليس حتى وقع على الارض ثم جمع عفاريت
الجن ومردة الشياطين وقال ما ذا عندكم من
القوة فاني قد سلطت على مال ايوب وهي
المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر
عليها



عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين اعطيت
من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار
واحرقت كل شي اتي عليه قال له ابليس فات
الابل ورعاتها فاتى الابل وقد وضعت روسها
ورعت في مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثار من
تحت الارض اعصار من نار لا يدنوا منه احد
الا احترق فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على
اخرها ثم جا عدو الله ابليس في صورة قبيحة
على قعود الى ايوب عليه السلام فوجده
قايما يصلي فقال له يا ايوب اقبلت نار حتى
غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال
ايوب الحمد لله الذي هو اعطانيها وهو اخذها
وانها مال الله اعارنيها وهو اولى بها اذا شا
تركها واذا شا نزعها وقديما كنت وطنت نفسي
ومالي على الفنا قال ابليس فان الله ربك ارسل
عليها نارا من السما فاحترقت فتركت الناس مبهوتين
يتعجبون منها منهم من يقول ما كان ايوب يعبد
شيا وما كان ايوب الا في غرور ومنهم من يقول
لو كان اله ايوب يقدر على ان يصنع شيا لمنع

وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ليشمت
به عدوه ويفجع صديقه قال ايوب الحمد لله
حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت
من بطن امي عريانا واعود في التراب عريانا
واحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك ان
تفرح حين اعطاك الله تعالى وتجزع حين
قبض الله اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله
تعالى فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع
تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك
الشر فاخرجك فرجع ابليس لعنه الله الى
اصحابه خاسيا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من
القوة فاني لم اكلم قبله قال عفريت عندي من
القوة ما اذا شيت صحت صيحة لا يسمعها
ذو روح الا خرجت روحه قال ابليس فات الغنم
ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة
تجثمت امواتا من عند اخرها وماتت رعاتها
ثم جا ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب
وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه
ايوب عليه السلام مثل الرد الاول ثم
رجع



رجع ابليس الى اصحابه فقال لهم ماذا عندكم
من القوة قال عفريت عندي من القوة ما اذا
شيت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شي تاتي
عليه قال فات الفدادين والحرث فانطلق
حتى اشرع الفدادين في الحرث والزرع فلم يشعروا
حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شي من
ذلك حتى كانه لم يكن ثم جا ابليس متمثلا
بقهرمان الحرث الى ايوب وهو قايم يصلي فقال
له مثل قوله الاول فرده عليه ايوب عليه
السلام مثل رده الاول وجعل ابليس لعنه
الله يهلك ماله مالا مالا حتى مر على اخره كلما
انتهى اليه هلاك مال من امواله حمد الله تعالى
واحسن الثنا عليه ورضي عنه بالقضا ووطن
نفسه بالصبر على البلا حتى لم يبق له مال
فلما راى ابليس انه قد افنى ماله ولم ينجح منه
شي صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي
يقف فيه وقال الهي ان ايوب يرى انك ما
متعته بولده فانت تعطيه المال فهل انت
مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا تقوم

لها قلوب الرجال قال الله تعالى انطلق فقد
سلطتك على ولده فانطلق عدو الله حتى جا
بني ايوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى
تداعى من قواعده وجعل جدره تضرب بعضها
بعضا وبرميهم بالخشب والحجارة حتى مثل بهم
كل مثلة ورفع القصر فقلبه فصاروا منكبين
وانطلق الى ايوب متمثلا بالمعلم الذي كان
يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل
دمه ودماغه فاخبره وقال لو رايت بنيك .
كيف عذبوا وقلبوا فكانوا منكبين على رؤسهم .
تسيل دماوهم ولو رايت كيف شقت بطونهم .
فتناثرت امعاوهم لقطع قلبك فلم يزل يقول
هذا ونحوه حتى رق قلب ايوب وبكى وقبض .
قبضة من تراب فوضعها على راسه وقال
ليت امي لم تلدني فاغتنم ذلك ابليس فصعد
سريعا بالذي كان من جزع ايوب مسرورا به .
ثم لم يلبث ايوب ان فاء وابصر واستغفر
فصعد قرناوه من الملايكة بتوبته فسبقت
الى الله عز وجل وهو اعلم فوقف ابليس

خاسيا



خاسيا ذليلا وقال الهي انما اهون على
ايوب المال والولد الله انك ما متعته بنفسه
انك تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي
على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد
سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان
على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله وكان
الله عز وجل اعلم به لم يسلط عليه الا رحمة
لايوب ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين
وذكرى للعالمين في كل بلا نزل بهم ليتاسوا به
في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعا
فوجد ايوب في مصلاه ساجدا فعجل قبل ان
يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخره
نفخة اشتعل منها ساير جسده فخرج من
قرنه الى قدمه تاليل مثل اليات الغنم ووقعت
فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها
بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار و
الحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى فصل لحمه
وتقطع وتغير وانتن واخرجوه اهل القرية
وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا

فرفض خلق كثير من خلق الله اي جميعهم الا امراته
وهي رحمة بنت افراثيم بن يوسف بن يعقوب
ابن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فكانت
تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه ولما راى
الثلاثة من اصحابه وهم اليفز وبلدد وصافر
ما ابتلاه الله تعالى به اتهموه ورفضوه من غير
ان يتركوا دينه فلما طال به البلا انطلقوا فبكتوه
ولاموه وقالوا له تب الى الله تعالى من الذنب
الذي عوقبت به عليه وحضر معهم فتى
حدث السن قد امن به وصدقه فقال لهم
انكم تكلمتم ايها الملوك وانتم احق بالكلام
مني لاسنانكم ولكنكم تركتم من القول احسن
من الذي قلتم ومن الراي اصوب من الذي
رايتم ومن الامر الذي اجمل من الذي اتيتم
وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام
افضل من الذي وصفتم فهل تدرون ايها
الملوك حق من انتقصتم وحرمة من
انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم
الم تعلموا انه ايوب نبي الله وخيرته

وصفوته



وصفوته من اهل الارض الى يومكم هذا ثم لم
تعلموا ولم يطلعكم الله على انكم انه قد سخط
شيا من امره منذ ما اتاه الله ما اتاه الى يومكم
هذا ولا انه نزع شيا منه من الكرامة التي اكرمه
بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق في طول
عمره ولا في مدة ما صحبتموه الى يومكم هذا
فان كان البلا هو الذي ازرى به عندكم ووضعه
في انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى مبتلي
المومنين والصديقين والشهدا والصالحين
وليس بلاوه لاوليك على سخطه عليهم
ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم
ولو كان ايوب ليس من الله بهذه المنزلة
الا انه اخ اجبتموه على وجه الصحبة لكان لا
يجمل بالحكيم ان يعذل اخاه عند البلا ولا
يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو
مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه
ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشده
وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله
الله ايها الكهول فقد كان في عظمة الله وجلاله
وذكر الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم

الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم من غير عي ولا بكم
وانهم لهم الفصحا البلغا النبلا الالبا العالمون
بالله تعالى ولكنهم اذا ذكروا الله وعظمته انقطعت
السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم
وطاشت عقولهم اعظاما لله واجلالا له فاذا
استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال
الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين والخاطين
وانهم الابرار برا ومع المقصرين المفرطين وانهم ٥
لاكياس اقويا فقال ايوب ان الله سبحنه
وتعالى يزرع الرحمة بالحكمة في قلب الصغير
والكبير فمتى تنبت في القلب نظهرها الله تعا
على اللسان وليست تكون الحكمة من قبيل السن
والشبيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد
حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكما وهم
يرون عليه من الله تعالى نور الكرامة ثم اعرض
عنهم ايوب عليه السلام واقبل على الثلاثة وقال
اتيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا
وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بي لو قلت
تصدقوا علي باموالكم لعل الله تعالى ان
يخلصني



يخلصني او قربوا قربانا لعل الله تعالى ان يتقبله
ويرضى عني وانكم قد اعجبتم انفسكم وظننتم
انكم عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين
ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله
بالعافية التي البسكم وقد كنتم فيما خلا توقروني
وانا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من
خصمي فاصبحت اليوم وليس لي راي ولا كلام
وانتم كنتم اشد علي من مصيبتي ثم اعرض عنهم ايوب
واقبل على ربه مستعينا به مستغفرا اعرفت
الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت
وجهك الكريم عني لو كنت الحقتني بابائي
فالموت اجمل بي الم اكن للغريب دارا وللمسكين
قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا
عبدك ان احسنت فالمن لك وان اسات
فبيدك عقوبتي جعلتني للبلا غرضا وللفتنة
نصبا وقد وقع بي بلا لو سلط على جبل ضعف
من حمله فكيف يحمله ضعفي فان قضاك هو
الذي اذلني وان سلطانك هو الذي
اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي

واعظم من ذلك واعجب لو شيت عملت لا يعجز
عنك شي ولا يخفى عنك خافية ازلعني البلايا
فتكلمت فكان البلا هو الذي انطقني فليت
الارض انشقت بي فذهبت فيها ولم اتكلم بشي
يسخطك ربي وليتني مت بغجاني في اشد
بلاي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني
وسكتت حين سكتت لترحمني كلمة زلت مني
فلم اعوذ بك اليوم منك واستجيرك من جهد
البلا فاجرني واستغيث بك من عقابك
فاغثني واستعين بك على امري فاعني و
اتوكل عليك فاكفني واعتصم بك فاعصمني
واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشي تكرهه مني
قال الله تعالى يا ايوب نفذ بك علمي وسبقت
رحمتي غضبي فقد غفرت لك فقال ايوب اني
قد مسني الضر بتسليط الشيطان علي في
بدني واهلي ومالي وقد طمع الان في ديني وذلك
انه زين لامراة ايوب ان تامره ان يذبح لصنم
فانه يبرا ثم يتوب ففطن لذلك وحلف
ليضربنها ان برى ماية جلدة وقال
وهب



وهب لبث ايوب في البلا ثلاث سنين وروى
عن انس يرفعه ان ايوب لبث ببلايه ثمانية
عشر سنة وقال كعب سبع سنين وقال
الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبني
اسرايل سبع سنين وشهرا يختلفون في الدوا
ولا يقربه احد غير امراته رحمة صبرت معه
تحمد الله تعالى معه اذا حمد وايوب ذلك لا
يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلايه فلما غلب
ايوب ابليس ولم يستطع منه شيا اعترض
امراته في هيئة ليست كهيئة بني ادم في العظم
والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس
له عظم وبها وكمال فقال لها انت صاحبة
ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل
تعرفيني قالت لا قال لها انا اله الارض وانا
الذي صنعت بصاحبك لانه اطاع اله السما و
تركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت
عليه وعليك كل ما كان من مال وولد وان اهما
اياهم ببطن الوادي الذي لقيتها فيه قال وهب
وقد سمعت انه اذا قال لها لو ان صاحبك

اكل طعاما ولم يسم تلبه لعوني مما به من البلا
وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي
لي سجدة حتى ارد عليك المال والاولاد و
اعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال
لها وما اراها قال لقد اتاك عدو الله ليفتنك
عن دينك ثم اقسم ان الله عافاه ليضربنها ماية
جلدة وعند ذلك قال مسني الضر من طمع
ابليس في سجود حرمتي ودعايه اياها
واياي الى الكفر وانت اي والحال انك انت ارحم
الراحمين فافعل بي ما يفعل الرحمن المضرور
وهذا تعريض بسوال الرحمة حيث ذكر نفسه
بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة
ولم يصرح فكان ذلك الطف في السوال
فهو اجزل بالنوال ‍ حكي ان عجوزا تعرضت
لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير
المومنين مشت جرذان بيتي على العصا
فقال لها في الجواب لاجرم لاردنها تثبت
رتب الفهود وملانها حاتما ان الله تعالى
رحم رحمة امراة ايوب بصبرها معه

ع

١٧٩

على البلا وخفف عليها واراد ان يبر يمين
ايوب فامره ان ياخذ ضغثا يشتمل على
ماية عود صغار يضربها به ضربة واحدة
كما قال في اية اخرى وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث وروي ان ابليس لعنه
الله اتخذ تابوتا وجعل فيه ادوية وجلس على
طريق امراة ايوب يداوي الناس فمرت به
امراة ايوب فقالت ان لي مريضا فتداويه
قال نعم ولا اريد شيا الا ان يقول انت
شفيتني اذا شفيته فذكرت ذلك لايوب
فقال هو ابليس قد خدعك وحلف ان شفاه
الله تعالى ليضربها ماية جلدة وقال وهب
وغيره كانت امراة ايوب تعمل للناس وتجيبه
بقوته فلما طال عليه البلا سيمها الناس فلا
يستعملها احد فالتمست له يوما من الايام ما
تطعمه فما وجدت شيا فجزت قرنا من راسها
فباعته برغيف فاتته به فقال لها اين قرنك
فاخبرته فحينئذ قال مسني الضر وقال
قوم انما قال ذلك حين قصد الدود الى قلبه

ولسانه فخشي ان يمتنع عن ذكر الفكر وقال حبيب
ابن ابي ثابت لم يدع الله تعالى بالكشف حتى
ظهرت ثلاثة اشيا احدها قدم عليه صديقان
حين بلغهما خبره فجا اليه ولم يبق له الا عيناه
وراياً امرا عظيما فقالا لو كان عند الله لك
منزلة ما اصابك هذا والثاني ان امراته
طلبت طعاما ولم تجد ما تطعمه فباعت ذوابتها
وحملت اليه طعاما والثالث قول ابليس
اني اداويه على ان يقول انت شفيتني وقيل
ان ابليس وسوس اليه ان امراته زنت
فقطعت ذوابتها فحينئذ عيي صبره
وحلف ليضربها مائة جلدة وقيل معناه
مسني الضر من شماتة الاعدا وقيل قال
ذلك حين وقعت دودة في فخذه فردها
الى موضعها وقال كلي جعلني الله طعامك
فعضته عضة زاد المها على جميع ما قاسى
من عض الديدان فان قيل ان الله تعالى
قال صابرا وقد اظهر الشكوى والجزع
بقوله اني مسني الضر ومسني الشيطان
بنصب

بنصب اجيب بان هذا ليس بشكاية انما هو
دعا بدليل قوله فاستجبنا له والجزع انما هو
الى الخلق فاما الشكوى الى الله فلا يكون جزعا
ولا ترك صبر كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام
انما اشكوا بثي وحزني الى الله وقال سفيان
ابن عيينة من اظهر الشكوى الى الناس وهو
راض بقضا الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما
روي ان جبريل عليه السلام دخل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال كيف تجدك قال
اجدني مغموما اجدني مكروبا وقال صلى الله
عليه وسلم لعايشة رضي الله تعالى عنها
حين قالت وارأساه بل انا وارأساه وروي
ان امراة ايوب قالت له يوما لو دعوت الله
تعالى فقال كم كانت مدة الرخا فقالت ثمانين
سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما
بلغت مدة بلائي مدة رخائي ثم تسبب عن
الاجابة قوله تعالى فكشفنا اي ازلنا من الفطنة
ما به من ضر بان امرناه ان يركض برجله
فتنبع له عين من ماء كما قال تعالى اركض

بركته وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه
جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه
ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يا رب
ولكن لا غنا لي عن بركتك وقوله تعالى رحمة
مفعول له اي نعمة عظيمة وفخمها بقوله من
عندنا وذكرى اي عظة عظيمة للعابدين كلهم
ليتاسوا به فيصبروا اذا ابتلوا ولا يظنوا
ان ذلك انما نزل بهم لهوانهم ويشكروا ويتابوا
كما اثبت وقيل لحسنا للعابدين فانا نذكرهم
بالاحسان ولا ننساهم القصة السابعة
قصة اسمعيل وادريس وذا الكفل المذكورة
في قوله تعالى واسمعيل اي واذكر اسمعيل
ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام الذي
سخرنا له من الما بواسطة الروح الامين ما
عاش به صغيرا بعد ان كان هالكا لا محالة
ثم جعلناه طعاما مطعم وشفا سقم دايم
وصناه وهو كبير من الذبح حين راه ابوه
في المنام انه يذبحه ورويا الانبيا وحي

و

وادريس بن شيث بن ادم عليهم الصلاة و
السلام الذي احييناه بعد موته ورفعناه مكانا
عليا وهو اول نبي بعث من بني ادم عليه
الصلاة والسلام وتقدمت قصته في مريم واذكر
ذا الكفل سمي بذلك قال عطا ان نبيا من بني اسرايل
اوحى الله اليه اني اريد ان اقبض روحك واعرض
ملكك من بني اسرايل فمن تكفل لك انه يصلي بالليل
لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضي بين الناس
ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام
شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به
فشكر الله له ونباه فسمي ذا الكفل وقال مجاهد
كما قال اليسع لو اني استخلفت رجلا من الناس
فيعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل قال فجمع
الناس فقال من يقبل مني ثلاثا استخلفه يصوم
النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل فقال
انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ
ضعيف حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام
بالليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال
من هذا قال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب

فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني
وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى ذهبت
القايلة فقال اذا رحت فاتني فانا اخذ حقك
فانطلق فراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى
الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلم يجده فلما رجع
الى القايلة واخذ مضجعه اتاه فدق الباب
فقال من فقال الشيخ المظلوم ففتح وقال الم
اقل لك اذا قعدت فاتني فقال انهم اخبث قوم
اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك
واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا جلست
فاتني وفاتته القايلة فلما جلس جعل ينظر
فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم
الثالث قال لبعض اهله لا تدعوا على هذا
الرجل يقرب مني حتى انام فانه قد شق على
الناس فلما كان تلك الساعة جاء فلم ياذن
له الرجل فلما اتيناه نظر فراى كوة في البيت
فتسور منها فاذا هو في البيت فدق عليه
الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان
الم امرك فقال اما من قبلي فلم تؤت فانظر

من

١٦٢

من اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما
غلقه واذا بالرجل معه في البيت فقال اتنام و
الخصوم ببابك فقال الغد والله قال نعم اعييتني
ففعلت ما ترى لاغضبك فعصمك الله فسمي ذا
الكفل لانه تكفل بامور فوفى بها وقيل ان ابليس جاءه
وقال ان لي غريما يظلمني فاحب ان تقوم معي و
تستوفي حقي منه فانطلق معه حتى اذا كان في
السوق خلاه وذهب وروي انه اعتذر اليه
ان صاحبي هرب وقيل ان ذا الكفل رجل كفل
ان يصلي كل ليلة مائة ركعة الى ان يقبضه الله
تعالى فوفى واختلفوا في انه كان نبيا فقال الحسن
كان نبيا وعن ابن عباس انه الياس وقيل هو زكريا
وقيل هو يوشع بن نون وقال ابو موسى لم يكن نبيا
ولكن كان عبدا صالحا وما قرن الله تعالى بين هولا
الثلاثة استانف مدحهم بقوله تعالى كل اي كل
واحد منهم من الصابرين على ما ابتلاه به فاتيناهم
ثواب الصابرين وادخلناهم في رحمتنا اي فعلنا
بهم من الاحسان ما يفعله الراحم بمن يرحمه على وجه
عمهم من جميع جهاتهم فكان ظرفا بهم ثم علل ذلك

هل هو

بقوله تعالى انهم من الصالحين اي لكلما يرضاه تعالى
منهم يعني انهم جبلوا جبلة خير فعملوا على مقتضى
ذلك فكانوا من الكاملين في الصلاح وهم الانبيا لان
صلاحهم معصوم عن كدر الفساد القصة الثامنة
قصة يونس عليه الصلاة والسلام المذكور في قوله
تعالى وذا النون اي واذكر صاحب الحوت وهو يونس
ابن متى ويبدل منه اذ ذهب مغاضبا واختلفوا
في معنى ذلك فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهو
رواية الصوفي وغيره عن ابن عباس قال كان قوم
يونس يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم
تسعة اسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف
فاوحى الله تعالى الى شعيب النبي ان سر الى
حزقيل الملك وقل له يوجه نبيا قويا الى هولا
فاني القي في قلوبهم الرعب حتى يرسلوا معه
بني اسرايل فقال له الملك فمن ترى وكان في
مملكته خمسة انبيا فقال يونس هل امرك الله
تعالى فانه قوي امين فدعا الملك يونس وامره
ان يخرج فقال يونس هل امرك الله تعالى
باخراجي قال لا قال فهل سماني لك
قال

قال لا قال وهنا انبيا غيري اقويا فالحوا عليه
فخرج من بينهم مغاضبا للنبي والملك ولقومه
فاتى بحر الروم فركبها قال عروة بن الزبير
وسعيد بن جبير وجماعة ذهب عن قومه مغاضبا
لربه اذ كشف عن قومه العذاب بعدما وعدهم
وكره ان يكون بين قومه قد جربوا عليه الخلف
فيما وعدهم واستحيى منهم ولم يعلم السبب الذي
رفع به العذاب عنهم وكان غضبه انفة من ظهور
خلف من وعده وان يسمى كذابا لا كراهية لحكم
الله تعالى وفي بعض الاخبار انه كان من عادة
قومه ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي ان
يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب
والمغاضبة ها هنا من المفاعلة التي تكون
من واحد كالمنافرة والمعاقبة فمعنى قوله مغاضبا
اي غضبانا وقال الحسن انما غاضب ربه من
اجل انه امره بالمسير الى قوم لينذرهم بأسه
ويدعوهم اليه فسال ربه ان ينظره ليتأهب فقيل
له ان الامر اسرع من ذلك حتى سال ان ينظر
الى ان ياخذ نعلا يلبسها فلم ينظره وكان

في خلقه ضيق فذهب مغاضبا وعن ابن عباس قال اتى
جبريل يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم
قال التمس دابة قال الامر اسرع من ذلك فغضب
فانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان
عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه
اثقال النبوة تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها
بين يديه وهو خرج هاربا فلذلك اخرجه الله
من اولي العزم فقال تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ
نادى وهو مكظوم **فظن ان لن نقدر عليه**
اي لن نقضي عليه بالعقوبة قال مجاهد
وقتادة والضحاك وقال عطا وكثير من العلما
معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس من
قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشا من
عباده ويقدر وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني
امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد
لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معوية
فقرا



فقرا هذه الاية فقال او يظن نبي الله ان لن نقدر
عليه قال هذا من القدر الذي معناه الضيق
لا من القدرة وقال ابن زيد هو استفهام معناه
انه يعجزه ولا يقدر **فنادى** اي فاقتضت حكمتنا
ان عاقبناه حتى يستسلم فالقى نفسه في البحر
فالتقمه الحوت فمكث فيه اربعين من بين يوم
وليلة وقال عطا سبعة ايام وقيل
ان الحوت ذهب به مسيرة سبعة الاف سنة
وقيل بلغ تخوم الارض السابعة ومعناه ان
يكون له طمعا ما فنادى **في الظلمات** ظلمة الليل
وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقيل في الظلمة
الشديدة كقوله تعالى ذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات لا يبصرون وقوله تعالى يخرجهم من
النور الى الظلمات وقيل ابتلع حوته حوت
اكبر منه في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر **ان لا
اله الا انت** ولما نزهه عن الشريك عمم فقال
**سبحنك** اي تنزهت عن كل نقص فلا يقدر على
الانجا مما انا فيه الا انت ثم افصح بطلب الخلاص
بقوله ناسبا الى نفسه من النقص ما نزه الله

الظالمين اي نفي
الله تعالى عن مثله اني كنت من الظالمين فاعف
عني كما هي مسيرة القادرين روي عن ابي هريرة
مرفوعا اوحى الله تعالى الى الحوت ان اخذه ولا
تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم هوى به
الى مسكنه في البحر فلما انتهى الى اسفل البحر سمع
يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله
تعالى اليه ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح
هو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا
يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة
وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول
فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته
في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان
يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح
قال نعم فشفعوا فيه عند ذلك فامر الحوت
فقذفه الى الساحل كما قال تعالى فنبذناه
بالعراء وهو سقيم فذلك قوله تعالى فا
ستجبنا له اي اجبناه ونجيناه من الغم اي من
تلك الظلمات بتلك الكلمات وكذلك

اي



اي وكما نجيناه ننجي المومنين من كربهم اذا استغاثوا
بنا داعين قال الرازي في اللوامع وشرط كل من
يلتجي الى الله تعالى ان يبتدي بالتوحيد ثم
بالتسبيح والثنا بالاعتراف والاستغفار والاعتذار
وهذا شرط كل داع اه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء
الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله تعالى
الا باقراره على نفسه بالظلم وقرا ابن عامر وابو بكر
بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم على ان
اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء
الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها
اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى وقيل
هو لمعنى وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير
المصدر وهو النجا وقرا الباقون بنونين الثانية
مخفاة عند الجيم تنبيه اختلف في متى كانت
رسالة يونس عليه الصلاة والسلام فروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت بعد ان
اخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى
في سورة الصافات فنبذناه بالعراء ثم

ذكر بعده وارسلناه الى ماية الف او يزيدون وقال
اخرون انها كانت من قبل بدليل قوله تعالى وان
يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون
القصة التاسعة قصة زكريا عليه السلام المذكورة
في قوله تعالى وزكريا اي واذكر زكريا ويبدل منه اذ نادى
ربه نداء الحبيب القريب فقال رب باسقاط اداة
البعد لا تذرني فردا اي وحيدا من غير ولد ذكر
يرث ما اتيتني من الحكمة وانت اي والحال انك انت
خير الوارثين اي الباقين بعد فنا خلقك وكثيرا
ما تهنح ارث عبيدك عبيدك اخرين فانت
الحقيق بان تفعل ما في ارثي من العلم والحكمة
ما احب فتهبني ولدا تمن به علي فاستجبنا له
بعظمتنا وان كان في حد من السن لا حراك به
معه وزوجه في حال من العقم لا يرجى معه
حبلها فكيف وقد جاوزت سن الياس ولذلك
عبر بما يدل على العظمة فقال تعالى ووهبنا
له يحيا ولدا وارثا نبيا حكيما فطينا واصلحنا له
خاصة من بين اهل ذلك الزمان زوجه
اي جعلناها صالحة له فاصلحناها له ورزقناها

حسن

حسن الخلق انهم اي الانبيا الذين سماهم في هذه
السورة وقيل زكريا وزوجه ويحيا كانوا اي جبلة
وطبعا يسارعون في الخيرات اي الطاعات يا لفوت
في الاسراع بها مبالغة من يسابق اخر ودل على
عظيم افعالهم بقوله تعالى ويدعوننا مستحضرين
لجلالنا وعظمتنا وكمالنا رغبا اي طمعا في رحمتنا
ورهبا اي خوفا من عذابنا وكانوا اي جبلة وطبعا
لنا خاصة خاشعين اي خايفين خوفا عظيما
يحملهم على الخضوع والانكسار قال مجاهد
الخشوع هو الخوف اللازم للقلب وقيل
متواضعين وسيل الاعمش اما الى سالت
ابراهيم فقال لا تدري قلت افدني قال بينه
وبين الله تعالى اذا ارخى ستره واغلق بابه
فلير الله منه خيرا لعلك ترى انه ياكل خشنا
ويطا طا راسه القصة العاشرة قصة مريم
وابنها عليهما الصلاة والسلام والتي اي واذكر
التي احصنت فرجها اي حفظته من الحلال والحرام
حفظا يحق له ان يذكر ويتحدث به كما قال تعالى
حكاية عنها ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا

لان ذلك غاية في العفة والصيانة والتخلي عن
الملاذ الي الانقطاع الي الله تعالى بالعبادة مع
ماجمعت مع ذلك من الامانة والاجتهاد
في شانه الديانة والصحيح انها ليست بنبية
فنفخنا فيها من روحنا اي امرنا جبريل حتى
ينفخ في جيب درعها فاحدثنا بذلك النفخ المسيح
في بطنها واضاف الروح اليه تعالى تشريفا
لعيسى عليه الصلاة والسلام كبيت الله وناقة
الله ثم بين تعالى ما خص مريم وعيسى من
الايات فقال تعالى وجعلناها وابنها اي قصتها
او حالهما ولذلك وحد قوله تعالى اية للعالمين
من الجن والانس والملايكة فان من تامل حالهما
تحقق كمال قدرة الله تعالى فان قيل هلا
قال تعالى ايتين كما قال تعالى وجعلنا الليل
والنهار ايتين اجيب بما تقدم وبان الاية
كانت فيهما واحدة وهي انها اتت به من غير
فحل وها هنا اخر القصص ولما دل ما قص الله
من قصص هولا الانبيا عليهم الصلاة والسلام
انهم كلهم متفقون على التوحيد الذي هو
اصل



اصل الدين قال تعالى ان هذه اي ملة الاسلام
امتكم اي دينكم ايها المخاطبون اي يجب ان
تكونوا عليها حال كونها امة قال البغوي واصل
الامة الجماعة التي هي على مقصد واحد انتهى فجعل
الشريعة امة لاجتماع اهلها على مقصد واحد
ثم اكد سبحانه وتعالى هذا المعنى بقوله واحدة
فابطل ما سوى الاسلام من الاديان وانا ربكم
اي المحسن اليكم لا غيري في كل زمان فاني لا اتغير
على طول الدهر ولا يشغلني شي فاعبدون دون
غيري فانه لا كفو لي ثم بعضهم خالفوا الامر
بالاجتماع كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى
وتقطعوا اي بعض المخاطبين امرهم بينهم اي تفرقوا
امر دينهم متخالفين فيه وهم طوايف اليهود و
النصارى قال الكلبي فرقوا دينهم بينهم يلعن
بعضهم بعضا ويتبرا بعضهم من بعض تنبيه
الاصل وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة
على طريقة الالتفات كانه ينعي عليهم ما افسدوه
الى اخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقولون الا ترون
الى عظيم ما ارتكب هولاء في دين الله والمعنى

حعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة
الشي ويتقسمونه بينهم فيصير لهذا نصيب
ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه
وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم
بقوله كل اي من هذه الفرق وان بالغ
في التمرد الينا يوم القيمة راجعون فنحكم
بينهم فتسبب عن ذلك انا نجازيهم اقامة
للعدل فنعطي كلا من المحق التابع لاصفيائنا
والمبطل المايل الى الشياطين اعدائنا ما يستحقه
وذلك هو معنى قوله تعالى فارقا بين المحسن
والمسي تحقيقا للعدل وتشويقا بالفضل
فمن يعمل اي منهم الان من الصلحات وهو
اي والحال انه مومن اي ياتي بعمله على الاساس
الصحيح فلا كفران اي لا جحود لسعيه بل يشكر
ويثاب عليه تنبيه قوله تعالى فلا كفران نفي
الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه
وانا له اي لسعيه كاتبون اي مثبتون في صحيفة
عمله وما اثبتناه فهو غير ضايع فلا نفقد منه
شيا قل ولا جل ومن المعلوم ان قسيمه
وهو



وهو من السيات وهو كافر فلا نقيم له وزنا
ومن يعمل منها وهو مومن فهو في مشيتنا
قال البقاعي ولعله حذف هذين القسمين
ترغيبا في الايمان ولما كان هذا غير صريح في ان
هذا الرجوع بعد الموت بينه بقوله تعالى وحرام
اي ممنوع على قرية اي اهلها اهلكناها اي بالموت
انهم لا يرجعون الينا بان يذهبوا تحت التراب
منعمين او معذبين نعيما وعذابا دون النعيم
والعذاب الاكبر تنبيه ما قدرناه في الاية
هو ما جرى عليه البقاعي والذي قدره
الزمخشري اي معنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها
او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر
الى الاسلام والانابة فتكون لا مزيدة والذى
قدره الجلال المحلي ان لا فايدة اي يمتنع رجوعهم
الى الدنيا فيكون الاهلاك بالموت وهذا قريب
مما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
فانه قال وحرام على قرية اهلكناها انهم رجعوا
بعد الهلاك فجعل لا زايدة قال البغوي وقال
اخرون الحرام بمعنى الواجب فعلى هذا يكون

لانا بتا معناه واجب على اهل قرية اهلكناهم
اي حكمنا بهلاكهم وان تتقبل اعمالهم لانهم لا يرجعو
اي لا يتوبون والدليل على هذا المعنى انه تعالى
قال في الاية التي قبلها ومن يعمل من الصالحات
وهو مومن فلا كفران لسعيه اي يتقبل عمله
الله والذي قدره البيضاوي قريب مما قدره
الزمخشري وكل هذه التقادير صحيحة لكن الاول
اظهر وقرا شعبة وحمزة والكساي بكسر الحا
وسكون الرا والباقون بفتح الحا والرا والف
بعد الرا قال البغوي وهما لغتان مثل حل
وحلال وقوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج
وماجوج متعلق كما قال الزمخشري بحرام
وحتى غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول
حتى تقوم القيمة وهو حتى التي يحكى بها
بعدها الكلام فهي الابتدائية لا الجارة
ولا العاطفة والمحكي هو الجملة الشرطية
وقرا ابن عامر بتشديد التا بعد الفا والباقون
بالتخفيف وياجوج وماجوج وهما اسمان
اعجميان اسم للقبيلتين يقال الناس

عشرة



عشرة اجزا التسعة منها ياجوج وماجوج و
قراهما عاصم بهمزة ساكنة والباقون بالالف
ثم عبر عن كثرتهم التي لا يعلمها الا هو سبحانه
وتعالى وهم اي والحال انهم من كل حدب
اي نشز عال من الارض ينسلون اي يسرعون
من الجواب وهو تقارب الخطا مع السرعة
كمشي الذيب وفي العبارة ايما الى ان الارض
كورة وقيل الضمير راجع الى الناس المسوقين
الى المحشر روي عن حذيفة بن اسيد الغفاري
قال طلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا
ونحن نتذاكر احوال الساعة فقال ما تتذاكرون
قالوا نتذاكر الساعة قال انها لن تقوم الساعة
حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدجال والدخان
والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول
السيد عيسى عليه الصلاة والسلام وياجوج
وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمغرب
وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب
واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس
الى محشرهم واقترب الوعد الحق اي يوم القيمة

قال حذيفة لو ان رجلا افتتنا بعد خروج
ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة
فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا قال
الكلبي شخصت ابصار الكفار فلا تكاد تطرف
من شدة ذلك اليوم تنبيه فاذا هي اذا للمفاجاة
وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله
تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها
تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو
قيل اذا هي شاخصة او هي شاخصة كان
شديدا قال سيبويه والضمير للقصة
بمعنى فاذا القصة شاخصة يعني القصة
ان ابصار الذين كفروا الشخص عند ذلك
وقال الزمخشري هي ضمير مبهم توضحه الابصار
وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا النجوى
وقولهم يا ويلنا اي هلاكنا متعلق بمحذوف
تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع
الحال من الذين كفروا ويا للتنبيه قد كنا
اي في الدنيا في غفلة من هذا اي اليوم حين
كذبنا وقلنا انه غير كاين ثم ضربوا عن الغفلة

فقالوا



فقالوا بل كنا ظالمين انفسنا بعدم اعتقاده
واضعين الشي في غير محله حيث اعرضنا
عن تامل دلايله والنظر في مخايله وكذبنا
الرسل وعبدنا الاوثان وقوله تعالى انكم
خطاب لاهل مكة والكلام لانكارهم مضمون
الخبر وما تعبدون من دون الله اي غيره من الاوثان
حصب جهنم اي وقودها وهو ما يرمي به اليها
ويهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصب
والحصب في لغة اهل اليمن الحطب وقال عكرمة
هو الحطب بالحبشية قال الضحاك يعني
يرمون بهم في النار كما ترمي بالحصب وقوله
تعالى انتم لها واردون اي داخلون استيناف
او بدل من حصب جهنم واللام معوضة
من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم
لاجلها لو كان هولاء اي الاوثان الهة اي كما
زعمتم ما وردوها اي ما دخل الاوثان
وعبادها النار وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بابدال الهمزة الثانية ياء خالصة في الوصل
بعد تحقيق الاولى والاولى والباقون

بتخفيفها وكل من العابدين والمعبودين
فيها اي في جهنم خالدون لا انفكاك لهم عنها
بل يجيء بكل منهم فيها على الاخر فان قيل لم
قرنوا بالهتهم اجيب بانهم لا يزالون
لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث
ما اصابهم بسببهم او النظر الى وجه العدو
باب من العذاب لانهم قدروا انهم مستشفعون
بهم في الاخرة ويستشفعون بشفاعتهم
فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم
يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قيل اذا
عنيت بما تعبدون الاوثان فما معنى
قوله تعالى لهم فيها زفير اي تنفس عظيم
على غاية من الشدة والمد تكاد تخرج معه
النفس اجيب بانهم اذا كانوا هم واوثانهم
في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان
لم يكن الزافرين الا هم دون الاوثان
للتغليب ولعدم الالباس وهم فيها لا
يسمعون شيئا لشدة غليانها وقال ابن
مسعود في هذه الاية اذا بقي في النار

من



من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت
تلك التوابيت في توابيت اخرى عليها مسامير
من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احدهم ان في
النار احدا يعذب غيره وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد
قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون
صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث
كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه
ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله
الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى السلمي فراهم
يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد
ابن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال عبد الله اما والله لو وجدته
لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ابن الزبعرى انت قلت ذلك قال
نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود
عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو
مليح عبدوا الملائكة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم

بذلك فانزل الله عزّ وجل ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى اي الحكم بالموعدة البالغة في الحسن
في الازل ومنهم من ذكر سوا اضل باحد منهم
الكفار فاطرح امر لا اولئك اي العالوا الرتبة
عنها اي عن جهنم مبعدون برحمة الله
لانهم احسنوا في العبادة واتقوا وهل جزاء
الاحسان الا الاحسان وفي رواية عن ابن
عباس حبر ابي رضي الله تعالى عنهما ان ابن
الزبعرى لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ذلك سكت ولم يجب فضحك القوم فنزل
قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا
قومك منه يصدون وقالوا أألهتنا
خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم
قوم خصمون ونزل في عيسى والملائكة
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية
وقد اسلم ابن الزبعرى بعد ذلك رضي الله
تعالى عنه وخرج النبي صلى الله عليه
وسلم وادعى جماعة ان المراد في
الاية الاصنام لان الله تعالى قال وما
تعبدون



وما تعبدون من دون الله ولو اراد الملائكة
والناس لقال وما تعبدون ويروى ان
عليا رضي الله تعالى عنه قرأ هذه الاية
فقال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن
عوف وابن الجراح كما اقيمت الصلاة فقام
وهو يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها
اي حركتها البالغة وصوتها الشديد فكيف
بما دونه لان الحس مطلق الصوت الخفي
كما قاله البغوي فاذا زاد حروفه زاد معناه
فذكر ذلك بدلا من مبعدون او حال من
ضميره للمبالغة في ابعادهم عنها وهم اي الذين
سبقت لهم منا الحسنى فيما اشتهت انفسهم
في الجنة كما قال تعالى وفيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين والشهوة طلب النفس اللذة
خالدون اي دائما ابدا في التنعم وتقديم
الظرف للاختصاص والاهتمام به فائدة
في هنا مقطوعة من ما ولما كان معنى
ذلك ان سرورهم ليس له زوال الكلام

بقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قال الحسن هو
حين يومر بالعبد الى النار وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هو النفخة الاخيرة لقوله تعالى
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن
في الارض وقال ابن جريج هو حين يذبح الموت
وينادي يا اهل النار خلود بلا موت وقال
سعيد بن جبير هو ان تنطبق جهنم وذلك
بعد ان يخرج الله منها من يريد الله ان يخرجه
وتتلقاهم اي تستقبلهم الملايكة قال البغوي
على ابواب الجنة يهنونهم وقال الجلال المحلي
عند خروجهم من القبور ولا مانع انها تستقبلهم
في الحالين ويقولون لهم هذا يومكم الذي
كنتم توعدون اي هذا وقت ثوابكم الذي
وعدكم ربكم به في الدنيا فابشروا فيه بجميع
ما يسركم ولما كانت هذه الافعال على غاية
من الاهوال تتشوق بها النفس الى معرفة
اليوم الذي يكون فيه قال الله تعالى يوم
اي تكون هذه الاشيا نطوي السما طيا فتكون
كانها لم تكن ثم صور طيها بما يفهم قوته فقال
مشبها



مشبها للمصدر الذي دل عليه الفعل كطي السجل
واختلف في السجل فقال بعضهم هو الكاتب
العلو والقدرة على مكتوبه للكتاب اي القرطاس
الذي يكتبه ويرسله الى احد وقال السدي
هو ملك يكتب اعمال العباد وقيل كاتب كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على
هذه الاقوال اسم والمعنى كطي الصحيفة على
مكتوبها والطي هو الدرج وهو ضد النشر وانما
وقع هذا الاختلاف لان السجل يطلق على
الكتاب وعلى الكاتب قاله في القاموس وقرا
حفص وحمزة والكساي بضم الكاف والتا
على الجمع والباقون بكسر الكاف وفتح التا على
الجمع وبين الكاف والتا الف على الافراد فقراة
الافراد لمقابلة لفظ السما والجمع للدلالة
على انه قال يطوي الله السموات السبع
بما فيها من الخليقة والارضين السبع بما
فيها من الخليقة يطوي ذلك بيمينه اي
قدرته حتى يكون ذلك بمنزلة خردلة
روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

انه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة
فقال ايها الناس انكم محشورون لله حفاة عراة
غرلا اي غير مختونين كما بدانا اول خلق نعيده
اي كما بداناهم في بطون امهاتهم عراة غرلا غير
مختونين نعيدهم يوم القيمة نظيره قوله تعالى
ولقد جيتمونا فرادي كما خلقناكم اول مرة وعدا
واكد بقوله تعالى علينا وزاده بقوله تعالى ٥
انا كنا اي ازلا وابدا على حالة لا تحول فاعلين
اي شاننا ان نفعل ما نريد لا كلفة علينا
في شي من ذلك ثم انه تعالى خلق ذلك بقوله
تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
قال سعيد بن جبير ومجاهد الزبور جميع كتب
الله المنزلة والذكر ام الكتاب الذي عنده
ومعناه من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ
وقال ابن عباس والضحاك الزبور التورية
وقيل الزبور كتاب داوود عليه الصلاة
والسلام والذكر القران وبعد بمعنى قبل
كقوله تعالى وكان وراءهم ملك اي امامهم
وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
اي

اي قبله وقرا حمزة بضم الزاي والباقون
بفتحها ان الارض اي ارض الجنة يرثها عبادي
وحقق ما افادته اضافتهم اليه بقوله تعالى
الصالحون اي المتخلقون باخلاق اهل الذكر
المقبلين على ربهم الموحدين المشفقين من
الساعة الراهبين من سطوته الراغبين
في رحمته الخاشعين له فهذا عام في كل صالح
وقال مجاهد يعني امة محمد صلى الله عليه
وسلم دليله قوله تعالى وقالوا الحمد
لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض
نتبوا من الجنة حيث نشا وقال ابن عباس
اراد ان اراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا
حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين
وقيل اراد بالارض الارض المقدسة وقيل
اراد جنس الارض بالتامل لبقاع ارض
الدنيا كلها وارض المحشر والجنة وغير ذلك
مما يعلمه الله تعالى وجرى على ذلك البقاعي
في تفسيره وقرا حمزة بسكون اليا والباقون
بفتحها ان في هذا اي القران كما قاله البغوي لبلاغا

اي وصولا الى البغية فان من اتبع القران وعمل به
وصل بما يرجو من الثواب وقيل بلاغا اي
كفاية يقال هذا الشي بلاغ وبلاغا وبلغة
اي كفاية والقران زاد الجنة كبلاغ المسافر
وقال الرازي هذا اشارة الى المذكور في هذه
السورة من الاخبار والوعد والوعيد
والمواعيظ البالغة لقوم عابدين اي
عاملين به وقال ابن عباس عالمين قال
الرازي والاولى انهم الجامعون بين الامرين
لان العلم كالشجرة والعمل كالثمرة والشجر
بدون الثمر غير مفيد والثمر بدون الشجر
غير كاين وقال كعب الاحبار هم امة محمد
صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات
الخمس وشهر رمضان ولما كان هذا
مشيرا الى ارشادهم فكان التقدير فما
ارسلناك الا لاسعادهم عطف عليه
قوله تعالى وما ارسلناك اي على اي حالة
من الاحوال الا على حالة كونك رحمة للعالمين
كلهم اهل السموات والارض من الجن والانس
وغيرهم



وغيرهم طايعهم بالثواب وعاصيهم بتاخير العقاب
الذي كنا نستاصل الامم به فنحن نمهلهم ونترفق
بهم اظهارا لشرفك واعلا لقدرك ثم نرد كثيرا
الى دينك ونجعلهم من اكابر انصارك واعاظم
اعوانك بعد طول ارتكابهم الضلال وارتكابهم
في الاشراك المحال ومن اعظم ما يظهر فيه هذا
الشرف في عموم الرحمة وقت الشفاعة العظمى
يوم يجمع الله تعالى الاولين والاخرين وتقوم
الملايكة صفا والثقلان وسطهم ويموج بعضهم
في بعض من شدة ما هم فيه يطلبون من
يشفع لهم فيقصدون اكابر الانبيا نبيا نبيا
عليهم الصلاة والسلام فيحيل بعضهم على بعض
وكل منهم يقول لست لها لست لها حتى ياتوه
صلى الله عليه وسلم افضل الخلق اجمعين
ولما اورد تعالى على الكفار الحجج في ان لا اله
سواه وبين انه ارسل رسوله رحمة للعالمين
عقب ذلك بامره صلى الله عليه وسلم بقوله
تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما
يوحى الي في امر الواحد الا الاله الا وحدانيته

وما الهكم الا واحد لم يوح الي فيما تدعون اليه من
الشركة غير ذلك فالاول من قصر الموصوف
علي الصفة والمخاطب بها من يعتقد الشركة
فهو قصر القلب وقال الزمخشري وانما
القصر الحكم علي الشي او القصر الشي علي الحكم
كقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد فقد
اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما يوحي
الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما
الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم وفايدة
اجتماعهما الدلالة علي ان الوحي علي رسول الله
صلي الله عليه وسلم مقصور علي استيثار
الله تعالي بالوحدانية اه ولما كان الوحي
الوارد علي هذا السنن موجبا ان يخلصوا
لتوحيد الله تعالي قال صلي الله عليه وسلم
فهل انتم مسلمون اي منقادون لما يوحي الي
من وحدانية الاله والاستفهام بمعني الامر
اي اسلموا فان تولوا اي لم يقبلوا ما دعوتهم
اليه فقل اي لهم اني اذنتكم اي اعلمتكم بالحرب
كرجل بينه وبين اعدايه هدنة فاحس
منهم

منهم بغدر فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ وشاعه
وانذرهم جميعا بذلك قوله تعالي علي سواء حال
من الفاعل والمفعول اي مستوين في الاعلام
به لم اطوه عن احد منكم ولا استبد به دونكم
لتتاهبوا وان اي وما ادري اقريب جدا بحيث
يكون قربه علي ما تتعارفونه ام بعيد ما توعدون
من غلب المسلمين عليكم او عذاب الله او القيمة
المشتملة عليه وان ذلك كاين لا محالة ولا بد
ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وانكنت لا ادري
متي يكون ذلك لان الله تعالي لم يعلمني علمه
ولم يطلعني عليه وانما يعلمه الله تعالي انه تعالي
يعلم الجهر من القول اي مما تجهرون به من العظايم
وغير ذلك ونبه تعالي علي ذلك فان من احوال
الجهر ان ترتفع الاصوات جدا بحيث تختلط ولا
تتميز بينهما ولا يعرف كثير من حاضريها ما قاله
اكثر القايلين فاعلم سبحانه وتعالي انه لا يشغله
صوت عن اخر ولا يفوته شي من ذلك وان كثر
ويعلم ما تكتمون مما تضمرونه في صدوركم من
الاحقاد للمسلمين ونظير ذلك قوله تعالي في اول

السورة قل ربي يعلم القول في السما والارض
ومن لازم ذلك المجازاة عليه بما يحق لكم من
تعجيل او تاجيل فستعلمون كيف تخيب ظنونكم
ويتحقق ما اقول فتقطعون حينئذ بانى
صادق ولست بساحر ولا شاعر ولا كاذب
فهو من ابلغ التهديد فانه لا ابلغ من التهديد
بالعلم ولما كان الامهال قد يكون نعمة قال
وان اي ما ادري ان يكون تاخير هذا بكم
نعمة لكم كما تظنون ام لا لعله اي تاخير العذاب
فتنة اي اختبار لكم ليظهر ما يعلمه منكم من الشر
لغيركم لان حالكم حال من يتوقع منه ذلك ومتاع
لكم تتمتعون به الى حين اي بلوغ مدة اجالكم التى
ضربها لكم في الازل ثم ياخذكم بغتة وانتم لا تشعرون
ولما كان الله تعالى ان يفعل ما يشا من عدل
وفضل وكان من العدل جواز تعذيب الله
تعالى الطايع وتنعيم المومن العاصي وكان
صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية في البيان
لهم وهم بلغوا النهاية في اخرته وتكذيبه
امره الله ان يفوض الامر اليه تسلية له

بقوله



بقوله تعالى قل رب اي المحسن الي احكم اي
انجز الحكم بيني وبين قومي بالحق اي بالامر
الذي يحق لكل منا من نصر وخذلان وقرا
حفص بفتح القاف والف بعدها وفتح اللام
بصيغة الماضي على حكاية رسول الله صلى
الله عليه وسلم والباقون بضم القاف
وسكون اللام بصيغة الامر فان قيل كيف
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم
بالحق والله تعالى لا يحكم الا بالحق طلب ام لم يطلب
اجيب بان معنى الطلب ظهور الرغبة من
الطالب في حكمه الحق وربنا اي المحسن الينا اجمعين
الرحمن اي العام الرحمة لنا ولكم بادرارها علينا
ولولا عموم رحمته لاهلكنا اجمعين وان كنا
نحن اطعناه لانا لا نقدره حق قدره ولو
يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها
من دابة المستعان اي المطلوب منه العون
على ما تصفون من كذبكم على الله تعالى من قولكم
اتخذ الله ولدا وعلى محمد صلى الله عليه وسلم
في قولكم ساحر وعلى القران في قولكم شعر قال

الرازي روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول
ذلك في حروبه ولم يذكر له سندا واما ما رواه
البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه
وسلم قال من قرا اقترب حاسبه الله حسابا
يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في
القران فحديث موضوع **سورة الحج مكية**
الا قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف
الايتين الا هذان خصمان الست ايات فمدنيات
وهي ثمان وقيل خمس او ستة وسبع وسبعون
اية بسم الله الذي اقتضت عظمته خضوع كل
شي الرحمن الذي عم برحمته كل موجود الرحيم
الذي خص بفضله من يشا من عباده ولما
ختم السورة التي قبل هذه من الترتيب
الفزع الاكبر وطي السما واتيان ما يوعدون
وكان اعظم ذلك يوم الدين افتتحت هذه
السورة بالامر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم
بقوله تعالى **يايها الناس** اي الذي تقدم تلك
اول انه اقترب لهم حسابهم ان اريد ان ذلك
عام والانهم وغيرهم **اتقوا** اي احذروا عقاب

ربكم

١٩٩

ربكم المحسن اليكم بانواع الاحسانات بان تجعلوا
بينكم وبين عقابه وقاية الطاعات ولما
امرهم بالتقوى علل ذلك مرهبا لهم بقوله
تعالى **ان زلزلة الساعة** اي حركتها الشديدة
للاشيا على الاسناد المجازي فتكون الزلزلة
مصدرا مضافا الى فاعله ويصح ان تكون
الى المفعول فيه على طريق الاتساع في الظرف
واجرايه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل
مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله
تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في
وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن
علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها
الذي هو اقرب الساعة **شي عظيم** اي امر كبير
وخطر جليل وحادث هايل لا تحتمل العقول
وصفه وهذا للزلزلة نفسها فكيف بجميع
ما يحدث في ذلك اليوم الذي لا بد لكم من الحشر
فيه الى الله تعالى ليجازيكم على ما كان منكم
لا ينسى منه نقير ولا قطمير **يوم ترونها** اي
الزلزلة او الساعة او كل مرضعة اضرها

قبل الذكر تهويلا للامر وترويعا للنفس تذهل
بسبب ذلك كل مرضعة اي بالفعل اي تنسى
وتغفل حايرة مدهوشة والعامل في يوم
تذهل فان قيل لم قال تعالى مرضعة ولم
يقل مرضع اجيب بان المرضعة هي التى
في حال الارضاع ملقمة ثديها للطفل و
المرضع التى شانها ان ترضع وان لم تباشر
الارضاع في حال الارضاع في حال وصفها به
تعالى مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا
فوجيت به هذه وقد القمت ثديها نزعته من
فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت
عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل
فما اما مصدرية او موصولة وتضع كل ذات
حمل حملها اي تسقطه قبل التمام رعبا وفزعا
تنبيه هذا ظاهر على القول الثاني وهو قول
علقمة والشعبي على ان ذلك يكون عند طلوع
الشمس من مغربها واما على القول الاول وهو
قول الحسن على ان ذلك يوم القيمة كيف يكون
ذلك فقيل هو تصوير لهولها قال البيضاوي

وقال

وقال البقاعي في المرضعة هي من ماتت مع ابنها
رضيعا وفي ذات الحمل من ماتت حاملا فان
كل احد يقوم على ما مات عليه وهذا اولى فاني
في حال كتابتي في هذا المحل حضر عندي سيدي
الشيخ عبد الوهاب الشعراوي نفعنا الله تعالى
ببركته فذكرت له هذين القولين فانشرح صدري
لترجيح هذا الثاني وذلك يوم عاشورا من
شهر الله المحرم سنة ست وخمسين وتسعماية
وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير
فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام
ويويد ان هذه الزلزلة تكون بعد البعث
ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى
عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل يوم القيمة يا ادم
فيقول لبيك وسعديك يا رب زاد في رواية
والخير في يديك فينادى بصوت ان الله يامرك
ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب
وما بعث النار قال من كل الف تسعماية و
تسعة وتسعين فحينئذ تضع الحوامل حملها

وتيشيب الوليد وساق بقية الاية وهو قوله
تعالى وترى الناس سكارى اي لما هم فيه من
الدهش والحيرة ثم بين الله تعالى ان ذلك ليس
بسكر حقيقة بقوله تعالى وما هم بسكارى اي من
الشراب ولما نفى ان تكونوا سكارى من الشراب اثبت
ما اوجب لهم تلك الحالة بقوله تعالى ولكن عذاب الله
ذي القوة والجبروت شديد فهو الذي اوجب ان يظن
بهم السكر لان هولها اذهب عقولهم وتمييزهم ثم
الحديث عند اخر الاية فشق ذلك على الناس
حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا
رسول الله اينا ذلك الواحد فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ياجوج وماجوج
تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد
ثم انتم في الناس كالشعرة السوداء في الثور
الابيض او كالشعرة البيضاء في الثور الاسود
وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني
ارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم
قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر
اهل الجنة فكبرنا وفي رواية ان تكونوا ثلثي
اهل

اهل الجنة روى عمران بن الحصين ان هاتين الايتين
نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقراهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يزالوا باكين من تلك الليلة فلما
اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا
الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا ما
بين حزين وباك ومفكر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي يوم ذلك فقالوا الله ورسوله
اعلم قال ذلك يوم يقول الله لادم قم فابعث
بعث النار وذلك نحو حديث ابي سعيد وزاد فيه
ثم قال يدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير
حساب قال عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد
سبعون الفا وقرا حمزة والكسائي بفتح السين وسكون
الكاف فيهما والباقون بضم السين وفتح الكاف وبعد
الكاف الف واما ل الالف بعد الرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
محضة وورش بين بين والباقون بالفتح ونزل في النضر بن
الحارث وكان كثير الجدل وكان يقول الملائكة بنات
الله والقران اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء

من صار ترابا **ومن الناس** اي المذبذبين من السعي في
اعلا نفسه وتهذيبها فيكذب فيوثق بسوء عمله واعمال الالاء
**يجادل في الله** اي في قدرته علي ذلك اليوم وفي غير ذلك
بعد ان جاده العلم بها اجترا علي سلطانه العظيم **بغير علم**
بل بالباطل الذي هو جهل صرف فيترك اتباع الهداة
**ويتبع** بغاية جهده في جداله **كل شيطان** محترق
بالسو مبعد باللعن **مريد** اي متجرد للفساد ولا شغل
له غيره قال البيضاوي واصله العري اي عن الساتر
**كتب** اي قضي وقدر علي سبيل الحتم الذي لا بد منه تعبير
باللازم عن الملزوم **عليه** اي علي ذلك الشيطان **انه** اي
الشان **من تولاه** اي فعل معه فعل الولي مع وليه
باتباعه والاقبال علي ما يرضيه **فانه يضله** بما يبغضه
من الطاعات فيخطي سبل الخير **ويهديه** اي بما يزين له
من الشهوات الحالة علي الزلات **الي عذاب**
**السعير** اي النار ثم الزم الحجة منكري البعث
بقوله سبحنه وتعالي **يا ايها الناس**
اي كافة ويجوز ان يراد بالمنكر فقط **ان كنتم**
**في ريب** اي شك وتهمة وحاجة الي البيان
**من البعث** وهو قيام الاجسام بارواحها
كما كانت قبل مماتها فتفكروا في خلقكم ثانيه

بيانه بغاية

لانا ثم انه سبحانه وتعالي ذكر مراتب الخلقة
الاولي امور اسبعة المرتبة الاولي قوله تعالي
**فانا خلقناكم** بقدرتنا التي لا يتعاظمها شي **من**
**تراب** لم يسبق له اتصاف بالحياة وفي الخلق من
تراب وجهان احدهما انا خلقنا اصلكم وهو
ادم عليه الصلاة والسلام من تراب كما قال
تعالي كمثل ادم خلقه من تراب الثاني من الاغذية
والاغذية اما حيوان واما نبات وغذا الحيوان
ينتهي الي النبات قطعا للتسلسل والنبات
انما يتولد من الارض والما فصح قوله انا خلقناكم
من تراب المرتبة الثانية قوله تعالي **ثم من**
**نطفة** وحالها ابعد شي عن حال التراب فانها
بيضا سايلة لزجة صافية كما قال تعالي
من ماء دافق واصلها الما القليل قاله البغوي
واصل النطفة الصب قاله البيضاوي
المرتبة الثالثة قوله تعالي **ثم من علقة** اي
قطعة دم حمرا جامدة ليس فيها اهلية للسيلان
ولا شك ان بين الماء وبين الدم الجامد مباينة
شديدة المرتبة الرابعة قوله تعالي **ثم من مضغة**

اي قطعة لحم صغيرة وهي في الاصل قدر ما يمضغ
مخلقة اي مسواة لا نقص فيها ولا عيب يقال
خلق السواك والعود سواه وملسه من
قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملسا وغير مخلقة
اي وغير مسواة فكان الله يخلق المضغ
متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة واملس
في العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك
فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس
في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم
ونقصانهم هذا قول قتادة والضحاك
وقال مجاهد المخلقة الولد الذي يخرج
حيا وغير المخلقة السقط وقال قوم
المخلقة المصورة وغير المخلقة اي غير
المصورة وهو الذي يبقى لحما من غير
تخطيط وتشكل واحتجوا بما روى
علقمة عن عبد الله بن مسعود مرفوعا
عليه قال ان النطفة استقرت في الرحم اذا
اخذها ملك بكفه وقال اي رب
مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة
قذفها في الرحم دما ولم تكن نسمة وان
قال مخلقة قال الملك اي رب
ذكرا

اذكر ام انثى او شقي ام سعيد ما الاجل ما العمل ذكرا
ما الرزق باي ارض تموت فيقال له اذهب الى ام
الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها
في ام الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى ياتي على
اخر صفتها والذي اخرجاه في الصحيحين قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين
يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب
رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ
فيه الروح فو الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل
بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل
النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل
النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فكانه
تعالى يقول انما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة
الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا
وان من قدر على خلقة البشر من التراب والما

وقدر على ان يجعل النطفة عظاما قدر على اعادة
ما ابداه بل هو داخل في القدرة من تلك واهون
في القياس وورد الفعل غير متعدي الى المبني
اعلام بان افعاله هذه تبيين لها من قدرته
وعلمه ما لا يحيط به الوصف ولا يكتنفه الذكر
ونقر في الارحام اي من ذلك الذي خلقناه ما
نشا اتمامه الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه
بعد ستة الشهر واقصاه اخر اربع سنين
بحسب قوة الارحام وضعفها وقوة المخلقات
وضعفها وكثرة ما يعتد به من الزمان وقلته
الى غير ذلك من احوال وشوون لا يعلمها الا بارئها
جلت قدرته وتعالت عظمته وما لم نشا اقراره
مجته الارحام واسقطته دون التمام او تحرقه
فيضمحل المرتبة الخامسة قوله تعالى ثم نخرجكم
طفلا وهو معطوف على نبين ومعناه خلقناكم
مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان
نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام
منه ما نقر حتى تولدوا في حال الطفولية
من صغر الجثة وضعف البدن والسمع
و



والبصر وجميع الحواس لئلا تهلكوا امهاتكم
بكبر اجرامكم وعظم اجسامكم المرتبة السادسة
قوله تعالى ثم اي بعد اجلكم لتبلغوا بعد الانتقال
في اسنان الاجسام من الرضاع الى المراهقة
الى البلوغ الى الكهولة اشدكم اي الكمال والقوة
وهو ما بين الثلاثين الى الاربعين جمع شدة
كالانعم جمع نعمة كانه شدة في الامور المرتبة
السابعة قوله تعالى ومنكم من يتوفى اي
عند بلوغ الاشد او قبله ومنكم من يرد بالشيخوخة
وبناه للمجهول اشارة الى سهولته عليه
سبحانه وتعالى لا استبعاده لولا تكرار المشاهد
عند الناظر لتلك القوة والنشاط وحسن
التواصل بين اعضايه والارتباط الى ارذل
العمر وهو من الهرم فينقص جميع قواه
لكيلا يعلم من بعد علم كما اوتيه شيا اي ليعود
كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة
العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر
من عرفه حتى يسال عنه من ساعته
فيقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث
لحظة الا سالك عنه فان قيل هذه الحالة

لاتحصل للموسنين لقوله تعالى ثم رددناه اسفل
سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصلحات اجيب
بان معنى قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين
هو دلالة على الذم فالمراد به ما يجري مجرى العقوبة
ولذلك قال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحا
لكن قال عكرمة من قرا القران لم يصر الى هذه
الحالة وقد علم بعود الانسان في هذه العلم
وصغر الجسم الى نحو ما كان عليه في ابتداء الخلق
قطعا ان الذي اعاده الى ذلك قادر على اعادته
بعد الممات ولما تم هذا الدليل على الساعة محكم
المقدمات واضح النتايج وكان ولا ايجاد فيه
غير شاهد القوله تعالى وترى الارض هامدة اي
يابسة ساكنة سكون الميت فاذا انزلنا عليها
بما لنا من القدرة الماء اهتزت اي تحركت
وتاهلت لاخراج النبات وربت اي ارتفعت
وذكا ولما يظهر منها للعين وزادت
ونمت بما يخرج منها من النبات الناشئ عن
التراب والماء وقوله تعالى وانبتت مجاز
لان الله تعالى هو المنبت واضيف
الى



الى الارض توسعا اي انبتت بقدرتنا لانها
المنبتة من كل زوج اي صنف بهيج اي حسن نضير
ما اشتاق النبات في اختلاف الوانها وطعومها
روايحها واشكالها ومنافعها ومقاديرها
قال الجلال المحلي من زايدة ولم ار من ذكر
ذلك من المفسرين تنبيه في الاية اشارة
الى ان النبات كما يتوجه من نقص الى كمال فكذلك
الانسان المومن يترقى من نقص الى كمال
ففي المعاد ويصل الى كماله الذي اعد له من
البقا والغنى والعلم والصفا والخلود في دار
الاسلام مبرا عن عوارض هذا العالم ولما
قرر سبحنه وتعالى هذين الدليلين رتب
عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر امورا
خمسة احدها قوله تعالى ذلك اي المذكور
من بدء الخلق الى اخر احياء الارض بان اي
بسبب ان تعلموا ان الله سبحنه وتعالى
الجامع لاوصاف الكمال هو اي وحده سبحنه
وتعالى الحق اي الثابت الدايم وما سواه
سبحنه وتعالى فان ثانيها قوله

قوله تعالى وانه يحيي الموتى اي قادر على ذلك
والا لما احيى النطفة والارض الميتة
ثالثها قوله تعالى وانه على كل شي من
الخلق وغيره قدير انما امره اذا اراد شيا
ان يقول له كن فيكون رابعها قوله تعالى
وان الساعة التى تقدم ذكرها وتقدم التحذير
منها وهي حشر الخلايق كلهم اتية لاريب اي
لاشك فيها بوجه من الوجوه لما دل عليها
من ما لاسبيل الى انكاره بقول من لايرد
لقوله وهو حكيم لايخفى عليه شي ولايخلف
الميعاد ولايسوغ بوجه من الوجوه ان يترك
عباده بغير حساب خامسها قوله تعالى
وان الله يبعث بالاحيا من في القبور بمقتضى
وعده الذي لايقبل الخلف وقد وعد الساعة
والبعث فلابد ان يفي بما وعد ونزل في ابي
جهل بن هشام كما قال ابن عباس عباس
رضى الله تعالى عنهما ومن الناس من يجادل
اي بغاية جهده في الله اي في قدرته
وما يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته
بعد

٢٠٦

بعد هذا البيان الذي لامثل له ولاخفا فيه
بغير علم اتاه عن الله على لسان احد من
اصفيايه اعم ان يكون كتابا ولاهدى
ارشده اليه اعم من كونه بضرورة او استدلال
ولاكتاب منير له نور منه صح لربه انه من
الله ومن المعلوم انه صح بانتفا هذه الثلاثة
المذكورة لايكون جداله الا بالباطل وقيل
قوله تعالى ومن الناس كرر كما كررت ساير
الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين
وقوله تعالى ثاني عطفه حال اي لاوي عنقه تكبرا
عن الايمان كما قال تعالى واذا تتلى عليه
اياتنا ولى مستكبرا والعطف في الاصل الجانب
عن يمين وشمال وقوله تعالى ليضل عن سبيل الله
علة للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح اليا
والباقون بضمها فان قيل انه على قراة الفتح
كان مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال عن
الهدى الى الضلال اجيب عن الاول بان جداله
لما ادى الى الضلال جعل كانه غرضه وعن
الثاني بان الهدى لما كان معرضا فتركه

بانتفا

تركه واعرض عنه واقبل على الجدال الباطل جعله
كالخارج من الهدى الى الضلالة ولما ذكر
فعله وثمرته ذكر ما اعدله عليه في الدنيا بقوله
تعالى **له في الدنيا خزي** اي اهانة وذل
وان طال زمن استدراجه بتنعيمه حق على الله
تعالى ان لا يرفع شي في الدنيا الا وضعه وما
اعدله في الاخرة بقوله تعالى **ونذيقه يوم القيمة**
الذي يجمع فيه الخلايق بالاحيا بعد الموت **عذاب**
**الحريق** اي الاحراق بالنار وعن الحسن قال
بلغني ان احدهم يحرق في اليوم سبعين الف
مرة ويقال له حقيقة ومجاز **ذلك** اي
العذاب العظيم **بما قدمت يداك** اي بعملك ولكن
جرت عادة العرب ان تضيف الاعمال الى اليد
لانها آلة اكثر العمل واضافة الى ما يودي
اليها اكثر **وان** اي وبسبب ان **الله ليس بظلام** اي
بذي ظلم **للعبيد** وانما هو مجازيهم على اعمالهم
او ان المبالغة لكثرة العبيد ونزل في قوم
من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين
من



من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة
فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت
امراته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن
وقد اصبت به خيرا واطمان له وان كان
بخلافه قال ما اصبت الا شرا فينقلب على دينه عن
**ومن الناس من يعبد الله** اي يعمل على سبيل الاستمرار
والتعبد لما امر الله به من طاعته **على حرف**
فهو متزلزل كتزلزل من يكون على حرف شفير
او جبل او غيره لا استقرار له وكالذي على
طرف من العسكر فان راي غنيمة استمر وان
توهم خوفا طار وفر وذلك معنى قوله تعالى
**فان اصابه خير** اي من الدنيا **اطمان به** اي
بسببه وثبت على ما هو عليه **وان اصابته فتنة**
اي محنة وسقم في نفسه وماله **انقلب على وجهه**
اي رجع الى الكفر وعن ابي سعيد الخدري ان
رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصايب
فتشائم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال
تنزلت ولما كان انقلابه هذا منسلخا

لدنياه ولاخرته قال تعالى **خسر الدنيا** بفوات ما
امله منها وبكون ذلك بسبب التغيير عليه
قال تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن
تحت ارجلهم وروي ان الرجل ليحرم الرزق
بالذنب يصيبه **والاخرة** بالكفر ثم عظم مصيبته
بقوله تعالى **ذلك** اي الامر العظيم **هو** اي لا غيره
**الخسران المبين** اي البين اذ لا خسران مثله ثم
بين هذا الخسران الذي رده على ما كان فيه
قبل الايمان الجرمي بقوله تعالى **يدعوا** اي يعبد
حقيقة او مجازا **من دون الله** اي غيره من الصنم
**ما لا يضره** اي ان لم يعبده **وما لا ينفعه** ان عبده
**ذلك** اي الدعا **هو الضلال البعيد** عن الحق
والرشاد واستعير الضلال البعيد من ضلال
من ابعد في التيه ضالا فبعدت فطالت وبعدت
مسافة ضلالته ولما كان الاحسان جاذبا للانسان
لان القلوب جبلت على حب من احسن اليها بين
ان ما قيل في جلب النفع انما هو على سبيل الفرض
فقال تعالى **يدعو لمن** اي من غيره **ضره**
بكونه



بكونه معبودا لانه يوجب القتل والخزي في
الدنيا والعذاب في الاخرة **اقرب من نفعه** الثاني
يتوقع منه بعبادته وهو الشفاعة والتوسل
بها الى الله تعالى تنبيه علم مما تقرر ان اللام
فمن مزيدة كما قال الجلال المحلي فان قيل الضر
والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الايتين
وهذا متناقض اجيب بان المعنى اذا حصل
ذهب هذا الوهم وذلك بان الله تعالى سفه
الكافر بالله يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو
يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستشفع به
حين يستشفع به يوم القيمة يقوم هذا
الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
بالاصنام ودخول النار بعبادتها ولا يرى اثر
الشفاعة التي ادعاها لها وقيل الاية الاولى في
الاصنام والثانية في الروسا وهم الذين يفزعون
اليهم بدليل قوله تعالى **لبيس المولى** اي الناصر هو
**ولبيس العشير** اي الصاحب قال الرازي
وهذا الوصف بالروسا اليق لان ذلك لا يكاد
يستعمل في الاوثان فبين تعالى انهم يعدلون عن

عن عبادة الله الى عبادة الاصنام والى طاعة
الروسا ولما بين سبحنه وتعالى حال الكفار
اعقبه بحال المومنين بقوله تعالى ان الله
اي الجامع لجميع صفات الكمال المنزه عن شوايب
النقص يدخل الذين امنوا بالله ورسوله
وعملوا تصديقا لايمانهم الصلحات من الفروض
والنوافل الخالصة الشاهدة بثباتهم في الايمان
جنات تجري من تحتها اي من اي مكان من اراضيها
الانهار ولما بين سبحانه وتعالى ان الله اي
المحيط بكل شي قدرة وعلما يفعل ما يريد من
اكرام خلقه من يطيعه واهانة من يعصيه
لا دافع له ولا مانع وقوله تعالى من كان يظن
ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فيه اختصار
والمعنى ان الله ناصر رسله في الدنيا والاخرة
فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من
غيظه فالضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
فان قيل لم يجر له ذكر في هذه الاية اجيب
بان فيها ما يدل عليه وهو ذكر الايمان في قوله تعالى
ان الله يدخل الذين امنوا والايمان لا يتم الا بالله

ورسوله



ورسوله وقيل الضمير راجع الى كل من في اول
الاية لانه المذكور ومن حق الكناية ان ترجع
الى المذكور اذا امكن ذلك وعلى هذا المراد بالنصر
الرزق قاله ابو عبيدة ووقف علينا سايل
من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله اي من
يعطيني اعطاه الله فكانه قال من كان يظن
ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب
اي بحبل الى السما اي سقف بيته يشده فيه وفي
عنقه ثم ليقطع اي ليختنق بان يقطع نفسه
من الارض كما في الصحاح وقيل فليمدد حبلا الى سما
الدنيا وليصعد عليه فيجتهد في دفع نصر النبي
صلى الله عليه وسلم على الاول ويحصل رزقه
على الثاني وقرا ورش وابو عمرو وابن عامر بكسر اللام
والباقون بسكونها فلينظر ببصره وبصيرته
هل يذهبن وان اجتهد كيده وهو عدم نصره
النبي صلى الله عليه وسلم او في تحصيل رزقه
ما يغيظ من ذلك والمعنى اي فليختنق غيظا
فلا بد من نصرته صلى الله عليه وسلم واعلا
كلمته وان ذلك لا يغلب القسمة فان الارزاق

يبد الله لاتنال الا بمشيئة الله تعالى وهذا كما يقال
لمن ادبر عنه امر فجزع اضرب براسك الجدار ان لم
ترض بهذا مت غيظا ونحو ذلك والحاصل انه
ان لم يصبر طوعا فليصبر كرها واختلف في
سبب نزول هذه الاية على القول الاول فذكروا
فيه وجوها احدها كان قوم من المسلمين
لشدة غيظهم على الكفار يستبطئون ما وعد
الله ورسوله من النصر فنزلت ثانيها قال
مقاتل نزلت في نفر من اسد وغطفان قالوا
نخاف ان الله لا ينصر محمدا فينقطع الذي
بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميرونا
ثالثها ان حساده واعداه كثيرة وكانوا يتوقعون
ان لا ينصره وان لا يعينه على اعدائه فمتى شاهدوا
ان الله نصره غاظهم ذلك وكذلك اي ومثل
ما انزلنا هذه الايات لبيان حكمها واظهار
اسرارها انزلناه ايات بينات اي القران
الباقي وقوله تعالى وان الله اي الموصوف
بالاكرام كما هو موصوف بالانتقام يهدي
اي باياته من يريد اي هدايته او يثبته

على



على الهدى معطوف على محل انزلناه وكما قال
تعالى وان الله يهدي من يريد اتبعه ببيان
من يهديه ومن لا يهديه وبدا بالقسم الاول
بقوله ان الذين امنوا بالله ورسوله وعبر
بالفعل ليشمل الاقرار وباللسان الذي هو ادنى
وجوه الايمان ثم شرع في القسم الثاني بقوله
تعالى والذين هادوا اي انتحلوا دين اليهودية
والصابين وهم فرقة من النصارى سميت بذلك
قيل بنسبتها الى صابي عم نوح عليه السلام وقيل
لخروجهم عن دين الى دين اخر واطلاق الصابية
على هذا هو المشهور وتارة يوافقهم في اصول
دينهم فتحل مناكحتهم وتارة يخالفونهم فلا تحل
مناكحتهم وتطلق ايضا على قوم اقدم من النصارى
يعبدون الكواكب السبعة ويضيفون الاثار
اليها وينفون الصانع المختار فهولا لا يحل مناكحتهم
وتدافي الاصطخري والمحاملي بقتلهم لما استفتى
القاهر الفقها فيهم فبذلوا له اموالا كثيرة فتركهم
فالبلاد قديم وقرا نافع بالياء التحتية بعد الباء
والباقون بهمزة مكسورة بعد الباء الموحدة

والنصارى اي الذين انتحلوا دين النصرانية
والمجوس قال قتادة هم عبدة الشمس والقمر
والنيران قال والذين اشركوا هم عبدة الاوثان
قال مقاتل الاديان كلها ستة واحد للرحمن
وهو الاسلام وخمسة للشيطان وقيل خمسة
اربعة للشيطان وواحد للرحمن بجعل الصابيين
مع النصارى لانهم نوع منهم كما مر على المشهور
وقد تقدم الكلام على هذه الاية في سورة
البقرة ان الله الذي هو احكم الحاكمين يفصل
بينهم يوم القيمة بادخال المومنين الجنة
وغيرهم النار وادخلت ان على ان كل واحد
من جزي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول
جرير ان الخليفة ان الله سربله
سربال ملك به ترجى الخواتيم
ثم علل ذلك بقوله تعالى ان الله اي الجامع
لجميع صفات الكمال على كل شي من الاشياكلها
شهيد اي عالم به مشاهدة الم تر اي تعلم
ان الله يسجد له اي يخضع له منقادا لامره
مسخرا لما يريد منه تسخير من هو في غاية

الاجتهاد

الاجتهاد في العبادة والاخلاص فيها من في السموات
ومن في الارض ان خصصت بذلك العاقل لانهم
خضوع غيره من باب اولى واذا دخلت غير
العاقل فيها لتغليبا ولي ثم اتبعه باشرف ما
ذكر مما لا يعقل لان كلا منهما عبد من دون الله او عبد
شي منه فقال تعالى والشمس والقمر والنجوم من
الاجرام العلوية فعبد الشمس حمير والقمر كنانة والد براد
تميم والشعرى لخم والثريا طي وعطارد اسد قال
ابو حيان روي عن عمرو بن دينار قال سمعت رجلا
يطوف بالبيت ويبكي فاذا هو طاووس فقال
اعجبت من بكاي فقلت نعم قال ورب الكعبة
ان هذا القمر ليبكي من خشية الله تعالى ولا ذنب له
ثم اتبع ذلك اصلا الذوات السفلية فقال والجبال
اي التي نحتت منها الاصنام والشجر اي التي عبد
بعضها والدواب اي التي عبد منها البقر كل من هذه
الاشيا تنقاد لامر الله تعالى ولا تابى من تدبيره
وكثير من الناس اي من الناس حق عليه العذاب
وهم الكافرين لانهم ابوا السجود المتوقف على
الايمان ومن يهن الله اي يشقه فما له من مكرم

اي مسعد لانه لاقدرة لغيره اصلا ان الله
اي الملك الاعظم يفعل ما يشا من الاكرام والاهانة
لامانع له من خلك نقل عن علي رضي الله عنه انه
قيل له ان رجلا يتكلم في المشية فقال له علي
يا عبد الله خلقك الله لما يشا او لما شيت
قال بل لما يشا قال فيمرضك اذا شا او اذا شيت
قال بل اذا شا قال فيشفيك اذا شا او اذا
شيت قال بل اذا شا قال فيدخلك الجنة حيث
شيت او حيث يشا قال بل حيث شا قال والله
لو قلت غير ذلك لضربت عنقك بالسيف ولما
بين الله تعالى ان الناس قسمان منهم من يسجد
لله ومنهم من حق عليه العذاب ذكر كيفية
اختصامهم بقوله تعالى هذان خصمان اي المومنون
خصم والكفار لخمسة خصم وهو يطلق على
الواحد والجماعة وقرا ابن كثير بتشديد النون
والباقون بالتخفيف اختصموا اي اوقعوا
الخصومة بغاية الجهد في ربهم اي دينه وروي
عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم
قسما ان هذه الاية هذان خصمان اختصموا
في



في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر وحمزة
وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة بن
ربيعة والوليد بن عتبة اخرجاه في الصحيحين
وعن ابن عباس قال لما برز علي وحمزة
وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد قالوا لهم
تكلموا نعرفكم قال انا علي وهذا حمزة وهذا
عبيدة فقالوا اكفا كرام فقال علي ادعوكم الى
الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال
عتبة هلم للمبارزة فبادر علي شيبة فلم يلبث
ان قتله وبارز حمزة عتبة فقتله وبارز
عبيدة الوليد فصعق عليه فاتى علي فقتله
فنزلت وعن قتادة نزلت الاية في المسلمين
واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل
نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم
قال المسلمون كتابنا يقضي على الكتب كلها
ونبينا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا فنحن
اولى بالله منكم وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انها نزلت كذلك لكن قال اهل الكتاب نحن
اولى بالله واقدم بين ايديكم كتابا ونبيا قبل

نبيكم وقال المسلمون نحن احق بالله منكم امنا
بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامنا بنبيكم وبما
انزل الله من كتاب وانكم تعرفون نبينا وكتابنا
ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذا خصومتهم
في ربهم وقيل الكافرون والمومنون من اي ملة
كانوا فالمومنون خصم والكفار خصم وقيل
الخصمان الجنة والنار لما روي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة
والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين
وقالت الجنة فما لي لا يدخلني الا ضعفا الناس
وسقطهم فقال الله عز وجل انت رحمتي ارحم
بك من اشا من عبادي وقال ولكل واحدة
منكما ملوها وعن عكرمة فقالت النار خلقني الله
لعقوبته وقالت النار خلقني الله لرحمته
وهذا القول بعيد عن السياق لان الله تعالى
ذكر جزاء الخصمين بقوله تعالى فالذين كفروا
وهو الفصل بينهم المعني بقوله تعالى ان الله
يفصل بينهم يوم القيمة قطعت اي قدرت لهم
على مقادير جثثهم ثياب من نار نيران تحيط
بهم احاطة الثياب سابغة مبالغة
عليهم

عليهم كما كانوا يلبسون الثياب في الدنيا تفاخرا
وتكبرا وعن ابراهيم التيمي انه قال سبحان
الله من قطع من النار ثيابا وعن سعيد بن جبير
قال قطعت من نحاس وليس من الانية اذا
حمي اشد حرارة منه وقال في قوله تعالى يصب
اي اذا دخلوها من فوق روسهم الحميم قال ابن
عباس النحاس يذاب على روسهم ولكن المشهور انه
الما الحار وعن ابن سعيد لو سقطت منه نقطة
على جبال الدنيا لاذابتها والجملة حال من الضمير في لهم
وخبر ثان وقراء ابو عمرو في الوصل بكسر الها
وضم الميم ههنا في الوصل فان وقف على روسهم
فالجميع بكسر الها وسكون الميم وحمزة على اصله
في الوقف على روسهم بتسهيل الهمزة يصهر به
اي يذاب به من شدة حرارته ما في بطونهم من
شحم وغيره والجلود فيكون اثره في الباطن والظاهر
سوا وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يسقون
ما اذا دخل بطونهم اذابها والجلود مع البطون
ولهم مقامع جمع مقمعة بكسر الميم وفتح وهو عمود
حديد وقيل سوط يضرب به الوجه والراس

ليرد المضروب عن مراده رد المقمعة ثم نفى المجانسة
بقوله تعالى من حديد اي يقمعون بها روي ابو
سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لو ان مقمعا من حديد وضع في الارض
فاجتمع الثقلان ما اقلوه من الارض ولو ضرب
الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي من تلك الثياب
او من النار من غم اي كلما حاولوا الخروج من
النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي ياخذ
بانفسهم اعيدوا فيها اي ردوا فيها بالمقامع آلها
وعن الحسن انهم يضربون بلهب النار فترفعهم
حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا
فيها سبعين خريفا وعن الفضيل بن عياض قال
والله ما طمعوا في الخروج لان الارجل مقيدة
والايدي موثقة ولكن يرفعهم لهبها وترده
المقامع وعن الحسن قال كان عمر يقول
اكثروا ذكر النار فان حرها شديد وقعرها
بعيد وان مقامعها حديد وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق
اي البالغ نهاية الاحراق ولما ذكر سبحنه
وتعالى

وتعالى ما لاحد الخصمين وهم الكافرون اتبعه
وهم المومنون وغير الاسلوب فيه حيث لم يقل
والذين امنوا عطفا على الذين كفروا واسند الادخا ل
فيه الى الله سبحنه وتعالى واكده بانه احماد الحال
المومنين وتعظيما لشانهم فقال تعالى ان الله
الذي له الامر كله يدخل الذين امنوا بالله ورسله
وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات من الفروض والنوا فل
الخالصة الشاهدة بثباتهم في الايمان جنات تجري
اي دائما من تحتها الانهار اي المياه الواسعة
اينما اردت من ارضها جري لك نهر في مقابلتها
يجري من فوق روس اهل النار عن معاوية عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة
بحر الما وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق
الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح
يحلون فيها من حلية المراة ان لبست الحلي في
مقابلة ما يلبس من بواطن الكفرة وظواهرهم
وقوله تعالى من اساور صفة مفعول محذو ف
اي حليا من اساور ومن زائدة او تبعيضية واساور
جمع اسورة وهي جمع سوار ولما كان

ولما كان المقصود الحث على التقوى المحلية
الى الانعام بالفضل شوق اليه باعلى ما
يصرف من الحلية فقال تعالى من ذهب وقوله
تعالى ولؤلؤا معطوف على اساور لا على ذهب
ولو لولانه لم يعهد السوار منه الان يراد المرصعة
وعن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال جنتان من فضة
انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا
الى ربهم الا رداء الكبر على وجهه في جنة
عدن وعن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان
ادنى لولوة منها لتضي ما بين المشرق
والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وقرا نافع وعاصم بنصب الهمزة الثانية
مع التنوين وابدل الهمزة الاولى الساكنة
حرف مد السوسي وابو بكر هذا حاله
للوصل واما الوقف فحمزة يبدل الاولى
واوا وكذا الثانية يبدلها واوا وله ايضا
فيها

فيها الروم وقوله تعالى ولباسهم فيها حرير
وهو الابريسم المحرم لبسه على الرجال المكلفين
في الدنيا في مقابلة ثياب الكفار كما كان
لباس الكفار في الدنيا حرير ولباس المومنين
دون ذلك وقد ورد في الصحيحين عن عبد
الله بن الزبير عن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا تلبسوا الحرير
فان من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وقال
ابن كثير قال عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس
الحرير في الاخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى
ولباسهم فيها حرير انتهى وفي الصحيحين
ايضا عن عمر رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال انما يلبس الحرير من لا خلاق
له في الاخرة قال البقاعي فيوشك للتشبيه
بالكفار في لباسهم ان يلحقهم الله بهم فلا يموت
مسلما انتهى والاولى ان يحمل ذلك على انه لا يلبسه
مع السابقين فانه من مات على الاسلام لا بد
من دخول الجنة او على ان استحله من الرجال
المكلفين وهدوا اي في الدنيا الى الطيب من القول

قال ابن عباس هو شهادة ان لا اله الا الله
وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان
الله وقال السدي هو القران وقال عطا هو
قول اهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده
**وهدوا الى صراط الحميد** اي طريق الله المحمود ودينه
فكان فعلهم حسنا كما كان قولهم حسنا تدخلون
الجنة التي هي اشرف دار عند خير جار وتحلون فيها
اشرف الحلي كما تحلوا فيها باشرف الطريق عكس
الكفار فانهم اثروا الفاني لحضوره اعرضوا عن
الباقي مع شرفه لغيابه فدخلوا دارا كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها ثم ذكر سبحانه
وتعالى بعد ما فصل بين الفريقين حرمة
البيت وعظم جرم من صد عنه فقال
سبحانه وتعالى **ان الذين كفروا** اي اوقعوا
هذا الفعل الخبيث وصح عطف **ويصدون**
وان كان مضارعا على الماضي لان المضارع
قد لا يلاحظ فيه زمان معين من حال
واستقبال بل يكون المقصود منه الدلالة
على مجرد الاستمرار وجود الاحسان
منه



منه فالصدود منهم دايم للناس **عن سبيل الله**
اي طاعته بانقسامهم طرق مكة يقول بعضهم
لمن يمر به خرج فينا ساحر واخر يقول شاعر واخر
يقول كاهن فلا تسمعوا منه فانه يريد ان يردكم
عن دينكم حتى من اسلم لم يزالوا به حتى جعلت
في اذني الكرسف مخافة ان اسمع شيا من كلامهم
وكانوا يؤذون من اسلم الى غير ذلك من اعمالهم
فيصدون **والمسجد الحرام** ان يقام شعايره
من الطواف بالبيت والصلاة والحج والاعتمار
ممن هو اهله ذلك من اوليائنا ثم وصفه
بما يبين شديد ظلمهم في الصد عنه بقوله تعالى
**الذي جعلناه** بما لنا من العظمة **للناس** اي
كلهم ثم بين جعله لهم بقوله تعالى **سواء العاكف**
اي المقيم **فيه والبادي** اي الطاري من البادية
وهو الجاي اليه من غربة وقال بعضهم يدخل
فيه العاكف الغريب اذا جا للتعبد فان لم يكن من
اهله قال الزمخشري وقد استشهد بها
اصحاب ابي حنيفة قايلين ان المراد بالمسجد الحرام
مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها

وايضا هو مذهب ابن عمر وعمر بن عبد العزيز
واسحق الحنظلي المعروف بابن راهويه قال
البيضاوي وهو مع ضعفه معارض بقوله
تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشراء عمر
دارا بسجن فيها من غير نكير اه ووجه
الرازي الضعف بقوله لان العاكف قد يراد به
الملازم للمسجد المعتكف فيه على الدوام
او في الاكثر فلا يلزم ما ذكر ويحتمل ان يراد بالعاكف
المجاور للمسجد المتمكن في كل وقت من الاوقات
من التعبد فيه فلا وجه لصرف الكلام عن
ظاهره مع هذه الاحتمالات انتهى واستدل
ايضا للجواز بقوله صلى الله عليه وسلم
لما قال له اسامة بن زيد يا رسول الله اتنزل
غدا بدارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من
رباع او دور وكان عقيل ورث ابا طالب دون
علي وجعفر لانهما كانا مسلمين ولا يورث الا
ما كان الميت مالكا له قال الروياني ويكره
بيعها للخروج من الخلاف ونازعه النووي
في مجموعه وقال انه خلاف الاولى لانه

لم

لم يرد فيه نهي مقصود والاولى كما قال
الزركشي هو المنصوص بل اعترض على النووي
فانه صرح بكراهة بيع المصحف والشطرنج ولم يرد
في ذلك نهي مقصود تنبيه محل الخلاف
بين العلماء في بيع نفس الارض اما البناء فهو مملوك
يجوز بيعه بلا خلاف اي اذا لم يكن من اجزاء
ارضها قيل ان اسحاق الحنظلي ناظر الشافعي بمكة
في بيع دور مكة فاستدل الشافعي بما مر واستدل
هو على المنع بقول حدثني بعض التابعين بانها
لا تباع قال له الشافعي لو قام غيرك مقامك
لامرت بفرك اذنيه اقول لك قال الله ورسوله
تقول حدثني بعض التابعين وقال الرازي
قال اسحق فلما علمت ان الحجة لزمتني تركت
قولي وقرا حفص سواء بالنصب على انه
ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا
العاكف فيه والبادي والباقون بالرفع على ان
الجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس
حالا من الهاء ويصح ان يكون حالا من المستكن
في للناس بجعله مفعولا ثانيا لجعلنا

وقرا ورش وابو عمرو والبادي باثبات الياء بعد
الدال وصلا لا وقفا واثبتها ابن كثير وقفا ووصلا
ومن يرد فيه اي المسجد الحرام بالحاد بظلم اي
يميل الى الظلم والالحاد العدول عن القصد واصله
الحاد الحافر وقيل الالحاد فيه هو الشرك وعبادة
غير الله وقيل هو دخول الحرم بغير احرام
او ارتكاب شي من المحظورات الاحرام من قتل
صيد او قطع شجر وقال ابن عباس رضي الله
عنهما هو ان تقتل فيه من لا يقتلك او تظلم
فيه من لا يظلمك وقال مجاهد هو تضاعف
السيات بمكة كما تضاعف الحسنات وقال
سعيد بن جبير احتكار الطعام بمكة بدليل
ما روى يعلى بن امية ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام في
الحرم الحاد وعن عطا قول الرجل في المبايعة
لا والله وبلا والله وعن عبد الله بن عمر
انه كان في المبا يعتله فسطاطان احدهما في
الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب
اهله عاتبهم في الحل فقيل له كنا نحدث
ان



ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله
وبلا والله تنبيه قوله الحاد بظلم حالان
مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول
كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا
اما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم
اي مولم اي بعضه وخبر ان محذوف لدلالة جواب
الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب
اليم فكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك فينبغي
لمن كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق
السداد والعدل في جميع ما الم به وتقصده
ولما ذكر تعالى الفريقين وجزا كل وختمه بذكر
البيت اتبعه التذكير به فقال تعالى واذ اي واذكر
اذ بوانا لابراهيم مكان البيت اي جعلنا له مكان
البيت مباة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة
فان البيت رفع الى السما ايام الطوفان وكان
من ياقوتة حمرا فاعلم الله ابراهيم عليه الصلاة
والسلام فكانت ريح تقال لها الخجوج كشفت
ما حوله فبناه على رسمه القديم وقيل بعث

الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحيال
البيت وفيها راس تتكلم يا ابراهيم ابن على قدري
فبنى عليه وعن عطا بن ابى رباح قال لما اهبط
الله تعالى ادم عليه الصلاة والسلام كان
رجلاه في الارض وراسه في السما يسمع اهل
السما ودعاهم وانس اليهم فهابت الملايكة
منه حتى شكت الى الله تعالى في دعايها وفى
في صلاتها فخفضه الله تعالى الى الارض فلما
فقد ما كان يستانس به بسمع منهم اشتكى حتى
وقيل اول من بنى البيت ابراهيم لما روى
في الصحيحين عن ابى ذر قال قلت يا رسول الله
اى مسجد وضع اول قال المسجد الحرام
قلت ثم اى قال بيت المقدس قلت كم بينهما
قال اربعون سنة ثم فسر التبوية بقوله تعالى
ان لا تشرك بي شيا فابتداء اساس العبادة
وراسها وعطف على النهى قوله سبحانه وتعالى
وطهر بيتي اى عن كل ما لا يليق به من
الاوثان والاقذار وطواف عريان به كما كانت
العرب تفعل للطايفين اى الذين يطوفون
بالبيت

بالبيت فان قيل كيف يكون النهى عن الشرك
والامر بتطهير البيت تفسير التبوية اجيب
بان التبوية لما كانت مقصودة من اجل العبادة
فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيا
وطهر بيتى للطايفين وقال ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما للطايفين بالبيت من غير اهله و
القايمين اى المقيمين والركع السجود اى المصلين
من الكل وقال غيره القايمون هم المصلون لان
المصلى لا بد ان يكون في صلاته جامعا بين القيام
والركوع والسجود قال البيضاوى ولعله عبر
عن الصلاة باركانه للدلالة على ان كل واحد
منها مستقل باقتضا ذلك كيف وقد اجتمعت
واذن في الناس اى اعلمهم وناد فيهم بالحج وهو
قصد البيت على سبيل التكرار للعبادة المخصوصة
بالشاعر المخصوصة وفي المامور بذلك قولان
احدهما وعليه اكثر المفسرين انه ابراهيم عليه
الصلاة والسلام قالوا لما فرغ من بنا البيت
قال الله تعالى له اذن في الناس بالحج قال يا رب وما
يبلغ صوتى قال عليك الاذان وعلينا البلاغ فصعد

الصفا وفي رواية اخري ابا قبيس وفي اخرى
على المقام قال ابراهيم كيف اقول قال جبريل
قل لبيك اللهم لبيك فهو اول من لبى وفي رواية
اخرى صعد على الصفا فقال يا ايها الناس ان الله
تعالى كتب عليكم حج هذا البيت العتيق فسمعه
ما بين السما والارض فما بقي شي سمع صوته
الا اقبل يلبي يقول لبيك اللهم لبيك وفي
رواية اخري ان الله يدعوكم الى حج بيته
الحرام ليثيبكم به في الجنة ويجيركم من النار
فاجابه يوميذ من كان في اصلاب الرجال
وارحام النساء وكل من وصل اليه صوته من حجر
او شجر او ابله او تراب قال مجاهد فما حج انسان
ولا يحج احد حتى تقوم الساعة الا وقد اسمعه
ذلك الندا فمن اجاب مرة حج مرة ومن اجاب
مرتين او اكثر بقدر ذلك وفي رواية فنادي
على جبل ابي قبيس يا ايها الناس ان ربكم بني
بيتا واوجب عليكم الحج اليه فاجيبوا ربكم
والتفت بوجهه يمينا وشمالا شرقا وغربا
فاجابه كل من كتب له الحج وان يحج من اصلاب





الرجال وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما امر الله
تعالى ابراهيم بالاذان تواضعت له الجبال فخفضت
وارتفعت له القرى القول الثاني ان المامور بذلك
هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول الحسن
واختاره المعتزلة واحتجوا عليه بان ما جا في القران
وامكن حمله على ان حمله محمدا صلى الله عليه وسلم
هو المخاطب به فهو اولى لان قوله تعالى واذ بوانا
لابراهيم تقرير واذكر يا محمد اذ بوانا فهو في حكم
المذكور فاذا قال تعالى واذن فاليه يرجع الخطاب
امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع روي عن ابي هريرة
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج وجواب الامر يا توك
اي بيتك الذي بنيته لذلك مجيبين لصوتك
باذننا سامعين طايعين مخبتين خاشعين
من اقطار السموات والارض كما يجيبون صوت
الداعي من قبلنا اذا دعاهم بعد الموت بمثل ذلك
رجالا اي مشاة على ارجلهم جمع راجل كقايم و
قيام وركبانا على كل ضامر اي بعير مهزول

وهو يطلق على الذكر والانثى تنبيه على كل ضامر
حال معطوف على حال كانه قال رجالا وركبانا
وقوله تعالى **يأتين** صفة لكل ضامر لانه في معنى
الجمع **من كل فج** اي طريق واسع بين جبلين
**عميق** بعيد روى سعيد بن جبير باسناده عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحاج الراكب له
بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة
وللماشي سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل يا
رسول الله وما حسنات الحرم قال كل حسنة
بمائة الف حسنة وفي هذا دلالة على ان المشي افضل
من الركوب وفي ذلك خلاف بين الائمة محله
كتب الفقه ولما كان الانسان ميالا الى الفوائد
مشتوقا الى جميل الفوائد على الاتيان بما يرغب
مبتهجا من فضله ما يقصده من امر المعاش
بقوله تعالى **ليشهدوا** اي يحضروا حضورا تاما
**منافع لهم** واختلف في تلك المنافع فبعضهم
حملها على منافع الدنيا وهي ان يتجروا في ايام الحج
وبعضهم حملها على منافع الاخرة وهي العفو والمغفرة
وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو
كما

كما قال الرازي اولى فيبادرون لتلك المنافع ينقلون
من مشعر من مشاعر الحج ومن مشهد الى مشهد
مجموعين بالدعوة خاشعين بالهيبة خاضعين
من السطوة راجين للمغفرة ثم يتعرفون الى
منازلهم ومواطنهم ويتوجهون الى مساكنهم كالسايرين
الى موقف الحشر يوم البعث والنشر المتفرقين
الى دار النعيم والجحيم فيا لها المصدقون بان خليلنا
ابراهيم عليه الصلاة والسلام نادى بالحج فاجابه
بقدرتنا له من اراد الله تعالى حجه على بعد
اقطارهم وتنائي دارهم ممن كان موجودا في
ذلك الزمان وممن كان في ظهور الاباء والامهات
الاقربين والابعدين صدقوا ان الداعي من قبلنا
بالنفخ في الصور يجيبه كل من كان على ظهرها
ممن حفظنا له جسده او سلطنا عليه الارض
فرقناه حتى صار ترابا وما بين ذلك لان الكل
علينا يسير قال الزمخشري عن ابي حنيفة
رحمه الله تعالى انه كان يفاضل بين العبادات
كلها لما شاهد من تلك الخصائص ولما كانت
المنافع لا تطلب وتتم الا بالتقوى وكان الكامل

على التقوى ذكر الله تعالى قال تعالى ويذكروا اسم الله
اي الجامع لجميع الكمالات بالتكبير وغيره عند الذبح
وغيره وقيل كني بالذكر عن الذبح لان ذبح المسلمين
لاينفك عنه تنبيها على ان المقصود مما تقربه
الى الله تعالى ان تذكر اسمه واختلف في الايام المعلومات
في قوله تعالى في ايام معلومات والذي عليه اكثر المفسرين
وهو اختيار الشافعي وابي حنيفة انه عشر ذي
الحجة واحتجوا بانها معلومة عند الناس
لحرصهم على علمها من اجل ان وقت الحج في اخرها
ثم للمنافع اوقات من العشر معروفة كيوم عرفة
والمشعر الحرام ولذلك الذبايح وقت منها
وهو يوم النحر وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انها ايام التشريق واستدل لهذا بقوله تعالى
على ما رزقهم من بهيمة الانعام وهي الابل والبقر والغنم
من الهدايا والضحايا اي يذكروا اسم الله تعالى
عند نحرها ونحر الهدايا والضحايا يكون في هذه
الايام وتقدم الكلام على الايام المعدودات
في سورة البقرة عند قوله تعالى واذكروا الله
في ايام معدودات وقوله تعالى فكلوا منها

اي

اي من لحومها اي امرا اباحة وذلك ان الجاهلية
كانوا لا ياكلون من لحوم الضحايا هدايا هم شيا
فامر الله تعالى بمخالفتهم واتفق العلما على ان
الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي ان ياكل منه — اضحية
وكذا الهدية التطوع لما روي عن جابر بن عبد الله
في قصة حجة الوداع فاتى علي ببدن من اليمن
وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا
وستين بدنة ونحر علي ما غبر اي ما بقي واشركه
في بدنه ثم امر من كل بدنة ببعضة اي بقطعة
فجعلت في قدر فطبخت فاكل من لحمها وشرب من
مرقها اخرجه مسلم واختلفوا في الهدي الواجب
بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب
بافساد الحج وفوته وجزا الصيد هل يجوز للمهدي
ان ياكل منه شيا قال الشافعي رضي الله تعالى
عنه لا ياكل منه شيا وكذلك ما اوجبه على نفسه
بالنذر وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لا ياكل
من جزا الصيد والنذر وياكل ما سوى ذلك
وبه قال احمد واسحاق وقال مالك ياكل
من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه

٥

الا هن فدية الاذى وجزاء الصيد والنذر وعن اصحاب
ابي حنيفة انه يأكل من كل دم التمتع والقران ولا يأكل
من واجب سواهما وقوله تعالى **واطعموا البائس**
اي الذي اصابه بوس اي شدة **الفقير** اي المحتاج
امر ايجاب وقد قيل به في الاول **ثم ليقضوا تفثهم** اي
يزيلوا وسخهم وشعثهم كقص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال **وليوفوا
نذورهم** في الهدايا والضحايا **وليطوفوا** طواف الافاضة
الذي به تمام التحلل **بالبيت العتيق** اي القديم لانه اول
بيت وضع للناس وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما سمي عتيقا لان الله تعالى اعتقه من تسلط
الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله
تعالى منه فان قيل قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع
اجيب بانه ما قصد التسلط على البيت وانما
تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه فلما
قصد التسليط عليه ابرهة ما فعل وقيل لان
الله تعالى اعتقه من الغرق فانه رفع في ايام
الطوفان وقال لانه لم يملك قط وقيل بيت كريم
اي العتيق بمعنى الكريم من قولهم عتق الخيل
والطير

٢٠٢

والطير والطواف ينقسم الى ثلاثة هذا ويدخل وقته
بعد الوقوف وهذا لا يجبر بدم لانه ركن الثاني
طواف الوداع ووقته عند ارادة السفر من مكة
وهو واجب يجبر تركه بدم الثالث طواف القدوم
وهو مستحب للحاج اول الحال اذا قدم مكة روي عن
عائشة رضي الله تعالى ان اول شيء بدأ به حين
قدم النبي صلى الله عليه وسلم انه توضأ ثم طاف ثم
لم يكن عمرة ثم حج ابو بكر ثم عمر مثله وقرأ ابن ذكوان
وليوفوا وليطوفوا بكسر اللام فيهما والباقون باسكانها
وفتح ابو بكر الواو وليوفوا وشدد الفا وقوله تعالى
**ذلك** خبر مبتدا مقدر اي الامر والشان ذلك المذكور
كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني
ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا فقد كان
كذا **ومن يعظم حرمات الله** ذي الجلال والاكرام
كلها وهي ما لا يحل انتهاكه من مناسك الحج وغيرها
وقيل الحرمات هنا المناسك الحج وتعظيمها اقامتها
واتمامها وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة
الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر
الحرام والمحرم حتى يحل **فهو** اي التعظيم الحامل

اي بغاية جهده

له على امتثال الامر ونهيها على وجهه واجتناب المنهى
عنه كالذبح بذكر غير الله تعالى والطواف عريانا
خير له عند ربه اي الذي اسدي اليه كلما هو فيه
من النعم في الاخرة ومن انتهكها فهو شر عليه عند
ربه ثم انه تعالى بين احكام الحج بقوله تعالى واحلت
لكم الانعام اي اكلها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم
الا ما يتلى اي على سبيل التحذير مستمرا عليكم تحريمه
بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم الاية و
الاستثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا والتحريم
لما عرض من الموت ونحوه فحافظوا على حدوده
واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان
البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم
الله شيئا كاحلالهم اكل الموقوذة والمتردية وغير
ذلك ولما فهم من ذلك حل السوائب وما معها
وتحريم المذبوح للانصاب وكان سبب ذلك كله
الاوثان تسبب عنه قوله تعالى فاجتنبوا اي بغاية
الجهد اقتدا بابيكم ابراهيم عليه الصلاة والسلام
الذي تقدم الايما له بمثل ذلك عند جعل البيت
له مباءة الرجس اي القذر الذي من حقه

ان

ان يجتنب من غير امر ثم بينه وميزه بقوله تعالى
من الاوثان اي الذي هو الاوثان كما يجتنب الانجاس
فهو بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون
من الدراهم وسمي الاوثان رجسا وكذا الخمر والميسر
والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون
بطبايعكم من الرجس وتجتنبوا فعليكم ان تنفروا
من هذه الاشيا مثل ذلك النفرة ونبه على هذا المعنى
بقوله تعالى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب
وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص
فان عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا
قول الزور كله لا تقربوا منه شيئا لتماديه في القبح
والسماجة وما ظنك من شيء من قبيل عبادة
الاوثان والزور من الزور الازورار وهو
الانحراف كما ان الافك من الافكة اذا صرفه فان
الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل
قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما
اشبه ذلك من افترائهم وقيل هو قول المشركين
في تلبيتهم لبيك لا شريك الا شريك هو لك تملكه

وما ملك وقيل هو شهادة لما روى ابو داوود
والترمذي انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح
فلما سلم قام قايما مستقبل الناس بوجهه
الكريم وقال عدلت شهادة الاشراك بالله
قالها ثلاثا وتلى هذه الاية وقوله تعالى حنفا لله
اي مسلمين عادلين من كل دين سوى دينه
غير مشركين به تاكيدا لما قبله وهما حالان من
الواو ومن يشرك بالله اي يوقع شيا من الشرك
بالله الذي له العظمة كلها بشي من الاشيا في وقت
من الاوقات فكانما خر اي سقط من السما تعلق
ما كان فيه من اوج التوحيد وسفول ما انحط
اليه من حضيض الاشراك فتخطفه الطير اي تاخذه
بسرعة وهو نازل في الهوى قبل ان يصل الى
الارض او تهوي به الريح اي حيث لم يجد في
الهوى ما يمسكه في مكان من الارض سحيق
اي بعيد فهو لا يرجى خلاصه قال الزمخشري
يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب
والمفرق فان كان تشبيها مركبا كانه قال من
اشرك بالله فقد اهلك نفسه هلاكا ليس

بعده



بعده هلاك بان صور حاله بصورة حال من خر
من السما فاختطفته الطير فتفرق موزعا في
حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض
المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان
في علوه بالسما والذي ترك الايمان واشرك بالله
بالساقط من السما والاهوا التي تتوزع افكاره
بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في
وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به
في بعض المهاوي المتلفة انتهى قوله يطوح به
البا مزيدة للتاكيد قال الجوهري طوحه اي توهه
وذهب به هاهنا وهاهنا وقرا نافع بفتح الخا
وتشديد الطاء والباقون باسكان الخا وتخفيف
الطا ثم عظم ما تقدم من التوحيد وما هو سبب
عنه بالاشارة باداة البعد فقال تعالى ذلك
اي الامر العظيم الكبير ذلك فمن رعاه فاز ومن حاد
عنه خاب ثم عطف عليه ما هو اعم من هذا العدد
فقال تعالى ومن يعظم شعاير الله جمع شعيرة
وهي البدن التي تهدى للحرم لانها من معالم الحج
بان يختار عظام الاجرام حسانا سمانا غالية

الايمان ويترك المكاس في شرايها وقد كانوا
يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي
والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رضي
الله تعالى عنهما انه اهدى نجيبة طلبت
بثلثماية دينار فساله رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن
ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ماية بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن
مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وجلالها
ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدايها
الى بيته العظيم امر عظيم لا بد ان يقام به
ويسارع فيه **فانها** اي تعظيمها ناشي **من تقوى**
**القلوب** فمن للابتدا فان جعلت تبعيضية فلا بد من
حذف تقديره فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم
المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزا
الى من ليرتبط وانما ذكرت القلوب لانها مراكز
التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر
اثرها

اثرها في ساير الاعضا وسميت ذلك البدن شعاير
لاشعارها بما يعرف انها هدي كطعن حديدة بسنامها
قال البقاعي ولعله ماخوذ من الشعر
لانها اذا جرحت قطع شي من شعرها او ازيل عن
محل الجرح فيكون من الازالة **لكم فيها** اي البدن
**منافع** كركوبها والحمل عليها بما لا يضرها وعن ابراهيم
من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب
وقال اصحاب الراي لا يركبها الا ان اضطر اليها
**الى اجل مسمى** وهو وقت نحرها **ثم محلها** اي مكان
حل نحرها **الى البيت العتيق** اي عنده والمراد
الحرم جميعه وقيل المراد بالشعاير المناسك ومشاهد
الحج بالمنافع الاجر والثواب في قضا المناسك الى انقضا
اجالها ومحلها محل الناس واجلهم الى البيت يطوفون
به طواف الزيارة **ولكل امة** اي جماعة مومنة سلفت
قبلكم **جعلنا منسكا** اي متعبدا وقربانا يتقربون به
الى الله تعالى وقرا حمزة والكسائي منسكا هنا
وفي اخر السورة بكسر السين في الموضعين فيكون
بمعنى الموضع والباقون بفتحها مصدر بمعنى
النسك **ليذكروا اسم الله** اي الملك الاعلى وحده

على ذبائحهم وقرابينهم لانه الرازق لهم وحده فيقولون
عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك
ثم علل الذكر بالنعمة تنبيها على التفكر فيها فقال على ما
رزقهم من بهيمة الانعام فوجب شكره بذلك عليهم
وفيه تنبيه على ان القربات يجب ان تكون من
الانعام فالهكم اي الذي شرع هذه المناسك
كلها اله واحد وان اختلفت فروع شريعة ونسخ
بعضها بعضا واذا كان واحدا وجب اختصاصه
بالعبادة فلذلك قال تعالى فله اسلموا وحده
اي انقادوا بجميع ظواهركم وبواطنكم في كل ما
امر به او نهى عنه وبشر المخبتين اي المطيعين
المتواضعين من الخبت وهو المطمئن من الارض
وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا ثم
بين علاماتهم بقوله تعالى الذين اذا ذكر الله اي
الذي له الجلال والجمال وجلت اي خافت خوفا
مزعجا قلوبهم فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله
تعالى والصابرين الذين صار الصبر عادتهم على ما
اصابهم من الكلف والمصائب ولما كان ذلك قد
يشغل عن الصلاة قال تعالى والمقيمي الصلاة
في اوقاتها والمحافظة عليها وان حصل لهم من





من المشاق بافعال الحج وغيره ما عسى ان يحصل
ولذلك عبر بالوصف دون الفعل اشارة الى انه لا
يقيمها على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل
الا راسخ في حبها لما تمكن من حبها في قلوبهم والخوف من
الغفلة عنها كانهم دائما في صلاة ومما رزقناهم ينفقون
في وجوه الخير من الهدايا التي يغالون في اثمانها وغير
ذلك احسانا الى خلق الله تعالى ولما قدم تعالى
الحث على التقرب بالانعام كلها وكانت الابل اعظمها
خلقا واجلها في انفسهم امر اسرا خصها بالذكر
فقال تعالى والبدن اي الابل المعروفة جمع بدنة
كخشب وخشبة وانتصابه بفعل يفسره جعلناها
لكم من شعائر الله اي من اعلام دينه التي شرعها
الله تعالى وقيل انها تشعر وهي ان تطعن بحديدة
في سنامها ليعلم بذلك انها هدي لكم فيها خير اي نفع
في الدنيا وثواب في العقبى كما قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما دنيا واخرى وروى الترمذي
وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن ادم يوم
النحر احب الى الله تعالى من هراقة الدم وانه ليوتى

يوم القيمة بقرونها واظلافها واشعارها وان
الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض
فطيبوا بها نفسا وروى الدارقطني في السنن
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انفقت
الورق في شيء افضل من نحيرة في يوم عيد وعن
بعض السلف انه لم يكن له الا تسعة دنانير
فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال
سمعت ربي يقول لكم خير **فاذكروا اسم الله عليها**
اي على ذبحها بالتكبير حال كونها **صواف** اي قائمة
على ثلاث معقولة اليد اليسرى لان البدن تعقل
احدى يديها فتقوم على ثلاث **فاذا وجبت**
**جنوبها** اي سقطت سقوطا يؤذن بزوال
ارواحها فلا حركة اصلا من وجب الحائط وجبة
اذا سقط ووجبت الشمس وجبة غربت قال
ابن كثير وقد جاء في حديث مرفوع ولا تعجلوا النفوس
ان تزهق وقوله تعالى **فكلوا منها** اي اذا كانت
تطوعا امر اباحة دفعا لما قد يظن انه يحرم الاكل منها
للامر بتقريبها الى الله تعالى **واطعموا القانع** اي

المتعرض



المتعرض للسؤال بخشوع وانكسار **والمعتر** اي
السائل وقيل بالعكس وهو قول الشافعي رضي
الله تعالى عنه قال في كتاب اختلاف الحديث
والقانع هو السائل والمعتر هو الزائر وقيل القانع
هو الجالس في بيته المتعفف الذي يقنع بما
يعطى ولا يسأل ولا يتعرض والمعتر المتعرض وقيل
القانع هو المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين
ولا يكون له ذبيحة يجيء الى القوم فيتعرض لهم
لاجل لحمهم **كذلك** اي مثل هذا التسخير العظيم الذي
وصفناه من نحرها قياما **سخرناها** بعظمتنا
التي لولاها ما كان ذلك **لكم** وذللناها ليلا
ونهارا مع عظمتها وقوتها تأخذونها منقادة
فتعقلونها وتحبسونها ولو شئنا جعلناها
وحشية لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحش
التي هي اصغر منها جرما واقل قوة **لعلكم تشكرون**
انعامنا عليكم لتعرفوا انه ما ذللها لكم الا الله
تعالى فيكون حالكم حال من يرجوا شكره فتوفوا
الشكر بان لا تحرموا منها الا ما حرم الله عليكم
ولا تحلوا منها الا ما احل وتهدوا منها ما حث على

اهدايه وتتصرفوا بحسبما امركم ولما حث تعالى
على التقرب بها مذكورا اسمه عليها قال تعالى لن ينال
الله الذي له صفا الكمال لحومها الماكولة ولا دماوها
المهروقة لا يرفعان اليه ولكن يناله التقوى منكم
اي يرفع اليه منكم العمل الصلح الخالص له مع الايمان
كما قال تعالى والعمل الصالح يرفعه اي يقبله
وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن
نضحوا الدما حول البيت ولطخوه بالدما
فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت
ثم كرر سبحانه وتعالى السببية على عظيم
تسخيرها على ما وجب عليهم بقوله تعالى
كذلك مثل هذا التسخير العظيم سخرها لكم
بعظته وغناه عنكم لتكبروا الله على ما هداكم.
اي ارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه كان تقولوا الله
اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا فاختص الكلام
بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته ثم وعد
من امتثل الامر بقوله تعالى وبشر المحسنين اي
المخلصين فيما ياتونه ويذرونه كما قال تعالى من قبل
وبشر المخبتين والمحسن هو الذي يفعل الحسن
من



من الاعمال ويتمسك به فيصير محببا الى نفسه بتوفير
الثواب عليه وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما الموحدين وقوله تعالى ان الله اي الذي له الكمال
يدفع عن الذين امنوا وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح
اليا وسكون الدال وفتح الفا والباقون بضم اليا
وفتح الدال وبعدها الف وكسر الفا اي يبالغ في الدفع
مبالغة من يبالغ فيه ولم يذكر الله تعالى ما يدفعه
عنهم حتى يكون اعظم وافخر واعم وان كان في الحقيقة
انه يدفع باس من المشركين فلذلك قال الله تعالى
بعده ان الله اي الذي له صفة الكمال لا يحب
اي لا يكرم كما يفعل المحب كل خوان في امانته كفور
لنعمته وهم المشركون قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما خانوا الله تعالى فجعلوا معه شريكا
وكفروا انعمه فنبه بذلك على انه يدفع عن المومنين
كيد من هذه صفته وقال مقاتل يدفع كفار
مكة قبل الهجرة حين اذوهم فاستاذنوا النبي
صلى الله عليه وسلم في قتلهم سرا فنهاهم عن ذلك
ثم اذن الله تعالى لهم في قتالهم بقوله تعالى اذن
للذين يقاتلون اي المشركين والماذون فيه وهو

القتال محذوف لدلالة يقاتلون عليه **بانهم** اي
بسبب انهم **ظلموا** فكانوا يا تونه صلى الله عليه
وسلم بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه
فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال بعد نحو
ماهي عشر ونيف وسبعين اية وقيل نزلت في
قوم باعيانهم مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم
مشركوا مكة فاذن الله تعالى لهم في قتال الكفار
الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا واعتدوا
عليهم بالايذا وقرا نافع وابو عمرو وعاصم بضم
الهمزة والباقون بفتحها ولما كان التقدير فان الله
تعالى اراد اظهار دينه بهم عطف عليه قوله تعالى
**وان الله** اي الذي هو الملك الاعلى **على نصرهم**
**لقدير** وفي ذلك وعد من الله تعالى بنصر المومنين
ثم وصفهم بقوله تعالى **الذين اخرجوا من ديارهم**
اي اشعب والحبشة والمدينة **بغير حق** اوجب
ذلك ما اخرجوا **الا ان يقولوا ربنا** اي بقولهم ربنا الله
وهذا القول حق والاخراج به اخراج بغير حق ونظير
ذلك قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله
تنبيه الذين اخرجوا مجرور نعت للذين يقاتلون

او



او بدل منه او منصوب على المدح او مرفوع مبتدا
محذوف **ولولا دفع الله** اي المحيط بكل شي علما
**الناس بعضهم ببعض** اي تسليط المسلمين منهم
على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على
اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم كما
قال تعالى **لهدمت** اي خربت **صوامع** وهي معابد
صغار مرتفعة للرهبان **وبيع** كنائس للنصارى
**وصلوات** اي كنائس لليهود وسميت بها لانها يصلى
فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا
**ومساجد** للمسلمين **يذكر فيها** اي في هذه المواضع
المذكورة **اسم الله** العلي العظيم **كثيرا** وتنقطع العبادات
بخرابها وقيل الضمير يرجع للمساجد فقط تشريفا
بان الله ذكر الله تعالى يحصل فيها كثيرا فان قيل لم
قدم الصوامع والبيع في الذكر كما في قوله تعالى لهدمت
صوامع على المساجد اجيب بانها اقدم في
الوجود وقيل اخرها في الذكر كما في قوله تعالى ومنهم
سابق بالخيرات ولان الذكر اخر العمل فلما كان نبينا
صلى الله عليه وسلم خير الرسل وامتنا والسابقون
وقيل اخرها لتكون بعيدة عن الهدم قريبة

من الذكر وقرا نافع دفاع بكسر الدال وفتح الفا والف
بعدها والباقون بفتح الدال وسكون الفا وقرا نافع
وابن كثير لهدمت بتخفيف الدال والباقون بتشديدها
واظهر التا عند الصاد نافع وابن كثير وعاصم وادغمها
الباقون **ولينصرن الله** اي الملك الاعظم **من ينصره**
اي ينصر دينه واولياه كاينا من كان منهم او من
غيرهم وقد انجز الله سبحنه وتعالى وعده بان
سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب
واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم
**ان الله** اي الذي لا كفو له **لقوي** اي على ما
يريد **عزيز** اي منيع في سلطانه وقدرته وقوله
تعالى **الذين ان مكناهم** اي بما لنا من القدرة
**في الارض** باعلايهم على اضدادهم **اقاموا الصلاة**
اي التي عماد الدين الدالة على المراقبة والاعراض عن
تحصيل الفاني **واتوا الزكاة** المؤذنة بالزهد
في الحاصل منه المؤذن بعمل النفس للرحيل **وامروا**
**بالمعروف** اي الذي امر الله سبحنه وتعالى ورسوله به
**ونهوا عن المنكر** اي الذي نهى الله ورسوله عنه
وصف للذين هاجروا وهو اخبار من الله سبحنه
وتعالى



وتعالى بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين
والانصار رضي الله تعالى عنهم وعن عثمان رضي الله
تعالى عنه هذا والله تعالى ثنا قبل بل لا يريد ان
الله تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير
ما احدثوا تنبيه في ذلك دليل على صحة خلافة
الايمة الاربعة الخلفا الراشدين اذ لم يستجمع
ذلك غيرهم من المهاجرين واذا ثبت ذلك وجب
ان يكونوا على الحق ولا يجوز حمل الاية على امير
المومنين على حدة لان الاية دالة على الجمع
وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الذين منصوب بدل من قوله تعالى ينصره
**ولله** اي الملك الاعلى **عاقبة الامور** اي اخر امور
الخلق ومصيرها اليه في الاخرة فلا يكون لاحد
فيها امر حتى انه لا ينطق احد الا باذنه ولما بين
سبحانه وتعالى فيما تقدم اخراج الكفار للمومنين
من ديارهم بغير حق واذن في مقاتلتهم وضمن
للرسول صلى الله عليه وسلم النصرة وبين ان
الى الله عاقبة الامور اردفه بما يجري مجرى التسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما هم

عليه من اذيته واذية المومنين بالتكذيب وغيره
فقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم اي من قبل
قومك قوم نوح وتانيث قوم باعتبار المعنى
وتحقير المكذبين في تذريته وانكانوا من اشد
الناس وعاد اي ذو الابدان الشداد قوم هود
وثمود اي اولوا الابنية الطوال في السهول والجبال
وقوم صالح وقوم ابراهيم المتجبرون المتكبرون
وقوم لوط الانجاس بما لم يسبقهم اليه احد من
الناس واصحاب مدين ارباب الاموال المجموعة
من خزاين الضلال فانت يا اشرف الخلق لست
باوحدي في التكذيب فان هولا قد كذبوا رسلهم
قبل قومك ولما كان موسى عليه السلام تداوت
من الايات المرسية ثم المسموعة بما لم يات بمثله
احد ممن تقدمه فكان تكذيبه في غاية البعد
غير سبحنه الاسلوب تنبيها على ذلك وعلى ان
الذين اطبقوا على تكذيبه القبط واما قومه
فما كذبه منهم الا ناس يسير فقال تعالى وكذب
موسى وفي ذلك ايضا تعظيم للتاسية وتفخيم
للتسلية فاملیت للكافرين اي امهلتهم بتاخير
العقاب



العقاب عنهم الى الوقت الذي ضربته لهم وعبر عنه
طول الامهال باداة التراخي لزيادة التاسية وقال
تعالى ثم اخذتهم اخذ عزيز مقتدر بما نبه سبحنه
وتعالى بالاستفهام في قوله تعالى فكيف كان نكير
اي انكاري لافعالهم على انه كان في احدهم عبر وعجايب
واهوال وغرايب حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة
هلاكا وبالعمارة خرابا والاستفهام للتقرير اي
وهو واقع موقعه فليحذر هولا الذين اتيتهم
باعظم مما اتى به رسول قومه مثل ذلك فان لم
يومنوا بل فعلت بهم كما فعلت بهم وان كانوا
امكن الناس محلا يمنعك امرهم تنبيه اثبت
ورش اليا بعد الرا من نكير في الوصل وحذفها
الباقون وصلا ووقفا فكاين اي وكم من قرية
وقيل معنى كاين رب وقوله تعالى اهلكتها
قراه ابو عمرو بعد الكاف بتاء فوقية مضمومة والباقون
بنون وبعدها الف والمراد اهلكنا بدليل قوله تعالى
وهي اي والحال انها ظالمة اي اهلها بكفرهم ويحتمل
ان يكون المراد اهلاك النفس القرية فيدخل تحت
هلاكها هلاك من فيها لان العذاب النازل اذا

اذا لم يلبث ان يهلك القرية فتصير هذه متحمل هالكا
فيها وان كان الاول اقرب معنى اي فتسبب عن
هلاكها انها خاوية متهدمة ساقطة على اي
جدرانها على عروشها اي سقوفها اذ كل مرتفع اظلك
من سقف بيت او خيمة وظلة او كرم فهو عرش
والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي
من خوى المنزل اذا خلى من اهله وخوى بطن
الحامل تنبيه قوله تعالى على عروشها لا يخلو من
ان يتعلق الخاوية فيكون المعنى انها ساقطة
على عروشها سقوفها اي تقصفت الاخشاب
اولا من كثرة الامطار وغير ذلك من الاشرار
فسقطت ثم سقط عليها الجدران فسقطت
فوق السقوف او خاوية مع بقاء عروشها
وسلامتها واما ان يكون بعد خبر كانه قيل هي
خاوية وهي اي على عروشها اي قايمة اي تظلة على
عروشها على معنى ان السقوط سقطت الى الارض
فصارت في قرار الحيطان مايلة فهي مشرفة على
السقوط الساقطة وقوله فهي خاوية جملة
معطوفة على اهلكتها لا على وهي ظالمة فانها
حال



حال كما قدرته والاهلاك ليس حال خرابها فلا محل
لها ان نصبت كان بمقدر يفسره اهلكتها لانها
معطوفة على جملة اهلكتها كما مر وهي مفسرة
لا محل لها وان رفعت كاين بالابتدا فمحلها رفع رفع
خبر الثاني الكاين والخبر الاول اهلكتها وكم من بير
معطلة اي متروكة بموت اهلها وقصر مشيد
اي رفيع خال بموت اهله تنبيه على مما
قررته ان بير معطوف على قرية وهو يقوى ان
عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بير
نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن امن به
ونجاهم الله تعالى من العذاب وهم بحضرموت
وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات
وثم بلد عند البير اسمها حاضورا بناها قوم
صالح وامروا عليهم جهليس بن جلاس
واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما
وارسل الله تعالى عليهم حنظلة بن صفوان
نبيا فقتلوه فاهلكهم الله تعالى وعطل بيرهم
وخرب قصورهم وقوله تعالى افلم يسيروا اي
كفار مكة في الارض يحتمل انهم لم يسافروا

مخنوا على السفر لير والمصارع من اهلكهم الله تعالى
بكفرهم وشاهدوا اثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد
سافروا وارادوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان
لم يسافروا ولم يروا **فتكون** اي فتتسبب عن سيرهم
ان تكون **لهم قلوب** واعية **يعقلون بها** ما راوه
بابصارهم مما نزل بالمكذبين قبلهم **او** اي او يكون
لهم ان كان عمى الابصار كما دل عليه حمل هذا
قسما **اذان يسمعون بها** اخبارهم بالاهلاك وخراب
الديار فيعتبروا **فانها** اي القصة **لا تعمى الابصار**
ويجوز ان يكون الضمير مبهما تفسره الابصار
وفي تعمى ضمير راجع اليه والمعنى ان ابصارهم
صحيحة لا عمى فيها وانما العمى بقلوبهم كما قال تعالى
**ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** او لا يعتد
لعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب
فان قيل فاي فايدة في ذكر الصدور يجيب
بان الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على
الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة
بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة
ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد
من



من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه
عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة
تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو
القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضا للسيف
ولكنه لسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين
فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل
المضاء هو لا غير فكانك قلت ما نفيت المضاء عف
السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني
ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا قيل لما نزل قوله
تعالى **ويستعجلونك بالعذاب** الذي توعدتهم به
تكذيبا واستهزاء **و** الحال انه **لن يخلف الله** الذي
لا كفوله **وعده** لامتناع الخلف في خبره سبحانه
وتعالى فيصيبهم ما وعدهم به ولو بعد حين
لكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة وقد انجزه
يوم بدر **وان يوما عند ربك** اي المحسن اليك
بتاخير العذاب عنهم اكراما لك من ايام الاخرة بالعذاب
**كالف سنة مما تعدون** في الدنيا وطول ايامه
حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة
وقرا حمزة وابن كثير والكسائي بالياء على الغيبة

والباقون بالتا على الخطاب وكاين من قرية امليت
لها اي امهلتها كما امهلتكم وهي ظالمة كظلمهم
بالاستعجال وغيرها ثم اخذتها اي بالعذاب
والمراد اهلها والي المصير اي المرجع فينقطع كل
حكم دون حكمي ففيه وعيد وتهديد فان قيل
لم قال فكاين من قرية اهلكتها بالفا وقال هنا
بالواو اجيب بان الاولى وقعت بدلا عن قوله
تعالى فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما
تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني
قوله تعالى ولن يخلف الله وعده وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون ولما كان الاستعجال
لا يطلب من الرسول وانما يطلب من المرسل امر الله
تعالى بان يديم لهم التخويف والانذار بقوله
تعالى قل اي لهم ولا يصدنك عن دعايهم ما
اخبرناك به من علمهم يايها الناس اي جميعا
من قومك وغيرهم انما انا لكم نذير مبين اي
بين الانذار والاقتصار على الانذار مع عموم
الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه
للمشركين وانما ذكر المومنين بقوله تعالى
فالذين



فالذين امنوا وعملوا اي تصديقا لدعواهم ذلك
الصلحات لهم مغفرة اي لما فرط منهم ورزق
اي في الدنيا بالغنايم وغيرها وفي الاخرة بما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كريم
اي لا خسة فيه ولا دناة بانقطاع ولا غيره زيادة
في غيظهم ولما كان في سياق الانذار قال معبرا
بالماضي زيادة في التخويف والذين سعوا اي اوقعوا
السعي ولو مرة واحدة في اياتنا اي القران بابطالها
معجزين من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم اي
ينسبونهم الى العجز ويثبطونهم عن الايمان او مقدرين
عجزنا عنهم وقرا ابن كثير وابو عمرو بتشديد
الجيم بعد العين وتخفيف الجيم اي سابقين
مشاقين للساعين فيها بالقبول اولئك اي
البعدا البغضا اصحاب الجحيم اي النار استحقاقا
بما سعوا فيكلفهم فيها ليعلموا انهم هم العاجزون
ولما لاح من ذلك ان الشيطان التي للكفار سببها
يعاجزون بها يجادلهم في دين الله الذي امر
رسوله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
وما ارسلنا اي بعظمتنا من قبلك للاستغراق

بقوله تعالى من رسول وهو نبي امر بالتبليغ ولا نبي وهو من
لم يومر بالتبليغ وهذا هو المشهور يعني ارسلنا
او حينا فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه ما رواه
الامام احمد من انه صلى الله عليه وسلم سيل عن
الانبيا فقال مائة الف واربع وعشرون الفا قيل
فكم الرسل فقال ثلاث مائة وثلاثة عشر جما غفيرا
وقيل كما هو ظاهر الاية الرسول من جمع الى
المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من كتاب
له وقيل يمكن حمل الاية عليه ايضا والرسول من
ياتيه الكتاب والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في
المنام الا اذا تمنى اي تلا على الناس ما امر الله
تعالى به او حثهم به واشتهى في نفسه ان يقبلوه
حرصا منه على ايمانهم شفقة عليهم القى الشيطان
من التشبيه والتخيلات في امنيته اي فيما تلاه
او حدث به واشتهى ان يقبلوها تلقفه منه
اولياوه فيجادلون به اهل الطاعة ليضلوهم
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا

غرورا كما يفعل هولا فيما يغترون به في وجه
الشريعة اصولا وفروعا من قولهم في القران شعر
وسحر وكهانة وقولهم لو شا الله ما اشركنا
ولا اباونا وقولهم انما قتله الله بالموت حتف
انفه او بالاكل بما ذبح وقولهم نحن اهل الله وسكان
حرمه ولا نخرج من الحرم فنقف في الحج بالمشعر
الحرام وتقف الناس بعرفة ونحن نطوف بثيابنا
وكذا من ولدناه واما غيرنا فلا يطوف الا عاريا
ذكرا كان او انثى الا ان يعطينا احدنا ما يلبسه
ونحو ذلك مما يريدون ان يطفوا نور الله تعالى
وكذا تاويلات الباطنية والاتحادية وانظارهم
التي الحدوا فيها يضل الله بها ثم يمحوها ممن اراد
من عباده واما من اراد من عباده وما اراد من
امره فينسخ اي فيتسبب عن المقابلة انه ينسخ الله
المحيط بكل شي علما وقدرة ما يلقي الشيطان
فيبطله بايضاح امره ثم يحكم الله اياته اي تتم له
بجعلها حلية فيما يريد منها وادل دليل على ان هذا
هو المراد بالافتتاح بالمعاجزة في الايات الختام بقوله
عطفا على ما تقديره فالله على ما يشا قدير والله
عليم باحوال خلقه حكيم بما يفعل به

وقيل انه صلى الله عليه وسلم حدث نفسه
بزوال المسكنة فنزلت وقال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما
من المفسرين لما راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعراض قومه عنه وشق عليه ما راى
من مباعدتهم كما جاهم به تمنى في نفسه ان
ياتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه وذلك
لحرصه على ايمانهم فجلس ذات يوم في نادي من اندية
قريش كثير اهله واحب يومئذ ان لا ياتيه من الله
شي ينفروا عنه وتمنى ذلك فانزل الله تعالى
عليه والنجم اذا هوى فقراها رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى بلغ افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس
اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان
قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
ففرح به المشركون ومضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قراة السورة كلها وسجد في
اخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع
من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد
سوى



موهن والا كافر الا سجد سوى الوليد بن المغيرة
وابو جنحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة
من البطحا ورفعاها على جبهتهما وسجدا عليه
لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت
قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد
الهتنا باحسن وقالوا قد عرفنا ان الله تعالى يحيي
ويميت ويرزق ولكن هذه الهتنا تشفع لنا عنده
فاذا جعل لهم محمد ايض فنحن معه فلما امسى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد
ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما اتك به عن الله
عز وجل فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا
شديدا وخاف من الله خوفا شديدا فانزل الله
تعالى هذه الاية تعزية وكان به رحيما وسمع بذلك
من كان بارض الحبشة من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت اهل
مكة فرجع اكثرهم الى عشايرهم وقالوا هم احب الينا
حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذي كانوا يتحدثون
من اسلام اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد
منهم الا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه الاية

قالت قريش قد عظم محمد صلى الله عليه وسلم علي
ما ذكر من منزلة الهتنا عند الله فغير ذلك
قال الرازي هذه رواية عامة المفسرين
الظاهريين اما اهل التحقيق فقد قالوا هذه
الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطلان
بالقران والسنة والمعقول اما القران فوجوه
احدها قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ثانيها
قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء
نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي ثالثها قوله تعالى
وما ينطق عن الهوى واما السنة فمنها
ما روي عن محمد بن خزيمة انه سيل عن هذه
القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف
فيه كتابا وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة
من جهة النقل فقد روى البخاري في صحيحه غير ثابتة
انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم وسجد
فيها وسجد المسلمون والكفار والانس والجن
وليس فيه حديث الغرانيق واما المعقول فمن
وجوه احدها انه من جوز على النبي صلى الله
عليه



عليه وسلم تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم
بالضرورة ان من اعظم سعيه كان في نفي
الاوثان ثانيها قوله تعالى فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله اياته وازالة ما يلقيه
الشيطان عن الرسول صلى الله عليه وسلم
اقوى من نسخ هذه الايات التي تبقى الشبهة
معها فاذا اراد الله تعالى احكام الايات
لئلا يلتبس ما ليس بقران قرانا فبان بمنع
الشيطان من ذلك اصلا وثالثها وهو اقوى
الوجوه لو جوزنا ذلك ارتفع الايمان عن شرعه
وجوزنا في كل واحد من الاحكام والشرايع ان
يكون كذلك فيبطل قوله تعالى بلغ ما انزل
اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته
والله يعصمك من الناس فانه لا فرق في العقل
من النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه
وزاد الرازي ادلة اخرى على ذلك ثم قال
وقد عرفنا ان هذه القصة موضوعة اكثر ما
في الباب ان جمعا من المفسرين ذكروها
وخبر الواحد لا يعارض الدلايل العقلية

المتواترة الا وبعضها هو الذي يطمين اليه القلب
وان الحافظ بن حجر العسقلاني في صحتها ثم قال
وحينئذ فيتعين تاويل ما وقع فيها مما ينكر
وهو قوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق
الى اخره انتهى وعلى القول بها سلك العلما
مسالك احسنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يرتل القران فارتصده الشيطان
في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات
محاكيا نغمته بحيث يسمعه من دنا اليه
فظنها من قوله واشاعها وقال البيضاوي
بعد ان ذكر بعض هذه القصة وهو
مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به
الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه انتهى
قال ابن الاثير والغرانيق هنا الاصنام وهي
في الاصل الذكور من طير الماء واحدها غرانيق
وغرنيق سمي به لبياضه قال وكانوا يزعمون
ان الاصنام تقربهم من الله تعالى وتشفع لهم
فشبهت بالطيور التي تعلوا الى السما وترتفع
جوقيل قر القول حسان في حق عثمان بن عفان
تمنى الله اول ليلة تمنى داود الزبور على



على رسل اي على تان وتمهل ولما ذكر سبحنه
وتعالى ما حكم به من تمكين الشيطان من هذه
الالقا ذكر العلة في ذلك بقوله تعالى ليجعل ما
يلقي الشيطان اي في المتلو والمحدث به
من تلك الشبهة في قلوب اوليايه على التفسير
الاول على الثاني وغيره يوسوسها اليس به
فتنة اي اختبارا وامتحانا للذين في قلوبهم مرض
شك ونفاق والقاسية اي الجافية قلوبهم عن
قول الحق وهم المشركون وان الظالمين اي الواضعين
اقوالهم وافعالهم في غير مواضعها كفعل من هو
في الظلام لفي شقاق اي خلاف لكونهم في شق
غير شق حزب الله بمحاجتهم في الايات بتلك الشبهة
التي تلقوها من الشيطان وجادلوا بها اوليا
الرحمن بعيد عن الصواب ولتصغى اليه افئدة
الذين لا يومنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا
ما هم مقترفون وعلى ثبوت ذكر القصة
وجرى عليه الجلال المحلي قال انهم في خلاف
طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين
حيث جرى على لسانه ذكر الهتهم بما يرضيهم ثم

ثم ابطل ذلك وليعلم الذين اوتوا العلم بالقران
حججه واحكام براهينه وضعف شبه المعاجزين
انه اي الشي الذي تلوته او تحدثت به الحق اي
الثابت الذي لا يمكن زواله من ربك اي المحسن
اليك بتعليمك اياه فيومنوا به لما ظهر لهم من صحته
بما ظهر من ضعف تلك الشبهة فتخبت اي
تطمئن وتخضع له قلوبهم وتسكن به نفوسهم وان
الله بجلاله وعظمته لهادي الذين امنوا في جميع
ما يلقيه اوليا الشيطان الى صراط مستقيم
اي قويم وهو الاسلام يعلمون به الى معرفة
بطلانه حتى لا تلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة
فيوصلهم ذلك الى سعادة الدارين ولا يزال
الذين كفروا اي وجد منهم الكفر وطبعوا عليه
في مرية اي شك منه قال ابن جريج اي من
القران وقيل مما القى الشيطان على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقولون فما باله ذكرها
ثم ارتد عنها وقيل من الدين وهو الصراط
المستقيم حتى تاتيهم الساعة اي القيمة وقيل
اشراطها وقيل الموت بغتة اي فجاة او ياتيهم عذاب
يوم



يوم عقيم قال عكرمة والضحاك لا ليل له
وهو يوم القيمة والاكثرون على انه يوم بدر وسمي
عقيما لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح
التي لا تاتي بخير وقيل انه لا مثل له في عظم امره
لقتال الملايكة فيه ويقوى التفسير الاول قوله
تعالى الملك يومئذ اي يوم القيمة لله اي المحيط
بجميع صفات الكمال وحده ولما كان كانه قيل
ما معنى اختصاصه به وكل الايام له قيل يحكم
بينهم اي المومنين والكافرين بالامور لفصل لا
حكم فيه ظاهرا ولا باطنا لغيره كما ترونه الان
بل يمشي فيه الامر على اتم فرش العدل فالذين
امنوا وعملوا اي صدقوا دعواهم الايمان بان
عملوا الصلحات وهي ما امرهم الله تعالى به في جنات
النعيم فضلا منه ورحمة لهم بما رحمهم الله تعالى
من توفيقهم للاعمال الصالحة والذين كفروا اي
ستروا ما اعطيناهم من المعرفة بالادلة على وحدانيتنا نبينا
وكذبوا باياتنا اي ساعين بما اعطيناهم من الفهم
في تعجيزها بالمجادلة بما يوحي اليهم اولياوهم
من الشيطان من الشبه فاوليك اي

اي البعدا عن اسباب الكرم **لهم عذاب مهين**
اي شديد بسبب ما سعوا في نهاية اياتنا
مريدين من اغترار انفسهم بمغالبتنا والتكبر
عن اياتنا فان قيل لم ادخل الفا في خبر الثاني
دون الاول اجيب بان في ذلك تنبيها على
ان اثابة المومنين بالجنان تفضل من الله
تعالى وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم
ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب
ولما كان المومنون في حصر مع الكفار رغبهم
الله في الهجرة بقوله تعالى **والذين هاجروا في**
**سبيل الله** اي فارقوا اوطانهم وعشايرهم
في طاعة الله تعالى وطلب مرضاته من مكة
الى المدينة **ثم قتلوا** في الجهاد بعد الهجرة وقرا
ابن عامر بتشديد اليا والباقون بالتخفيف
والحق انه مطلق للموت فضلا منه بقوله
تعالى **او ماتوا** اي من غير قتل **ليرزقنهم الله**
اي الجامع لصفات الكمال **رزقا حسنا** هو رزق
الجنة من حين تفارق ارواحهم اشباحهم
لانهم احيا عند ربهم **وان الله** اي الملك الاعلى القادر



على الاحيا كما قدر على الاماتة **لهو خير الرازقين** فانه
يرزق الخلق عامة البر منهم والفاجر فانه يرزق
البار والفاجر فان قيل الرازق في الحقيقة هو
الله تعالى لا رازق في الخلق غيره فكيف قال
لهو خير الرازقين اجيب بان غير الله يسمى
رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان الجيش
اي اعطاهم ارزاقهم وان كان الرازق في الحقيقة هو
الله تعالى ولما كان الرزق لا يتم الا بحسن الدار
وكان ذلك من افضل الرزق قال دالا على ختام
التي قبلها **ليدخلنهم مدخلا يرضونه** هو الجنة
يكرمون به بما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ولا ينالهم فيها مكروه
وقيل هو خيمة في الجنة من درة بيضا لها
سبعون الف مصراع وقرا نافع بفتح الميم اي
دخولا ومكان دخول والباقون بالضم اي
ادخالا ومكان ادخال **وان الله** اي الذي
عمت رحمته وتمت عظمته **لعليم** اي بمقاصدهم وما
عملوا مما يرضيه وغيره **لحليم** اي عما قصروا فيه
من طاعته وما فرطوا في جنبه تعالى فلا

يعاجل احدا بالعقوبة روي ان طوايف من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله
هولاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى
من الخير ونحن نجاهد كما جاهدوا فما لنا ان متنا
معك فانزل الله تعالى هاتين الايتين ذلك
اي الامر المقدر من صفات الله تعالى الذي
قصصناه عليك ذلك ومن عاقب اي جازى
من المومنين بمثل ما عوقب به ظلما من المشركين
اي قاتلهم كما قاتلوهم في الشهر الحرام ثم بغي عليه
اي ظلم باخراجه من منزله قال مقاتل نزلت
في قوم من المشركين اتوا قوما من المسلمين
لليلتان بقيتا من محرم فقال بعضهم
لبعض ان اصحاب محمد يكرهون القتال في
الشهر الحرام فحملوا عليهم فناشدهم
المسلمون وكرهوا قتالهم وسالوهم ان يكفوا
عن قتالهم لاجل الشهر الحرام فابى المشركون
فقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون
لهم فنصرهم الله تعالى عليهم فذلك قوله
تعالى لينصرنه الله الذي لا كفوله



ان الله اي الذي احاط بكل شي قدرة وعلما
لعفو عن المومنين غفور لهم فان قيل لم سمي
ابتدا فعلهم عقوبة مع ان العقاب من الغضب
قيل هو منتف في الابتدا اجيب بانما طلق عليه
ذلك للتعليق الذي بينه وبين الثاني كقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها يخادعون الله وهو
خادعهم وكما في قوله كما تدين تدان فان قيل
كيف طابق ذكر العفو الغفور في هذا الموضع
مع ان ذلك الفعل جائز للمومنين لانهم مظلومون
اجيب بان المنتصر لما اتبع هواه في الانتقام
واعرض عن ما ندب الله تعالى بقوله تعالى
فمن عفى واصلح فاجره على الله وبقوله تعالى
وان تعفوا اقرب للتقوى فكان في اعراضه
عما ندب اليه نوع اساة فكانه تعالى قال عفوت
عن هذه الاساة وغفرتها له فاني انا الذي اثبت
له فيها وفي ذكر العفو تنبيه على انه تعالى قادر
على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على
ضده ذلك بان الله اي بان الله اي المتصف
بجميع صفات الكمال يولج اي يدخل لاجل مصالح

العباد المسي والمحسن الليل في النهار فيمحو ظلامه
بضيائه ولو شا الله تعالى مواخذة الناس
لجعله سرمدا فتعطلت مصالح الناس النهارية
ويولج النهار في الليل فينسخ ضيايه بظلامه ولولا
ذلك لتعطلت مصالح الليل او بان يدخل كلا
منهما في الاخر بما انه يزيد به وذلك من اثر قدرته
التي بها النصر وان الله بجلاله وعظمته سميع لكل
ما يقال بصير لكل ما يفعل دايم الاتصاف بذلك
فهو غير محتاج الى سكون الليل ليسمع ولا الضيا
النهار ليبصر لانه سبحنه وتعالى منزه عن
الاعراض ولما وصف تعالى نفسه بما ليس لغيره
علله بقوله تعالى ذلك اي الاتصاف بتمام القدرة
وشمول العلم بان الله اي القادر على كل ما اراد
هو وحده الحق اي الثابت الواجب الوجود
وان ما يدعون اي يعبد المشركون من دونه
وهو الاصنام هو الباطل الزايل وقرا نافع و ابن
كثير وابن عامر وشعبة بالتاء على الخطاب
للمشركين والباقون باليا على الغيبة وان
هذه مقطوعة من ما في الرسم وان الله
لكونه



لكونه هو الحق الذي لا كفو له هو وحده العلي
اي العالي على كل شي بقدرته الكبير وكل ما سواه
سافل حقير تحت قهره وامره ثم انه سبحانه
وتعالى استدل على كمال قدرته بامور ستة
الاول قوله تعالى الم تر اي ايها المخاطب ان الله
اي المحيط بكل شي قدرة وعلما انزل من السما ماء
اي مطرا بان يرسل رياحا كثيرة فتثير سحابا فيمطر
على الارض الملسا فتصبح الارض اي بعد ان كانت
سودا يابسة ميتة جامدة مخضرة حية نامية
مهتزة بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد فان
قيل لم قال تعالى فتصبح ولم يقل فاصبحت اجيب
بان ذلك لنكتة وهي افادة بقاء المطر زمانا
بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا وكذا
فاروح واغدو شاكرا له لو قلت فرحت وغدوت
شاكرا له لم يقع ذلك الموقع فان قيل لم رفع
ولم ينصب جوابا للاستفهام اجيب بانه لو
نصبت لاعطى عكس ما هو الغرض لان معناه
اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار
ووجه ذلك بان النصب تبعد براين وهو

علم الاستقبال فيحمل الافعال مترقبا والروع
جزم باثباته ومثاله ان تقول لصاحبك المر
الي النعمة عليك فتشكر فان نصبته فانت
ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته
فانت مثبت لشكره وهذا وامثاله مما يجب
ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب
وتوقر اهله ان الله اي الذي له تمام النعمة
وكمال العلم لطيف بعباده في اخراج النابت
بالما خبير اي بمصالح الخلق ومنافعهم فانه مطلع
علي السراير وان دقت فلا يستبعد عليه احيا
من اراد بعد موته وقال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما لطيف بارزاق عباده خبير
بما قلوبهم من القنوط الامر الثاني قوله تعالى
له ما في السموات اي التي انزل منها الما وما
في الارض اي التي استقر فيها ملكا وخلقا
وان الله اي الذي له الاحاطة التامة لهو
اي وحده الغني في ذاته عن كل شي الحميد
اي المستوجب الحمد بصفاته وافعاله
الامر الثالث قوله تعالى الم تر اي ايها المخاطب
ان



ان الله ذي الجلال والاكرام سخر لكم فضلا منه
ما في الارض كله من مسالكها وفجاجها وما فيها
من حيوان وجماد وزرع وثمار فلولا تسخيره
سبحانه وتعالى الابل والبقر مع قوتهما حتى
ذللهما للضعيف من الناس لما انتفع بها احد منهم
الامر الرابع قوله تعالى والفلك اي وسخر لكم
الفلك السفن ثم بين تسخيرها بقوله تعالى
تجري في البحر العجاج المتلاطم بالامواج بريح
طيبة للركوب والحمل بامره اي باذنه الامر
الخامس قوله تعالى ويمسك السما اي كراهية
ان تقع على الارض التي تحتها مع علوها وعظمتها
وكونها من غير عمد فتهلكوا الا باذنه اي بمشيته
فيقع ذلك يوم القيمة حين يريد طي هذا
العالم وايجاد عالم البقا ان الله بالناس اي الذي
له الخلق والامر بالناس على ظلمهم لروف اي بما
يحفظ عن سرايرهم رحيم اي من حيث هيا لهم
اسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب المنافع
ودفع لهم ابواب المضار وهو اي وحده الذي
احياكم اي عن الجمادية بعد ان اوجدكم من العدم

ثم يميتكم اي عند انقضاء اجالكم لكون الموت
واعظا لاولي البصاير منكم ثم يحييكم اي يوم البعث
للثواب والعقاب واظهار العدل في الجزاء ان
الانسان اي المشرك لكفور اي لبليغ الكفر حيث لم
يشكر الله تعالى على هذه النعم المحيطة به فيوحد
الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
هو الاسود بن عبد الله الاسدي وابو جهل
والعاص وابن خلف قال الرازي والاولى تعميمه
في كل المنكرين لكل امة اي في كل زمان جعلنا
منسكا اي قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما شريعة التي تعبدونها هم ناسكوه اي عاملون
بها وروي عنه انه قال عيدا وقال مجاهد
وقتادة موضع قربان يذبحون فيه وقيل
موضع وقرا حمزة والكسائي منسكا بكسر
السين والباقون بفتحها فلا ينازعنك في
الامر اي امر الذبايح نزلت في بديل بن ورقا
وبشر بن سفيان ويزيد بن خنس قالوا
لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون
مما تقتلون ولا تاكلون مما قتله الله يعنون

الميتة



الميتة وقال الزجاج هو نهي له صلى الله عليه
وسلم عن منازعتهم كما يقول لا يضاربك فلان
فلا تضاربه وهذا جاير في الفعل الذي لا يكون
الا بين اثنين معناه ان لا تنازعهم انت وادع
اي اوقع الدعوة لجميع الخلق الى ربك المحسن
اليك اي الى دينه ثم علل ذلك بقوله انك موكدا
لتجنيب ما عندهم من الانكار لعلى هدى اي
دين واضح الاسلام مستقيم هو دين الاسلام وان جادلوك
اي في امر الدين بعد ان ظهر الحق ولزمت الحجة
فقل الله اي الملك المحيط بالعز والعلم اعلم بما تعملون
من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليه
وعلى هذا وعيد فيه رفق وكان ذلك قبل
الامر بالقتال ولما امر الله تعالى بالاعراض عنهم
وكان ذلك شديد على النفس لتشوقها الى
النصر رجاه في ذلك بقوله تعالى مستانفا
تحذيرا لهم فقال الله اي الذي لا كفؤ له يحكم بينكم
اي بينك مع اتباعك وبينهم يوم القيمة
الذي هو يوم التغابن فيما كنتم فيه تختلفون
في الامر الديني ومن نصر ذلك اليوم باك

عاجل به فقوله وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون قال البغوي والاختلاف ذهاب كل
واحد من الخصمين الى خلاف ما ذهب اليه الاخر
الم تعلم ان الله بجلال عزه وعظم سلطانه
يعلم ما في السما والارض فلا يخفى عليه شي ان ذلك
اي علم ما ذكر على الله وحده يسير اي سهل لان
علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات
على السوا ويعبدون اي المشركون على سبيل
التجدد والاستمرار من دون الله اي متجاوزين رتبة
من رتبة الذي قامت به جميع الدلايل على
احتوايه على جميع الصفات الكمال وتنزهه
عن شوايب النقص وهو الاصنام ما لم ينزل به
سلطانا اي حجة واحدة من الحجج وما ليس لهم
به علم حصل لهم من ضرورة العقل واستدلاله
انها الحجة وما للظالمين اي الذين وضعوا التعبد
في غير موضعه لارتكابهم لهذا الامر العظيم
الخطر واكد النفي واستغرق المنفي باثبات
الجار فقال تعالى من نصير اي ينصرهم
من الله الا مما اشركوه به ولا من غيره

نيدفع

٢٥٠
٢٤٦

فيدفع عنهم عذابه او يقدر يذهبهم واذا تتلى
اي على سبيل التجدد والمبالغة اي من اي
قال كان عليهم اياتنا اي من حال كونها بينات
لا خفا فيها عند من له بصيرة في شي مما دعت اليه
الاصول والفروع تعرف في وجوه الذين كفروا
اي تلبسوا بالكفر المنكر اي الانكار الذي هو منكر
في نفسه فيظهر اثره في وجوههم من الكراهة
والعبوس لما حصل لهم من الغيظ ثم بين ما لاح
في وجوههم بقوله تعالى يكادون يسطون
اي يوقعون السطوة بالبطش والعنف
بالذين يتلون عليهم اياتنا اي الدالة على اسمائنا
الحسنى وصفاتنا العليا القاضية بوحدانيتنا
مع كونها بينات في غاية الوضوح في انها كلامنا
لما فيها من الحكم والبلاغة التي عجزوا عنها ثم امر الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انتقاما لهم
بالوعيد بقوله تعالى قل افانبيكم اي فاخبركم خبرا
عظيما بشر من ذلكم باكره اليكم من القران المتلو
عليكم وقوله تعالى النار كانه جواب سايل
قال فقيل النار ويجوز ان يكون مبتدا

القرآن مم

خبر وعدها الله الذين كفروا جزا لهم وبيس الموعد
هي وبيس المصير اي النار ولما بين تعالى انه لا
حجة لعابد غيره اتبعه بان الحجة قايمة على ان
ذلك الغير في غاية الحقارة فقال تعالى منا ديا
اي العقلا منبها تنبيها عاما يا ايها الناس
ضرب مثل اي حاصله ان من عبدتموه من
الاصنام احقر منكم فاستمعوا اي انصتوا له
وتدبروه ثم فسره بقوله تعالى ان الذين
تدعون اي تعبدون وتدعونه في حوايجكم
وتجعلونهم الهة من دون الله اي الملك الاعلى
من هذه الاصنام التي انتم بها مفترون لن
يخلقوا ذبابا اي لا قدرة لهم على ذلك في زمن
من الازمان على حال من الاحوال مع صغره
فكيف بما هو اكبر منه ولو اجتمعوا اي الذين
زعمتم وهم شركا له اي الخلق فهم في هذا مثالكم
تنبيه محل ولو اجتمعوا له النصب على الحال
كانه قال تعالى مستحيل ان يخلقوا الذباب
مشروطا عليهم اجتماعهم لخلقه وتعاونهم
عليه وهذا من ابلغ ما انزل الله تعالى في تجهيل
قريش



قريش واستركاك عقولهم والشهادة على
ان الشيطان قد خرمهم بخزايمه حيث وصفوا
بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات
كلها والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل
يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله تعالى
واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك
وتساندوا وادل من ذلك على تعجيزهم وانتفا
قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف
منه شيا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا
كما قال تعالى وان يسلبهم الذباب اي الذي تقدم
انه لا قدرة لهم على خلقه وهو غاية في الحقارة
شيا اي من الاشيا جل او قل لا يستنقذوه منه
لعجزهم فكيف يعبدون شركا لله هذا اسم
مستغرب عبر عنه بضرب مثل تنبيه الذباب
مفرد وجمعه القليل والكثير ذباب مثل غراب
واغربة وغربات وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران
ورووسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فياكله وعن ابن

زيد كانوا يحلون الاصنام باليواقيت واللالي
وانواع الجواهر ويطيبونها بانواع الطيب فربما
يسقط شيا فياخذه طاير او ذباب فلا تقدر
الالهة على استرداده ضعف الطالب قال الضحاك
هو العابد والمطلوب المعبود وقال ابن عباس
الطالب الذباب يطلب مما يسلب من الطيب
الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل
على العكس الطالب الصنم والمطلوب هو الذباب
اي لو طلب اي يخلق الذباب لعجز عنه ولما نعى
هذا جهلهم بالله عبر عنه بقوله تعالى ما قدروا
الله اي الذي له الكمال كله حق قدره اي ما عظموه
حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته ولا
وصفوه حق صفته حيث اشركوا به ما لا
يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ان الله اي
الذي له الكمال لقوي على خلق الممكنات باسرها
عزيز اي لا يغلبه شي والهتهم التي يعبدونها
عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها قال
الكلبي في هذه الاية وفي نظيرها في سورة
الانعام انها نزلت في جماعة من اليهود مالك بن

ضيف



ضيف وكعب بن الاشرف وكعب بن اسد وغيرهم
حيث قالوا ان الله تعالى لما فرغ من خلق السموات
والارض واجناس خلقها استلقى واستراح
ووضع احدى رجليه على الاخرى فنزلت هذه
تكذيبا لهم ونزل قوله تعالى وما مسنا من
لغوب قال الرازي واعلم ان منشا هذه
الشبهات هو القول بالتشبيه فيجب
تنزيه ذات الله تعالى عن مشابهة ساير
الذوات خلاف ما يقوله المشبهة وتنزيه
صفاته عن مشابهة ساير الصفات خلاف ما
يقوله الكرامية وتنزيه افعاله عن مشابهة ساير
الافعال اعني في الغرض والداعي واستحقاق
المدح والذم خلاف ما يقوله المعتزلة قال ابو
القاسم الانصاري رحمه الله تعالى فهو سبحانه
وتعالى جبار النعت عزيز الوصف فالاوهام
لا تصوره والافكار لا تقدره والعقول لا تمثله
والازمنة لا تدركه والجهات لا تحويه ولا تحده
صمدي الذات سرمدي الصفات ولما ذكر
سبحانه وتعالى ما يتعلق بالالهيات

ذكر ما يتعلق بالنبوة بقوله تعالى الله اي الملك
الاعلى يصطفي اي يختار ويخلص من الملايكة
رسلا كجبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل
عليه السلام ومن الناس كابراهيم وموسى
وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
نزلت حين قالت المشركون انزل عليه الذكر
من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه
يختار من يشا من خلقه ان الله اي الذي له
الجلال والجمال سميع لمقالتهم بصير بمن
يتخذه رسولا يعلم ما بين ايديهم اي الرسل
وما خلفهم اي علمه محيط بما هم مطلعون
عليه وبما غاب عنهم فلا يفعلون شيا الا
باذنه والى الله اي وحده ترجع بغاية السهولة
الامور ظاهر لا خفا فيه يوم يتجلى لفصل القضا
فيكون امره ولا يصدر شي من الاشيا الا على
وجه العدل الظاهر لكل احد ولا يكون لاحد
التفات الى غيره وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
بفتح التا وكسر الجيم والباقون بضم التا وفتح
الجيم ولما اثبت سبحانه وتعالى ان الملك

والامر

والامر له وحده خاطب المقبلين على دينه
وهم الخلص من الناس بقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اي تلبسوا بالايمان اركعوا تصديقا
لايمانكم واسجدوا اي صلوا الصلاة التي شرعها
لكم فانها راس العبادة لتكون دليلا على صدقكم
في الاقرار بالايمان تنبيه انما خص هذين
الركنين في التعبير عن الصلاة لانهما لمخالفتهما
الهيات المعتادة هما الدالان على الخضوع فحسن
التعبير بهما وذكر ابن عباس ان الناس اول ما
اسلموا يسجدون بالركوع ويركعون بلا سجود
وقيل كان الناس في اول الاسلام يركعون
ولا يسجدون حتى نزلت هذه الاية والمخلص
افضل العبادة عمم بقوله تعالى واعبدوا اي
اي بانواع العبادة ربكم اي المحسن اليكم بكل نعمة
دينية ودنيوية ولما ذكر عموم العبادة اتبعها
ما قد يكون اعم منها ما صورته صورتها او قد
يكون بلا نية وافعلوا الخير اي كله من القرب
كصلة الارحام وعيادة المريض ونحو ذلك
من معالي الاخلاق بنية وبغير نية حتى يكون

حتى يكون ذلك عادة فيخف عليكم عمله لله تعالى
قال ابو حيان بدأ تعالى بخاص اي وهو الصلاة
ثم بعام وهو واعبدوا ربكم ثم باعم وهو وافعلوا
الخير لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم
راجون الفلاح وهو الفوز بالبقا في الجنة
طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على
اعمالكم وقال الامام ابو القاسم الانصاري لعل
كلمة الترجي تشعر بان الانسان قلما يخلو في اداء
فرايضه من تقصير وليس هو على يقين من ان
الذي اتى به هو مقبول عند الله اولا والعواقب
ايضا مستورة وكل ميسر لما خلق له تنبيه
اختلف في سجود التلاوة عند قراة هذه
الاية فذهب قوم الى انه يسجد عندها وهو
قول عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن
عباس وبه قال ابن المبارك والشافعي واحمد
واسحاق الظاهري لما فيها من الامر بالسجود
وقول البيضاوي ولقوله صلى الله عليه
وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين
من لم يسجدهما فلا يقراهما حديث ضعيف

رواه



رواه الترمذي وضعفه وذهب قوم الى انه
لا يسجد وهو قول سفيان الثوري وقول ابي
حنيفة واصحابه لانهم يقولون قرن السجود بالركوع
في ذلك فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة
تلاوة ولما كان الجهاد اساس العبادة وهو مع
كونه حقيقة في جهاد الكفار صالح لانه يعم كل امر
بمعروف ونهي عن منكر بالمال والنفس واخلاص
العمل ختم به فقال تعالى وجاهدوا في الله اي لله
ومن اجله اعداء دينه الظاهرة لاهل الزيغ والباطنة
كالهوى والنفس وقول البيضاوي يروى عنه
عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك
فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
حديث رواه البيهقي وضعف اسناده وقال
غيره لا اصل له قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار
وبالاكبر جهاد النفس حق جهاده اي باستفراغ
الطاقة في كل ما امر به من جهاد العدو والنفس
على الوجه الذي امر به من الحج والغزو وغيرهما
فان قيل ما وجه هذه الاضافة وكان
القياس حق الجهاد في الله او حق جهادكم

في الله كما قال تعالى وجاهدوا في الله اجيب
بان الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص
فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول
لاجله ومن اجله صحت اضافته اليه وعن مجاهد
عن الكلبي ان هذه الاية منسوخة بقوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ولما امر الله
تعالى بهذه الاوامر اتبعها ببعض ما يجب
شكره وهو كالتعليل لما قبله فقال تعالى
هو اجتباكم اي اختاركم لدينه ولنصرته وجعل
الرياسة فيكم والرسول منكم وجعله اشرف
الرسل ودينه اكرم الاديان وكتابه اعظم
الكتب وجعلكم لكونكم اتباعه خير الامم وما
جعل عليكم في الدين اي الذي اختاره لكم
من حرج اي من ضيق وشدة وهو ان المؤمن
لا يبتلى بشيء من الذنوب الا جعل الله تعالى
له منها مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها
برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات
من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس
في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيله

الى



الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق
وسهل عند الضرورات كالقصر والتيمم واكل
الميتة والفطر للمريض والسفر وغير ذلك قال
صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا به
ما استطعتم رواه البخاري وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما انه قال الحرج ما كان على بني اسرائيل
من الاصار التي كانت عليهم وضعها الله تعالى
عن هذه الامة وقوله تعالى ملة ابيكم فنصب
بنزع الخافض الكاف او على المصدر بفعل دل
عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اي اوسع
دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء اي اتبعوا
ملة ابيكم او على الاختصاص اي اعني بالدين
ملة ابيكم كقولك الحمد لله وقوله تعالى ابراهيم
عطف بيان فان قيل لم يكن ابراهيم ابا للامة
كلها اجيب بانه ابو رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم
اولاده واختلف في عود ضمير هو على قولين
احدهما انه يعود على ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وان لكل نبي دعوة مستجابة ودعوة
ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربنا واجعلنا

مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب
الله تعالى في قوله تعالى هو اجتباكم وروي عطا
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان
الله تعالى سماكم المسلمين من قبل اي في كل الكتب
المنزلة التي نزلت قبل انزال هذا القران وفي هذا
اي وسماكم في هذا القران الذي انزل عليكم من
بعد انزال الكتب وهذا القول كما قال الرازي
اقرب لانه تعالى قال ليكون الرسول شهيدا
عليكم اي يوم القيمة انه بلغكم وتكونوا شهدا على
الناس اي ان رسلهم بلغتهم فبين انه تعالى سماهم
بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق الا بالله تعالى
وانما كانوا شهدا لساير الانبيا لانهم لم يفرقوا
بين احد منهم وعلموا ان اخبارهم من كتابهم
على لسان نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
فلذلك صحت شهاداتهم وقبلها الحاكم العدل
وعن كعب اعطيت هذه الامة ثلاث لم
يعطهن الا الانبيا جعلهم شهدا على الناس
وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال
تعالى ادعوني استجب لكم وعن ابي
حاتم

ابي حاتم عن ابن زيد انه قال لم يذكر الله بالاسلام
والايمان غيرها وعن مكحول ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال تسمى الله عز وجل باسمين
سمي بهما امتي هو السلام وسمى امتي المسلمين
وهو المومن وسمى امتي المومنين تنبيه في الاية
دليل على ان شهادة غير المسلم ليست مقبولة
ولما ندبهم الله تعالى ليكونوا خير الناس تسبب
عن ذلك قوله تعالى فاقيموا الصلاة اي التي هي
اركان قلوبهم وصلة ما بينكم وبين ربكم
اي داوموا عليها واتوا الزكاة وصلة التي هي طهرة
ابدانكم بينكم وبين الله واعتصموا بالله اي المحيط
بجميع الصفات في جميع ما امركم به من المناسك
التي تقدمت وغيرها ثم علل تعالى الهيبة
بقوله تعالى هو اي وحده مولاكم اي المتولي
امور كم الجميع فهو ينصركم على كل من يعاديكم
بحيث ان تمكنوا من اظهار هذا الدين من
مناسك الحج وغيرها ثم علل الامر بالاعتصام
وتوخذه بالولاية بقوله تعالى فنعم المولى اي
هو ونعم النصير اي الناصر لكم لانه تعالى اذا

تولي احد كفاه كل ما اهمه واذا نصر احدا
اعلاه عن كل من خاصمه ولا يزال العبد يتقرب
الي بالنوافل حتي احبه فاذا احببته الحديث
انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وهذه
نتيجة وما قبله من افعال الطاعة دليلها فقد
انطبق اخر السورة علي اولها ورد معظمها
علي معظمها مطلقها وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء
سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة
اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضي وفيما
بقي حديث موضوع سورة المومنون مكية
وهي ماية وثمان او تسع عشرة اية والف
وثمانماية واربعون كلمة واربعة الاف وثمان
ماية حرف بسم الله الذي له الامر كله الرحمن
الذي عم انعامه الرحيم الذي خص من اراد
بالايمان عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا انزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي
النحل فانزل عليه يوما فمكث ساعة
حتي



حتي سري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال
اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا
تحرمنا واثرنا ولا توثر علينا اللهم ارضنا وارض
عنا ثم قال لقد انزل علينا علي عشر ايات من اقامهن
دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتي ختم العشر
ايات قال ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال
سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل
الفلاح البقا والنجاة روي هذا الحديث الترمذي
وغيره وانكره النساي وغيره تنبيه قال الزمخشري
تقتضيه لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك
ان المومنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة
وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل علي
اثبات ما هم توقعوه فان قيل ما المومن اجيب
بانه في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف
فيه علي قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين
مواطيا قلبه لسانه فهو مومن والاخر انه صفة
مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق ثم
انه تعالي حكم بحصول الفلاح لمن كان مستجمعا
لصفات سبعة الصفة الاولي كونهم مومنين

مومنين الصفة الثانية المذكورة في قوله تعالى
الذين هم اي بقلوبهم وظواهرهم في صلاتهم خاشعون
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مخبتون اذلا
وقيل خايفون وقيل متواضعون وعن قتادة
رضي الله تعالى عنه الخشوع الزام موضع
السجود روى الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين
انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي رافعا بصره
الى السما فلما نزلت هذه الاية رمى ببصره الى نحو
مسجده اي موضع سجوده وكان الرجل اذا
قام للصلاة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شي
او يحدث بشي من شان الدنيا وقيل هو جمع
الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع
ان يستعمل الادب فيتقى كف الثواب والعبث
بجسده وثيابه والتشبيك والالتفات والتمطي
والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل
والفرقعة والاختصار وتقليب الحصى روى
الترمذي لكن بسند ضعيف انه صلى الله عليه
وسلم ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال
لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه

ونظر



ونظر الحسن رضي الله تعالى عنه الى رجل يعبث
بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين
فقال بيس الخاطب انت تخطب وانت تعبث
وعنه انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى
العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف
من على يمينه وشماله وهو في الصلاة فلا صلاة
له وروي انه صلى الله عليه وسلم قال انما يكتب
للعبد من صلاته ما عقل منها وقال صلى الله عليه
وسلم كم من قايم حظه من قيامه التعب والنصب
وقال من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر لم
يزد من الله الا بعدا فينبغي للعبد ان يحتاط في صلاته
ليوقعها على التمام فان بعض العلما اختار عدم
الامامه فقيل له في ذلك فقال اخاف ان تركت
الفاتحة ان يعاتبني الشافعي وان قراتها يعاتبني
ابو حنيفة فاخترت عدم الامامة طلبا للخلاص
فان قيل لم اضيفت الصلاة اليهم اجيب بان الصلاة
وصلة بين الله وبين عباده والمصلي هو المنتفع
بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته واما
الله سبحانه وتعالى فهو غني متعال عن الحاجة

اليها والانتفاع بها الصفة الثالثة المذكورة في قوله
تعالى والذين هم اي بضمايرهم التي تتبعها ظواهرهم
عن اللغو قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
عن الشرك معرضون اي تاركون وقال الحسن عن
المعاصي وقال الزجاج هو كل باطل ولهو وما لا يحمد
من القول والفعل وقيل هو كل ما لا يعني الشخص
من قول او فعل وهو ما يستحق ان يسقط ويلغى
فمدحهم الله تعالى بانهم يعرضون عن هذا اللغو
والاعراض عنه هو بان لا يفعل ولا يرضى به ولا
يخالط من ياتيه كما قال تعالى واذا مروا باللغو
مروا كراما اي اذا سمعوا الكلام القبيح اكرموا
انفسهم عن الدخول فيه الصفة الرابعة المذكورة
في قوله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون اي
مودون تنبيه الزكاة اسم مشترك بين
عين ومعنى فالعين هو القدر الذي يخرجه
المزكي من النصاب الى المستحق والمعنى فعل
المزكي الذي هو التزكية وهو المراد هنا فما من
مصدر الا ويعبر عن معناه بالفعل ويقال
لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل
فاعل



فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية ويجوز ان يراد
بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء
وقيل الزكاة هنا هو العمل الصالح لان هذه
السورة مكية وانما فرضت بالمدينة ذات النصب
وان اصل الزكاة كان واجبا بمكة كما قال تعالى
في سورة الانعام واتوا حقه يوم حصاده اهـ
الصفة الخامسة المذكورة في قوله تعالى والذين
هم لفروجهم في الجماع ومقدماته حافظون اي دايما
لا يتبعونها شهواتها والفرج اسم لسوءة الرجل
والمراة وحفظه التعفف عن الحرام ثم استثنى
من ذلك قوله تعالى الا على ازواجهم اللاتي استحقوا
ابضاعهن بعقد النكاح ولعلو الذكر عبر بعلى و
نظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها
ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت
المراة فراشا وقيل على بمعنى من وجرى على ذلك
البغوي او ما ملكت ايمانهم رقابه من الاماء
فان قيل هلا قال تعالى من ما ملكت اجيب
بانه انما عبر بما لقرب الاماء من لا يعقل لنقصهن عن
الحراير الناقصات عن الذكر ولانه اجتمع فيه

وصفان احدهما الانوثة وهي مظنة نقصان
العقل والاخرى كونها بحيث تباع وتشترى
كسائر السلع قال البغوي والاية في الرجال
خاصة لان المراة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج
مملوكها فانهم غير ملومين على ذلك اذا كان على
وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان في غير الماتي
وفي حال الحيض والنفاس ونحو ذلك كوطي
الامة قبل الاستبرا فانه حرام ومن فعله فانه
ملوم فمن ابتغى اي طلب متعديا وراء ذلك
العظيم المنفعة الذي وقع استثناوه بزنا
ولواط واستمنا بيد او بهيمة او غيرها
فاولئك المبعدون من الفلاح هم العادون
اي المبالغون في تعدي الحد وعن سعيد
ابن جبير قال عذب الله تعالى امة كانوا
يعبثون بمذاكيرهم اي في ايديهم وقيل يحشرون
وايديهم حبالى الصفة السادسة المذكورة
في قوله تعالى والذين هم لاماناتهم اي في
الفروج وغيرها سوا كانت بينهم وبين الله
تعالى كالصلاة والصيام او بينهم وبين الخلق

كالودايع

كالودايع والبضايع او في المعاني الباطنة
كالاخلاص والصدق وعهدهم راعون اي
حافظون بالقيام والرعاية والاصلاح والعهد
ما عقده الشخص على نفسه فيما يقربه الى
ربه ويقع ايضا على ما امر الله تعالى كقوله تعالى
ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها
وقال تعالى وتخونوا اماناتكم وانما يودي
العيون لا المعاني ويخاف الموتمن عليه لا الامانة
في نفسها وقرا ابن كثير لامانتهم بغير الف بين
النون والتا على الافراد لامن الالباس ولانه
في الاصل مصدر والباقون بالالف على الجمع
الصفة السابعة المذكورة في قوله تعالى
والذين هم على صلواتهم اي التي وصفوا بالخشوع
فيها يحافظون اي يواظبون عليها ولا يتركون
شيا من مفروضاتها ولا مسنوناتها يجتهدون في
كمالاتها جهدهم ويودونها فان قيل كيف كرر
الصلاة اولا واخرا اجيب بانهما ذكران
مختلفان فليس بمكرر وصفوا اولا بالخشوع في
صلاتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا

عنها ويودونها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا
نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان يتم به اوصافها
وايضا وحدت اولا ليفيد الخشوع في جنس
الصلاة اي صلاة كانت وجمعت اخرا على غير
قرا حمزة والكساي فان غيرهما قرا بالجمع
واما هما فقرا بالافراد لتفاد المحافظة على
اعدادها وهي الصلوات الخمس والسنن
المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة وصلاة
الجنازة والعيدين والكسوفين والاستسقا.
والوتر والضحى والتهجد وصلاة التسبيح
وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل ولما ذكر.
تعالى مجموع هذه الصفات العظيمة فخم جزاهم
فقال تعالى اولئك اي الباقون من الاحسان.
اعلى مكان هم الوارثون اي المتحققون لهذا
الوصف فيرثون منازل اهل الجنة روي عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان
منزل في الجنة ومنزل في النار وان مات
ودخل الجنة النار ورث اهل الجنة منزله

وقال

وقال مجاهد لكل واحد منزلان منزل في
الجنة ومنزل في النار فاما المومن فيبني منزله
الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في
النار واما الكافر فيهدم منزله الذي له في
الجنة ويبني منزله الذي له في النار وقال
بعض المفسرين معنى الوراثة انه هو يؤول
امرهم الى الجنة وينالونها كما يؤول امر الميراث
الى الوارث الذين يرثون الفردوس وهو اعلا
الجنة عن عبادة بن الصامت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في الجنة ماية درجة
ما بين كل درجتين كما بين السما والارض والفردوس
اعلاها درجة منها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن
فوقها يكون عرش الرحمن فاذا سالتم الله
تعالى فاسئلوه الفردوس اللهم بجاه محمد صلى
الله عليه وسلم ان تجعلنا ووالدينا واحبابنا
من اهله هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها
ولا يموتون وانث الفردوس بقوله تعالى على
تانيث الجنة وهو البستان الواسع الجامع
لاصناف الثمر روي ان الله تعالى بنى جنة

الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة
وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة
من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة
وجيد الريحان وروي ان الله تعالى خلق ثلاثة
اشيا بيده خلق ادم بيده وكتب التوراة
بيده وغرس بيده الفردوس ثم قال وعزتي
وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث
والمراد ان الله تعالى لم يكل ذلك الى غيره
من سلك من الملائكة والجنة مخلوقة الان قال
تعالى اعدت للمتقين ولما امر سبحانه وتعالى
بالعبادات في هذه الايات والاشتغال
بعبادة الله تعالى لا يصح الا بعد معرفة الله
تعالى اعقبها بذكر ما يدل على وجوده و
اتصافه بصفات الجلال وله الوحدانية
فذكر من الدلائل انواعا الاول الاستدلال
بتقليب الانسان في ادوار الخلقة وادوار
الفطرة وهي تسع مراتب المرتبة الاولى قوله
تعالى ولقد خلقنا الانسان اي ادم من سلالة

هي



هي من سللت الشي من الشي اي استخرجته منه
وهو خلاصته وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما السلالة صفوة الما وقوله تعالى
من طين متعلق بسلالة وقيل المراد بالانسان
هذا النوع والسلالة وقال مجاهد من بني ادم
وقال عكرمة هو الما من الظهر والعرب
تسمي النطفة سلالة والولد سليلة وسلالة
لانهما مسلولان منه المرتبة الثانية قوله تعالى
ثم جعلناه اي نسله فحذف المضاف نطفة اي منيا
من الصلب والترائب ان خلقناه منها في قرار مكين
اي مستقر حصين هو الرحم تنبيه مكين في الاصل
صفة المستقر في الرحم وصف به المحل للمبالغة
كما عبر عنه بالقرار المرتبة الثالثة قوله تعالى
ثم اي بعد تراخ في الزمان وعلو في المرتبة
والعظمة خلقنا اي بما لنا من العظمة النطفة
اي البيضا جدا علقة حمرا دما غليظا شديد
الحمرة جامدا غليظا المرتبة الرابعة قوله تعالى
فخلقنا اي بما لنا من القدرة والقوة والعظمة
العلقة مضغة اي لحمة قدر ما يمضغ لا شكل

لاتشكل ولاتخطيط المرتبة الخامسة قوله تعالى
**خلقنا المضغة** اي بتقليبها بما نشينا لها من
الحرارة والامور اللطيفة الغامضة **عظاما** من
راس ورجلين وما بينهما المرتبة السادسة
قوله تعالى **فكسونا** اي بما لنا من قوة الاختراع تلك
**العظام لحما** بما اولدنا منها ترجيعا لحالها قبل
كونها عظاما فسترنا تلك العظام وقويناها
وشددناها بالروابط والاعصاب وقرا
ابن عامر وابو بكر عظما والعظم بفتح
العين واسكان الظا من غير الف على التوحيد
اكتفا باسم الجنس عن الجمع والباقون بكسر العين
وفتح الظا والف بعدها على الجمع قال الجلال المحلي
وخلقنا في المواضع الثلاثة بمعنى صيرنا المرتبة
السابعة قوله تعالى **ثم انشاناه** اي هذا المحدث
عنه بعظمتنا **خلقا اخر** اي خلقا مباينا للخلق
الاول مباينة ما بعدها حيث جعله حيوانا
وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا
وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع ظاهره
وباطنه بل كل عضو من اعضايه وكل جزء من

اجزايه



من اجزايه عجايب فطر وغرايب حكمة لا تدرك
بوصف الواصف ولا تبلغ شرح الشارح وثم لما
بين الخلقين من التفاوت قال الزمخشري وقد احتج
ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيمن غصب بيضة
فافرخت عنده فقال يضمن البيضة ولا يرد
الفرخ لانه خلق اخر سوى البيضة اهـ ولما
كان هذا التفصيل لتصوير الانسان سببا لتعليم
التعظيم للخالق قال تعالى **فتبارك الله** اي
تنزه عن كل شايبة نقص وحاز جميع صفات
الكمال واشار الى جمال الانسان بقوله تعالى
**احسن الخالقين** اي المقدرين ومميز احسن محذوف
اي خلقا وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله
تعالى خلقا اخر قال فتبارك الله احسن
الخالقين وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي
سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فنطق بذلك قبل املايه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت
فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه

فانا بني يوحي اليّ فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال لما
نزلت هذه الاية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله
احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هكذا نزلت يا عمر وكان يقول عمر وافقني
ربي في اربع الصلاة خلف المقام وضرب
الحجاب على النسوة وقولي لهن وليبدلن الله
ازواجا خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه
ان طلقكن والرابع قلت فتبارك الله احسن
الخالقين فقال هكذا نزلت قال العارفون
هذه الواقعة كانت سبب السعادة لعمر
والشقاوة لعبد الله بن سعد بن ابي سرح
فانه قيل انه مات كافرا قال تعالى يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا المرتبة الثامنة قوله
تعالى ثم انكم بعد ذلك اي الامر العظيم من
الوصف بالحياة والمدة العمرية اجالكم متفاوتة
بين طفل ورضيع ومحتلم شديد وشاب
نشيط وكهل عظيم وشيخ هرم الى ما بين ذلك

س

من شؤون لا يحيط بها الا اللطيف الخبير لميتون
اي لصايرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر
النعت الذي للثبوت وهو ميت دون اسم
الفاعل وهو مايت فانه للحدوث لا للثبوت
المرتبة التاسعة قوله تعالى ثم انكم يوم القيمة
الذي يجمع فيه جميع الخلايق تبعثون للحساب
والجزا النوع الثاني من الدلايل الاستدلال
بخلق السموات وهو قوله تعالى ولقد خلقنا
فوقكم في جميع جهة الفوق في ارتفاع لا تدركونه
حق الادراك سبع طرايق اي سموات جمع طريقة
لانها طرق الملايكة ومتعلقاتهم وقيل الافلاك
لانها طرايق الكواكب فيها مسيرها وقيل
لانها طرق بعضها فوق بعض كطارقة النعل
وكل شي فوقه مثله فهو طريقة وما كنا اي علمنا
من العظمة عن الخلق اي الذي خلقناه تحتها
غافلين ان تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها
كاية ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه
ولا نهملن امرها بل نحفظها عن الزوال
والاختلاف وندبر امرها وما قدرناها من

من الكمال بحسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت
به المشيئة النوع الثالث من الدلايل الاستدلال
بنزول الامطار وكيفية تاثيرها في النبات قوله
تعالى **وانزلنا من السما** اي من جرمها وهو
ظاهر اللفظ وعليه اكثر المفسرين او من السحاب
وسماه سما العلو **ما بقدر** اي بقدر ما
يكفيهم لمعاشهم في الزرع والغرس والشرب
وانواع المنفعة ويسلمون معه من المضرة
اذ لو كان فوق ذلك لاغرقت البحار الاقطار
ولو كان دون ذلك لادى الى الجفاف النبات
والاشجار **واسكناه** اي فجعلناه ثابتا
مستقرا **في الارض** كقوله تعالى فسلكه
ينابيع في الارض وعن بن عباس رضي الله
تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى انزل من الجنة خمسة انهار
سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ
ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر
مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة
من عيون الجنة من اسفلها درجة من

درجاتها

من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام فاستودعها
الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس
من اصناف معايشهم فاذا كان عند خروج يا
جوج وماجوج ارسل الله تعالى جبريل فرفع
الما من الارض والقران والعلم كله والحجر الاسود
من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى
بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى
السما وذلك قوله تعالى **وانا على ذهاب به لقادرون**
قدرة في نهاية العظمة فانا كما قدرنا على ايجاده
واختراعه نقدر على رفعه وازالته فاذا رفعت
هذه الاشيا كلها من الارض فقد اهلها خير الدين
والدنيا قال البغوي وروى هذا الحديث
الامام الحسن بن سفيان عن عثمان بن سعيد
عن سابق الاسكندري عن سلمة بن علي عن
مقاتل بن حيان تنبيه في تنكير ذهاب
ايما الى تكثير طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب
وانه لا يتعايا عليه شي اذا اراده وهو ابلغ
في الايعاد من قوله تعالى قل ارايتم ان اصبح

ماوكم غورا فمن ياتيكم بما معين فعلى العباد
ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر
الدايم ويخافوا نفادها ان لم يشكروا ثم انه سبحانه
وتعالى لما نبه على عظيم نعمته بخلق الماء ذكر
بعده هذه النعمة الصالحة في الماء بقوله تعالى
فانشانا اي فاخرجنا واحيينا لكم خاصة
لا لنا به اي بذلك الماء الذي جعلنا منه كل شي
حي جنات بساتين من نخيل واعناب
صرح بهذين الصنفين لشرفهما ولانهما اكثر
ما عند العرب من الثمار وسمي الاول باسم شجرته
لكثرة ما فيها من المنافع المقصودة بخلاف
الثاني فانه المقصود من شجرته واشار الى
غيرهما بقوله تعالى لكم اي خاصة فيها اي الجنات
فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها اي ومن الجنات
اي من ثمارها وزروعها تاكلون رطبا ويابسا
وتمرا وزبيبا وقوله تعالى وشجرة عطف
على جنات اي وانشانا لكم شجرة اي زيتونة
تخرج من طور سينا وهو الجبل الذي كلم الله
تعالى



تعالى عليه موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام
بين مصر وايلة وقيل فلسطين وفي اخرى
طور سينين ولا يخلو اما ان يضاف فيه الطور
الى بقعة اسمها سينا وسينون واما ان يكون
اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه
كامري القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين
سينا وهو نافع وابن كثير وابو عمرو فقد منع
الصرف للتعريف والعجمة والتانيث لانها بقعة
وفعلا لا تكون الفه للتانيث كعلبا وحربا
ومن قرا بفتح السين وهم الباقون فلم يصرفه
لان الفه للتانيث كصحرا قال مجاهد معناه
البركة من جبل مبارك وقال قتادة معناه
الحسن اي الجبل الحسن وقال الضحاك هو بالقبطية
ومعناه الحسن وقال عكرمة بالحبشية وقال
مقاتل كل جبل فيه اشجار مثمرة فهو سينا
وسينين بلفظ القبط وقرا ابن كثير وابو عمرو
تنبت بضم التا الفوقية وكسر البا الموحدة من
الرباعي والباقون بالفتح الفوقية وضم الموحدة
من الثلاثي فقوله تعالى بالدهن تاكون البا

علي الاول زايدة وعلي الثاني معدية قال المفسرون
وانما اضافها الله تعالى الي هذا الجبل لان منه
تشعبت في البلاد وانتشر ولان معظمها هناك
قال بعض المفسرين وانما عرف الدهن لانه اجل الادهان
واكملها وهو في الاصل سايغ لزج خفيف ينقطع
ولا يختلط بالما الذي هو اصله فيمسح ويدهن
به وقوله تعالى وصبغ للاكلين عطف علي الدهن
اي ادام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت
قيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها
الله تعالى بالبركة في قوله تعالى توقد من شجرة
مباركة النوع الرابع من الدلايل والاستدلال
باحوال الحيوانات وهو قوله تعالى وان لكم
في الانعام وهي الابل والبقر والغنم لعبرة
عظيمة تعتبرون بها وتستدلون بها علي
البعث وغيره نسقيكم مما في بطونها اي اللبن
يجعله لكم شرابا نافعا للبدن موافقا للشهوة
تلتذون به من بين الفرث والدم ولكم فيها
اي جماعة الانعام وقدم الجار تعظيما لمنافعها
حتى كان غيرها عادم منافع كثيرة
باستلامها



باستلامها لما يرادمنها ما لا يتيسر من صغرها
وباولادها واصوافها واوبارها واشعارها
وغير ذلك من اثارها ومنها تاكلون اي وكما تنتفعون
بها وهي حية تنتفعون بعد الذبح ايضا بسهولة
من غير امتناع ما من شي من ذلك ولو شا لمنعها
وسلطها عليكم ولو شا لجعل لحمها لا ينضج او جعله
قذرا لا يوكل ولكنه بقدرته وعلمه هياها
لما ذكر وذللها وعليها اي الانعام الصالحة للحمل
وهي الابل والبقر وقيل المراد الابل خاصة
لانها هي المحمولة في العادة وقرنها بالفلك التي هي
السفن في قوله تعالى وعلى الفلك تحملون لانها
سفاين البر فكما يحمل علي الفلك في البحر فيحمل علي هذه
في البر قال ذو الرمة في المعنى
سفينة بر تحت خدي زمامها قال الزمخشري
يريد صيدحه اي ناقته اي ناقة لان اسمها
كان صيدح قال رايت الناس ينتجعون غيثا
فقلت لصيدح انتجعي بلالا يريد بلال بن
ابي بردة الاشعري والي الكوفة ولما بين
سبحانه وتعالى دلايل التوحيد اردفها
بذكر القصص كما هو العادة في ساير

السور مبتدا القصة نوح عليه الصلاة والسلا
فقال تعالى ولقد ارسلنا اي بمالنا من العظمة
نوحا وهو الاب الثاني بعد ادم عليهما الصلاة
والسلام ولما كان اسمه سكن وسمي نوحا
لوجوه احدها لكثرة ما ناح على نفسه حتى دعا
على قومه بالهلاك فاهلكهم الله تعالى بالطوفان
فندم على ذلك وثانيها لمراجعته ربه في شان
ابنه وثالثها انه مر بكلب مجذوم فقال اخسا
يا قبيح فعوتب على ذلك الى قومه وهم جميع
اهل الارض لتواصل ما بينهم لكونهم على لغة
واحدة محصورين لانه ارسل الى الخلق كافة
لان ذلك من خصايص نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم على جميع الانبيا فقال اي فتسبب
عن ذلك ان قال يا قوم ترفقا بهم اعبدوا الله
وحده لانه الحكم وحده لاستحقاقه لجميع خلال
الكمال واستانف على سبيل التعليل قوله ما لكم
من اله اي معبود بحق غيره فلا تعبدوا سواه
افلا تتقون اي فلا تخافون عقوبته ان عبدتم
غيره وقرا الكسائي بكسر الرا والها والباقون
بضمها فقال اي فتسبب عن ذلك ان كذبوه بان
قال الملا اي الاشراف الذي تملا رويتهم الصدور
وعظمه الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا
اي نوح عليه الصلاة والسلام الا بشر مثلكم اي فلا
يعلم ما لا تعلمون فانكروا ان يكون بعض البشر نبيا
ولم ينكروا ان يكون بعض الطين انسانا وبعض
الطين علقة وبعض العلقة مضغة الى اخره
فكانه قيل ما حمله على ذلك فقالوا يريد ان
يتفضل يتكلف الفضل بادعا مثل هذا عليكم
لتكونوا اتباعا له ولا خصوصية له بدونكم
ولو شا الله اي الملك الاعلى الا ارسال اليكم وعدم
عبادة غيره لانزل كذلك ملايكة رسلا بابلاغ
الوحي الينا قال الزمخشري وما اعجب شان
الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا
للالهية بحجر ما سمعنا بهذا اي الذي دعا اليه
نوح من التوحيد في ابانا الاولين اي
الامم الماضية ان اي ما هو الا رجل به جنة
اي جنون ولاجله يقول ما يدعيه فتربصوا
به اي فتسبب عن الحكم بجنونه انا نامركم

بالكف عنه لانه لا حرج على مجنون **حتى** اي الى
**حين** لعله يفيق او يموت فكانه قيل فما قال
نعقيل **قال** عندما ايس من فلاحهم **رب انصرني**
اي اعني عليهم **بما كذبون** اي بسبب تكذيبهم
لي فان تكذيب الرسول استخفاف بالمرسل
**فاوحينا** اي فتسبب عن دعايه انا اوحينا
**اليه ان اصنع الفلك** اي السفينة **باعيننا** اي انه لا
يغيب عنا شي من امرك وامرهم وان تعرف
قدرتنا على كل شي فنحن نحفظنا ولا تخف من
امرهم روي انه لما اوحي اليه ان يصنعها
على مثال جوجو الطاير قال الجوهري جوجوا
الطاير والسفينة صدرهما والجمع الجاجي
ولما كان لا يعلم الصنعة قال تعالى **ووحينا**
اي امرنا وتعليمنا كيف يصنع قال جبريل
عليه السلام علمه عمل السفينة ووصف
كيفية اتخاذها له وقد تقدم الكلام عليها
استيفا في سورة هود **فاذا جا امرنا** اي
بالهلاك عقب فراغك منها وبالركوب **وفار**
**التنور** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

وجه



وجه الارض وفي القاموس التنور الكانون يخبز
فيه ووجه الارض وعن قتادة انه اشرف
موضع في الارض اي اعلاه وعن علي طلوع الفجر
وعن الحسن انه المكان المنخفض من السفينة
فلما نبع الما من التنور اخبرته امراته فركب وقيل
كان تنور ادم وكان من حجارة فصار الى نوح
واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة
عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح
عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام
بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند
وقرا قالون والبزي وابو عمرو باسقاط الهمزة
الاولى من الهمزتين المفتوحتين من كلمتين
وحققها الاولى وسهل الثانية ورش وقنبل
**فاسلك** اي فادخل **فيها** اي في السفينة **من كل زوجين**
من الحيوان **اثنين** ذكرا وانثى وقرا حفص بتنوين
اللام من كل اي من كل نوع زوجين فزوجين
مفعول واثنين تاكيد والباقون بغير تنوين
فاثنين مفعول ومن متعلق باسلك وفي
القصة ان الله حشر لنوح الوحوش

والطير وغيرهما فجعل يضرب يده في كل جنس فتقع يده
اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملهما في
السفينة وروي انه لا يحمل الا ما بيده ويبعض
واهلك اي واهل بيتك من زوجتك واولادك الا
من سبق عليه لا له القول بالهلاك وزوجته
وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث
فحملهم وزوجاتهم الثلاثة في سورة هود ومن
امن وما امن معه الا قليل قيل كانوا ستة
رجال ونساهم وقيل جميع من كان في السفينة
ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم
نسا ولا تخاطبني اي بالسوال في النجاة في الذين
ظلموا اي كفروا ثم علل ذلك بقوله تعالى انهم
مغرقون اي حتم القضا عليهم لظلمهم بالاشراك
والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له فانه
تعالى لما تعد ان املاهم الدهر المتطاول
فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة
لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين وغير
تكرمك على سوال لا يقبل ولقد بالغ سبحانه
وتعالى حيث اتبع النهي عنه الامر

بالحمد

بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم بقوله تعالى فاذا
استويت اي اعتدلت انت ومن معك اي من
البشر وغيرهم على الفلك ففرغت من امتثال الامر
في الحمل فقل الحمد لله اي الذي لا كفو له لانه مختص
بصفات الحمد الذي نجانا بجعلنا فيها من القوم
الاعدا الاغبيا الظالمين اي الكافرين لقوله تعالى
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
تنبيه انما قال تعالى قل ولم يقل قولوا لان نكات
نوحا كان لهم نبيا واماما فكان قوله لهم مع ما
فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبريا
الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها
الا ملك او نبي ولما اشار له بهذا القول الى
السلامة بالحمل اتبعه بالاشارة الى الوعد
باسكان الارض بقوله تعالى وقل رب انزلني
في الفلك ثم في الارض في كل منزل تنزلني فيه
وتورثني اياه منزلا مباركا اي يبارك له فيه
ويعطيه الزيادة في خير الدارين وقرا ابو بكر
بفتح الميم وكسر الزاي اي مكان النزول والباقون
بضم الميم وفتح الزاي مصدرا او اسم مكان

ثم ان الله تعالى امره ان يتبع الدعا بالثنا عليه
المطابق لمسيلته وهو قوله تعالى وانت خير
المنزلين ما ذكر لانك تكفي نزيلك كل مسلم وتعطيه
كل امر فلما كانت هذه القصة من اغرب القصص
حث على تدبرها بقوله تعالى ان في ذلك اي الامر
العظيم من امر نوح والسفينة واهلاك الكفار
لايات اي دلالات على قدرة الله تعالى وصدق
الانبيا في ان المومنين هم المفلحون وانهم الوارثون
الارض بعد الظالمين وان عظمت شوكتهم واشتدت
صولتهم وان كنا بما لنا من العظمة والوصف
والثابت الدال على تمام القدرة لمبتلين اي فاعلين
فعل المختبر لعبادنا بارسال الرسل ليظهر في
عالم الشهادة الصالح منهم من غيره ثم نبتلي
الصالحين منهم بما يزيد حسناتهم وينقص
سياتهم ويعلي درجاتهم ثم نجعل لهم العاقبة
كما قال تعالى والعاقبة للمتقين تنبيه
ان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان
واللام هي الفارقة القصة الثانية قصة
هود وقيل صالح عليهم الصلاة والسلام
المذكورة



المذكورة في قوله تعالى ثم انشانا اي احدثنا و
احيينا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم قرنا
اي قوما اخرين هم عاد قوم هود وقيل ثمود
قوم صالح فارسلنا اي فتعقب انشانا لهم
وتسبب عنه ان ارسلنا فيهم رسولا منهم هو
هود وقيل صالح قال البغوي والاول هو اظهر
اي وهو المروي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ويشهد له حكاية الله تعالى قول هود
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من قوم نوح ومجي
قصته على اثر قصة نوح في سورة الاعراف
وسورة هود والشعرا ثم بين تعالى ما
ارسل به فقال تعالى ان اعبدوا الله اي وحده
لانه لا مكافي له ثم دل على الاستغراق
بقوله تعالى ما لكم من اله غيره افلا تتقون اي
هذه الحالة التي انتم عليها مخالفة عقابه
فتومنون وقرا نافع وابن كثير وابن عامر
والكسائي بضم النون في الاصل الوصل
والباقون بكسرها والقراة في غيره ذكرت
قريبا وقال الملا اي الاشراف التي تملا رويتهم

الصدور من قومه الذين كفروا اي عظوا ما يعرفون
من ادلة التوحيد والانتقام من المشركين وكذبوا
بلقاء الاخرة اي بالمصير اليها واترفناهم اي وكان
انا بما النامي الفظة نعمناهم في الحياة الدنيا بالاموال
والاولاد وكثرة السرور يخاطبون اتباعهم ما هذا
اشاروا اليه تحقيرا له عند المخاطبين الا بشر مثلكم
اي الخلق والحال عما وصفوه بما يوهم المساواة
في كل وصفه فقالوا ياكل مما تاكلون منه من طعام
الدنيا ويشرب مما تشربون اي من شرابها فكيف يكون
رسولا دونكم وقولهم ولئن اللام لام القسم
اي والله لئن اطعتم بشرا مثلكم اي فيما يامركم به
انكم اذا اي ان اطعتموه لخاسرون اي مغبونون
لكونكم فضلتم مثلكم عليكم بما يدعيه ثم بينوا
انكارهم بقولهم ايعدكم انكم اذا متم فارقت
ارواحكم اجسادكم وكنتم اي وكانت اجسادكم
ترابا باستيلاء التراب على ما دون عظامها
وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم
مخرجون اي من تلك الحالة التي صرتم اليها
فراجعون الى ما كنتم عليه من الحياة على ما كان لكم
من

اطعتموه



من الاجسام تنبيه قوله تعالى مخرجون خبر
انكم الاولى وانكم الثانية تاكيد لها لما طال الفصل
ثم استانفوا التصريح بما يدل عليه الكلام من
استبعاد ذلك فقالوا هيهات هيهات اسم فعل
ماض بمعنى مصدر اي بعد بعد جدا وقال
ابن عباس هي كلمة بعد اي بعيد ثم كانه قيل
لاي شيء هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون
من الاخراج من القبور فان قيل ما توعدون
هو المستبعد ومن حقه ان يرفع بهيهات
كما ارتفع به في قوله فهيهات هيهات العقيق
واهله فما هذه اللام اجيب بان الزجاج
قال في تفسيره والبعد لما توعدون فنزل
منزلة المصدر ويصح ان تكون اللام لبيان
المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد
كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به او ان
اللام زايدة للبيان فايدة ووقف البزي و
الكسائي على هيهات الاولى والثانية بالهاء
والباقون بالتاء على المرسوم وقولهم ان هي
ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه

واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع واصله
الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس
تتحمل ما حملت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة
الدالة لان ان النافية دخلت على هي التي هي في
معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها لا التي
نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي
يموت منا من هو موجود وينشا اخرون بعدهم
وقيل يموت قوم ويحيى قوم وقيل يموت الابا
ويحيى الابنا وقيل في الاية تقديم وتاخير اي
نحيى ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت
كما قالوا وما نحن بمبعوثين بعد الموت فكانه قيل.
فما هذا الكلام الذي تقول فقيل كذب ثم حصروا
امره في الكذب وقالوا ان اي ما هو الا رجل.
افترى اي تعمد على الله الملك الاعلى كذبا فلا
يلتفت اليه وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين
فيما يخبرنا به من البعث والرسالة فكانه قيل.
فما قال فقيل قال رب اي ايها المحسن الي بالرسالة
او بارسالي اليهم وغيره من انواع النعم انصرني
اي اوقع لي النصر بما كذبون فاجابه ربه بان

قال



قال عما قليل من الزمان وما زائدة واكد
قلته بزيادة ليصبحن اي ليصيرن نادمين
اي على كفرهم وتكذيبهم انهم ان عاينوا العذا
فاخذتهم الصيحة اي صيحة العذاب والهلاك كاينة
بالحق اي بالامر الثابت من العذاب الذي لا يمكن
مدافعته لهم ولا لغيرهم غير الله تعالى فماتوا
وقيل صيحة جبريل عليه السلام ويكون القوم
ثمود على الخلاف السابق فجعلناهم بسبب
الصيحة غثا اي مطروحين ميتين كما يطرح
الغثا شبهوا في دمارهم بالغثا وهو حميل
السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان
ومنه قوله فجعله غثا احوى اي اسود يابسا
ولما كان هلاكهم على هذا الوجه سببا لبعدهم
عبر عنه بقوله تعالى فبعدا اي هلاكا وطردا
عن الرحمة للقوم الظالمين الذين وضعوا قوتهم
التي كانت يجب عليهم بذلها في نصر الرسل
في خذلانهم تنبيه يحتمل هذا الدعا عليهم
والاخبار عنهم ووضع الظاهر موضع ضميرهم
للتعليل وبعدا اوسحقا وزجرا وتخويف

ونحوها مصادر موضوعة موضع افعالها وهي
من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت
بافعال لا يستعمل اظهارها القصة الثالثة
المذكورة في قوله تعالى ثم انشانا اي بعظمتنا
التي لا يضرها تقديم ولا تاخير من بعدهم اي
من بعد من قدمنا ذكرهم من نوح والقرآن
الذي بعده قرونا اي اقواما اخرين فهو سبحانه
وتعالى تارة يقص علينا في القرآن مفصلا
كما تقدم وتارة يقص مجملا كما هنا وقيل
المراد قصة لوط وشعيب وايوب ويوسف
عليهم السلام وعن ابن عباس بني اسرائيل
ثم انه تعالى اخبر بانه لم يعجل على احد منهم
قبل الاجل الذي احده له بقوله تعالى
ما تسبق من امة اجلها اي الذي قدر لها
بان تموت قبله وما يستاخرون عنه تنبيه
ذكر الضمير بعد تانيثه رعاية للمعنى ومن
زايده ثم ارسلنا رسلنا تترى اي متتابعين
بين كل اثنين زمان طويل وقرا ابو عمرو ورسلنا
بسكون السين والباقون برفعها قرا تترى

ابن



ابن كثير وابو عمرو في الوصل بتنوين الراء على انه
مصدر بمعنى التواتر وقع حالا والباقون
بغير تنوين ولما كان كانه قيل فكان ماذا
قيل كلما جاء امة رسولها اي بما امرناه من
التوحيد كذبوه اي كما فعل هولاء بك لما امرتهم
بذلك تنبيه اضاف الرسول مع ارسال الرسل
ومع المجي الى المرسل اليهم لان الارسال الذي
هو مبدا الامر منه والمجي الذي هو
منتهاه اليهم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بتخفيف الاولى وتسهيل ما بين الهمزة
والواو والباقون بتحقيقها وهم على
مراتبهم في المد فاتبعنا اي القرون بسبب
تكذيبهم بعضهم بعضا في الاهلاك فلم يبق
عند الناس منهم الا اخبارهم كما قال تعالى
وجعلناهم احاديث اي اخبارا يسمعونها ويتعجب
منها ليكونوا عظة للمستبصرين فيعلموا انه
لا يفلح الكافرون ولا يخيب المومنون وما
احسن قول القايل
ولا شي يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث

والاحاديث يكون جمع الحديث ومنه احاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة التي هي
مثل الاضحوكة والالعوبة وهي ما يتحدث به الناس
تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا ولما تسبب عن
تكذيبهم هلاكهم المقتضي لبعدهم قال تعالى فبعدا
لقوم اي قويا على ما يطلب منهم لا يومنون اي لا
يوجد منهم ايمان وان جرت عليهم الفصول الاربعه
لانهم لا مزاج لهم معتدل القصة الرابعة قصة موسى
وهرون عليهما الصلاة والسلام المذكورة في قوله
تعالى ثم ارسلنا اي بما لنا من العظمة موسى واخاه
هارون باياتنا قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما الايات التسع وهي العصا واليد والجراد
والقمل والضفادع والدم والبحر والسنين ونقص
من الثمرات وسلطان مبين اي حجة بينة وهي
العصا وافردها بالذكر لانها تتعلق بها معجزات
بنفسها شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته
السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر
بضربها وبكونها حارسا وشمعة وشجرة خضرا
مثمرة ودلوا ورشا فجعلت كانها ليست بعصا

لما

٢٧١

لما بل استبدت به على الفضايل فلذلك عطفت عليها
كقوله تعالى من الفضايل فلذلك عطف من كان
عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال
ويجوز ان يراد بالايات نفس تلك المعجزات وبالسلطان
المبين كيفية دلالتها على الصدق وذلك لانها
وان شاركت ايات ساير الانبيا في كونها ايات
فقد فارقتها في قوة دلالتها على قول موسى عليه
السلام وان يراد بالسلطان المبين المعجزات
وبالايات الحجج وان يراد بها المعجزات فانها ايات
النبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي قال
الرازي واعلم ان الاية تدل على ان معجزات
موسى كانت معجزات هرون ايضا وان النبوة
كما كانت مشتركة بينهما فكذلك المعجزات
الى فرعون وملايه اي قومه ولكن لما كان الاطراف
لانهم الفون الاشراف عدهم عدما ومن الواضحات
التقدير ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره واشار
بقوله تعالى فاستكبروا اي انهم اوجدوا الكبر
عن الاتباع فيما دعوا اليه عقب الابلاغ من غير
تامل ولا تثبت وطلبا ان لا يكونوا تحت امر

من دعاهم واشار بالكون الى فساد جبلتهم بقوله
تعالى **وكانوا قوما** اي اقويا **عالين** اي متكبرين
قاهرين غيرهم بالظلم ولما تسبب عن استكبارهم
وعلوا انكارهم للاتباع فقال تعالى **فقالوا انؤمن**
اي بالله مصدقين **لبشرين مثلنا** اي في البشرية
والماكل والمشرب وغيرهما مما يعتري البشر كما قال
من تقدمهم **وقومهما** اي والحال ان قومهما اي بني
اسرايل **لنا عابدون** خضوعا وتذللا اي في غاية
الذل والانقيا[د] كالعبد نحن اعلا منهما بهذا
اولانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة
وان طاعتهم له عبادة في الحقيقة **فكذبوهما**
اي فرعون وملاوه موسى وهرون **فكانوا** اي
اي فرعون وملاوه بسبب تكذيبهم **من المهلكين**
اي بالغرق ببحر قلزم ولم تغن عنهم قوتهم في
انفسهم ثم قوتهم على خصوص بني اسرايل ولاستعبا دهم
ولاضر بني اسرايل ضعفهم عن دفاعهم ولاذلهم
لهم وصغارهم في ايديهم ولما كان ضلال بني
اسرايل بعد انقاذهم من عبودية فرعون
وقومهما اعجب قال تعالى تسلية لنبيه
صلى



صلى الله عليه وسلم **ولقد اتينا** بعظمتنا **موسى**
**الكتاب** اي التوراة **لعلهم** اي قوم موسى وهارون
عليهما السلام **يهتدون** من الضلالة الى المعارف
والاحكام ولا يصح عود الضمير الى فرعون وملايه
لان التوراة انما اوتيها بنى اسرايل بعد اغراق
فرعون وملايه بدليل قوله تعالى ولقد
اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى القصة الخامسة قصة عيسى عليه
السلام المذكورة في قوله تعالى **وجعلنا** اي
بعظمتنا وقدرتنا **ابن مريم** نسبة اليها بتحقيقا
لكونه لا اب له وكونه بشرا محمولا في البطن مولودا
لا يصلح لرتبة الالهية وزاد في تحقيق ذلك بقوله
**وامه** وقال تعالى **اية** ولم يقل ايتين لان الاية
فيهما واحدة ولادته من غير فحل ويحتمل ان الاية
الاولى حذفت لدلالة الثانية عليها والتقدير
وجعلنا ابن مريم اية وامه اية لانها حملته من غير
ذكر وقال الحسن قد تكلمت في صغرها كما تكلم
عيسى وهو قولها هو من عند الله ان الله يرزق
من يشا بغير حساب ولم يلتقم ثديها قط

تنبيه قال بعض المفسرين ولعل في ذلك اشارة
الى انه تكملت به اية القدرة على ايجاد الانسان
بكل اعتبار من غير ذكر ولا انثى وهو ادم عليه
السلام ومن ذكر بلا انثى وهي حوا عليها السلام
ومن الزوجين وهو بقية الناس **واويناهما** اي
بعثناهما **الى ربوة** اي مكان عال من الارض
تنبيه قد اختلف في هذه الربوة فقال عطا عن
ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتاده
وكعب قال كعب هي اقرب الارض الى السما بثمانية
عشر ميلا وقال عبد الله بن سلام هي دمشق
وقال ابو هريرة هي الرملة وقال السدي هي
ارض فلسطين وقال ابن زيد هي مصر وقرا ابن
عامر وعاصم بفتح الرا والباقون بضم الرا
**ذات قرار** اي منبسطة مستوية واسعة
يستقر عليها ساكنوها **ومعين** اي ما جار ظاهر
تراه العيون تنبيه قد اختلف في زيادة ميم
معين واصالتها فوجه من جعله مفعولا انه
مدرك بالعين لظهوره من عاينه اذا ادركه
بعينه نحو ركبه من جعله بركبته ووجه
من



من جعله فعيلا انه بقاع لظهوره وجريه من
الماعون وهو المنفعة قيل بسبب الابوا انها
مرت بابنها الى الربوة وبقيت بها اثني عشر سنه
ثم رجعت الى اهلها بعد ما مات ملكهم وها هنا
اخر القصص وقد اختلف في المخاطب بقوله
تعالى **يا ايها الرسل كلوا من الطيبات** على وجوه
احدها انه محمد صلى الله عليه وسلم وحده
على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ
الجماعة ثانيها روي ان عيسى عليه السلام
كان ياكل من غزل امه ثالثها انه كل رسول
خوطب بذلك ووصي به لانه تعالى في
الازل متكلم امرناه ولا يشترط في الامر وجود
المامورين بالخطاب الاعلى تقدير وجود
المخاطبين فقول البيضاوي لا على انهم خوطبوا
بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة
على ان معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه
تبع فيه الكشاف فان المعتزلة انكروا قدم الكلام
فحملوا الاية على خلاف ظاهرها وانت خبير
بان عدم الاشتراط انما هو في التعلق المعنوي

لا التنجيز الذي الكلام فيه فانه مشروط فيه ذلك
وانما خوطب جميع الرسل بذلك ليعتقد السامع
ان امرا خوطب به جميع الرسل ووصوا به حقيق
ان يوخذ به ويعول عليه وهذا كما قال الرازي
اقرب لانه روي عن ام عبد الله اخت شداد بن
اوس انها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقدح من لبن في شدة الحر عند فطره وهو صايم
فرده صلى الله عليه وسلم الرسول اليها وقال
من اين لك هذا فقالت من شاة لي ثم رده
صلى الله عليه وسلم قال من اين هذه الشاة
فقالت اشتريتها من مالي فاخذه ثم انها جاته
وقالت يا رسول الله لم رددته فقال صلى الله
عليه وسلم بذلك امرت الرسل ان لا ياكلوا
الا طيبا ولا تعمل الا صالحا والمراد بالطيب
الحلال وقيل طيبات الرزق الحلال وصاف
وقوام فالحلال هو الذي لا يعصى الله فيه
والصافي هو الذي لا ينسى الله فيه
والقوام هو الذي يمسك النفس ويحفظ
العقل وقيل المراد بالطيب المستلذ

اي



اي ما تستلذه النفس في الماكل والفواكه
ويشهد له مجيئه على عقب قوله تعالى واوينا
هما الى ربوة ذات قرار ومعين واعلم انه
سبحانه وتعالى كما قال للمرسلين يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات قال يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ودل سبحانه
وتعالى على ان الحلال عون على الطاعة بقوله
تعالى واعملوا صالحا فرضا ونفلا سرا وجهرا
غير خايفين من احد غير الله تعالى ثم حثهم
على دوام المراقبة بقوله تعالى اني بما
بكل شي تعملون عليم اي بالغ العلم فاجازيكم
عليه وقرئ وان هذه بكسر الهمزة الكوفيون
على الاستيناف والباقون بفتحها على تقدير
واعلموا ان هذه اي ملة الاسلام وخفف
النون ساكنة ابن عامر وشددها مفتوحة
الباقون امتكم اي دينكم ايها المخاطبون اي يجب
ان تكونوا عليها حال كونها امة واحدة لا
شتات فيها اصلا فما دامت موحدة فهي
مرضية وانا ربكم اي المحسن اليكم بالخلق
والرزق وحدي فمن وحدني نجا ومن

ومن اشرك معي غيري هلك فاتقون اي فاحذرون
فتقطعوا اي الامم وانما اضمرهم لوضوح ارادتهم
لان الاية التي قبلها قد صرحت بان الانبيا ومن تبعهم
امة واحدة لا اختلاف بينهما فعلم قطعا ان الضمير
للامم ومن نشا بعدهم ولذلك كان النظر الى الامر
الذي كان واحدا لهم فقدم قوله امرهم اي دينهم
بعد ان كان النظر الى الامر الذي مجتمعا متصلا
بينهم وقوله تعالى زبرا حال من فاعل تقطعوا اي
احزابا متخالفين فصاروا فرقا كاليهود والنصارى
والمجوس وغيرهم من الاديان المختلفة جمع زبور
بمعنى الفرقة وقيل معنى زبرا كتبا اي تمسك
كل قوم بكتاب فامنوا به وكفروا بما سواه من
الكتب كل حزب اي فرقة من المتحزبين بما
لديهم اي عندهم من ضلال وهدى وقرا حمزة
بضم الحا والباقون بكسرها فرحون اي مسرورون
فضلا عن انهم راضون وقوله تعالى فذرهم
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي اترك كفار
مكة في غمرتهم اي ضلالتهم شبهها بالما الذي
يغمر القامة لانهم مغمورون فيها حتى حين
اي



اي الى ان يقتلوا او يموتوا مستمني سلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال
بعذابهم والجزع من تاخيره ولما كان الموجب لغرورهم
ظنهم ان حالهم في بسط الارزاق من الاموال
والاولاد كحال الذين رضي عنهم انكر ذلك عليهم تنبيها
لمن سبقت له السعادة وكتبت له الحسنى وزيادة
فقال تعالى ايحسبون اي لضعف عقولهم وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون
بكسرها انما نمدهم اي نعطيهم ونجعله مددا لهم
به من مال نيسره لهم وبنين نمتعهم بهم
خبر على ان يقولهم له تعالى نسارع اي نعجل لهم
اي به في الخيرات ذلك بل لا يشعرون انهم في غاية
البعد عن الخيرات نستدرجهم من حيث لا يعلمون
وقال تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق
انفسهم وهم كافرون روي عن يزيد بن ميسرة
انه قال اوحى الله تعالى الى نبي من الانبيا
ايفرح عبدي ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له
مني وعن الحسن لما اتي عمر بسوار كسرى

فاخذه ووضعه في يد سراقة بن مالك فبلغ منكبيه
فقال عمر اللهم اني قد علمت ان نبيك عليه الصلاة
والسلام كان يحب ان يصيب مالا لينفقه في
سبيلك فزويت ذلك عنه ثم ان ابا بكر كان يحب
ذلك اللهم لا يكون ذلك مكرا منك ثم تلا ايحسبون
انما نمدهم الاية ولما ذكر اهل الاقتراف ذكر اهل
الوفاق ووصفهم باربع صفات الاولى قوله تعالى
ان الذين هم اي ببواطنهم من خشية ربهم
اي الخوف العظيم من المحسن اليهم المنعم عليهم مشفقون
اي دايمون الحذر الصفة الثانية قوله تعالى والذين
هم بايات ربهم اي العذاب يومنون اي يصدقون
الصفة الثالثة قوله تعالى والذين هم بربهم
اي الذي لا محسن اليهم غيره لا يشركون اي شيا
من شرك في وقت من الاوقات كما لم يشركه في
الاحسان اليهم احد ولما اثبت لهم الايمان الخالص
نفى عنهم العجب بقوله تعالى والذين يوتون اي يعطون
ما اتوا اي اعطوا من الصدقة والاعمال الصالحة
وهذه الصفة الرابعة وقلوبهم وجلة اي
شديدة الخوف ان لا تقبل منهم ولا تنجيهم من

عذاب



من عذاب الله ثم علل ذلك بقوله تعالى انهم
الى ربهم اي الذي اطال احسانه اليهم راجعون
بالبعث فيجازيهم على النقير والقطمير ويجزيهم
بكل قليل وكثير وهو الناقد البصير ولا تنفع هناك
الندامة وليس هناك الا الحكم العدل والحكم القاطع
من جهة مالك الملك قال الحسن البصري المؤمن
جمع ايمانا وخشية والمنافق جمع اساءة وامنا
ثم اثبت لهم ما افهم انهم ضدهم لاضدادهم بقوله
تعالى اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون
اي يبادرون الى الاعمال الصالحة قبل الموت ولما
ذكر تعالى كيفية اعمال المومنين المخلصين ذكر انه
تعالى لا يكلف احدا فوق طاقته بقوله تعالى
ولا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها فمن لم
يستطع ان يصلي قاعدا فليصل مضطجعا
ومن لم يستطع ان يصوم رمضان فليفطر لان
مبنى المخلوق على العجز ولدينا اي وعندنا كتاب
ينطق بالحق بما عملته كل نفس وهو اللوح المحفوظ
يسطر فيه الاعمال وقيل كتب الحفظة ونظيره
قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم

بالحق وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها فشبه تعالى الكتاب بمن يصدر عنه
البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرف بما
فيه كما يعرف الناطق اذا كان محقا فان قيل
ما فايدة ذلك الكتاب مع ان الله تعالى يعلم
ذلك لا يخفى من ذلك عليه خافية اجيب
بان الله تعالى يفعل ما يشا وقد يكون في ذلك
حكمة لا يطلع عليها احد الا هو وهم اى الخلق
كلهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا
يزاد في سياتهم ثم ذكر حال الكفار فقال تعالى
بل قلوبهم اي الكفرة من الخلق في غمرة اي
جهالة قد اغرقتها من هذا اي القران او الذى
وصف به حال هولا ومن كتاب الحفظه
ولهم اعمال من دون ذلك المذكور للمومنين
هم اي الكفار لها اي تلك الاعمال الخبيثة
عاملون اي لا بد ان يعملوها فيعذبون عليها
لما سبق لهم من الشقاوة حتى اذا اخذنا
مترفيهم اي روساهم واغنياهم بالعذاب
قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل
هو



هو الجوع دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اللهم اشدد وطاتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم
الله تعالى بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف
والعظام المحرقة والقد والاولاد اذا هم يجارون
اي يصيحون ويستغيثون ويجزعون واصل
الجوار رفع الصوت بالتضرع قال البغوى
فكانه قيل فهل يقبل اعتذارهم او يرحم
انكسارهم فقيل لا بل يقال لهم بلسان الحال
او المقال لا تجاروا اليوم فان الجوار غير
نافع لكم بل علل ذلك بقوله تعالى انكم منا لا
تنصرون اي بوجه من الوجوه ومن عدم
نصرنا لم يجد له ناصرا فلا فايدة لجواره لاظهار
الجزع ثم علل عدم نصره لهم بقوله تعالى
قد كانت اياتى اي القران تتلى عليكم اي من
اوليائي وهم الهداة النصحا فكنتم كونا كالجبلة
على اعقابكم عند تلاوتها تنكصون اي تعرضون
مدبرين عن سماعها والعمل بها والنكوص الرجوع
الى القهقرى مستكبرين عن الايمان واختلف

في عود الضمير له به فقال ابن عباس بالبيت
الحرام وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم
قوامه اي اعني عن سبق ذكره وذلك انهم يقولون
نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا
احد ولا نخاف احدا فيامنون فيه وساير
الناس في الخوف وقيل بالقران فلم يومنوا به
وقوله تعالى سامرا يصب على الحال اي جماعة
يتحدثون بالليل حول البيت وقوله تعالى تهجرون
قراة نافع بضم التا وكسر الجيم من الاهجار وهو
الافحاش اي تفحشون ويقولون الخنا ذكر انهم
كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم و
اصحابه والباقون بفتح التا وضم الجيم اي
يعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن الايمان وعن القران ويرفضونها ويسمون
القران سحرا وشعرا ثم انه تعالى لما وصف
حالهم رد عليهم بان بين ان اقدامهم على هذه
الامور لابد ان يكون لاحد امور اربعة احدها
ان لا يتاملوا في دليل نبوته وهو المراد من
قوله تعالى افلم يدبروا القول اي القران الدال
على



على صدق النبي صلى الله عليه وسلم واصل
يدبروا يتدبروا فادغم التا في الدال ثانيها
ان يعتقدوا ان ما جاء به الرسول امر على
خلاف العادة وهو المراد من قوله تعالى ام
جاهم في هذا القول ما لم يات اباهم الاولين
الذين بعد اسمعيل وقبله ثالثها ان لا يكونوا
عالمين بامانته وحسن حاله قبل ادعايه
النبوة وهو المراد من قوله تعالى ام لم يعرفوا
رسولهم اي الذي اتاهم بهذا القول الذي لا قول
مثله وهم يعرفون نسبه وصدقه وامانته
وما جاهم به من معالي الاخلاق حتى انهم لا يجدون
فيه حققت الحقايق نقيصة يذكرونها ولا وصمة
يستجلونها كما دلت على الاحاديث الصحاح
منها حديث ابي سفيان بن حرب الذي في اول
البخاري في سوال هرقل ملك الروم له عن شانه
صلى الله عليه وسلم وقد اتفقت كلمتهم عليه
بتسميته الامين فهم اي فتسبب عن جهلهم
به انهم له اي عن نفسه او القول الذي اتى به منكرون
فيكونوا ممن جهل الحق لجهل حال الاتي به

وفي هذا غاية التوبيخ لهم بجهلهم وبغباوتهم
بانهم يعرفون انه لصادق وانه اصدق الخلق
واعلاهم في كل معنى جهل ثم كذبوه رابعها
ان يعتقدوا فيه الجنون فيقولون انما حمله
على ادعاء الرسالة جنونه وهو المراد من
قوله تعالى ام يقولون اي بعد ما تدبروا ما اوتي
به وعدم عثورهم فيه على وجه من الوجوه
الطعن به اي رسولهم جنة اي جنون فلا يوثق به
ولما كانت هذه الاقسام منتفية عنه فانهم اعرف
الناس بهذا النبي الكريم وانه اكملهم خلقا واشرفهم
خلقا واظهرهم سيما واعظمهم هِمما وارجحهم
عقلا وامتنهم رايا وارضهم قولا واصوبهم
فعلا اضرب عنها وقال تعالى بل اي ان لم
ينكصوا عند سماع الايات ويسمروا ويهجروا
لاعتقاد شيء مما مضى وانما فعلوا ذلك
لان هذا الرسول الكريم جاءهم بالحق اي القران
المشتمل على التوحيد وشرايع الاسلام
وقال الجلال المحلي الاستفهام فيه للتقرير بالحق
من صدق النبي ومجيء الرسل للامم
الماضية

الماضية معرفة رسولهم بالصدق والامانة وان
لا جنون به وبل للانتقال واكثرهم اي والحال
ان اكثرهم للحق كارهون متابعة للاهواء الردية
والشهوات البهيمية عنادا وانما قيل تعالى الحكم
بالاكثر لان بعضهم تركه جهلا وتقليدا وخوفا
من ان يقال صبا وبعضهم يتبعه توفيقا من الله
تعالى او تاييدا ثم بين تعالى ان اتباع الهوى يؤدي
الى الفساد العظيم بقوله تعالى ولو اتبع الحق
اي القران اهواءهم بان جاء بما يهوونه من الشريك
والولد لله تعالى الله عن ذلك لفسدت السموات
على علوها واحكامها والارض على كثافتها وانتظامها
ومن فيهن على كثرتهم وانتشارهم وقوتهم اي
خرجت على نظامها المشاهد بسبب ادعائهم
تعدد الالهة لوجود التمانع في الشيء عادة
عند عدم الحاكم كما سبق تقريره في قوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا بل اتيناهم
بعظتنا بذكرهم اي بالقران الذي فيه ذكرهم وشرفهم
وقيل بالذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا
من الاولين فهم عن ذكرهم اي الذي هو

شر فهم معرضون لا يلتفتون اليه ثم بين تعالى ان
النبي صلى الله عليه وسلم لا يطمع فيهم حتى يكون
ذلك سببا لنفرتهم بقوله تعالى ام تسالهم اي بما
جيتم به خرجا اي اجرا وقرا حمزة والكسائي
بفتح الراو وبعدها الف والباقون بسكون الرا
ولما كان الانكار بمعناه النفي حسن موقع فا
السبب في قوله تعالى فخراج ربك اي رزقه في الدنيا
وثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه
سد وجه لله عن عطايهم وقرا بن عامر بسكون
الراء ولا الف والباقون بفتحها والف بعدها
قال ابو عمرو بن العلا الخرج ما تبرعت به
والخراج ما لزمك اداوه قال الزمخشري
والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك
خراج القرية وخرج الكردة اي الرقبة زيادة
اللفظ لزيادة المعنى وكذلك حسنت قراة
من قرا خرجا فخراج ربك يعني ام تسالهم على هدايتك
لهم قليلا من عطا الخلق فالكثير من عطا الخالق خير
وقوله تعالى وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه
ولما زيف سبحنه وتعالى طريقة القوم انتبه

بصحة



بصحة ما جاء به الرسول بقوله تعالى وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته
لا عوج فيه يوجب اتهامهم له كما يشهد له به العقول
الصحيحة فمن سلكه وصله الى المقصود فحاز كل شرف
تنبيه قد الزمهم الله تعالى الحجة في هذه الايات
وقطع معاذيرهم وعللهم فان الذي ارسل اليهم رجل
معروف امره وحاله مخبور سره وعلانيته حقيق
بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم
وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة
بباطل ولم يجعل له سلما الى النيل من دنياهم واستعطا
اموالهم ولم يدعهم الى دين الاسلام الذي هو الصراط
المستقيم الا مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو
اخلالهم بالتدبر والتامل من غير برهان وان الذين
لا يومنون بالاخرة اي البعث والثواب والعقاب
عن الصراط اي الذي لا صراط غيره لانه لا موصل
الى القصد غيره لناكبون اي عادلون منحرفون في
سائر احوالهم سائرون على غير نهج اصلا بل
خبط عشوى ولو رحمناهم اي عاملناهم معاملة
المرحوم في ازالة ضررهم وهو معنى قوله تعالى

اي عاملناهم معاملة المرحوم نحا ان الدصرره و
هو معني قوله تعالى وكشفنا ما بهم من ضر
اي جوع اصابهم بمكة سبع سنين للجوا اي عادوا
وتمادوا في طغيانهم الذي كانوا فيه قبله هذا يعمهون
اي يترددون ولقد اخذناهم بالعذاب وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل
عليهم سنين كسنين يوسف عليه الصلاة والسلام
فاصابهم القحط فجا ابو سفيان الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم
الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى
فقال قد قتلت الابا بالسيف والابنا بالجوع فقد
اكلوا الفرث والعظام والعلهز وشكا اليه الضرع
فادع الله يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف
عنهم فانزل الله تعالى هذه الاية تنبيه العلهز
وبر يخلط بدما اللحم فيوكل في الجرب والعلهز
ايضا القراد الضخم وشكا بعض الاعراب الى النبي
صلى الله عليه وسلم السنة فقال ولا شي
مما ياكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي
والعلهز الغسل وليس لنا الا اليك فرارنا

واين

واين فرار الناس الا الى الرسل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه المحن قال الله تعالى عنهم
فما استكانوا اي خضعوا خضوعا هو كالجبلة
لهم واصله طلب السكون لربهم اي المحسن
اليهم عقب المحنة وما يتضرعون اي يجددون
الدعا بالخضوع والذل والخشوع في كل وقت
بحيث يكون لهم عقب عادة بل هم على ما جبلوا
عليه من الاستكبار والعتو حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا اي صاحب عذاب شديد قال ابن
عباس يعني القتل يوم بدر وهو قول مجاهد
وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة اذا هم
فيه اي في ذلك الباب مطروحون لا يقدرون
منه على نوع خلاص مبلسون متحيرون ايسون
من كل خير ثم انه سبحانه وتعالى التفت الى خطابهم
وبين عظيم نعمه من وجوه احدها ما ذكره بقوله
تعالى وهو الذي انشا لكم اي خلق لكم يا من
يكذب بالاخرة السمع بمعنى الاسماع والابصار
على غير مثال سبق لتحسنوا بها ما نصب من الايات
والافيدة التي هي مراكز العقول تتفكروا في

في الايات وتستدلوا بها على الوحدانية فكنتم بها
اعلا من بقية الحيوان جمع فواد وهو القلب
وانما خص هذه الثلاثة بالذكر لانه يتعلق بها
من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها
فمن يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها
كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افيدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله
ولما بين لهم هذه النعم وهي بحيث لا يشك عاقل
في انه لو تصور ان يعطي ادمي شيا منها لم
يقدر على مكافاته حسن تبكيتهم في كفر النعم فقال
قليلا ما تشكرون لمن اولاكم هذه النعم عبادة
التي لا يقدر غيره على شي منها مع ادعايكم
انكم تشكرون الناس لمن اسدى اليكم اقل ما يكون
من النعم التي على مثلها كل احد فكنتم بذلك
من الحيوانات العجم صما بكما عميا قال ابو مسلم
ليس المراد ان لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال
للكفور الجاحد النعمة ما اقل ما تشكر فلان
ثانيها ما ذكره في قوله تعالى وهو اي وحده الذى
ذراكم اي خلقكم وبثكم في الارض للتناسل

واليه



واليه وحده تحشرون يوم النشور ثالثها ما
ذكره بقوله تعالى وهو اي وحده الذي من شانه
انه يحي ويميت فلا مانع له من البعث ولا غيره مما
يريده رابعها ما ذكره بقوله تعالى وله اختلاف الليل
والنهار اي التصرف فيهما بالسواد والبياض والزيادة
والنقصان افلا تعقلون اي بالنظر ان الكل منا وان
قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها
فتعتبرون ولما كان معنى الاستفهام الانكاري
النفي حسن بعده قوله تعالى بل قالوا اي هولا
العرب مثل ما قال الاولون من قوم نوح ومن
بعده فقالوا ذلك تقليد اللاولين ثم حكى الشبهة
عنهم من وجهين احدهما ما ذكره بقوله تعالى
قالوا اي منكرين البعث متعجبين منه امرع
ايذا متنا وكنا اي بالبلى بعد الموت ترابا
وعظاما نخرة ثم اكدوا الانكار بقولهم اينا لمبعوثون
اي لمحشرون بعد ذلك قالوا ذلك استبعادا ولم
يتاملوا انهم قبل ذلك ايضا كانوا ترابا فخلقوا
ثانيهما ما ذكره بقوله تعالى لقد وعدنا نحن
واباونا هذا اي البعث بعد الموت من قبل

كانهم قالوا ان هذا الوعد كما وقع منه صلى الله
عليه وسلم فقد وقع قديما من ساير الانبيا ولم
يوجد مع طول العهد وظنوا ان الاعادة تكون
في دار الدنيا ثم قالوا ان اي ما هذا الا اساطير الاولين
كالاضاحيك والاعاجيب جمع اسطورة بالضم اي اكاذيب
وقيل جمع اسطار جمع سطر قال روبة
اني واسطار سطرن سطرا وهو ما كتبت الاولون
مما لا حقيقة له وانكروا البعث هذا الانكار الموكد
لما وقعوا هذا النفي المحتم امر الله تعالى ان
يقررهم بثلاثة اشياء هم بها مقرون ولها عارفون
يلزمهم من تسليمها الاقرار بالبعث قطعا
احدها قوله تعالى قل اي مجيبا لانكارهم
البعث ملزما لهم لمن الارض اي على سعتها
وكثرة عجايبها ومن فيها على كثرتهم واختلافهم
ان كنتم اي مما هو كالجبلة لكم تعلمون اي
اهلا للعلم وفيه تنبيه على انهم انكروا اشيا
لا ينكرها عاقل فلما كانوا مقرين بذلك اخبر
تعالى عن جوابهم قبل جوابهم ليكون من دلايل
النبوة واعلام الرسالة بقوله تعالى استينافا
سيقولون



سيقولون اي قطعا ذلك كله لله اي المختص بصفات
الكمال ثم انه تعالى امره بقوله قل اي لهم اذا قالوا
ذلك لك منكرا عليهم افلا تذكرون اي بتذكر المذكور
في طباعكم المقطوع به عندكم ما غفلتم عنه من تمام
القدرة قدرته وباهر عظمته فيصدقوا ما اخبر
من البعث الذي هو بدون ذلك وتعلموا انه لا
يصلح شي منها وهو ملكه ان يكون شريكا له ولا
ولد وان القادر على الخلق ابتدا قادر على الاحيا
بعد الموت انه لا يصح في الحكمة اصلا ان يترك البعث
لان اقلكم لا يرضى بترك حساب عبيده والعدل
بينهم وقرا حفص وحمزة والكساي بتخفيف
الذال والباقون بالتشديد بادغام التا الثانية
في الذال ثانيها قوله تعالى قل اي لهم من رب
خالق ومدبر السموات السبع كما يشاهدون
من حركاتها وسير افلاكها ورب العرش اي الكرسي
العظيم كما قال تعالى وسع كرسيه السموات والارض
سيقولون لله اي الذي له كل شي هو رب
ذلك لا جواب لهم غير ذلك ولما تأكد الامر وزاد
الوضوح حسن التهديد على التمادي بقوله

تعالى قل اي منكرا عليهم افلا تتقون اي تحذرون
عبادة غيره تأليهه قوله تعالى قل امر تعالى
بعد ما قررهم بالعالمين العلوي والسفلي ان
يقررهم بما هو اعم واعظم وهو قوله تعالى من
بيده من تحت قدرته ومشيئته ملكوت كل شيء
من جن وانس وغيرهما والملكوت الملك البليغ
قال ابن كثير كانت العرب اذا كان السيد فيهم
فاجار احدا لا يخفر في جواره وليس لمن دونه
ان يجير عليه لئلا يعاب عليه ولو جار بما فاد
ولهذا قال تعالى وهو يجير اي يمنع ويغيث
من يشاء فيكون في حرز لا يقدر احد على الدنو
من ساحته ولا يجار عليه اي ولا يمكن احدا البتة
ان يجير جوارا يكون مستعليا عليه بان يكون
على غير مراده بل ياخذ من اراد وان نصره
جميع الخلائق ويعلي من اراد وان تحاملت
عليه كل المصائب فتبين كالشمس انه لا شريك
بمانعه ولا ولد يضارعه وانه السيد العظيم
الذي لا اعظم منه الذي له الخلق والامر ولا
معقب لحكمه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن



ثم الهمهم الى المبادرة الى الاعتراف به وهيجهم بقوله
تعالى ان كنتم تعلمون اي في عداد من يعلم ولذلك
استانف قوله تعالى سيقولون لله اي الذي بيده
ذلك خاصا به تنبيه سيقولون لله الاول لا خلاف
فيها واما الثانية والثالثة فقرا ابو عمرو سيقولون
الله بزيادة همزة الوصل مع التفخيم فيها ورفع
الها والباقون بغير همز الوصل مع الترقيق وكسر
الها والتقدير وذلك كله لله ولما كان جوابهم
بذلك يقتضي انكار توقفهم في الاقرار بالبعث
استانف قوله تعالى قل اي لهم منكرا عليهم فانى
تسحرون اي فكيف بعد اقراركم بهذا كله تخدعون
وتصرفون عن الحق وكيف يخيل لكم انه باطل ولما
كان الانكار بمعنى النفي حسن قوله تعالى بل اي
ليس الامر كما يقولون بل اتيناهم بالحق اي بالصدق
من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون
في كل ما ادعوه من الولد والشريك وغيرهما مما
بين القران فساده ومن اعظم كذبهم قولهم اتخذ
الرحمن ولدا وكذا قال تعالى ردا عليهم ما اتخذ الله
اي الذي لا كفؤ له من ولد اي من الملائكة ولا من

ولا من غيرهم لما قام من الادلة على غناه وانه لا مجانس
له ولما كان الولد اخص من مطلق الشريك قال تعالى
وما كان معه اي بوجه من الوجوه من اله يشابهه
في الالوهية اذا لو كان معه اله اخر لذهب كل اله بما
خلق بالتصرف فيه وحده ليتميز ماله مما لغيره فان
قيل اذا لا تدخل الا على كلام هو جزا وجواب فكيف
وقع قوله تعالى لذهب جزا وجوابا ولم يتقدمه
شرط ولا سوال اجيب بان الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه الهة وانما حذف لدلالة
قوله تعالى وما كان معه من اله عليه وهو جواب
لمن معه المحاجة من المشركين ولعلا بعضهم
اي بعض الالهة على بعض اذا تخالفت اوامرهم
فلم يرض احد منهم ان يضاف ما خلقه الى غيره ولا
ان يمضي فيه بامر غير مراده كما تقتضي العادة فلا
يكون المغلوب الها لعجزه ولا يكون مجبرا غير مجار
عليه بيده وحده ملكوت كل شي ولما طابق
الدليل الالزام على نفي الشريك نزه نفسه الشريفة
بقوله تعالى ما هو نتيجة ذلك سبحن الله
اي المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن
شائبة



شائبة كل نقص عما يصفون من كل ما لا يليق بجنابه
المقدس من الانداد والاولاد لما سبق من الدليل
على فساده ثم اقام دليلا اخر على كماله بوضعه بقوله
تعالى عالم الغيب والشهادة اي ما غاب وما شوهد
وقرا نافع وحفص وحمزة والكسائي برفع الميم على انه
خبر مبتدا محذوف تقديره هو والباقون بالخفض على
انه صفة لله ثم رتب على هذا الدليل قوله تعالى
فتعالى اي تعاظم عما يشركون معه من الالهة ثم ان الله
تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
قل رب اي المحسن الي اما فيه ادغام نون ان
الشرطية فيما الزائدة اي ان كان لا بد ان تريني لان ما
والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا
والاخرة رب فلا تجعلني باحسانك في القوم الظالمين
اي قرينا لهم في العذاب فان قيل كيف يجوز ان يجعل
الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم المعصوم مع
الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم اجيب
بانه يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان
يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية
وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره صلى

الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة
او مائة مرة لذلك وما احسن قول الحسن في ابي بكر
الصديق رضي الله تعالى عنه وليتكم ولست بخيركم
كان يعلم انه خيرهم ولكن المومن يهضم نفسه وانما
ذكر ربه مرتين مرة قبل الشرط ومرة قبل الجزا
مبالغة في التضرع وانا اي على ما لنا من العظمة على
ان نريك اي قبل موتك ما نعدهم من العذاب لقادرون
لكنا نوخره علما بان بعضهم او بعض عقابهم يومنون
وهو صادق بالقتل يوم بدر او فتح مكة ثم كانه
قال لما ذا افعل فيما تعلم من امرهم قال تعالى ادفع
بالتي هي احسن اي من الاقوال والافعال بالصفح
والمداراة السيئة اذاهم اياك وهذا قبل الامر
بالقتال فهي منسوخة وقيل محكمة لان المداراة
محثوث عليها ما لم تود الى نقصان دين او مروة
نحن اعلم بما يصفون في حقك وحقنا فلو شينا
منعناهم منه او عاجلناهم بالعذاب وليس احد
باغير منا فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
ولما ادب سبحانه وتعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم بان يدفع بالتي هي احسن
علي

علمه ما به يقوى على ذلك قوله تعالى وقل رب اي
ايها المحسن الي اعوذ بك اي التجي بك من همزات الشياطين
اي ان يصلوا الي بوسواسهم واصل الهمز النخس
ومنه مهماز الرايض شبه حثهم الناس على المعاصي
بهمز الرايض الدواب على المشي والجمع همزات
اولتنوع الوسواس او لتعدد المضاف اليه واعوذ
بك رب اي ايها المربي الي ان يحضرون اي في
حال من الاحوال خصوصا حال الصلاة وقراة
القران وحلول الاجل لانها احرى الاحوال وهم انما
يحضرون خصوصا حال الصلاة وقراة القران
وانما يحضرون بسو ولو لم تصل الي وسواسهم
فان بعدهم بركة وعن جبير بن مطعم قال رايت
النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر
ولا ادري اي صلاة هي فقال الله اكبر كبيرا ثلاثا
والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا
ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه
ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر
وهمزه الموتة اخرجه ابو داود ولان الشعر
يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه

كما ينفث الريق والمتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع
نفسه ويحتاج الى ان ينفخ والموتة والجنون
يصير في الدنيا كالميت ثم ان الله تعالى اخبر ان
هولاء الكفار الذين ينكرون البعث يسالون
الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت بقوله تعالى
حتى وهي هنا كما قال الجلال المحلي ابتدائيه
ومتعلقة بيصفون او بالكاذبون كما قال
الزمخشري وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعله
كل مذهب فقال اذا جاء احدهم الموت فكشف
له الغطا وظهر له الحق ولاحت له بوادر العذاب
ولم يبق في شي من ذلك ارتياب قال متحسرا
على ما فرط فيه من الايمان والطاعة مخاطب
لملايكة العذاب على عادة جهله ووقوعه
من المحسوس من داب البهايم رب ارجعون
اي ردوني الى الدنيا دار العمل ويجوز ان يكون الجمع
للتعظيم تعالى او للملايكة او للتعظيم على عادة مخا
طبات الاكابر سيما الملوك كقوله فارحموني
يا ال محمد وقوله ماشئت حرمت النسا سواكم
والقصد تكرير الفعل للتاكيد لانه في معنيا





ارجعني كما قيل في قفا واطراق فانها بمعنى قف
قف واطرق اطرق ولما كان في تلك الحالة مع
وصوله مع الفرغرة ليس على القطع من الياس
قال لعلي اعمل اي كان اكون على رجا من ان
اعمل صالحا فيما تركت اي ضيعت من الايمان بالله
وتوابعه فيدخل في الاعمال الاعمال البدنية والدينية
قال صلى الله عليه وسلم اذا عاين المومن الملايكة
قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان
بل قدوما على الله واما الكافر فيقول رب ارجعو
ني لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال قتادة ما تمنى ان
يرجع الى اهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي
الشهوات ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله
فرحم الله امرا عمل فيما تمناه الكافر اذا راى العذاب
وقال ابن كثير كان العلا بن زياد يقول انه قد حضر
للموت واستقال ربه فاقاله فليعمل بطاعة الله
تعالى ولما كان القضا قد قطع بانه لا يرجع ولو
رجع لم يعمل بطاعة الله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وانهم لكاذبون قال الله تعالى ردعا
وردا لكلامه كلا اي لا يكون شي من ذلك وكانه

قيل فلحكم ما قال فقيل أنها كلمة والمراد بالكلمة
في اللغة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها
مع بعض رب ارجعون الي الخرم هو قايلها وقد
عرف منه الخداع والكذب فهي كما عهد منه لاحقيقة
لها فلا يجاب اليها ولا تسمع منه وهو لا محالة
لايخليها ولا يسكن عنها الا استيلا الحسن عليه و
تسلط الغرم ومن وراىهم اي امامهم والضمير
للجماعة برزخ اي حاجز حايل بينهم وبين الرجوع
الي الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال الضحاك
البرزخ ما بين الموت الي البعث وقيل هو الموت
وقيل هو القبر هم فيه الي يوم يبعثون وهو يوم
القيمة وفي هذا اقناط كلي عن الرجوع الي الدنيا
لما علم انه لا رجعة يوم البعث الي الدنيا وانما
الرجوع الي حياة تكون في الاخرة فاذا نفخ في
الصور الي القرن روي سعيد بن جبير عن ابن
عباس انها النفخة الاولي ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتسالون فاذا نفخ فيه اخرى
فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم علي بعض
يتسالون

المسخ



يتسالون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية
قال يوخذ بيد العبد والامة يوم القيمة فينصب
علي روس الاولين والاخرين ثم ينادي مناد
هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليات
الي حقه فيفرح المرء ان يكون له حق علي ولده او
والده او زوجته او اخيه فياخذ منهم ثم قرا ابن
مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسالون
وفي رواية عطا عن ابن عباس انها النفخة الثانية
فلا انساب بينهم اي لا يتفاخرون في الاخرة ولا
يتسالون تسوال تواصل كما كانوا يتسالون في
الدنيا من انت ومن اي قبيل انت ولم يرو ان الانساب
ينقطع نسبه فان قيل قد قال تعالى هنا ولا
يتسالون وقال تعالى في موضع اخر واقبل بعضهم
علي بعض يتسالون اجيب بان ابن عباس قال
ان للقيمة احوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم
الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساول فلا
يتسالون وفي موطن يفيقون افاقة فيتسالون
وقيل التساول بعد دخول اهل الجنة الجنة واهل
النار النار فمن ثقلت موازينه اي بالاعمال المقبولة
قال البقاعي ولعل الجمع لان لكل عمل

منزانا يعرف انه لايصلح له غيره وذلك اول دليل على القدرة
فاولئك اي خاصة قال ايضا ولعله عمل ميزانا يعرف
انه لايصلح له غيره وذلك اول جمع للبشارة وكان
الناجي بعد ان افرد للدلالة على كثرة الاعمال او على
عموم الوزن لكل فرد هم المفلحون اي الفائزون
بالنجاة والدرجات العلى ومن خفت موازينه
لاعراضه عن تلك الاعمال الموسسه على الايمان
فاولئك خاصة الذين خسروا انفسهم لاهلاكهم ايا ها
باتباعها شهواتها في ذلك الاعمال وشغلها باهويتها
عن مراتب الكمال وقوله تعالى في جهنم خالدون
بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك وهي دار لا ينفك
اسيرها ولا ينطفي سعيرها ثم استانف قوله تعالى
تلفح اي تغشى بشدة حرها وسمومها ووهجها
وجوههم النار فتحرقها فما ظنك بغيرها واللفح
كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون اي
عابسون قد شمرت شفاههم العليا والسفلى عن
اسنانهم وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال تشويه فتقلص شفته
العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته
السفلى



السفلى حتى تضرب سرته وقوله الم تكن اياتي اي من
القران على اضمار المقول اي يقال لهم الم تكن اياتي
تتلى عليكم اي تتابع لكم قراتها في الدنيا شيئا فشيئا
فكنتم بها تكذبون ثم استانف جوابه بقوله تعالى
قالوا ربنا اي المسبغ علينا نعمه غلبت علينا شقوتنا
اي ملكتنا بحيث صارت احوالها مودية الى سوء
العاقبة وكنا اي بما جبلنا عليه قوما ضالين
في ذلك عن الحق اقوياء في موجبات الشقوة فكان
سببا عن طريق السعادة ربنا يا من عودنا
بالاحسان اخرجنا منها اي من النار تفضلا منك
على عادة فضلك وردنا الى دار الدنيا لنعمل ما
يرضيك فان عدنا الى مثل ذلك الضلال فانا
ظالمون لانفسنا ثم استانف جوابهم بان قال لهم بلسان
ملك بعد قدر الدنيا مرتين كما يقال للكلب اخسئوا
اي انزجروا زجر الكلاب وانطردوا عن مخاطبتي
ساكتين سكوت هوان فيها اي النار ولا تكلمون
اصلا فانكم لستم باهل المخاطبة لانكم لن تزالوا
متصفين بالظلم فيياس القوم بعد ذلك ولم يتكلموا
بكلمة الا الزفير والشهيق والعو كعو الكلاب

وقال القرطبي اذا قيل لهم ذلك انقطع رجاوهم واقبل
بعضهم في وجه بعض فانطبقت عليهم وعن ابن
عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار
قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون
حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا
اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
فينادون الفا يامالك ليقض علينا ربك
فيجابون انكم ماكثون فيجابون فينادون
الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا فينادون
الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون
الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ولا
تكلمون ثم لايكون لهم الا الزفير والشهيق وعوا
تم على ذلك بقوله تعالى انه كان اي كونا ثابتا
فريق اي ناس استضعفتموهم من عبادي
وهم المومنون يقولون مع الاستمرار ربنا اي ايها
المحسن الينا بالخلق والرزق امنا اي اوقعنا
الايمان بجميع ماجاتنا به الرسل فاغفر لنا
اي استر لنا زللنا وارحمنا اي افعل بنا فعل الراحم
وانت خير الراحمين لانك تخلص من رحمته
من



من كل شقا وهوان فاتخذتموهم اي فتسبب
ايمانهم ان اتخذتموهم سخريا اي تسخرون منهم
وتستهزون بهم وقرا نافع وحمزة والكسائي
بضم السين والباقون بالكسر وهو مصدر سخر با
كالسخر الا ان في يا النسب زيادة قوة في الفعل
كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفرا
ان المكسور من الهزل والمضموم من السخرة
والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم قال
الزمخشري والاول مذهب الخليل وسيبويه اه
واظهر الذال عند التا ابن كثير وحفص والباقون
بالادغام حتى انسوكم ذكري اي بان تذكروني
فتخافوني واضاف ذلك اليهم لانهم كانوا السبب
فيه لفرط اشتغالهم بالاستهزابهم وكنتم منهم
تضحكون استهزابهم نزلت في كفار قريش كانوا
يستهزون بالفقرا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب
وخباب ولما تشوقت النفس بعد العلم بما
فعل باعدايهم الى جزايهم قال تعالى اني جزيتهم
اليوم اي النعيم المقيم بما صبروا اي على عبادتي

على عبادتي ولم يشغلهم عنها تألمهم بأذايكم كما
يشغلكم عنها التذاذكم بإهانتهم ففازوا دونكم
وهو معنى قوله تعالى انهم هم الفايزون اي
بمطلوبهم الناجون من عذاب النار وقرا حمزة
والكسائي بكسر الهمزة على الاستيناف والباقون
بفتحها على انه مفعول ثان لجزيتهم ثم ان الله تعالى
قال لهم على لسان الملك المامور بسوالهم تبكيتا
وتوبيخا كانهم يظنون ان بعد الموت يدوم الفنا
ولا اعادة فلما حصلوا في النار وايقنوا انها
دايمة وانهم فيها مخلدون سالهم كم لبثتم في الارض
على تلك الحالة في الدنيا التي كنتم تعدونها فوزا
عدد سنين انتم فيها كافرون ولاعدايكم
قاهرين وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي قل كم بضم
القاف وسكون اللام على الامر للملك او لبعض
روسا اهل النار والباقون بفتح القاف واللام
والف بينهما خبرا وتقدم توجيهه واظهر الثا
المثلثة عند التا المثناة نافع وابن عامر وابن
كثير وعاصم وادغمها فيها الباقون قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم يشكون في ذلك فان قيل
كيف

كيف يصح في جوابهم ان يقولوا ذلك ولا يقع من
اهل النار الكذب اجيب بانهم نسوا ذلك
لكثرة ما هم فيه من الاهوال وقد اعترفوا بهذا
البيان حيث قالوا فاسأل العادين اي الملايكة
المحصين اعمال الخلق قال ابن عباس انساهم
ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل
قالوا ذلك تصغيرا للبثهم وتحقيرا له بالاضافة
الى ما وقعوا فيه من دوام العذاب قال بعضهم
الا ان ايام الشقا طويلة كما ان ايام السرور قصار
وقرا ابن كثير والكسائي بفتح السين وترك الهمزة بعدها
وكذا يفعل حمزة في الوقف والباقون بسكون
السين وهمزة مفتوحة بعدها ثم قال الله تعالى
لهم على لسان الملك ان اي ما لبثتم في الدنيا
الا قليلا لان الواحد وان طال مكثه في الدنيا
فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الاخرة
لو انكم كنتم تعلمون اي في عداد من يعلم في ذلك
الوقت لما اثرتم الفاني على الباقي ولا قبلتم
على ما ينفعكم ولتركتم افعالكم التي لا يرضاها
عاقل ولكنكم كنتم في عداد البهايم وقرا حمزة

والكسائي قل امرا والباقون قال خبرا ولبثتم تقدم
مثله وتوجيه كما ل وقل ثم وبخهم الله تعالى
بقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا حال اي
عابثين كقوله لاعبين مفعول له اي ما خلقناكم
للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك
وهي ان نعيدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات
وترك المعاصي وحسبتم انكم الينا لا ترجعون
في الاخرة للجزاء وروى البغوي بسنده عن انس
ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه
في اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرئ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لو ان رجلا موقنا قرأها على جبل
لزال وقرأ حمزة والكسائي بفتح الفوقية التاء
الفوقية وكسر الجيم والباقون بضم الفوقية
وفتح الجيم ثم نزه نفسه سبحانه وتعالى عما يقوله
ويصفه به المشركون بقوله فتعالى الله عن
العبث وغيره مما يليق به الملك اي المحيط باهل لا يليق
مملكته علما وقدرة وسياسة وحفظا ورعاية
الحق

الحق اي الذي لا يتطرق الباطل اليه من شي في ذاته
ولا في صفاته فلا زوال له ولا لملكه لا اله الا هو فلا
يوجد له نظير اصلا في ذاته ولا في صفاته فهو متعال
عن سمات النقص ثم زاد في التعيين والتاكيد والتفرد
بوصفه بصنعه لا يدعيها غيره بقوله تعالى رب العرش
اي السرير المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل منه
محكمات الاقضية والاحكام ولذا وصفه بالكرم
فقال الكريم او لنسبته الى اكرم الاكرمين ولما بين
سبحانه وتعالى ان الملك لا اله الا هو اتبعه بان
من ادعى له اخر فقد ادعى باطلا بقوله تعالى
ومن يدع مع الله اي الملك الذي لا كفؤ له الها
اخر يعبده لا برهان له به اي بسبب دعائه
بذلك اذ لو اجتهد في اقامة برهان على ذلك
لم يجده ثم ذكر ان من قال ذلك فجزاؤه العقاب
العظيم فانما حسابه اي جزاؤه الذي لا يمكن
زيادته ولا نقصه عند ربه اي الذي رباه ولم
يرمه احد سواه الذي هو اعلم بسريرته وعلا نيته
فلا يخفى عليه شي من امره ولما فتح السورة بقوله
قد افلح المؤمنون ختمها بقوله انه لا يفلح الكافرون

اي لا يسعدون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة
ولما شرح الله تعالى احوال الكفار في جهلهم في الدنيا
وعذابهم في الاخرة امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة
والسلام بالانقطاع اليه والالتجا الى غفرانه ورحمته
بقوله تعالى **وقل رب** ايها المحسن الي **اغفر وارحم**
اي اكثر من هذين الوصفين **وانت خير الراحمين**
لمن رحمته افلح من يوفقه له من امتثال ما اشرت
اليه اول السورة فكان من المومنين فكان من
الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
فقد انطبق على الاول هذا الاخر بفوز كل مومن
وخيبة كل كافر فنسال الله تعالى ان يكون لنا
ولوالدينا ولاحبابنا ارحم الراحمين راحم وخير
غافر انه المتولي للسراير والمرجو لاصلاح
الضماير وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
المومنين بشرته الملايكة بالروح والريحان وما
تقربه عينه عند نزول ملك الموت حديث موضوع
وقولنا ايضا تبعا للزمخشري روي ان اول سورة
قد افلح المومنون واخرها من كنوز العرش

من



من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع ايات
من اخرها فقد نجا وافلح قال شيخنا ابن حجر
حافظ عصره لم اجده **سورة النور مدنية**
وهي ثنتان واربع وستون اية بسم الله الذي تمت
كلمته فبهرت قدرته الرحمن الذي ظهرت للخلايق كلها
بشمول رحمته الرحيم الذي شرف من اختاره بخدمته
وقوله تعالى **سورة** خبر لمبتدا محذوف تقديره
هذه سورة اي عظيمة او سورة انزلناها مبتدا
موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة
انزلناها وقال الاخفش لا يبعد الابتدا بالنكرة فسورة
مبتدا وانزلناها خبره ثم رغب في امتثال ما فيها
مبينا ان تنويها للتعظيم بقوله تعالى **انزلناها**
اي بما لنا من العظمة وتمام العلم والقدرة **وفرضناها**
اي وقدرنا ما فيها من الحدود وقيل اوجبناها
عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة وقرا ابن كثير وابو
عمرو بتشديد الرا لكثرة الفروض والباقون بالتخفيف
**وانزلنا فيها ايات** من الحدود والاحكام والمواعظ
والامثال وغيرها **بينات** اي واضحات الدلالة **لعلكم
تذكرون** اي تتعظون وقرا حفص وحمزة والكسائي

بتخفيف الذال والباقون بالتشديد ثم انه تعالى ذكر في
السورة احكاما كثيرة الحكم الاول قوله الزانية والزاني
اي غير المحصنين لرجمهما بالسنة قال فيما ذكر موصوله
وهو مبتدا ولشبهه بالشرط دخلت الفا في خبره
وهو فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة اي ضربة
يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة
تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر ولا رجم
عليه لانه لا ينصف واعلم ان الزنا من الكبائر ويدل
عليه امور احدها ان الله تعالى قرنه بالشرك وقتل
النفس في قوله تعالى ولا يزنون ومن يفعل ذلك
يلق اثاما ثانيها قوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه
كان فاحشة وسا سبيلا ثالثها ان الله تعالى
اوجب المائة فيه بكمالها بخلاف حد القذف وشرب
الخمر وشرع فيه الرجم وروى حذيفة عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال يا معشر الناس اتقوا الزنا
فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في
الاخرة اما التي في الدنيا فيذهب البها ويورث الفقر
وينقص العمر واما التي في الاخرة فسخط الله
تعالى وسو الحساب وعذاب النار وعن
عبد الله



عبد الله قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم عند
الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال
ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اي قال
ان تزني بحليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقا
لذلك والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون والزنا
ايلاج حشفة او قدرها من مقطوعها من الذكر المتصل
الاصلي من الادمي الواضح او اشل وغير منتشر وكان
ملفوفا في خرقة بقبل محرم في نفس الامر لعينه خال
عن الشبهة المسقطة للحد مشتهى طبعا بان
كان فرج ادمي حي ولا يشترط ازالة البكارة حتى لو
كانت غورا او دخل الحشفة فيها ولم يزل بكارتها
ترتب عليه حد الزنا بخلاف التحليل لا بد فيه من
ازالة البكارة لقوله صلى الله عليه وسلم حتى تذوقي
عسيلته واختلف في اللواط هل يطلق عليه اسم
الزنا اولا فقال بعضهم يطلق عليه لقوله صلى الله عليه
وسلم اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان والذي
عليه اكثر اصحابنا انه غير داخل تحت اسم الزنا لانه
لو حلف لا يزني فلاط لم يحنث والحديث محمول

على الاثم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اذا اتت
المراة المراة فهما زانيتان وللشافعي فيه قولان اصحهما
ان الفاعل ان كان محصنا فانه يرجم والا فيجلد ماية
ويغرب عاما واما المفعول فلا يتصور فيه احصان
فيجلد ويغرب والثاني يقتل الفاعل والمفعول به
سوا كان محصنا ام لا لما روي عن ابن عباس
انه قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل
والمفعول به واما اتيان البهيمة فحرام باجماع
الايمة واختلف في عقوبته على اقوال احدها
حد الزنا فيرجم المحصن ويجلد غيره ويغرب
والثاني انه يقتل محصنا كان او غير محصن
لما روي عن ابن عباس انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اتى بهيمة فاقتلوه
واقتلوها معه الثالث وهو الاصح انه يعزر
لان الحد شرع للزجر عما تميل النفس اليه
وضعفوا حديث ابن عباس لضعف اسناده
وهو وان ثبت فهو معارض لما روي انه
صلى الله عليه وسلم نهى عن ذبح الحيوان
الا لماكله واما المستحق من النسوان
واتيان المراة الميتة والاستمتاع باليد
فلا

اللواط

فلا يشرع في شي من ذلك الا التعزير والمقيم للحد
هو الامام او نايبه وللسيد ان يقيم الحد على
رقيقه ولا تجوز الشفاعة في اسقاط الحد ولا تركه
ولا تخفيفه كما قال تعالى ولا تاخذكم اي على اي حال
من الاحوال بهما رافة اي رحمة ورقة فتعطلوا
الحدود ولا تقيموها وقرا ابن كثير بفتح الهمزة والباقون
بسكونها والسوسي على اصله من البدل وقيل
معنى الرافة ان تخففوا الضرب في دين الله
اي الذي شرعه لكم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو
سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وروي
ان عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب
ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تاخذكم بهما رافة
في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها
وقد ضربت فاوجعت ثم انه سبحانه وتعالى زاد
في الحض على ذلك بقوله تعالى ان كنتم تومنون
بالله الذي هو ارحم الراحمين فانه ما شرع ذلك
الا رحمة للعالمين عموما وللزانين خصوصا
فلا تزيدوا في الحد ولا تنقصوا منه شيا وفي
الحديث يوتى بوال نقص من الحدود سوطا

فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم الراحمين
مني فيومر به الي النار ويوتي بمن زاد سوطا فيقول
لينتهوا عن معاصيك فيومر به الي النار وعن
ابي هريرة اقامة حد بارض خير من ارض مطر
اربعين ليلة ثم اتبع ذلك ما يرهبه بقوله تعا
واليوم الاخر الذي يحاسب فيه علي النقير والقطمر
الخفي والجلي وليشهد اي وليحضر عذابهما اي حدهما
اذا اقيم عليهما طايفة من المومنين والطايفة
الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة
واربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة
حول الشي وعن ابن عباس رض تفسيرها اربعة
الي اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن
عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن
عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد اقلها
رجل فصاعدا وقيل رجلان وفضل قول ابن
عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها
الزنا ولا يجب علي الامام حضور رجم ولا علي
الشهود لانه صلي الله عليه وسلم امر برجم ماعز
والغامدية ولم يحضر رجمهما وانما خص
المومنين

المومنين بالحضور لان ذلك افضح والفاسق
بين صلحا قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس
الي اربعين رجلا من المصدقين بالله تنبيه
الضرب يكون بسوط لا حديد يجرح ولا خلق يولم
ويفرق بين السياط علي اعضايه ولا يجمعها في
موضع واحد واتفقوا علي انه يتقي المهالك كالوجه
والبطن والفرج ويضرب علي الراس لقول ابي بكر
اضرب علي الراس فان الشيطان فيه ولا يشد
يده وينزع الثياب التي تمنع الم الضرب كالفرا
ولو فرق سياط الحد تفريقا ولا يحصل
التنكيل مثل ان يضرب كل يوم سوطا او
سوطين فان فرق وتقرب وضرب والالم موجود
كفي وان وجب الحد علي حامل لا يقام عليها حتى
تضع وترضعه حتى ينفطم ويندب ان يحفر
للمراة الي صدرها ان ثبت زناها بالبينة لا باقرارها
ولا يندب للرجل مطلقا وان وجب الحد علي
المريض نظر ان كان يرجي زواله كصداع
انتظر ولا يرجي كالزمانة فلا يوخر ولا يضرب
بالسياط بل بعثكال عليه ماية شمراخ فيقوم

ذلك مقام جلده واما لحال الحر والبرد الشديد
فان كان الحد رجما لم يوخر لان النفس مستوفاه
وان كان جلدا اخر الى اعتدال الهوا ويقبل رجوع
الزاني عن اقراره ولو في اثناء الحد واذا مات في
الحد يغسل ويكفن ويصلي عليه ويدفن في
مقابر المسلمين الحكم الثاني قوله تعالى الزاني لا ينكح
اي لا يتزوج الا زانية او مشركة اي المعلوم
اتصافه بالزنا مقصور نكاحه على زانية او
مشركة والزانية لا ينكحها اي لا يتزوجها الا زان
او مشرك اي والمعلوم اتصافها بالزنا
مقصور نكاحها على زان او مشرك اذ الغالب
ان المايل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح
والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة
علة الالفة والانضمام والمخالفة سبب
النفرة والافتراق وقال بعضهم الجنسية
علة الضم والمشاكلة سبب المواصلة و
المخالفة توجب المباعده وتحرم الالفة وعن
ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر
احدكم

احدكم من يخالل وعن علي رضي الله عنه انه خطب
اهل الكوفه بعد ثلاثة ايام من مقدمه عليهم
فقال يا اهل الكوفه قد علمنا شراركم من خياركم
فقالوا وكيف ومالك الا ثلاثة ايام قال كان
معنا شرار وخيار فانضم خيارنا الى خياركم و
شرارنا الى شراركم وعن الشعبي انه قال ان لله ملكا
موكلا بجميع الاشكال بعضها الى بعض وقال القايل

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

فان قيل لم قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم
عليها ثانيا اجيب بان تلك الاية سيقت
لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي المادة التي منها
نشات الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم
تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا
في ذلك بدي بذكرها واما الثانية فمسوقة
بذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه الراغب فيه
والخاطب ومنه يبدو الطلب وحرم ذلك
اي نكاح الزاني والزانية لتحري الشهوة فيه
على المومنين واختلف العلما في معنى الاية

وحكمها فقال قوم منهم مجاهد وعطا وقتادة والزهري
والشعبي ورواية عن ابن عباس قدم المهاجرون
المدينة وفيهم فقرا لا مال لهم ولا عشاير وبالمدينة
نسا بغايا هن يومئذ بها اخصب اهل المدينة فرغب
ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم
فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك فنزلت هذه الاية وحرم ذلك على المومنين
ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وقال
عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات
يعرفن بها منهن ام مهزول داية السايب بن
ابي السايب المخزومي وكان الرجل ينكح الزانية
في الجاهلية يتخذها ماكلة فاراد ناس من
المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستاذن
رجل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في نكاح
ام مهزول فاشترطت ان تنفق عليه
فنزلت هذه الاية وروى عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له
مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى
من مكة حتى ياتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي
فقال

يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية
فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال
مرثد ان الله حرم الزنا فقالت فانكحني فقال
حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله انكح عناقا فامسك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد علي شيا فنزل
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك فدعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقراها علي وقال لا تنكحها اخرجه
الترمذي والنسائي وابو داود بالفاظ متغايرة
المعنى فعلى قول هولا كان التحريم خاصة
حق اوليك دون ساير الناس وقال قوم منهم
سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس
المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الاية الزاني لا يزني
الا بزانية او مشركة لا تزني الا بزان او مشرك وقال
يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك
وان جامعها وهو محرم فهو زان وعن عايشة
رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامراة ليس له

ان تزوجها لهذه الاية واذا اساءوها كان زانيا
وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول
اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان ابدا وقال
الحسن الزاني المجلود لا ينكح زانية مجلودة والزانية
المجلودة لا ينكحها الا زان مجلود وقال سعيد
ابن المسيب وجماعة منهم الشافعي رحمه
الله تعالى ان حكم الاية منسوخ وكان
نكاح الزانية حراما بهذه الاية فنسخها الله تعالى
بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهو جمع
ايم وهو من لا زوج لها فدخلت الزانية في
ايامى المسلمين واحتج من جوز نكاح الزانية
بما روي عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان
امراتي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال فاني
احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي
رواية غيره امسكها اذا وقد اجازه ابن
عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم
اشتراه وعنه صلى الله عليه وسلم انه سيل
عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح
وعن عمر انه ضرب رجلا وامراة زنيا





وحرض ان يجمع بينهما فابى الغلام ولما نفر سبحانه
وتعالى عن نكاح من اتصف بالزنا من امراة او رجل
نهى عن الرمي به فقال تعالى والذين يرمون اي بالزنا
المحصنات جمع محصنة وهي هنا المسلمة الحرة
المكلفة العفيفة وهذا الحكم الثالث والذي يدل
على ان المراد الرمي بالزنا امور احدها تقدم ذكر
الزنا ثانيها انه تعالى ذكر المحصنات وهن العفائف
فدل ذلك على ان المراد بالرمي رميها بضد ذلك
ثالثها انعقاد الاجماع على انه لا يجب الجلد بالرمي بغير
الزنا فوجب ان يكون المراد هو الرمي بالزنا رابعها
قوله تعالى ثم لم ياتوا اي الى الاحكام باربعة شهدا
اي ذكورا ومعلوم ان هذا العدد من الشهود
غير شرط الا في الزنا وشرط القاذف الذي يحد
بسبب القذف والتكليف والاختيار والالتزام
الاحكام والعلم بالتحريم وعدم اذن المقذوف
وان يكون غير اصل والفاظ القذف تنقسم الى صريح
وكناية وتعريض فمن التصريح قوله لرجل او امراة
زنيت او زنيت او يا زاني او يا زانية ولو كسر التاء في
خطاب الرجل ونصبها في خطاب المراة او زنيت

في الحبل بالهمز فان نوى بذلك القذف كان قذفا
والا فلا ومن التعريض يا ابن الحلال واما
انا فلست بزان فهذا ليس بقذف وان نواه
فان قيل اذا كان ذلك القذف يشمل الذكر والانثى
فلم كانت الاية الكريمة في الاناث فقط اجيب
بان الكلام في حقهن اشنع وتنبيها على عظم
حق ام المومنين عايشة رضي الله عنها وحد
القاذف الحر ثمانون كما قال فاجلدوهم اي ايها
المومنون من الايمة ونوابهم ثمانين جلدة لكل واحد
منهم لكل محصنة وحد القاذف الرقيق ولو
مبعضا او مكاتبا اربعون جلدة على النصف
من الحر لاية النسا فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب فهذه الاية مخصوصة بتلك اذ لا فرق
بين الذكر والانثى ولا بين حد الزنا وحد القذف
ويدل على ان المراد بالاية الاحرار قوله تعالى ولا
تقبلوا لهم اي بعد قذف شهادة اي شهادة
كانت ابدا الكلام بافترايهم لان العبد لا تقبل شهادته
وان لم يقذف ولما كان التقدير انهم قد افتروا
عطف عليه تحذيرا من الاقدام عليه من غير

تثبت



تثبت واولئك اي الذين تقدم ذمهم بالقذف فنزلت
رتبتهم حدا هم الفاسقون اي المحكوم بفسقهم
الثابت لهم هذا الوصف وان كان القاذف منهم محقا
في نفس الامر وفي ذلك دليل على ان القذف من
الكبائر لان اسم الفسق لا يقع الا على صاحب كبيرة
واختلف العلما في قبول شهادة القاذف بعد التوبة
وحكم هذا الاستثنا المذكور في قوله الا الذين تابوا
اي رجعوا عما وقعوا فيه من القذف وغيره فندموا
عليه وعزموا على ان لا يعودوا من بعد ذلك اي
الامر الذي اوجب ابعادهم فذهب قوم الى ان
القاذف تزول شهادته بنفس القذف فاذا تاب
وصلح حاله كما قال تعالى واصلحوا اي بعد
التوبة بمضي مدة يظن بها حسن الحال وهي
سنة يعتبر فيها حال التايب بالفصول الاربعة
التي تكشف الطبايع فان الله اي الذي له صفة
الكمال غفور اي ستور لهم ما قدموا عليه لرجوعهم
عنه رحيم اي يفعل بهم من الاكرام فعل الراحم بالمرحوم
في قبول الشهادة وقبلت شهادته فسوا قبل
الحد وفيها وبعدها وزال عنه اسم الفسق

وقالوا هذا الاستثنا يرجع الى رد الشهادة والى الفسق
ويروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وجمع من الصحابة
وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى ان شهادة
المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا
الاستثنا يرجع الى قوله واوليك هم الفاسقون
ويروى ذلك عن النخعي وشريح وبه قال اصحاب
الراي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم
يحد قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه
حين يحد لان الحدود كفارات فكيف يردها
في احسن حاليه وذهب الشافعي الى ان حد
القذف يسقط بالتوبة فان قيل اذا قلتم بالاول
فما معنى قوله تعالى ابدا اجيب بان معنى
ابدا ما دام مصرا على القذف لان ابد كل انسان
مدته على ما يليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة
الكافر ابدا اراد بذلك ما دام على كفره فاذا اسلم
قبلت شهادته تنبيه الاقرار بالزنا هل يثبت
بشهادة رجلين او اربع نسوة كالزنا فيه قولان
اصحهما انه يثبت برجلين بخلاف فعل الزنا لان
الفعل يغمض الاطلاع عليه واذا شهد على
فعل

فعل الزنا يجب ان يذكر الزاني ومن زنى بها لانه قد
يراه على جارية لابنه فيظنه زنا يوجب الحد وان
يقول في شهادته رايت ذكره يدخل في فرجها وان لم
يقل دخول الميل في المكحلة لكن قوله ذلك اولى فلو
شهدوا مطلقا انه زنا لم يقبلوا لانهم ربما يرون
المفاخذة زنا ويشترط ايضا ان يفسر في اقراره
كالشهود ويصح رجوعه عن الاقرار ولو في اثنا
الحد كما مر ولا فرق في قبول الشهادة بين ان يجي
الشهود متفرقين او مجتمعين كما قاله الشافعي
وقال ابو حنيفة اذا شهدوا متفرقين لا يثبت
وعليهم حد القذف ولو شهدوا على الزنا اقل من
اربعة او اربعة وفيهم الزوج لم يثبت الزنا
وعليهم الحد لان شهادة الزوج لا تقبل في حق
زوجته قال ابن الرفعة في الكفاية لامرين
احدهما ان الزنا تعرض لمحل حق الزوج فان الزاني
يستمتع بالمنافع المستحقة له فشهادته في حقها
تتضمن اثبات جناية الغير على ما هو مستحق
له فلم تسمع كما اذا شهد انه جنى على عبده
والثاني ان يشهد بزنا زوجته بنفس شهادته

دال على اظهار العداوة لان زناها يوغر صدره
بتلطيخ فراشه وادخال الغير عليه وعلى ولده وهو
ابلغ من مولم الضرب فاوحش السب ولو قذف
رجل وجاء باربعة فساق شهدوا على المقذوف
بالزنا لم يحد ولان شرايط الشهادة بالزنا قد
وجدت عند القاضي الا انه لم يقبل شهادتهم
لاجل التهمة فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن
المشهود عليه فكذلك اوجبنا اعتبارها
في نفي الحد عنهم ولما كان لفظ المحصنات
عاما للزوجات وكان لهن حكم غير ما تقدم وهو
الحكم الرابع افردهن بقوله والذين يرمون
اي بالزنا ازواجهم اي من المومنات والكافرات
والحراير والاماء ولم يكن لهم شهداء يشهدون
على صحة ما قالوه الا انفسهم اي غير انفسهم وهذا
ربما يفهم انه اذا كان الزوج احد الاربعة لكفى
وهذا المفهوم كونه حكاية واقعة لا شهود
فيها وقوله تعالى في الاية قبلها ثم لم ياتوا باربعة
شهداء فانه يقتضي كون الشهداء غير
الرامي بالزنا ولعله استثناه من الشهداء

لان



لان لعانه يكون بلفظ الشهادة ومذهب الشافعي
انه لا يقبل في ذلك كما قدمناه فشهادة احدهم اي
فالواجب شهادة احدهم على من رماها وفعليهم
شهادة لحدهم اربع شهادات من خمس في مقابلة
اربعة شهدا بالله اي مقرونة بهذا الاسم الكريم الاعظم
الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال والجمال انه
لمن الصادقين اي فيما قذفها به وقرا حفص وحمزة
والكسائي برفع العين على انه خبر شهادة والباقون
بنصبها على المصدر والخامسة ان لعنة الله عليه
اي الملك الاعظم عليه اي القاذف نفسه ان كان
من الكاذبين فيما رماها به وقرا نافع بتخفيف ان
ساكنة ورفع لعنة والباقون بتشديد النون
منصوبة ونصب لعنة ورسمت لعنت مجرورة
ووقف عليها بالها ابن كثير وابو عمرو والكسائي ووقف
الباقون بالتا واذا وقف الكسائي امال الها هذا
لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول
الفرقة بنفسه فرقة فسخ عندنا بقوله صلى الله
عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وتفريق
الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد

ان يعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المراة
لقوله تعالى ويدرؤا اي يرفع عنها اي المقذوفة
العذاب اي المعهود وهو الحد الذي وجب عليها
كما تقدم ان تشهد اربع شهادات من خمس بالله
الذي له جميع الاسما الحسنى والصفات العليا
كما تقدم في الزوج انه لمن الكاذبين فيما قاله عنها
والخامسة من الشهادة ان غضب الله اي مع
له الامر كله عليها ان كان من الصادقين
اي فيما رماها به روى البخاري في تفسيره وغيره
عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته
عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما
فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد
في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راى احدنا
على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة او حد
في ظهرك فقال هلال بن امية والذي بعثك
بالحق اني لصادق ولينزل الله ما يبري ظهري
من الحد فنزل جبريل عليه السلام وانزل
عليه والذين يرمون ازواجهم حتى بلغ
ابا



بلغ انه كان من الصادقين فانصرف النبي
صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجاء فقام
هلال بن امية فشهد والنبي صلى الله عليه
وسلم يقول والله يعلم ان احدكما كاذب فهل
منكما تايب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند
الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن
عباس فتلكات ونكصت حتى ظننا انها ترجع
ثم قالت لا افضح قومي ساير اليوم فمضت وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جات به
اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين
فهو لشريك بن سحما فجات به كذلك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله
لكان لي ولها شان وقد روى ايضا عن سهل
ابن سعد ان سبب نزول قصة سؤال هلال
لعويمر رضي الله تعالى عنه وقد تقدم انه لا يمتنع
ان يكون للاية الواحدة عدة اسباب معا او
متفرقة تنبيه خصت المراة بالغضب لانه ابلغ من
اللعن الذي هو الطرد لانه قد يكون بسبب غير
الغضب وسبب التغليظ عليها الحث على اعترافها

بالحق لما يقصد الزوج من القرينة من انه لا يتجسم
فضيحة اهله المستلزم لفضيحته الا وهو صادق
ولانها مادة الفساد ومخالطة الانساب ويشترط
في اللعان امر القاضي وتلقين كلماته في الجانبين
فيقول قل اشهد بالله الى اخره لان اللعان يمين
واليمين لا يعتد بها قبل استحلاف القاضي
وان غلب فيه معنى الشهادة فهي لا تودي عنده
الا باذنه وان يتاخر لعانها عن لعانه لان لعانها
لاسقاط الحد الذي وجب عليها بلعان الزوج كما
علم مما مر ويلاعن اخرس باشارة مفهمة او كتابة
ويكرر كلمة الشهادة اربعا او يكتبها مرة ويشير اليها
اربعا ويصح اللعان بالعجمية وان عرف بالعربية
ويشترط الولا بين الكلمات الخمس فيوثر الفصل الطويل
ولا يشترط بين لعان الزوجين ولو بدل لفظ لفظ
شهادة بحلف ونحوه او لفظ غضب بلعن او عكسه
وان ذكرا قبل تمام الشهادة لم يصح ذلك ويصح ان
يتلاعنا قايمين وان يغلظ اللعان بزمان وهو
بعد عصر الجمعة فيوخر اليه ان لم يكن طلب الحد
والا فبعد عصر اي يوم كان وبمكان عند اشرف
بلد



بلد اللعان فبمكة بين الركن الاسود والمقام وهو المسمى
بالحطيم والمدينة على المنبر وبيت المقدس عند الصخرة
وغيرها على منبر الجامع وتلاعن حايض بباب المسجد
وذمي في بيعة للنصارى وكنيسة لليهود وبيت نار لمجوسي
لانهم يعظمونه لا بيت اصنام لوثني لانه لا حرمة له وقرا
حفص والخامسة الاخيرة بالنصب والباقون بالرفع
وقرا نافع بتخفيف النون ساكنة وكسر الضاد ورفع الها
من الاسم الجليل والباقون بتشديد النون منصوبة ونصب
الضاد وخفض الها ولما حرم سبحنه وتعالى بهذه الجمل
الاعراض والانساب فصان بذلك الدما والاموال
علم ان التقدير فلولا انه سبحنه وتعالى خير الغافرين فلولا
وخير الراحمين لما فعل بكم ذلك والفضح للمذنبين واظهر
سراير المستخفين ففسد النظام فعطف على هذا الذي
علم تقديره قوله تعالى ولولا فضل الله مما له من الكرم
والاتصاف بصفات الكمال عليكم ورحمته اي بكم بالستر
في ذلك وان الله اي الذي احاط بكل شي قدرة وعلما
تواب بقبوله التوبة في ذلك وغيره ذلك حكيم يحكم الامور
فيمنعها من الفساد بما يعلم من عواقب الامور لفضح كل
عاص ولم يوجب عليه اربعة شهدا سترا لكم الحكم الخامس

قصة الافك المذكورة في قوله تعالى ان الذين جاءوا بالافك
اي اسوا الكذب سمي افكا لكونه مصروفا عن الحق من
قولهم افك الشي اذا صرفه عن جهته وذلك ان عائشة رضي الله
عنها كابويها كانت تستحق الثنا لما كانت عليه من الحصانة
والشرف والعفة والكرم لمن سواها بسو فقد قلب الامر
عن حسن وجوهه الى اقبح اتصاف به فان قيل لم ترك تسميتها
اجيب بانه ترك تنزيها لها عن هذا المقام وابعاد الصون
جانبها العلي عن هذا المراد وقوله تعالى عصبة خبر ان اي
جماعة اقلهم عشرة واكثرهم اربعون وكذا العصابة وقوله
تعالى منكم خطا للنبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة
وصفوان ممن يعد عندكم في عداد المسلمين يريد عبد الله بن
ابي بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم
مستانف اي لا ينشا عنه فتنة ولا يصدقه احد بل هو
خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا
ومحنة ظاهرة وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال
ثماني عشر ايات في براتكم وتعظيم شانكم وتهويل
الوعيد لمن تكلم فيكم والثنا على من ظن بكم خيرا
كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان

رسول



رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتبرية
لام المومنين رضوان الله تعالى عليها وتطهيرا
لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به
فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين
الى يوم القيمة وفوايد دينية واحكام وادب لا تخفى
على متاملها ولما كان لاشفا الغيظ لانسان اعظم
من انتصار الملك القادر له وعلل ذلك بقوله تعالى
لكل امرئ منهم اي الافكين ما اكتسب الموجب لشقاوته
والذي تولى كبره اي معظمه منهم من الخايضين وهو
ابن ابي فانه بدا به بالتصريح به والذي يعني
الذي على هذا له عذاب عظيم في الدنيا او في الاخرة
بان جلد واوصار ابن ابي مطرودا مشهورا
بالنفاق اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف
البصر تنبيه قصة الافك مقرونة في الصحيح
وفي السنن وغيرهما شهيرة جدا ولكن نذكر
منها طرفا تبركا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم
وبذكر السيدة عايشة وابويها رضي الله تعالى عنهم
فنقول عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا

اقرع بين ازواجه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم معه قالت عايشة فاقرع بيننا في
غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعدما انزل الحجاب فكنت
احمل في هودج وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من غزواته تلك وقفل
ودونا من المدينة قافلين فاذن ليلة بالرحيل
فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت
الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست
صدري واذا عقد لي من جزع اظفار قد انقطع
فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاوه
قالت واقبل الرهط الذين يرحلون بي فاحتملوا
هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب
عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النسا اذ ذاك
خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن
العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج
حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة
السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي
بعدما استمر الجيش فجيت منازلهم وليس بها منهم
داع

داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت
انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينما انا جالسة
في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن
المعطل السهمي ثم الذكواني رضي الله تعالى عنه
قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي
فراى سواد انسان نايم فعرفني حين راني قبل
الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت
وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت
منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته
فوطي على يدها فقمت عليها فركبتها فانطلق يقود
بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين
في نحر الظهيرة وهم نزول فقالت هلك من هلك
وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول
فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس
يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشي من
ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا اعرف من رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى
منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف
تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني فيه ولا اشعر

بالسقم حتى نقهت فخرجت انا وام مسطح قبل
المناصع وكان متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا
وذلك قبل ان نتخذ الكنيف قريبا من بيوتنا وامرنا
امر العرب الاولى في البرية وكنا نتاذى بالكنيف
ان نتخذها عند بيوتنا فاقبلت انا وام مسطح
حتى فرغنا من شاننا نمشي فعثرت ام مسطح في
مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما
قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه
ولم تسمعي ما قال قالت وما قال فاخبرتني بقول
اهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت
الى بيتي دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان آتي ابوي قال
وانا اريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي
فقلت لامي يا اماه ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية
هوني عليك فوالله ما كانت امراة قط وضيئة
عند رجل يحبها لها ضرائر الا كثرن عليها قالت فقلت
سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت
تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل
بنوم.

بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابن ابي طالب واسامة بن
زيد حين استلبث الوحي يسالهما ويستشيرهما
في فراق اهله قالت فاما اسامة فاشار على النبي
صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براءة اهله وبالذي
يعلم لهم في نفسه من الود فقال اسامة هم اهلك
يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما علي فقال
يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها
كثير واسئل الجارية تصدقك قالت فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي
بريرة هل رايت من شيء يريبك قالت والذي
بعثك بالحق ان رايت عليها امرا قط اغمصه
اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين
اهلها فتاتي الداجن فتاكله فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله
بن ابي بن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني
من رجل قد بلغني اذاه في اهلي والله ما علمت
على اهلي الا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا

الاخر ولم يدخل على اهلي الا معي قالت فقام سعد
اخو بني عبد الاشهل فقال انا يا رسول الله اعذرك
فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا
من الخزرج امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام سعد
ابن عبادة وهو سيد الخزرج قال وكان قبل ذلك
رجلا صالحا ولكن حملته الحمية فقال لسعد كذبت
لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من
رهطك ما احببت ان تقتل فقام اسيد بن
حضير ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة كذبت
لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن
المنافقين قالت فتناسلا الحيان الاوس والخزرج فتثاورا
حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت
قالت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقا لي دمع
ولا اكتحل بنوم قالت واصبح ابواي عندي
وقد بكيت ليلتين ويوما لا اكتحل بنوم ولا
يرقا لي دمع حتى اني لاظن ان البكا فالق كبدي
فبينما ابواي جالسان عندي وانا ابكي
فاستاذنت علي امراة من الانصار فاذنت
لها



فاذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينما نحن
على ذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس
عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا
لا يوحي اليه في شاني بشي قالت فتشهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما
بعد يا عايشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت
بريية فسيبريك الله وان كنت الممت بذنب
فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف
ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي
حتى لا احس منه بقطرة فقلت لابي اجب
رسول الله فيما قال فقال اني والله ما ادري
ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت لامي اجيبي رسول الله فيما قال فقالت
امي والله ما ادري ما اقول لرسول الله فقلت
وانا جارية حديثة السن لا اقرا من القران كثيرا
والله لقد علمت ما سمعتم هذا الحديث حتى
استقر في انفسكم وصدقتم به فلين قلت لكم

انى بريئة لاتصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر
والله يعلم انى منه بريئة لتصدقوني فوالله لا
اجد لكم لي ولكم مثلا الا كما قال العبد الصالح
ابو يوسف ولم اذكر اسمه حين قال فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون
ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم
حينئذ اني بريئة والله مبرئي ببراءتي ولكن والله
ماكنت اظن ان الله ينزل في شاني وحيا يتلى
لشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في
بامر ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النوم رويا يبريني الله بها
فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى
انزل الله تعالى على نبيه فاخذه ما كان ياخذه
عند الوحي من البرحاء حتى ليتحدر منه العرق
مثل الجمان في اليوم الشاتي من ثقل الذي انزل
عليه فسجي بثوب فوالله ما سري عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت
ان نفسي ابوي ليستخرجان فرقا من ان ياتي



الله بتحقيق ما قال الناس فلما سري عنه
وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال
ابشري يا عايشة قد براك الله تعالى فكنت
اشد ما كنت غضبا فقال لي ابواي قومي
اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمده ولا احمد
الا الله الذي انزل براتي لقد سمعتموه فانكرتموه
ولا غيرتموه وانزل الله تعالى ان الذين جاوا
بالافك عصبة منكم العشر ايات كلها فقال ابو
بكر والله لا انفق على مسطح بعد الذي قال
لعايشة ما قال فانزل الله تعالى ولا ياتل
اولوا الفضل منكم الى قوله غفور رحيم
قال ابو بكر الصديق بلى والله اني لاحب ان
يغفر الله لي فرجع النفقة الى مسطح التي
كان ينفقها عليه قال والله لا انزعها منه
ابدا قالت عايشة واما زينب وهي التي كانت
تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
فعصمها الله بالورع قالت عايشة والله ان
الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله
فوالذي نفسي بيده ما كشفت كنف انثى قط

قالت احمي سمعي وبصري
[illegible]

قالت ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله قال فلما
نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن وضرب عبد الله
ابن ابي ومسطح وحسان وحمنه الحد قال
عروة وكانت عايشة تكره ان يسب عندها
وتقول انه الذي قال فان ابي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم فداء وقال الحافظ ابو عمرو
ابن عبد البر في الاستيعاب وانكر قوم ان يكون
حسان خاض في الافك وجلد فيه وروي
عن عايشة انها برأته من ذلك انتهى وقال
غيره والله لا اظن به ذلك اصلا وان جات
تسميته في الصحيح فقد يخطي الثقة لانسان
لا نحصي كما يعرف ذلك من مارس نقد الاخبار
وكيف يظن به ذلك ولا شغل له الا مدح
النبي صلى الله عليه وسلم والمدافعة عنه
والذم لاعدائه وقد شهد النبي صلى الله عليه
وسلم ان جبريل معه وهو القايل يمدح
عايشة ويكذب من نقل عنه
حصان رزان ما تزن بريبة

وتصبح



وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا
نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لوي وغالب
كرام المساعي مجدها غير زايل
مهذبة قد طيب الله خيمها
وطهر من كل شين وباطل
وان كان ما بلغت عني قلته
فلا رفعت سوطي الي الانامل
فكيف وودي ما حييت ونصرتي
لآل رسول الله زين المحافل
له رتبة عالي على الناس فضلها
تقاصر عنها سورة المتطاول
وفي هذا القدر كفاية لاولي الالباب لمان في هذه
القصة عبر لمن اعتبر فان اهل الافك استمروا
في هذا اكثر من شهر والله تعالى عالم بما يقولون
وان قولهم يكاد يقطع الاكباد احب خلقه اليه
وهو قادر على تكذيبهم عندا ولما خاضوا فيه
ولكنه سبحنه وتعالى اراد الناس رفعة

الدرجات ولاخرين الهلكات ولاباس ببيان غريب
هذه الالفاظ التي وقعت في هذه القصة من كلام
عايشة وغيرها فقولها اذن اي اعلم بالرحيل فقولها
فقدت عقدا لي من جزع اظفار هو نوع من الخرز
وهو الخرز اليماني المعروف وقولها لم يهبلن اي لم
يكثر لحمهن من السمن فيثقلن قولها انما ياكلن
العلقة من الطعام وهو بضم العين اي البلغة
من الطعام وهو قدر ما يمسك من الرمق
قولها ليس بها منهم داع ولا مجيب اي ليس لها
احد لا من يدعوا ولا من يرجوا فقولها
فتيممت اي قصدت قولها قد عرس من وراء
الجيش التعريس نزول المسافر في الليل
للراحلة والادلاج بالتشديد سير اخر الليل
وبالتخفيف سير الليل كله وقولها باسترجاعه
هو قول القايل انا لله وانا اليه راجعون
قولها خمرت اي غطيت وجهي بجلبابي اي ازاري
وقولها موغرين في نحر الظهيرة الوغر شدة
الحر وكذا نحر الظهيرة اي قوله قولها والناس
يفيضون اي يخوضون ويتحدثون قولها

وهو

وهو يريبني اي يشككني فيه قولها ولا ارى من
النبي اللطف اي الرفق بها واللطف في الافعال
الرفق وفي الاقوال لين الكلام فقولها حتى فقهت
اي افقت من المرض والمناصع المواضع الخالية
تقضى فيها الحاجة من غايط وبول واصله
المكان المواسع الخالي والمرط كسا من صوف او خز
قولها فقالت تعس مسطح اي عثر قولها ياهنتاه
اي بلها كانها نسبتها الى الجاهلية قلة المعرفة قولها
لا يرقى اي لا ينقطع وقول بريرة ان رايت بمعنى
النفي اي ما رايت منها امرا اغمصه عليها بالصاد
المهملة اي اعيبه والداجن الشاة التي تالف
البيوت وتقيم بها قوله صلى الله عليه وسلم
من يعذرني اي اذا انا كافيته على سوء صنيعه
ان عاقبت اي عاقبت فلا تلوموني على ذلك
قولها ولكن حملته الحمية اي حمله الغضب والانفة
والتعصب على الجهل للقرابة قولها تساوروا الحيان
اي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة وقولها
فلم يزل يخفضهم اي يهون عليهم ويسكت وقوله
صلى الله عليه وسلم ان كنت المميتي قيل هو من

البيت

اللهم وهو صفا د الذنب قيل هو معناه مفارقة
الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي اي انقطع
جريانه قوله ما رام اي ما برح من مكانه والرحا
الشدة والجانة الدر وجمعه جمان فسوي عنه
اي كشف عنه وقول زينب احمي سمعي وبصري اي
امنعهما الخبر بما لم اسمع ولا ابصر قولها وهي التي
كانت تساوميني من السمو وهو العلو والغلبة
فعصمها الله تعالى اي منعها الله تعالى من الوقوع
في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف انثى
اي سترانثى وقول حسان في عايشة حصان
اي متعففة ورزان اي ثابتة ما تزن اي ترمى
تتهم بريبة اي امر اريب الناس وتصبح غرثى
اي خايفة الموت والغرث الجوع من لحوم الغوافل
جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب احدا ممن هو
غافل وقرا لا تحسبوه وتحسبون بن عامر
وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها
ولما اخبر سبحنه وتعالى بعتاب اهل الافك
وكان في المومنين من سمعه وسكت وفيهم
من سمعه فتحدث به متعجبا من قايله
او

او مستثبتا في امره ومنهم من كذبه اتبعه سبحنه
وتعالى بعتابهم في اسلوب خطابهم مثنيا على
كذبه فقال سبحنه وتعالى مستانفا محرضا لولا
اي هلا ولم لا اذ اي حين سمعتموه اي ايها المدعون
للايمان ظن المومنون اي منكم والمومنات وكان الاصل
ظننتم اي ايها العصبة ولكنه التفت الى الغيبة
تنبيها على التوبيخ وصرح بالنسا ونبه على الوصف
المقتضي لحسن الظن تخويفا للذي ظن السو من سو
الخاتمة بانفسهم حقيقة خيرا وهم دون من كذب
عليها فقطعوا ببراتها لان الانسان لا يظن في الناس
الا ما هو متصف به وباخوانهم لان المومنين كالجسد
الواحد وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري
قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل
صفوان كنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم سوا قال لا ولو كنت انا بدل عايشة
ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعايشة
خير مني وصفوان خير منك وقالوا هذا افك مبين
اي كذب بين فان قيل هلا قيل اذ سمعتموه ظننتم
بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى

الي الغيبة وعن الضمير الي الظاهر لجيب بات
ذلك مبالغة في التوبيخ علي طريقة الالتفات
وليصرح بلفظ الايمان دالا علي ان الاشتراك
فيه مقتضي ان لا يصدق مومن علي اخيه
ولا مومنة علي اختها قول عايب ولا طاعن وفيه
تنبيه علي ان حق المومن اذا سمع مقالة في
اخيه ان يبني الامر فيها علي الظن لا علي الشك
وان يقول بما فيه بنا علي ان ظنه بالمومن
من الخير هذا افك مبين هكذا لفظ المصرح
ببراة ساحته لا يقول كما يقول المتيقن المطلع
علي حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن
الذي قل القايم به والحافظ له وليتك تجد
من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوان
ثم علل سبحنه وتعالي كذب الافكين ان قال
موبخا لمن اختلقه واذاعه ملقنا لمريديه الي
ظن الخير لولا اي هلا ولم لا جاوا عليه باربعة
شهدا كما تقدم ان القذف لا يباح الا بها فاذا
اي حين لم ياتوا بالشهدا اي الموصوفين فاوليك
اي البعدا من الصواب عند الله هم الكاذبون

قد



قد جعل الله التفضلة بين الرمي الصادق والرمي
الكاذب بثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفا ها
والذين رموا عايشة لم تكن لهم بينة علي قولهم
فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه
وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين
سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج
عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب
تكذيب القاذف بغير بينة في التنكيل به اذا قذف
امراة محصنة من عرض نسا المسلمين فكيف بام
المومنين الصديقية بنت الصديق حرمة رسو
الله صلي الله عليه وسلم حبيبة حبيب رب العالمين
علما بين الله سبحنه وتعالي الدليل علي كذب الجنا يضني
في هذا الكلام وانهم استحقوا الملام قال عاطفا
علي لولا الماضية التي للتخصيص ولولا التي هي
لامتناع الشي لوجود غيره فضل الله اي المحيط
بصفات الكمال عليكم ورحمته اي معاملة لكم
بمزيد الانعام والاكرام اللازمة للرحمة في الدنيا
بقبول التوبة والمعاملة بالحكم والاخرة بالعفو عن
من يريد ان يعفوا عنه منكم لمسكم اي عاجلكم

فيما افضتم ايها العصبة اي خضتم فيه من حديث
الافك عذاب عظيم اي يحتقر معه اللوم والجلد فايدة
في مقطوعة في الرسم من ما كما ترى ثم بين تعالى وقت
حلول العذاب وزمان تعجيله بقوله تعالى اذ
اي مسكم حين تلقونه اي تجتهدون في تلقي اي
قبول هذا الكلام الفاحش والقايه بالسنتكم
اي يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل منهم
يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يلقونه تلقيا
يلقيه بعضهم الى بعض وحذفت من الفعل احدى
التايين وتقولون بافواهكم اي كلاما مختصا بالافواه
فهو كلام لا حقيقة له فلا يمكن ارتسامه في القلب
بنوع دليل واكد هذا المعنى بقوله تعالى ما ليس
لكم به علم اي بوجه من الوجوه وتنكيره للتحقير
فان قيل القول لا يكون الا بالفم فما معنى قوله
تعالى بافواهكم اجيب بان معناه ان الشي
المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان
وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور
في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب
كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
و



وتحسبونه بدليل سكوتكم عن انكاره هينا اي لا اثم
فيه وهو اي والحال انه عند الله اي الذي لا يبلغ احد
مقدار عظمته عظيم في الوزر واستحقاق العذاب
فهذه ثلاثة احكام مرتبة علق بها مس العذاب
العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به في غير تحقق
واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا
اي وهلا ولم لا اذ اي حين سمعتموه قلتم من
غير توقف ولا تلعثم ما يكون اي ما ينبغي ولا يصح لنا
ان نتكلم بهذا اي القول المخصوص ويجوز ان تكون
الاشارة الى نوعه فان قذف احاد الناس محرم
فكيف بمن اختارها العليم الحكيم لصحبة اكمل الخلق
فان قيل كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم اجيب
بان الظرف ينزل من الشي منزلة نفسه لوقوعه
فيها وانها لا انفكاك لها عنه فلذلك يتسع فيها
ما لا يتسع في غيرها فان قيل اي فايدة في تقديم
الظرف حتى وقع فاصلا اجيب بان الفايدة
فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما
سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم
وجب التقديم فان قيل ما معنى يكون والكلام

بدونه ملتئم لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا اجيب
بان معناه ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بها
وما يصح لنا كما تقدم تقريره ونحوه ما يكون لي ان
اقول ما ليس لي بحق وقوله تعالى سبحانك تعجب
من ان يخطر ذلك بالبال في حال من الاحوال
فان قيل فما معنى التعجب في كلمة التسبيح اجيب
بان الاصل في ذلك ان يسبح الله تعالى عند
روية التعجب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل في كل
متعجب منه وقيل تنزيه فهو منزه على ان يرضى
بظلم هولا القذفة عن ان لا يعاقبهم وعن ان
تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة
قال البيضاوي فان فجورها ينفر عنه ويخل
بمقصود الزواج بخلاف كفرها فانه لا ينفر ولهذا
كانت امراة نوح ولوط كافرتين وهذا يقتضي
حل نكاح الكتابية مع انها لا تحل له صلى الله عليه
وسلم لانها تكره صحبته ولانه اشرف ان يضع ماءه
في رحم كافرة لان القصد بالنكاح اصالة التوالد
فاحتيط له وبانه يلزم فيه ان تكون الزوجة
المشركة ام المومنين بخلاف المسلم فيهما هذا
بهتان اي كذب يبهت من يواجه به ويحيره
لشدة

315

لشدة ما يفعل في القوى الباطنة لانه في غاية
الغفلة عنه لكونه ابعد الناس منه ثم هوله بقوله
عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب
وعظمها باعتبار متعلقاتها ولما كان هذا كله وعظا
لهم واستصلاحا ترجمه بقوله يعظكم الله اي يرقق
قلوبكم اي الذي له الكمال كله فيمهل بحلمه ولا يهمل
بحكمته ان اي كراهة ان تعودوا لمثله ابدا اي ما
دمتم احيا مكلفين ثم عظم هذا الوعظ بقوله
تعالى ان كنتم مومنين اي متصفين بالايمان
راسخين فيه فانكم لا تعودون لان الايمان يمنع
عنه وهذا تهييج وتقريع الا انه يخرج عن الايمان
كما تقول المعتزلة فان قيل هل يجوز ان
يسمى الله واعظا لقوله تعالى يعظكم الله اجيب
بانه لا يجوز كما قال الرازي قال كما لا يجوز ان يسمى
معلما لقوله تعالى الرحمن علم القران لان اسما الله
توقيفية ويبين الله اي بما له من صفات الكمال
والاكرام لكم الايات اي الدالة على الشرايع ومحاسن
الاداب كي تتعظوا وتتادبوا والله اي المحيط
بجميع الكمال له عليم اي بما يامر وينهى عنه حكيم

لايصنع شيئا الا في لحكم بمواضعه وان دق عليكم فهم
ذلك فلا تتوقفوا في امر من اوامره ولما كان من
اعظم الوعظ بيان ما يستحق على الذنب من
العقاب بينه بقوله تعالى ان الذين يحبون
اي يريدون وعبر بالحب اشارة الى انه لا يرتكب هذا
مع شناعته الا محب له ولا يحبه الا بعيد عن الاستقامة
ان تشيع اي تنتشر بالقول والفعل الفاحشة الفعلة
الكبيرة القبح في الذين امنوا اي نسبتها اليهم وهم العصبة
وقيل المنافقون لهم عذاب اليم في الدنيا اي بالحد
للقذف والاخرة بالنار لحق الله تعالى ان لم يتب
والله اي المستجمع لصفات الجلال والجمال يعلم
اي له العلم التام فهو يعلم مقادير الاشياء ما
ظهر منها وما بطن وما الحكمة في اظهاره او ستره
او غير ذلك من جميع الامور وانتم لا تعلمون
اي ليس لكم علم من انفسكم فاعملوا بما علمكم ولا
تجاوزوا ولا تضلوا وقيل معناه يعلم ما في
القلب ما يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه
عليها وانتم لا تعلمون ذلك وقيل والله يعلم
انتفا الفاحشة عنهم وانتم ايها العصبة
لا تعلمون



لا تعلمون وجودها فيهم وقوله تعالى ولولا فضل
الله عليكم ورحمته اي بكم تكرير للمنة بترك المعاجلة
بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف عليه
وان الله اي الذي له القدرة التامة فسبقت رحمته
غضبه رءوف رحيم على حصول فضله ورحمته
وجواب لولا محذوف كانه قال لعذبكم واستاصلكم
لكنه رءوف قال ابن عباس الخطاب لحسان ومسطح
وحمنة قال الرازي ويجوز ان يكون الخطاب
عاما وقيل الجواب في قوله تعالى ما زكا منكم من
احد وقرا رءوف نافع وابن كثير وابن عامر وحفص
بمد الهمزة والباقون بقصرها يا ايها الذين امنوا
لا تتبعوا خطوات اي طرق الشيطان بتزيينه
اي لا تسلكوا مسالكه في اشاعة الفاحشة ولا في
غيرها ومن يتبع خطوات الشيطان فانه اي
المتبع يامر بالفحشاء اي بالقبائح من الافعال والمنكر
اي ما انكره الشرع وهو كل ما يكرهه الله تعالى
وقرا قنبل وابن عامر وحفص والكسائي بضم
الطا والباقون بالسكون ولولا فضل الله اي الذي
لا اله غيره عليكم ورحمته اي بكم بتوفيق التوبة

الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكا
اي ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا اخر الدهر
والاية عند بعض المفسرين على العموم وقال الحبر
الله انه لولا فضله ورحمته ما صلح منكم من
احد وقال ابن عباس الخطاب للذين خاضوا في
الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح
امره بعد الذي فعل بالتوبة منه ولكن والله اي العليم
باحوال الخلقه يزكي اي يطهر من يشا من الذنوب
بقبول التوبة منها والله سميع لاقوالهم عليم اي
بما في قلوبهم ولا ياتل اي يحلف افتعال من الالية
وهو القسم اولوا الفضل اي اصحاب الغنى منكم
والسعة ان اي ان لا يوتوا اولي القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا
عنهم في ذلك الا تحبون ان يغفر الله لكم اي على
عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اسا اليكم قال
المفسرون نزلت هذه الاية في ابي بكر حيث حلف
ان لا ينفق على مسطح وهو ابن خالة ابي بكر
وكان يتيما في حجره وكان ينفق عليه فلما فرط
منه ما فرط قال لهم ابو بكر قوموا لستم مني

ولست



ولست منكم وكفى بذلك داعيا في المنع فان
الانسان اذا احسن الى قريبه وكافاه بالاساة
كان اشد عليه مما اذا صدرت الاساة من اجنبي
قال الشاعر

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة
على المرء من وضع الحسام المهند

فقال له مسطح نشدتك الله والاسلام والقرابة
لا تحوجنا الى احد مما كان لنا اول الامر من ذنب
فقال الم تتكلم فقال قد كان بعض ذلك عجب
من قول حسان فلم يقبل عذره وقال انطلقوا
ايها القوم فان الله لم يجعل لكم عذرا ولا فرجا
فخرجوا لا يدرون اين يذهبون واين يتوجهون
من الارض وناس من الصحابة اقسموا ان لا
يتصدقوا على من تكلم بشي من الافك فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وقرا عليه الاية
فلما وصل الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم والله
غفور رحيم اي كامل القدرة فتخلقوا باخلاقه قال بلى
يا رب اني احب ان تغفر لي فذهب ابو بكر الى بيته
وارسل مسطح واصحابه وقال قبلت ما انزل

الله تعالى على الراس والعين وانما فعلت بكم ما
فعلت اذ سخط الله عليكم اما اذا عفي عنكم فمرحبا ٥
وجعل له مثل ما كان له وقال والله لا انزعها
ابدا وذلك من اعظم انواع المجاهدات ولا شك
ان هذا اعظم من مقاتلة الكفار لان هذا مجاهدة
مع النفس وذلك مجاهدة مع الكفار ومجاهدة
النفس اشق ولهذا روي انه صلى الله عليه
وسلم قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر ان الذين يرمون المحصنات اي العفائف
الغافلات اي عن الفواحش وهن السليمات
الصدور النقيات القلوب بان لا يقع في قلوبهن
فعلها اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن
لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما
تفطن المجربات العارفات قال الشاعر
ولقد لهوت بطفلة ميالة    بلهاء تطلعني على اسرارها
وكذلك البلة من الرجال في قوله صلى الله عليه
وسلم اكثر اهل الجنة البله وقيل البله هو
الرضوان بنعيم الجنة والفطنا لم يرضوا الا بالنظر
الى وجهه الكريم المومنات بالله ورسوله
لعنوا



لعنوا في الدنيا والاخرة اي عذبوا في الدنيا بالحد
وفي الاخرة بالنار ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم
قال مقاتل هذا خاص في عبد الله بن ابي
المنافق وروي انه قيل لسعيد بن جبير من
قذف مومنة يلعنه الله في الدنيا والاخرة قال
ذلك لعايشة خاصة قال الزمخشري ولو قلبت
القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر
ان الله عز وجل قد غلظ في شي تغليظه في افك
عايشة رضوان الله عليها ولا انزل من الايات
القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب
البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك
واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق
مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في
بابه ولو لم تنزل الا هذه الثلاث ايات لكفى بها
به حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا
وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة بان السنتهم
وايديهم وارجلهم تشهد عليهم كما قال تعالى
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما
كانوا يعملون اي من قول وفعل وهو يوم القيمة

بما انكروا وبهتوا فانه يوفيهم جزاهم الحق كما قال
تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي جزاوهم
الواجب الذي هم اهله ويعلمون عند ذلك ان
الله هو الحق المبين حيث حققت لهم جزاء الذي
كانوا يشكون فيه فاوجز في ذلك واسبغ
وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في
وعيد المشركين وعبدة الاوثان الا ما هو دونه
في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس
انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسال عن
تفسير القران حتى يسال عن هذه الايات فقال
ومن اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا
من خاض في امر عايشة وهذا منه مبالغة و
تعظيم لامر الافك ولقد برا الله تعالى اربعة
باربعة برا يوسف عليه السلام بلسان
الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى
من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه
وبرا مريم بانطاق ولدها حتى نادى من
تحتها اني عبد الله وبرا عايشة بهذه
الايات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه
الدهر



الدهر مثل هذه التبرية بهذه المبالغات فانظر
كيف بينها وبين تبرية اوليك وما ذاك الا
لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد
ادم وخيرة الاولين والاخرين وحجة الله على
العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه
ويقدم قدمه واحرازه لغرض السبق دون كل
سابق فليتلق ذلك من ايات الافك وليتامل
كيف غضب الله تعالى له في حرمته وكيف بالغ
في نفي التهمة عن حجابه وقال قوم لعايشة وازواج
النبي صلى الله عليه وسلم بذكر في قذفهن
توبة ومن ذكر في قذفهن اول السورة توبة
غيرهن فان قيل ان كانت عايشة هي المرادة
فكيف قيل المحصنات لجيب بانها لما كانت ام
المومنين جمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة
الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان ولذا قيل ان
هذا حكم كل قاذف ما لم يتب فان قيل ما معنى قوله
تعالى هو الحق المبين اجيب بان معناه ذو الحق
المبين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه

والحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه الصفة
صفته كان له ان يجازي المحسن على احسانه
والمسي على اسايته فحق مثله ان يتقى ويتجنب
محارمه وقراءته عليهم حمزة والكساي
بضم الها والميم والباقون بكسر الها وضم الميم هذا
كله في الوصل واما الوقف فالجميع بكسر الها وسكون
الميم الخبيثات اي من النساء والكلمات للخبيثين
من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات اي مما
ذكر والطيبات مما ذكر للطيبين اي من الناس والطيبون
اي منهم للطيبات اي مما ذكر فاللايق بالخبيث مثله
وبالطيب مثله اوليك اي الطيبون والخبيثات من
النسا ومنهم صفوان وعايشة مبرءون مما يقولون
اي الخبيثون والخبيثات من النسا وقيل عايشة
وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله تعالى فان كان له
اخوة اي اخوان لهم اي الطيبين والطيبات من
النسا على الاول ولصفوان وعايشة على الثاني
مغفرة اي عفو عن الذنوب ورزق كريم هو
الجنة وروي ان عايشة رضي الله عنها كانت تفتخر
باشيا اعطيتها لم تعطها امراة غيرها ان جبريل
اتى

اتي بصورتها من حرير وقال هذه زوجتك وروي
انه اتى بصورتها في راحته ومنها انه صلى الله عليه
وسلم لم يتزوج بكرا غيرها ومنها انه قبض صلى الله
عليه وسلم وراسه في حجرها ومنها انه دفن في
بيتها ومنها انه كان ينزل عليه الوحي وهو معها في
لحافه ومنها ان براءتها نزلت من السما ومنها انها
ابنة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقة
وخلقت طيبة ووعدت بمغفرة ورزق كريم
وكان مسروق اذا روى عن عايشة قال حدثتني
الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم المبراة من السما الحكم السادس
ما ذكره بقوله تعالى يايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم اي التي تسكنونها فان الموجر والمعير
لا يدخلان الا باذن وقرا ورش وابو عمرو وحفص
بضم البا الموحدة والباقون بكسرها وفي قوله تعالى
حتى تستانسوا وجهان احدهما من الاستيناس
الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق
باب غيره لا يدري ايوذن له ام لا فهو كالمستوحش
من خفا الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى

حتى يوذن لكم كقوله تعالى لاتدخلوا بيوت النبي الا
ان يوذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف
لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن
فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستيناس
بمعنى الاستعلام والاستكشاف استفعال من
انس الشي اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى
تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم
ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست
فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت وقال الخليل
الاستيناس الاستبصار من قولهم انست نارا اي
ابصرت وقيل هو ان يتكلم بالتسبيحة و
التكبيرة والتحميدة ويتنحنح يوذن اهل البيت
وعن ابي ايوب الانصاري قال يا رسول الله
ما الاستيناس قال يتكلم الرجل وتسلموا على اهلها
كان يقول الواحد السلام عليكم اادخل ثلاث
مرات فان اذن له والا رجع قال قتادة الاولى
للتسميع والثانية ليتهيا والثالثة ان شا اذن
وان شا ردها وهذا من محاسن الاداب فان اول
مرة ربما منعهم بعض الاشتغال من الاذن وفي
الثانية

وفي الثانية ربما كان هناك مانع يقتضي المنع
فان لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على
مانع ولهذا الاولى في الاستيذان ثلاثا ان لا تكون
متصلة بل يكون كل واحدة والاخرى وقت ما بين صح
ولا بد من اذن صريح اذا كان الداخل اجنبيا او
قريبا غير محرم سوا كان الباب مغلقا ام لا
وان كان محرما فان كان ساكنا مع صاحبه فيه
لم يلزمه الاستيذان ولكن عليه ان يشعره بدخوله
بتنحنح او شدة وطي ونحو ذلك ليستتر العريان
فان لم يكن ساكنا فان كان الباب مغلقا
لم يدخل الا باذن وان كان مفتوحا فوجهان
والاوجه الاستيذان وعن ابي موسى الاشعري
انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم ادخل قالها
ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لساج فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لامراة يقال لها روضة قومي الى
هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول
السلام عليكم ادخل فسمعها الرجل فقالها فقال
ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم

منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم
مسا ثم يدخل فربما اصاب صاحب البيت مع
امراته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم
الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين
الذي هو عند الناس كالشريعة المنسوخة
قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك قال
الزمخشري بينا انت في بيتك اذ رعف عليك
الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا
اسلام ولا جاهلية وهو ممن يسمع ما انزل الله .
فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن اين الاذن الواعية ذلكم خير لكم اي من .
تحية الجاهلية من ان تدخلوا من غير استيذان
روي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم .
استاذن على امي قال نعم قال انها ليس لها
خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب
ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن .
وقوله تعالى لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي
انزل عليكم وقيل لكم هذا ارادة ان تذكروا
وتتعظوا وتعملوا بما امرتكم به في باب
الاستيذان .



الاستيذان وقرا حفص وحمزة والكساي بتخفيف
الذال والباقون بالتشديد فان لم تجدوا فيها اي
البيوت احدا يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتى يوذن
لكم اي حتى ياتي من يوذن لكم فان المانع من
الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط وانما شرع
لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الانسان في العادة
عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه
تصرف في ملك غيرك فلابد ان يكون برضاه والا
اشبه الغصب والتغلب وان قيل لكم ارجعوا اي
بعد الاستيذان فارجعوا اي اذا كان في البيت
احد وقال لكم ارجعوا فارجعوا هو اي الرجوع
ازكى اي اطهر واصلح لكم من الوقوف على
الابواب منتظرا لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح
في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي
مروة مرتاضين الاداب الحسنة واذا نهى عن
ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل
ما يودي اليها من قرع الباب بعنف والتصيح
بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات
من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد

رحمه الله تعالى ما قرعت بابا على عالم قط وكفى
بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله
تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم
لا يعقلون وعن قتادة اذا لم يوذن له لا يقعد
على الباب فان للانسان حاجات وان حضر
ولم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز
كان ابن عباس ياتي باب الانصاري لطلب
الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستاذن
فيخرج الرجل فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا ان
نطلب العلم واذا وقف فلا ينظر من شق الباب
اذا كان الباب مردودا لما روي عن ابي هريرة
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اطلع في بيت قوم فقد حل لهم ان يفقوا عينه
وفي رواية النسائي قال لو ان امرا اطلع
عليك بغير اذنه فخذفته ففقات عينه ما كان
عليك جناح ولو عرض امر في دار من حريق او
هدم او هجوم سارق او ظهور منكر يجب
انكاره جاز الدخول بغير اذن والله

اي



اي الذي لا يخفى عليه شيء مما تعملون من الدخول
باذن وبغير اذن عليم اي فيجازيكم عليه ولما
نزلت اية الاستيذان قالوا كيف بالبيوت التي بين
مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها
انسان فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح اي
اثم ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استيذان
وذلك كبيوت الخانات والربط المسبلة فيها متاع
اي منفعة لكم والمنفعة فيها بالنزول وانواع
المتاع والاتقا من الحر والبرد ونحو ذلك وقال ابن
زيد هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالاسواق
يدخلها للبيع والشرا وهو المنفعة وقال ابراهيم
النخعي ليس على حوانيت الاسواق اذن وكان
ابن سيرين اذا جا الى حانوت يقول السلام عليكم
ادخل ثم يلج وقال عطا هي البيوت الخربة والمتاع
هو قضا الحاجات فيها من البول والغايط وذلك
استثنا من الحكم السابق لشمول البيوت
المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون اي
تظهرون وما تكتمون اي تخفون في دخول
غير بيوتكم من قصد صلاح او غيره وفي ذلك

وعيد لمن خالف دخل الفساد وتطلع على عورات
وسياتي انهم اذا دخلوا بيوتهم وسلموا على
انفسهم والحكم السابع حكم النظر المذكور في
قوله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم اي عما لا يحل لهم
نظره ويحفظوا فروجهم اي عما لا يحل لهم فعله بها
تنبيه من للتبعيض والمراد غض البصر
عما لا يحل كما مر والاقتصار به على ما يحصل
بحل وجوز الاخفش ان تكون من زائدة وابا ه
سيبويه فان قيل لم دخلت من في غض البصر
دون حفظ الفرج اجيب بان في ذلك دلالة
على ان المراد ان امر النظر اوسع بدليل جواز
النظر للمحارم فيما عدا ما بين السرة والركبة
واما نظر الفروج فالامر فيه ضيق وكفاك فرق
ان يبيح النظر الى ما استثني منه وحظر الجماع
الى ما استثني منه ويجوز ان يراد مع حفظها
عن الافضا الى ما لا يحل حفظها عن الابدا وعن
ابن زيد كل ما في القران من حفظ الفرج فهو عن
الزنا الا هذا فانه اراد الاستتار فان قيل لم
قدم غض البصر على حفظ الفرج اجيب
بان



بان البلوا فيه اشد وروي عن جرير بن عبد الله
قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاة
قال اصرف بصرك وعن بريدة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة
النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية
اخرجه ابو داود والترمذي وعن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المراة الى عورة
المراة ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد
ولا تفضي المراة الى المراة في ثوب واحد ذلك
اي غض البصر وحفظ الفرج ازكى اي خير لهم
لما فيه من البعد عن الريبة سيل السبكي رحمه
الله تعالى عن قوله تعالى يغضوا من ابصارهم
فقال ابصار الروس عن المحرمات وابصار القلوب
عن المحرمات ثم اخبر سبحانه وتعالى بانه خبير
باحوالهم وافعالهم بقوله تعالى ان الله اي الملك
الذي لا يخفى عليه شي خبير بما يصنعون اي بسائر
حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان

يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون
وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن عما لا يحل لهن
نظره ويحفظن فروجهن عما لا يحل فعله بها روي عن
ام سلمة انها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث اذ اقبل ابن ام
مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما امرنا بالحجاب فقال
صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلت يا رسول
الله اليس هو اعمى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان انتما الستما تبصرانه ولا يبدين
اي يظهرن زينتهن اي لغير محرم والزينة
خفية وظاهرة فالخفية مثل الخلخال والخضاب
في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الاذن
والقلايد في العنق فلا يجوز للمراة اظهارها
ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من
الزينة مواضعها من البدن وذكر الزينة
للمبالغة في الامر بالصون والستر لان هذه
الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل
النظر اليها الا ما ظهر منها اي الزينة الظاهرة
واختلف اهل العلم في هذه الزينة استثناها
الله



الله تعالى فقال سعيد بن جبير وجماعة هي
الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب
وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب
في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للاجنبي
النظر ان لم يخف فتنة في احد وجهين عليه
الاكثر وانما رخص في هذا القدر للمراة ان تبديه
من يدها لانه ليس بعورة في الصلاة وساير بدنها
عورة فيها ولان سترها فيه حرج فان المراة لا
تجد بدا من مزاولة الاشيا بيديها وعن الحاجة الى
كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة
والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وخاصة
الفقيرات والوجه الثاني يحرم لانه محل الفتنة
ورجح حسما للباب وليضربن بخمرهن على جيوبهن
اي ليسترن الروس والاعناق والصدور
بالمقانع فان جيوبهن كانت واسعة تبدو منها
نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن
الخمر من ورايهن فتبقى مكشوفة فامرن بان
تسدلها من قدامها حتى تغطيها ويجوز ان
يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها

ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب بالنون والصاد
اي سليم الصدر وقولك ضربت بخمارها على جيبها
كقولك ضربت بيدي على الحايط اذا وضعتها عليه
قالت عايشة رضي الله عنها يرحم الله نسا المهاجرات
لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن
مروطهن فاختمرن بها والمرط كسا من صوف او
خز او كتان وقيل هو الازار وقيل الدرع وقرا
نافع وابو عمرو وهشام وعاصم بضم الجيم والباقون
بكسرها وكرر قوله ولا يبدين زينتهن لبيان من
يحل له الابدا ومن يحل لها اي الزينة الخفية التي لم يبح
لهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ما عدا
الوجه والكفين الا لبعولتهن اي فانهم المقصودون
بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج
ولو الدبر بكره وقال ابن عباس لا يضعن الجلباب
والخمار الا لازواجهن او ابايهن او ابا بعولتهن او
ابنايهن او ابنا بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن
او بني اخواتهن فيجوز لهولا ان ينظروا الى الزينة
الخفية لاوليك المذكورين للحاجة المضطرة
الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة الفتنة من
جهاتهم



جهاتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك او
نسايهن المومنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن
للرجال فلا يجوز للمسلمة ان تتجرد عن ثيابها عند
الكافرة لانها اجنبية في الدين فكانت كالرجل الاجنبي
لكن يجوز ان يرى منها ما يبدو عند المهنة وقد
كتب عمر الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نسا اهل
الكتاب ان يدخلن الحمامات مع المسلمات وقيل
النسا كلهن وللعلما في ذلك خلاف تنبيه العورات
على اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة
المراة مع المراة وعورة مع الرجل وعورة الرجل
مع المراة اما الرجل مع الرجل فيجوز له ان
ينظر الى جميع بدنه ما عدا ما بين السرة والركبة
وكذلك المراة مع المراة واما المراة مع الرجل و
الرجل مع المراة فلا ينظر احدهما من الاخر شيا
وقيل يجوز للاجنبي ان ينظر الى وجهها وكفيها
اذا امن الفتنة ولم تكن شهوة وقيل يجوز لها
ان تنظر منه ما عدا ما بين السرة والركبة ويجوز
لمن اراد ان يخطب حرة ان ينظر الى وجهها
وكفيها وهي تنظر منه اذا ارادت ان تتزوج به

ماعداما بين السرة والركبة واذا اراد ان يتزوج
بامها جاز ان ينظر منها ماعداما بين السرة والركبة
ويحرم ان ينظر بشهوة ويحرم النظر بشهوة لكل
منظور اليه والا لمن اراد ان يتزوج بها ولا لحليلته
ويباح النظر من الاجنبي لمعاملة وشهادة حتى
يجوز النظر الى الفرج للشهادة على الزنا والولادة
والى الثدي للشهادة على الارضاع وتعليم ومداوات
بقدر الحاجة وكل ما حرم نظره متصلا حرم
نظره منفصلا كشعر عانته من رجل او قلامة
ظفر من اجنبية ويحرم اضطجاع رجلين او
امراتين في ثوب واحد اذا كانا عاريين وان كان
كل واحد منهما في جانب من الفراش للخبر المتقدم
ويجب التفريق بين ابن عشر سنين واخوته
واخواته في المضجع اذا كانا عاريين ويسن مصافحة
الرجلين والمراتين لخبر ما من مسلمين يلتقيان
ويتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا ويكره
مصافحة من به عاهة كجذام او برص والمعانقة
والتقبيل في الراس الا لمنهي عن ذلك الا لقادم
من سفر او تباعد عهد ويسن تقبيل الطفل
ولو



ولو لغيره شفقة ولا باس بتقبيل وجه الميت
الصالح ويسن تقبيل يد الحي الصالح والعالم والزاهد
او نحو ذلك ويكره لغنا او وجاهته او نحو ذلك
وقوله تعالى او ما ملكت ايمانهن مع الاما والعبيد
فيحل نظر العبد العفيف غير المبعض والمشترك
والمكاتب الى سيدته العفيفة لما روى ابو داوود
انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد وهبه لها
وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها
واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فلما راها النبي
صلى الله عليه وسلم وما تلقى قال صلى الله عليه
وسلم انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك
وعن عايشة انها قالت لعبدها ذكوان انك اذا
وضعتني في القبر وخرجت فانت حر اما الفاسق
والمبعض والمشترك والمكاتب فكالاجنبي بل
قيل ان المراد بالاية الاماء وعبد المراة كالاجنبي
وبه قال ابن المسيب اخر وقال لا يغرنكم اية النور
فان المراد بها الاماء او التابعين الذين يتبعون
القوم ليصيبوا من فضل طعامهم غير اولي
الاربة اي اصحاب الحاجة الى النسا من الرجال

اي ليس لهم همة الا ذلك ولا حاجة في النسا لانهم
بله لا يعرفون شيا من امرهن وقيل هم شيوخا
صلحا اذا كانوا غضوا ابصارهم وقيل هم
الممسوحون سوا كان حراما ام لا وهو ذاهب
الذكر والانثيين اما ذاهب الذكر فقط والانثيين
فقط فكالفحل وعن ابي حنيفة لا يحل امساك
الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراوهم
قال الزمخشري فان قلت روي انه اهدي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله
قلت لا يقبل فيما يعم به البلوى الا حديث مكشوف
وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من
الاسباب اه وعندنا يجوز جميع ذلك اذ لا
مانع منه وقيل المراد باولي الاربة هو المخنث
وقرا ابن عامر وشعبة بنصب الرا على الاستثنا
والحال والباقون بكسرها على الوصفية وقوله
تعالى او الطفل بمعنى الاطفال وضع الواحد
موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده
وهو قوله تعالى الذين لم يظهروا اي لم يطلعوا
على عورات النسا للجماع فيجوز لهن ان يبدين
لهم ما عدا ما بين السرة والركبة تحالـ

امام



امام الحرمين اذا لم يبلغ الطفل حدا يحكي ما يراه
فكالعدم او بلغه من غير شهوة فكالمحرم
او بشهوة فكالبالغ ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن وذلك لان المراة كانت
تضرب برجلها الارض ليقعقع خلخالها فيعلم
انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى
رجليها على الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين
فنهى عن ذلك لان ذلك يورث ميلان الرجال
واذا وقع النهي عن اظهار صوت الخلخال
والحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع
الحلي ابلغ وابلغ واوامر الله ونواهيه في كل
باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها
وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من
تقصير يقع منه فلذلك قال تعالى وتوبوا
الى الله اي الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا
عن السيات جميعا ايها المومنون اي مما وقع
لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره وشروط
التوبة ان يقلع الشخص عن الذنب ويندم
على ما مضى ويعزم على ان لا يعود ويرد

بحوق الى اهلها وقرا ابن عامر في الوصل ايه المومنون
بضم الها لانها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف
فلما سقطت الالف لالتقا الساكنين اتبعت حركتها
حركة ما قبلها والباقون بفتحها واما الوقف فوقف
ابو عمرو والكساي بالالف بعد الها ووقف
الباقون على الها ساكنة **لعلكم تفلحون** اي تنجون
من ذلك بقبول التوبة منه وفي الاية تغليب
الذكور على الاناث وعن ابن عباس توبوا مما كنتم
تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في
الدنيا والاخرة فان قيل على هذا قد صحت التوبة
بالاسلام لانه يجب ما قبله فما معنى هذه
الاية اجيب بان بعض العلما قال ان من اذنب
ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد التوبة
لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان
يلقى الله تعالى والذي عليه الاكثر انه لا يلزمه
تجديدها وعن ابي بردة انه سمع الاغر يحدث
ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا ايها الناس توبوا الى ربكم فاني اتوب
الى ربي كل يوم ماية مرة وعن ابن عمر
قال

قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت
التواب الرحيم الغفور ماية مرة وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها
تاب الله عليه وعن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح
بتوبة عبده من احدكم يسقط على بعيره وقد
اضله في ارض فلاة ولما نهى عما يفضي الى السفاح
المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية
ومزيد الشفقة المودية الى بقا النوع
بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالحكم الثامن
وهو الامر بالنكاح المذكور في قوله تعالى **وانكحوا
الايامى منكم** جمع ايم والايامى واليتامى اصلهما
ايايم ويتايم فقلبا والايم هي من ليس لها زوج بكرا
كانت او ثيبا ومن ليس له امراة فيشمل
الذكر والانثى قال الشاعر
فان تنكحي انكح وان تتايمي
وان كنت افتى منكم اتايم

أي اقرب الي الشباب منك وانايهم بالرفع علي قلة
جواب ان تتهاميى ومابينهما جملة معترضة
والمعنى اوافقك في حالتي التزويج والتائيم
وان كنت اقرب الي الشباب بسنك وعنه صلي
الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من الغيمة
والعيمة والايمة والقزم والقرم العيمة الشهوة
اللبن والغيمة العطش والايمة شهوة النكاح
مع الخلو من الزوجة والقزم البخل والقرم
شهوة اللحم وهذا في الاحرار والحرائر واما غيرهم
فهو كقوله تعالي والصلحين اي المومنين من
عبادكم وهو من جموع عبد وامايكم والخطاب
للاوليا والسادة وهذا الامر امر ندب فيستحب
لمن تاقت نفسه للنكاح ووجد اهبته ان
يتزوج ومن لم يجد اهبته استحب له ان يكسر
شهوته بالصوم لما ورد انه صلي الله عليه
وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم
الباة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه
له وجاء اي قاطع لشهوته لان الوجا بكسر
الواو.



الواو نوع من الخصا وهو ان ترض عروق الانثيين
وتترك الخصيتان كما هما فشبه الصوم في قطعه
شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل والباة
بالمد هو النكاح وهي المهر والكسوة وفصل التمكين
ونفقة يومه فان لم تنكسر بالصوم فعليه
بالكافور ونحوه بل التزوج ويكره لغير التايق
ان فقد الاهبة او وجدها وكان به علة كهرم
فان وجدها ولا علة به وهو غير تايق
فالتخلي للعبادة افضل من النكاح ان كان
متعبدا فان لم يتعبد فالنكاح افضل من تركه
لقوله صلي الله عليه وسلم من احب فطرتي
فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه صلي الله عليه
وسلم اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله
عصم ابن ادم مني ثلثي دينه والاحاديث في ذلك
كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الي معصية
او مفسدة وعنه صلي الله عليه وسلم اذا اتى علي
امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة
والعزلة والترهب علي روس الجبال وفي رواية
ياتي علي الناس زمان لاتنال المعيشة فيه الا

الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان فقد حلت
العزوبة ويندب النكاح للمراة التايقة وفي معناها
المحتاجة الى النفقة والخايفة من اقتحام الفجور
ويستحب ان تكون المنكوحة بكرا الا لعذر لقوله
صلى الله عليه وسلم هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
وولودا لقوله صلى الله عليه وسلم تزوجوا
الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة
وفي رواية يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا
فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة وفي رواية يا
عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر
دينه ولما روى عبد الله بن عمر انه صلى الله
عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها
المراة الصالحة وقيل المراد بالصالحين الصالحون
للنكاح والقيام بحقوقه وقوله تعالى ان يكونوا
اي الاحرار فقرا يغنهم الله اي بالتزويج من فضله
رد لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن
فقر الخاطب والمخطوبة من النكاح المناكحة فان في
فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورايح او وعد
من الله تعالى بالاغنا لقوله صلى الله عليه وسلم

اطلبوا

اطلبوا الغنا في هذه الاية لكن ينبغي ان تكون شريطة
المشيئة منسية في غير هذا الموعد ونظاير وهي
مشيئة ولا يشا الحكيم الا ما اقتضته الحكمة ونحو
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وقد جات الشريطة منصوبة في قوله تعالى وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان
شا ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة
لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح
وبفاسق تاب واتقى الله تعالى وكان له شي
ففني واصبح مسكينا وورد التمسوا الرزق
بالنكاح وشكى الى النبي صلى الله عليه وسلم رجل
الحاجة فقال عليك بالباه اي النكاح وعن عمر
رضي الله عنه عجبت لمن يبتغي الغنا بغير النكاح
والله تعالى يقول ان يكونوا فقرا يغنهم الله من
فضله وحكي عنه انه قال عجبت لمن لا يطلب
الغنا بغير النكاح الباه وقال طلحة بن مطرف
تزوجوا فانه اوسع لكم في رزقكم واوسع في
اخلاقكم ويزيد الله في مروتكم قال الزمخشري
ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رايته

بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت مسالته
فقلت كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل تتال
ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تواخيت
عن الفقر قال فلما ولد لي الثاني ازددت خير
فلما تتاموا ثلاثة صب الله تعالى علي الخير صبا
فاصبحت الى ما ترى والله اي الذي له الملك كله
واسع اي ذو سعة لخلقه لا تنفد نعمه اذ لا تنتهي
قدرته عليم بهم يبسط الرزق لمن يشا ويقدر
ولما ذكر تعالى تزويج الحرائر والاما ذكر حال من
يعجز عن ذلك بقوله وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا اي وليجتهد في طلب العفة عن الزنا والحرام
الذين لا يجدون ما ينكحون به من مهر ونفقة
يوم التمكين وكسوة فصله وقيل لا يجدون
ما ينكحون حتى يغنيهم الله اي يوسع عليهم من فضله
فينكحون ولما ذكر تعالى نكاح الصالحين من
العبيد والاما حث على كتابتهم بالحكم التاسع
وهو الامر بالكتابة المذكورة في قوله تعالى والذين
يبتغون الكتاب اي يطلبون المكاتبة مما ملكت
ايمانكم اي من العبيد والاما فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا

اي



اي امانة وقدرة على الكسب لاداء مال الكتابة
سبب نزول هذه الاية ما روي ان غلام حاطب
ابن عبد العزى يقال له الصبيح سال مولاه ان
يكاتبه فابى فانزل الله هذه الاية فكاتبه حاطب
على مائة دينار ووهب له منها عشرين فاداها
وقتل يوم حنين في الحرب واركانها اربعة رقيق
وصيغة وعوض وسيد وشرط السيد كونه
مختارا اهل تبرع وولا وكتابة مريض مرض الموت
محسوبة من الثلث فان خلف مثلي قيمته
صحت الكتابة في كله او مثل قيمته صحت في ثلثيه
او لم يخلف غيره صحت في ثلثه وشرط في الرقيق
اختيار وعدم صبي وجنون وان لا يتعلق به
حق ادمي لازم وشرط في الصيغة لفظ يشعر
بالكتابة كان يقول السيد لمملوكه كاتبتك على
الفين في شهرين كل شهر الف فاذا اديتهما فانت
حر فيقول قبلت ذلك فلا يصح عقدها الا موجلا
منجما بنجمين فاكثر كما جرى عليه الصحابة ومن
بعدهم فلا بد من بيان قدر العوض وصفته
وعدد النجوم وقسط كل نجم فلا يجوز عند

الشافعي بنجم واحد ولا حالا لان العبد لا يملك شيا
فيعقد حالا امنع من حصول الغرض لانه لا يقدر
على اداء البدل عاجلا وعند ابي حنيفة يجوز
حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى
لم يذكر التنجيم وقياسا على ساير النجوم العقود
وهي سنة لا واجبة وان طلبها الرقيق لئلا
تبطل اثر الملك وتتحكم المماليك على الملاك
بطلب رقيق امين قوي على الكسب وبهما
فسر الشافعي الخير في الاية واعتبرت الامانة
لئلا يضيع ما يحصله فلا يعتق والطلب
والقدرة على الكسب ليوثق بتحصيل النجوم
روي انه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق
على الله عونهم المكاتب الذي يريد الادا والناكح
يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله فان
فقدت هذه الشروط او بعضها فمباحة
اذ لا يقوى رجا العتق بها ولا يكره بحال لانها
عند فقد ما ذكر قد تفضي الى العتق نعم ان كان
الرقيق فاسقا بسرقة او نحوها وعلم سيده
انه لو كاتبه مع العجز عن الكسب اكتسب

بطريق



بطريق الفسق لم يبعد تحريمها لتضمنها التمكين
من الفساد ويصح على عوض قليل وكثير ويجب
ان يحط عنه قبل عتقه متمولا من النجوم او يدفعه
اليه من جنسها او من غيرها كما قال تعالى وآتوهم
امر للسادة من مال الله الذي آتاكم ما تستعينون
به في اداء ما التزموه لكم وفي معنى الايتاء حط شيء
متمول مما التزموه بل الحط اولى من الدفع لان
القصد بالحط الاعانة على العتق وهي محققة فيه
موهومة في الدفع اذ قد يصرف المدفوع في جهة
اخرى وكون ذلك في النجم الاخير اولى منه فيما قبله
لانه اقرب الى العتق روي ان عمر رضي الله عنه كاتب
عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في
الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال
استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى اخر نجم
فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وكونه ربعا من
النجوم اولى فان لم تسمح به نفسه فكونه سبعا
اولى روى حط الربع النسائي وغيره وحط السبع
مالك عن ابن عمر وعند ابي حنيفة امر للمسلمين
على جهة الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم

سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال لقوله
وفي الرقاب ولما بين تعالى ما يصح من تزويج العبيد
والاما اتبع ذلك بالحكم العاشر وهو الاكراه
على الزنا المذكور في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم
اي اماءكم على البغا اي الزنا كان لعبد الله بن ابي
راس المنافقين ست جوار معاذة ومسيكة
واميمة دعمرة واروى وقتيلة يكرههن على
البغا وضرب عليهن ضرايب فشكت ثنتان
منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وكذلك كانوا في الجاهلية يواجرون اماءهم
فلما جاء الاسلام قالت مسيكة لمعاذة ان
هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين
فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا
فقد ان لنا ان ندعه فانزل الله تعالى هذه الاية
وروي انها جات احدى الجاريتين ببرد وجات
الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا
والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا
فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكيا
اليه فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد
والامة



والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي
ولا يقل عبدي وامتي ان اردن تحصنا اي تعففا
عنه وهذه الارادة محل الاكراه فلا مفهوم للشرط
لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا
لم ترد المراة التحصن فانها تبغي بالطبع طوعا وكلمة
ان وايثارها على اذا ايذان بان الباغيات
كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما
وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ
النادر ولان الكلام ورد على سبب وهو الذي
ذكر في سبب نزول الاية فخرج النهي على صورة
صفة السبب وان لم تكن شرطا فيه وقال الحسين
ابن الفضل في الاية تقديم وتاخير تقديرها وانكحوا
الايامى منكم ان اردنا تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء لتبتغوا عرض الحياة الدنيا اي لتطلبوا
من اموال الدنيا بكسبهن واولادهن ومن
يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور لهن رحيم
بهن وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال لهن
والله لهن اي لا للمكره الا اذا تاب فان قيل
ان الكراهة عزيمة فلا حاجة الى المغفرة اجيب

بان الزنا لا يباح بالاكراه فهي اثم تمكن لاحد عليها
للاكراه ولما ذكر تعالى في هذه السورة هذه
الاحكام وصف القران بصفات ثلاث احدها
قوله تعالى **ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات**
اي الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت
فيها الاحكام والحدود وقرا ابن عامر وحفص
وحمزة والكساي بكسر اليا التحتية والباقون
بفتحها لانها واضحات بصدقها الكتب المتقدمه
والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين اولاها
بينت الاحكام والحدود ثانيها قوله تعالى
**ومثلا من الذين خلوا من قبلكم** اي من جنس
امثالهم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي
قصة عايشة رضي الله تعالى عنها فانها
كقصة يوسف ومريم عليهما السلام ثالثها
قوله تعالى **وموعظة للمتقين** اي ما وعظ به
في قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله
وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المومنون الخ
وفي قوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا الى اخره وتخصيصها بالمتقين لانهم
المنتفعون



المنتفعون بها واختلف في معنى قوله تعالى
**الله نور السموات والارض** فقال ابن عباس
الله هادي اهل السموات والارض فهم بنوره الى
الحق يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون
وقال الضحاك منور السموات والارض فقال نور السما
بالملايكة ونور الارض بالانبيا وقال مجاهد مدبر
الامور في السموات والارض وقال ابي بن كعب
والحسن وابو العالية مزين السموات والارض
زين السما بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض
بالانبيا والعلما والمومنين ويقال بالنبات
والاشجار وقيل معناه الانوار كلها منه كما يقال
فلان رحمة اي منه الرحمة وقد يذكر مثل هذا
اللفظ على طريق المدح كما قال القايل

اذا سار عبد الله من دار ليلة
فقد سار منها نورها وجمالها

وسبب هذا الاختلاف ان النور في الاصل
كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها
ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من
النيران على الاجرام الكثيفة المحاذية لها وهو

بهذا المعنى يصح اطلاقه على الله تعالى الا على ضرب
من التجوز كالامثلة المتقدمة او على تقدير مضاف
كقولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس
بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات
والارض الحق شبه بالنور في ظهوره وبيانه
كقوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من
الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف
النور الى السموات والارض لاحد معنيين
اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته
حتى تضيء له السموات والارض واما ان
يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون
به واختلف ايضا في معنى قوله تعالى مثل
نوره فقال ابن عباس مثل نوره الذي اعطى
المومن اي مثل نور الله في قلب المومن وهو
النور الذي يهتدي به كما قال تعالى فهو على
نور من ربه وقال الحسن وزيد بن اسلم
اراد بالنور القران وقال سعيد بن جبير
والضحاك هو محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل اراد بالنور الطاعة سمى طاعة الله
نورا



نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تفضلا اي
صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة
اي كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة
فيها مصباح اي سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة
اي قنديل من زجاج شامي ازهر وانما ذكر الزجاجة
لان النور وضوءه فيها ابين من كل شيء وضوءه يزيد في
الزجاج ثم وصف الزجاجة بقوله تعالى الزجاجة
اي النور فيها كوكب دري اي مضيء يشبهها
في الضوء باحدى الدراري من الكواكب الخمسة
العظام وهي المشاهير المشتري والزهرة والمريخ
وزحل وعطارد فان قيل لم شبه بالكواكب
ولم يشبه بالشمس والقمر اجيب بانهما يلحقهما
الخسوف والكسوف والكواكب لا يلحقها ذلك
وقرا ابو عمرو والكسائي بكسر الدال من الدرء بمعنى
الرفع لدفعه الظلام والباقون بضمها منسوب
الى الدر اللؤلؤ في صفائه وحسنه وان كان الكوكب
اكثر ضوءا من الدر لكنه يفضل الدر سائر الحب
وهمز مع المد ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي
والباقون بغير همز وكل من اهل الهمز على مرتبته

في المد توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
ولا غربية ليست بشرقية وحدها لا تصيبها
الشمس اذا غربت ولا غربية فلا تصيبها الشمس
اذا طلعت بل هي صاحبة للشمس طول النهار
تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون
شرقية وغربية تاخذ حظها من الامرين فيكون
زيتها اضوا وهذا كما يقال فلان ليس باسود
ولا بابيض خالص بل اجتمع فيه كل واحد منهما
وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض بل اجتمع
فيه الحلاوة والحموضة هذا قول ابن عباس
والاكثرين وقال السدي وجماعة معناه
انها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا
في مضحاة لا يصيبها ظل فهي لا يضرها شمس
ولا ظل والمقناة بقاف فنون فهمزة وهي
بفتح النون وضمها المكان الذي لا يطلع عليه
الشمس وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
وفي الحديث لا خير في شجرة مقناة ولا في نبات
في مقناة ولا خير فيهما في مضحى قال ابن حجر
العسقلاني لم اجده وقيل معناه انها معتدلة

ليست



ليست في شرق يصيبها الحر ولا في غرب يضرها البرد
وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط
الارض لا شرقي ولا غربي وقيل ليست هذه
الشجرة من اشجار الدنيا لانها لو كانت في الدنيا
لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله
تعالى لنوره يكاد زيتها اي من صفائه يضيء ولو لم
تمسسه نار اي يكاد يتلالا يضيء بنفسه من غير
نار نور على نور اي نور المصباح على نور الزجاجة
تنبيه اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل
فقال بعضهم وقع التمثيل لنور محمد صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار
اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال
كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه
وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه
والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة
هي شجرة النبوة نور محمد وامره يتبين للناس
ولو لم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك بالنور الزيت
يضيء ولو لم تمسسه نار روى مسلم عن عمر في هذه
الاية قال المشكاة جوف النبي صلى الله عليه وسلم

والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله
فيه لا شرقية ولا غربية يعني ان ابراهيم لا يهودي
ولا نصراني توقد من شجرة مباركة وهي ابراهيم
عليه السلام سماه مباركا لان اكثر الانبيا من
صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود
يصلي قبل الغروب والنصارى قبل المشرق يكاد
زيتها يضي ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن
محمد صلى الله عليه وسلم يظهر للناس قبل
ان يوحي اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور
محمد صلى الله عليه وسلم على نور ابراهيم وقال
بعضهم وقع هذا التمثيل لنور قلب المومن
روى ابو العالية عن ابي بن كعب قال هذا مثل
المومن والمشكاة نفسه والزجاجة صدره و
المصباح ما جعل الله من الايمان والقران في قلبه
توقد من شجرة مباركة وهي الاخلاص لله وحده
فمثله كمثل شجرة التفتها الشجر فهي خضرا
ناعمة لا تصيبها الشمس لا اذا طلعت ولا اذا
غربت فكذلك المومن قد احترس من ان يصيبه
شي

شي من الفتن فهو بين اربع خلال ان اعطى شكر
وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق
يكاد زيتها يضي اي يكاد قلب المومن يعرف الحق
قبل ان يبين له لموافقته اياه نور على نور
وقال ابي فهو يتقلب في خمسة انوار قوله نور
وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره
الى النور يوم القيمة قال ابن عباس هذا نور
نور الله وهداه في قلب المومن كما يكاد الزيت
الصافي يضي قبل ان تمسه النار فاذا مسته
النار ازداد ضوا على ضو كذلك قلب المومن
يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاء
العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور
وقال الكلبي قوله تعالى نور على نور يعني
ايمان المومن وعمله وقال السدي نور
الايمان ونور القران وقال الحسن وابن زيد
هذا مثل القران فالمصباح هو القران
فكما يستضا بالمصباح يهتدى بالقران
والزجاجة قلب المومن والمشكاة فمه
ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي

يكاد زيتها يضي يعني حجتا القران تتضح وان
لم يقرا نور على نور يعني القران نور من الله
لخلقه مع ما قام لهم من الدلايل والاعلام قبل
نزول القران فازداد بذلك نورا على نور
يهدي الله لنوره قال ابن عباس دين الاسلام
وقيل القران من يشا فان الاسباب بدون
مشيئته لاغية وقيل توفيق الله الاصابة
للحق من نظر و تدبر بعين عقله والانصاف
من نفسه ولم تذهب عن الجادة للموصلة الى
اليه يمينا وشمالا ومن لم تيدبر فهو كالاعمى
سوا عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار
الشامس ويضرب اي يبين الله الامثال للناس
تقريبا للافهام وتسهيلا للادراك والله بكل شي
عليم وعدا معقولا كان او محسوسا ظاهرا
كان او خفيا وفيه وعيد لمن تدبرهما ولم يكترث
بهما وقوله تعالى في بيوت يتعلق بما قبله
اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد
كانه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور
المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او
بما



او بما بعده وهو يسبح رجال في بيوت وفي
قوله فيها تكرير لقوله في بيوت كقولك زيد في
الدار جالس فيها والمحذوف كقوله تعالى في تسع
ايات اي يسبحون في بيوت والبيوت هي المساجد
قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المساجد
بيوت الله في الارض وهي تضي لاهل السماء
كما تضي النجوم لاهل الارض وقيل المراد
بالبيوت المساجد الثلاثة وقيل المراد اربعة
مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم
واسمعيل عليهما السلام فجعلاها قبلة وبيت
المقدس بناه داوود وسليمان عليهما السلام
ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما النبي
صلى الله عليه وسلم واتى فيها بجمع الكثرة
دون جمع القلة للتعظيم اذن الله ان ترفع قال
مجاهد تبنى نظيره قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت وقال الحسن تعظم اي فلا
يذكر فيها الفحش من القول وتطهر من الانجاس
والاقذار وقوله تعالى ويذكر فيها اسمه عام

فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة
في احكامه وقال ابن عباس يتلى فيها كتابه يسبح
اي يصلي له فيها بالغدو والاصال اي بالغداة
والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلوات المفروضة
فالتي تودى بالغداة صلاة الفجر والتي تودى
بالاصال صلاة الظهر والعصر والعشا لان اسم
الاصيل يقع على هذا الوقت وقيل اراد به
الصبح والعصر قال صلى الله عليه وسلم من صلى
البردين دخل الجنة اراد صلاة الصبح وصلاة
العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة
الضحى وروي من مشى الى صلاة مكتوبة وهو
متطهر فاجره كاجر الحاج المحرم ومن مشى
الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا اياه فاجره
كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما
كتاب في عليين وقرا ابن كثير وابن عامر
وشعبة بفتح البا الموحدة والباقون بكسرها
رجال لا تلهيهم تجارة اي معاملة رابحة وقيل
المراد بالتجارة الشرا لقوله تعالى ولا بيع
عن



عن ذكر الله اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول
رزق فلان تجارة صالحة اذا اتخذ له بيع
صالح او شرا وعلى الاول ذكره مبالغة على التعميم
بعد التخصيص وقيل التجارة لاهل الجلب
يقول تجر فلان في كذا اي جلب تنبيه قوله
تعالى رجال فاعل يسبح بكسر البا وعلى فتحها
نايب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر جواب
سوال مقدر كانه قيل من يسبحه وحذفت
قوله تعالى واقام الصلاة الها تخفيفا اي واقامة
الصلاة واراد بها في وقتها لان من اخر الصلاة
عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة واعاد
ذكر اقامة الصلاة حفظ المواقيت روى
سالم عن ابن عمر انه كان في السوق فاقيمت
الصلاة فقام الناس وغلقوا حوانيتهم فدخلوا
المسجد قال ابن عمر فيهم نزلت الاية وايتا الزكاة
قال ابن عباس اذا حضر وقت اداء الزكاة لم
يحبسوها اي فيخرجون ما يجب اخراجه من
المال للمستحقين وقيل هي الاعمال الصالحة
ومع ما هم عليه يخافون يوما هو يوم القيمة

تتقلب اي تضطرب فيه القلوب بين النجاة والهلاك
والابصار بين ناحيتي اليمين والشمال وقيل
تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من
الشك الى اليقين وتتفتح الابصار من الاغطية
وقوله تعالى ليجزيهم الله متعلق بيسبح او
بلا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا في الطاعا
فرضها ونفلها اي ثوابه الموعود لهم من الجنة
والحسن بمعنى حسن ويزيدهم من فضله ما لم يستحقوا
باعمالهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت وقوله
تعالى والله يرزق من يشا بغير حساب تقرير للزيادة
وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة
الاحسان وكمال جوده وكانه سبحنه وتعالى وصفهم
بالجد والاجتهاد في الطاعات ومع ذلك يكونوا
في نهاية الخوف والله سبحانه وتعالى يعطيهم
الثواب العظيم على طاعتهم ويزيدهم الذي لا حد
له في مقابلة قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب
فحالهم كضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة
نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في
العاقبة كسراب وهو ما يرى في الفلاة وقت

الضحى

الضحى الاكبر شبيها بالما الجاري وليس بما ولكن
الذي ينظر اليه من بعيد يظنه ماء جاريا وقيل
هو الشعاع الذي يرى نصف النهار في شدة الحر
في البراري يخيل للناظر انه الماء السارب اي
الجاري فاذا قرب منه انفش فلم ير شيا واما
الاول فانما يكون اول النهار كانه ما بين السما و
الارض وقال البغوي والاول ما ارتفع من
الارض وهو شعاع يجري بين السما والارض
بالغدوات شبه بالمراة يرفع فيه الشخوص ترى
فيه الصغير صغيرا والكبير كبيرا والقصير طويلا
والرقراق يكون بالعشا وهو ما يرقرق من
السراب اوجا وذهب وقوله تعالى بقيعة جمع
قاع وهي ارض سهلة مطينة وقد انفرجت عنها
الجبال والاكام قال في القاموس وقيل القيعة
بمعنى القاع وهو الارض المستوية المنبسطة وفيها
يكون السراب وقال الفرا جمع قاع كجار وجيرة
وقال الفارسي جمعه قيعة وقيعان يحسبه اي
يظنه الظمان اي العطشان اي الشديد العطش
من ضعف العقل ما فيقصده ولا يزال

نسا يوا حتى اذا جاءه اي ما قدر انه ما وقيل جا الى
موضع السراب لم يجده شيا مما حسبه ووجه
التشبيه ان الذي جا به الكافر ان كان من افعال
البر فهو لا يستحق عليه ثوابا مع انه يعتقدان
له ثوابا عليه وان كان من افعال الاثم فهو مستحق
عليه العقاب مع انه يعتقدان له ثوابا فكيف
كان فهو يعتقدان له ثوابا عند الله تعالى فاذا
وافا عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد
العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فيشبه
حاله حال الظمان الذي اشتدت حاجته الى الما
فاذا شاهد السراب في البر تعلق به قلبه فاذا جا
لم يجده شيا فكذلك ولا ينفعه وقال
مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته
ومفارقة الدنيا فان قيل قوله تعالى حتى اذا
جاءه يدل على كونه شيا وقوله تعالى لم يجده
شيا مناقض له اجيب بان معناه لم يجده
شيا نافعا كما يقال فلان ما عمل شيا وان
كان قد اجتهد او انه اذا جا موضع السراب
لم يجد السراب يرى من بعيد بسبب
الكثافة



الكثافة كانه ضباب وهبا فاذا قرب منه رقا و
انتشر وصار كالهوا ووجد الله عنده اي
وجد عقاب الله الذي توعد به الكفار او وجد
زبانية الله او وجده محاسبا اياه او قدم
على الله فوفاه حسابه اي جزا عمله قيل نزلت
في عتبة بن ربيعة كانه قد تعبد ولبس المسوح
والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام
قال ابن الخازن والاصح ان الاية عامة في جميع
الكفار والله سريع الحساب لانه تعالى عالم بجميع
المعلومات فلم يشغله محاسبة احد عن احد
وفي هذا رد على المشبهة قبحهم الله تعالى لانه
تعالى لو كان متكلما بالة كما يقولون لما صح ذلك
وقوله تعالى او كظلمات عطف على كسراب على
حذف مضاف واحد تقديره او كاعمال ظلمات
فقدر ذي ليصح عود الضمير اليه في قوله تعالى
اذا اخرج يده وليقدر اعمال الكافر باعمال
صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب
الظلمة او للتخيير فان لعمالهم لكونها لاغية لا
منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور

الحق كالظلمات المتراكمة من لجج البحر والامواج والسحاب
او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب
وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار
وقتين فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في
الاخرة وقوله تعالى في بحر لجي صفة لظلمات
فيتعلق بمحذوف واللجي منسوب الى اللج وهو
معظم البحر وقيل منسوب الى اللجة بالتاء
وهو ايضا معظمه فاللجي هو العميق الكثير الما
وقوله تعالى يغشاه اي يغطي هذا البحر
وقوله موج كاين من فوقه موج اي امواج
مترادفة متراكمة من فوقه اي الموج الثاني
المركوم وقوله تعالى سحاب اي غيم غطى النجوم
وحجب انوارها صفة اخرى لبحر وقوله تعالى
ظلمات اي من البحر والموجين والسحاب
خبر مبتدا مضمر تقديره هذه ظلمات او تلك
ظلمات ويجوز ان تكون ظلمات مبتدا والجملة في
قوله تعالى بعضها فوق بعض خبره الكوفي فان
قيل لا مسوغ للابتدا بهذه النكرة اجيب
بانها



بانها موصوفة تقديرا اي ظلمات كثيرة متكاثفة
وقرا البزي سحاب بلا تنوين وجر ظلمات
وقنبل بتنوين سحاب وجر ظلمات والبزي جعل
الموج المتراكم بمنزلة السحاب واما قنبل فانه
جعل ظلمات بدلا من ظلمات الاولى والباقون
بتنوين سحاب وظلمات بالرفع فيهما اذا اخرج يده
اي الكاين في هذا البحر بدلالة المعنى وان لم
يجر له ذكر يده وهو اقرب ما ترى اليه
في هذه الظلمات لم يكد اي الكاين فيه
يراها اي لم يقرب من رويتها فضلا عن ان
يراها كقول ذي الرمة اذا غير النأي اي البعد
وفي نسخة البحر المحبين لم يبس الهوى
اي ثابتة بمعنى الهوى الثابت من حب
مية يكد يبرح اي نزل والمعنى لم يقرب من
البراح فضلا عن ان يبرح تنبيه في كيفية
هذا التشبيه وجوه احدها قال الحسن ان الله
تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر
وظلمة الامواج وظلمة السحاب كذا الكافر
له ظلمات ثلاثة ظلمة الاعتقاد وظلمة

القول وظلمة العمل ثانيها قال ابن عباس
شبه قلبه وسمعه وبصره بهذه الظلمات
الثلاثة ثالثها ان الكافر لا يدري ولا يدري
انه لا يدري ويعتقد انه يدري فهذه المراتب
الثلاثة تشبه تلك الظلمات الثلاثة رابعها
قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم
خامسها ان هذه الظلمات متراكمة فكذا
الكافر لشدة اصراره على كفره قد تراكمت
عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده اظهر
الدلايل لم يفهمه ومن لم يجعل الله اي الملك
الاعظم له نورا فما له من نور قال ابن عباس
من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له
وقيل من لم يهده الله فلا هادي له لانه
تعالى قادر على ما يريد ولما وصف تعالى
انوار قلوب المومنين وظلمات قلوب الجاهلين
اتبع ذلك بدلايل قوله تعالى الم تر اي تعلم
علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة
بالوحي والاستدلال ان الله اي الجامع لصفات
الكمال



الكمال يسبح له اي ينزهه عن كل شايبة نقص من
في السموات والارض لان التسبيح لا يرى بالبصر
بل يعلم بالعقل وهذا استفهام والمراد به التقرير
والبيان وهذا التسبيح اما ان يكون المراد منه
دلالة بخلق هذه الاشيا على كونه تعالى منزها
عن النقايص موصوفا بنعوت الجلال ويكون
المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه
وفي حق الباقين النطق باللسان قال
الرازي والاول اقرب لان القسم الثاني متعذر
لان في الارض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا
المعنى والمكلفون منهم من لا يسبح ايضا بهذا
المعنى كالكفار واما القسم الثاني وهو ان
يقال ان من في السموات وهم الملايكة يسبحون
باللسان واما الذين في الارض فمنهم من يسبح
على لسان الدلالة فهذا يقتضي استعمال
اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو
غير جايز اي عند اكثر العلما فلم يبق الا القسم الاول
وهو ان هذه الاشيا مشتركة في ان اجسامها
وصفاتها دالة على تنزيه الله تعالى وقدرته

وهيبته وتوحيده وعدله فسمي ذلك تنزيها
توسعا فان قيل فالتسبيح بهذا المعني حاصل
لجميع المخلوقات فما وجه تخصيصهما هنا بالعقلا
اجيب بان خلقه العقلا اشد دلالة علي وجود
الصانع سبحانه وتعالي لان العجايب والغرايب
في خلقهم اكثر وهي العقل والنطق والفهم ولما
كان امر الطير دلالته اعجب ولانها قد تكون بين
السما والارض فتكون خارجة عن حكم من فيهما
خصها بالذكر من جملة الحيوان بقوله تعالي
والطير صافات باسطات اجنحتها في جو السما
لاشبهة في انه لا يمسكها الا الله تعالي وامساكه
لها في الجو انها اجرام ثقيلة وتقديره لها فيه
علي القبض والبسط حجة قاطعة علي كمال
قدرته تعالي واختلف في عود الضماير في
قوله تعالي كل اي من المخلوقات قد علم صلاته
وتسبيحه علي قولين احدهما انها كلها
عايدة علي كل قد علم صلاته وتسبيحه اي كل
قد علم هو صلاة نفسه وتسبيحها قال ابن
عباس عادل وهذا اولي ليوافق الضماير
ثانيهما



ثانيهما ان الضمير في علم الله عايد الي الله تعالي
وفي صلاته وتسبيحه عايد علي كل ويدل عليه
قوله تعالي والله اي المحيط علما وقدرة عليم بما
يفعلون وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته و
تسبيحه وهذا يويد ان المراد من التسبيح الدلالة علي
هذه الامور علي التنزيه لا علي النطق باللسان
روي ان ابا ثابت قال كنت جالسا عند ابي
جعفر الباقر فقال لي اتدري ما تقول هذه العصافير
عند طلوع الشمس وعند غروبها قلت لا قال
فانهن يقدسن ربهن ويسالنه قوت يومهن
قال بعض العلما انا نشاهد من الطيور وساير
الحيوانات اعمالا لطيفة يعجز عنها كثير من العقلا
فاذا كان كذلك فلم لا يجوز ان يلهمها معرفة
ودعاه وتسبيحه وبيان انه تعالي الهمها
الاعمال اللطيفة بوجوه احدها ان الدب
يرمي بالحجارة ويأخذ العصي ويرمي الانسان
حتي يتوهم انه مات فيتركه وربما عاود يشمه
ويتجسس نفسه ويصعد الشجر اخف
صعود ويهشم الجوز بين كفيه تفريقا بالواحدة

وصدمة بالاخرى ثم تفتح فيه فيذر قشره
وتتغذى به ويحكى عن الفار في سرقته
امور عجيبة ثانيها امر النحل وما لها من
الرياسة والبيوت المسدسة التي لا يمكن من بناها
افاضل المهندسين ثالثها انتقال الكركى من طرف
من اطراف العالم الى الطرف الاخر طالبا لما يوافقها
من الاهويه ويقال من خواص الخيل ان كل واحد
يعرف صوت الفرس الذى قاتله وقتا ما والتماسيح
بفتح افواهها لطاير يرفع عليها يقال لها
القطقاط وينظف ما بين اسنانها وعلى راس القطقاط
ذلك الطاير كالشوكة فاذا هم التمساح
بالتقام ذلك الطاير تاذى من ذلك الشوكة
فيفتح فاه فيخرج ذلك الطاير والسلحفاه
تتناول بعد اكل الحية صعترا جبليا ثم
تعود وقد عوفت من ذلك وحكي عن بعض
الثقاة المجربين للصيد انه شاهد الحبارى
تقاتل الافعى وتنهزم عنها الى بقلة تتناول
منها ثم تعود ولا تزال كذلك وان كان ذلك
الشخص قاعدا فى كن وكانت البقلة
قريبة



قريبة من مسكنه فلما اشتغل الحبارى بالافعى قلع البقلة
فعاد الحبارى الى منبتها فلم يجدها فاخذ يدور حول
منبتها دورا متتابعا حتى خر ميتا فعلم الشخص
انه يعالج باكلها من اللسعة وتلك البقلة هي الجرجير
البري وابن عرس يستظهر في مقاتلة الحية باكل
السذاب فان النكهة السذابية ينفر عنها والافعى
والكلاب اذا وردت بطونها اكل سنبل القمح واذا
خرجت داوت الجراحة بالصعتر الجبلي رابعها
القنافذ قد تحس بالشمال والجنوب قبل الهبوب
فتغير المدخل الى جحرها وكان رجل بالقسطنطنيه
قد اثرى بسببه ينذر بالرياح قبل هبوبها
وينتفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذ
في داره يفعل الصنيع المذكور فيستدل به والخطاف
صناع في اتخاذ العش من الطين وقطع الخشب
فان اعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل
جناحاه قدرا من الطين واذا فرخ بالغ في تعهد
الفراخ وتاخذ ذرقها بمنقارها وترميها من
العش والغرانيق تصعد في الجو عند الطيران
فان حجب بعضها عن بعض سحابا او ضباب

احدثت عن اجنحتها هفيفا مسموعا ينبع به
بعضها بعضا واذا باتت على جبل فانها تضع
روسها تحت اجنحتها الا القايد فانه ينام
مكشوف الراس فيسرع انتباهه واذا سمع
جرسا صاح وحال النمل في الذهاب الى مواضعها
على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا امر
عجيب واذا كشف عن بيوتها الساتر الذي
الذي كان يسترها وكان تحته بيض لها
فان كل نملة تاخذ بيضة في فمها وتذهب
في اسرع وقت والاستقصا في هذا الباب
مذكور في كتاب طبايع الحيوانات والمقصود
من ذلك ان الفضلا من العقلا يعجزون عن
امثال ذلك الحيل واذا كان كذلك فلم لا
يجوز ان يقال انها تسبح الله تعالى وتثني
عليه واذا كانت غير عارفة بساير الامور
التي يعرفها الناس ويويد هذا قوله تعالى
ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله صلى الله
عليه وسلم ان نوحا عليه السلام اوصى
ابنه عند موته بلا اله الا الله فان السموات
السبع والارضين السبع لو كنا حلقة

بهيمة



بهيمة قصمتهن وسبحان الله وبحمده فانها
صلاة كل شي وبها يرزق الخلق وقال الغزالي
في الاحيا وعن ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت
من صلاة الملايكة وتسبيح الخلايق وبها يرزقون
قال فقلت وما هي يا رسول الله قال قل سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله ماية
مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تاتيك
الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل
كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيمة لك ثوابه
ثم نبه سبحنه وتعالى بقوله تعالى ولله ملك
السموات والارض على ان الكل منه لان كل ما
سواه ممكن ومحدث والممكن والمحدث لا يوجد
الا عند الانتها الى القديم الواجب الوجود ويدخل
في هذا جميع الاجرام والاعراض وافعال العباد
واحوالهم وخواطرهم وفي قوله تعالى والى الله
اي الذي له الاحاطة بكل شي المصير دليل على
المعاد وانه لا بد من مصير الكل اليه بعد الفنا

والروية فهي قوله سبحانه وتعالى الم تر
يصرفه ان الله اي ذو الجلال والجمال يزجي
سحابا اي يسوقه برفق بعد ان انشاه من
العدم تارة من اسفل وتارة من العلو
صفيفا رقيقا متفرقا قال ابو حيان وهو اسم
جنس واحده سحابة والمعنى يسوق سحابة
الى سحابة وهو معنى قوله تعالى ثم يولف
بينه اي بين اجزايه بعد ان كان قطعا في
جهات مختلفة فيجعل القطع المكنوفة قطعة
واحدة ثم يجعله ركاما في غاية العظمة متراكما
بعضه على بعض بعد ان كان في غاية الرقة
فترى اي في تلك الحالة المستمرة الودق اي
المطر يخرج من خلاله اي من فتوقه التي حدثت
بالتراكم وارهاص بعضه من بعض فان قيل بين
انما تدخل على مثنى فما فوقه فلم دخلت هنا
على مفرد اجيب بان المراد بالسحاب الجنس
فعاد الضمير على حكمه او على حذف مضاف اي
بين اجزايه كما مر وبين قطعه فان كل قطعة
سحابة وقراء السوسي فترى في الوصل بالامالة

بخلاف

بخلاف عنه والباقون بالفتح واما في الوقف
فابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة المحضة
وورش بالامالة بين بين والباقون بالفتح وينزل
من السما اي من الغمام وكل ما علاك فهو سما
من جبال فيها اي في السما وهي السحاب الذي
صار بعد تراكمه كالجبال وقوله تعالى من برد
بيان للجبال والمفعول محذوف اي وينزل مبتدا
من السما من جبال فيها من برد بردا فمن الاولى
لابتدا الغاية باتفاق والثانية للتبعيض
والثالثة للبيان ويجوز ان تكون الثانية
لابتدا الغاية ايضا ومجرورها بدل من الاولى
باعادة العامل والتقدير وينزل من جبال اي
من جبال فيها فهو بدل اشتمال والاخرة للتبعيض
واقع موقع المفعول فان قيل ما معنى من جبال
فيها من برد اجيب بان فيه معنيين احدهما
ان يخلق الله في السما جبال برد كما خلق في الارض
جبال حجر وليس في العقل قاطع يمنعه الثاني
ان تريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان
يملك جبالا من ذهب وقرا ابن كثير وابو عمرو

بسكون النون عند البزي وتخفيف الزاي والباقون
بفتح النون وتشديد الزاي ثم بين تعالى ان
ذلك باختياره وارادته بقوله تعالى فيصيب
به اي بكل من البرد والمطر على وجه النعمة
والرحمة من يشا اي من الناس وغيرهم
ويصرفه عن من يشا صرفه عنه فايدة
عن مقطوعة عن من في الرسم ثم نبه تعالى
على ما هو غاية في العجب في ذلك مما في السماء
من النور الذي ربما نزل من صاعقة فاحرقت
ما لا يحرق النار بقوله تعالى يكاد اي يقرب
سنا اي ضوء برقه وهو اضطراب النور في
خلاله يذهب اي هو ملتبسا بالابصار اي الناظرة
له اي يخطفها لشدة لمعانه وتلالؤه فيكون
قوة البرق دليلا على تكاثف السحاب وبشيرا
بقوة المطر وقد ينذر بنزول الصواعق واعلم
ان البرق الذي صفته كذلك لا بد وان يكون
نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد
فظهوره يقتضي ظهور الضد من الضد
وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم

ثم



ثم ذكر تعالى ما هو دال على الاختيار بقوله
تعالى مترجما للماضي وزيادة يقلب الله اي
الذي له الامر كله بتحويل الظلام ضيا والضيا
ظلاما والنقص تارة والزيادة اخرى مع
المطر تارة والنوء اخرى الليل والنهار فينشا
عن ذلك فالتقليب من الحر والبرد والنمو والتنويع
وليس ما يعم العقول ولهذا قال منبها
على النتيجة ان في ذلك الامر العظيم الذي ذكر
من جميع ما تقدم لعبرة اي دلالة على وجود
الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ
مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليه
لاولي الابصار اي لاصحاب البصاير على قدرة
الله تعالى وتوحيده ولما استدل تعالى اولا
باحوال السما والارض وثانيا بالاثار العلوية
استدل ثالثا باحوال الحيوانات بقوله والله اي
الذي له العلم الكامل والقدرة الشاملة خلق
كل دابة اي حيوان من ماء وقرا حمزة والكسائي
بالف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وكسر لام
كل والباقون بفتح اللام والخاء ولا الف بينهما

ونصب لام كل فان قيل كثير من الحيوانات لم يخلق
من الماء كالملائكة خلقوا من النور وهم اعظم الحيوانات من الماء هو
عددا وكذا الجن وهم مخلوقون من النار وخلق
ادم من التراب كما قال تعالى خلقه من تراب
وخلق عيسى من الريح كما قال تعالى ونري
كثيرا من الحيوانات يتولد لا من نطفة اجيب
بوجوه احسنها ما قال القفال ان من صلة
كل دابة وليس هو من صلة خلق والمعنى
ان كل دابة متولدة من الما فهي مخلوقة لله تعالى
ثانيها ان اصل جميع المخلوقات من الماء على
ما روي ان الما اول ما خلق الله جوهرة
فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ما ثم من ذلك
الما خلق النار والهوا والنور والمقصود من
هذه الاية بيان اصل الخلقة وكان اصل الخلقة
الما فلهذا ذكره الله تعالى ثالثها المراد من الدابة ٥
التي تدب على وجه الارض ومسكنها هناك فتخرج
الملائكة والجن لانها الما كان الغالب من هذه
الحيوانات كونها مخلوقة من الما اما لانها متولدة
من النطفة واما لانها لا تعيش الا بالما اطلق
عليها



عليها لفظ كل تنزيلا للغالب منزلة الكل فان قيل
لم نكر في قوله تعالى من ماء وعرفه في قوله تعالى
من الماء كل شي حي لان المقصود هناك كونهم
مخلوقين من هذا الجنس وهنا بيان ان ذلك
الجنس ينقسم الى انواع كثيرة فمنهم اي الدواب
من يمشي على بطنه كالحية والحيتان والديدان
واستعير المشي للزحف على البطن كما قالوا في
الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان ما
مشى له امر وسمي بذلك للمشاكلة لذكر الزحف
مع الماشي ومنهم من يمشي على رجلين اي فقط
كالادمي والطير ومنهم من يمشي على اربع اي
من الايدي والارجل كالنعم والوحش فان
قيل لم حصر القسمة في هذه الثلاثة انواع من
المشي وقد يجد من يمشي على اكثر من اربع كالعناكب
والعقارب والحيوان الذي له اربع واربعون
رجلا الذي يسمى دخال الاذن اجيب
بان هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر فكان
ملحقا بالعدم وقال النقاش انه اكتفى بذكر
ما يمشي على اربع لان جميع ما الحيوان

انما اعتاده على اربع وهي قوايم مشيته وكثرة
الارجل لبعض الحيوان ذلك في الخلقة لا يحتاج
ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها وبان قوله تعالى
يخلق الله ما يشا كالتتمية على سائر
الاقسام فان قيل لم جات الاجناس الثلاثة
على هذا الترتيب اجيب بانه قدم ما هو
اعرف من القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي
من له اربع ارجل او قوايم ثم الماشي على
رجلين ثم الماشي على اربع تنبيه انما
اطلق من على غير العاقل لاختلاطه بالعاقل
في المفصل بمن وهو كل دابة وكان التعبير
بمن اولى ليوافق اللفظ ولما كانت هذه
الادلة ناظرة الى البعث اتم نظر وكانوا منكرين
له اكد ذلك قوله تعالى ان الله اي الذي له
الكمال المطلق على كل شي قدير من ذلك وغيره
قدير لانه القادر على الكل والعالم بالكل فهو
المطلع على احوال هذه الحيوانات فاي عقل
تقف عليها واي خاطر يصل الى ذرة من
اسرارها بل هو الذي يخلق ما يشا
كيف يشا ولا يمنعه منه مانع ولما اتضح
هذا

هذا ما لله من صفات الكمال والتنزه عن كل
شائبة نقص وقامت ادلة الوحدانية على
ساق واستقت براهين الالوهية اي اتساق
قال تعالى مترجما لتلك الادلة لقد انزلنا اي في
هذه السورة وما تقدمها بما لنا من العظمة
ايات من الحكم والاحكام والادلة والامثال مبينات
للحقايق بانواع الدلايل التي لا خفا فيها والله
اي الملك الاعظم يهدي من يشا من عباده الى صراط
اي طريق مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى دار
الحق والفوز بالجنة ولما ذكر تعالى التوحيد
اتبعه بذم قوم اعترفوا بالدين بالسنتهم ولكنهم
لم يفعلوا بقلوبهم فقال تعالى ويقولون اي الذين
ذمهم الله تعالى امنا بالله اي الذي اوضح لنا
جلاله وعظمته وكماله وبالرسول اي الذي علمنا
كمال رسالته وعمومها بما اقام عليها من الادلة
واطعنا اي واوجدنا الطاعة لله ولرسوله
ثم عظم المخالفة بين الفعل والقول باداة البعد
فقال تعالى ثم يتولى اي يرتد بانكار القلب
ويعرض عن طاعة الله ورسوله ضلالا منهم

منهم عن الحق فريق منهم اي ناس يقصدون الفرقة
من هولاء الذين قالوا هذه المقالة من بعد ذلك
اي القول المسدد الموكد مع الله الذي هو اكبر من
كل شي ومع رسوله الذي هو اشرف الخلايق
وما اولئك اي البغضاء الذين صاروا بتوليهم
في محل البعد بالمومنين اي المعهودين الموافق
قلوبهم السنتهم فان قيل انه تعالى حكى عنهم
انهم يقولون امنا ثم حكى عن بعضهم التولي
فكيف يصح ان يقول في جميعهم وما اولئك
بالمومنين مع ان التولي فريق اجيب
بان قوله تعالى وما اولئك بالمومنين راجع
الى الذين تولوا الا الى الجملة ولو رجع الى
الجملة الاولى لصح ويكون معنى قوله تعالى ثم
يتولى فريق منهم اي يرجع هذا الفريق الى
الباقي فيظهر بعضهم لبعض الرجوع كما اظهروه
ولما فضحهم بما اخفوه من توليهم قبح عليهم
اي الفريق بما اظهروه فقال تعالى معبرا
باداة التحقيق واذا دعوا اي الفريق اي الذين
ادعوا الايمان من اي داع كان الى الله الى ما
نصب



نصب الملك الاعظم من احكامه ورسوله وافرد
الضمير في قوله تعالى ليحكم وقد تقدمه اسمان وهما
الله ورسوله فهو كقوله تعالى والله ورسوله
احق ان يرضوه لان حكم رسوله هو حكمه قال
الزمخشري كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد
ومنه ومنهل في الفلاة اوسطه عليته قبل
القطا وفرطها اي قبل فرط القطا بينهم اي بما اراده
الله اذا فريق منهم اي ناس مجبولون على الاداء
معرضون اي فاجوا الاعراض اذا كان الحق عليهم
لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة
فيه وان يكن لهم اي على سبيل الفرض الحق اي بلا
شبهة ياتوا اليه اي الرسول مذعنين اي منقادين
لعلمهم بانه يحكم لهم لانهم يعلمون انه جا برفع
الحق لهم وعليهم فليس انقيادهم لطاعة الله
ورسوله تنبيه قوله تعالى اليه يجوز تعليقه
بياتوا لان اتى وجا قد جاءا معديين بالى ويجوز ان
يتعلق بمذعنين لانه بمعنى مسرعين في الطاعة
وصححه الزمخشري قال التقدم صلته ودلالته
على الاختصاص ومذعنين حال ثم قسم تعالى

الامر في صدودهم عن حكومته صلى الله عليه وسلم
اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى
القلوب بقوله تعالى أفي قلوبهم مرض أي نوع
فساد من اصل الفطرة يحملهم على الضلال
او مرتابين في نبوته بقوله تعالى ام ارتابوا
أي بان راوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم
بك او خايفين الحيف في قضايه بقوله تعالى ام
يخافون ان يحيف اي يجور الله اي الغني عن كل
شي له كل شي عليهم ورسوله اي الذي لا ينطق
عن الهوى ثم اضرب عن القسمين الاخرين
كتحقيق القسم الاول بقوله تعالى بل اولئك
اي البعدا ايضا هم الظالمون اي الكاملون
في الظلم ووجه التقسيم ان امتناعهم في خلل
فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا
عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب
نبوته وفرط امانته تمنعه فتعين الاول
فظلمهم بعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم
الى الحيف وضمير الفصل لنفي ذلك عن غيرهم
فان قيل اذا خافوا ان يحيف الله عليهم





ورسوله فقد ارتابوا في الدنيا واذا ارتابوا ففي
قلوبهم مرض والكل واحد فاي فايدة في التعديد
اجيب بان قوله تعالى أفي قلوبهم مرض اشار
به الى النفاق وقوله تعالى ام ارتابوا اشار
الى انهم بلغوا في حب الدنيا الى حيث يتركون
الدين بسببه فان قيل هذه الثلاثة متغايرة
ولكنها متلازمة فكيف اذا دخل عليها كلمة ام لا
اجيب بانه تعالى نبههم على كل واحد من
هذه الاوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق
وكان فيها شك وارتياب وكانوا يخافون الحيف
من الرسول وكل واحد من ذلك كفر ونفاق
واختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقال
مقاتل نزلت في بشر المنافق وكان قد خاصم
يهوديا في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد
صلى الله عليه وسلم وقال المنافق نتحاكم
الى كعب ابن الاشرف فان محمدا يحيف علينا فانزل
الله تعالى هذه الاية وقد مضت قصته
في سورة النسا وقال الضحاك نزلت في المغيرة
ابن وايل كان بينه وبين علي رضي الله تعالى

ارض تقاسماها فوقع الى على ما لا يصيبه الما
الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها
اياه وتقابضا فقيل للمغيرة اخذت سبخة
لا ينالها الما فقال لعلي اقبض ارضك فانما
اشتريتها ان رضيتها ولم ارضها فقال علي
اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها
لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد
فلا اتيه ولا احاكم عليه فانه يبغضني وانا
اخاف ان يحيف علي فنزلت الاية وقال الحسن
نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون
الايمان ويسرون الكفر ولما نفى تعالى عنهم
الايمان الكامل بما وصفهم الله تعالى به كان
كانه سئل عن حال المومنين فقال تعالى انما
كان اي دايما قول المومنين اي الفريقين في ذلك
الوصف اذا دعوا اي من اي داع كان الى الله
اي الى ما انزل الملك الذي لا كفو له من احكامه
ورسوله اي الذي لا ينطق عن الهوى ليحكم
اي الرسول بينهم بما اراه الله تعالى

اي



اي حكومة من الحكومات لهم او عليهم ان يقولوا
سمعنا اي الدعا واطعنا اي بالاجابة لله و
لرسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس
على طريق الخبر ولكنه تعليم ادب الشرع يعني
ان المومنين ينبغي ان يكونوا هكذا واوليك اي العالوا
الرتبة هم المفلحون الذين وصفهم الله تعالى
في اول المومنين وهذا يدل على عادته تعالى في
اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد
انكاره لما لا ينبغي ولما رتب تعالى الفلاح على هذا
النوع الخاص اتبعه عموم الطاعة بقوله تعالى ومن
يطع الله اي الذي له الامر كله ورسوله اي فيما
ساه وسره ويخش الله اي فيما صدر عنه من
الذنوب في الماضي ليحمله ذلك على كل خير ويتقه اي
الله فيما بقي من عمره بان يجعل بينه وبين ما
يسخطه وقاية من المباحات فيتركها ورعا
فاوليك اي العالوا الرتبة هم الفايزون
بما لا عين رات ولا اذن سمعت من النعيم المقيم
وعن ابن عباس في تفسير هذه الاية وقرا ابو عمرو

وشعبة وخلاد بسكون الها بخلاف عن خلاد و
قالون باختلاس كسرة الها وحفص بسكون
الكاف وقصر كسرة الها والباقون وخلاد في احد
وجهيه باشباع كسرة ولما ذكر تعالى ما رتب على
الطاعة الظاهرة التي هي دليل الانقياد والباطن
ذكر حال المنافقين بقوله تعالى واقسموا بالله
اي الذي له الكمال المطلق وقوله تعالى جهد ايمانهم
اي مستعارين جهة نفسه اذا بلغ اقصى وسعها
وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها
د وكادها وعن ابن عباس من قال بالله فقد
بالغ في اليمين وبلغ في غاية شدتها لئن امرتهم
ليخرجن قل اي لهم لا تقسموا اي لا تحلفوا فان
العلم بما انتم عليه لا يحتاج الى الاقسام وههنا
قطع الكلام ولو كان قسمهم صادقا لما نهوا
عنه لان من حلف على القيام بالبر لا ينهى عنه
فثبت ان قسمهم كان لنفاقهم وكان باطنهم يخالف
ظاهرهم ومن نوى الغدر لا الوفا فقسمه قبيح
قال المتنبي
وفي يمينك فيما انت واعده ما دل انك في الميعاد متهم

وفي



وفي رفع قوله تعالى طاعة معروفة ثلاثة اوجه
احدها انه خبر مبتدا مضمر تقديره امرنا طاعة
والمطلوب طاعة ثانيها انه مبتدا والخبر انه محذوف
اي امثل او اولى وخبر اي طاعة معروفة للنبي
صلى الله عليه وسلم خير من قسمكم الذي لا تصدقونه
فيه ثالثها طاعة مبتدا اي هذه الحقيقة
ومعروفة هو الخبر اي معروفة منكم ومن غيركم
وارادة الحقيقة هو الذي يسوغ الابتدا بها
مع تنكير لفظها لان العموم الذي يصلح له كما قالوا
من اعرف المعارف والمعنى ان الطاعة وان اجتهد
العبد في اخفايها لا بد ان تظهر مخايلها على شمايله
وكذا المعصية لان ما اسر العبد سريرة الا البسه
الله رداها رواه الطبراني وعن عثمن بن عفان
رضي الله عنه قال لو ان رجلا دخل بيتا في
جوف بيت فادى هناك عملا اوشك الناس
ان يتحدثوا به وما من عامل عمل عملا الا كساه
الله ردا عمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا
فشر وعن سعيد لو ان احدكم يعمل في صخرة
صما ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس

كاينا ما كان ان الله اي الذي له الاحاطة بكل شي
خبير بما تعملون اي لا يخفى عليه شيء من سرايركم فانه
فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم ولما نبه
تعالى على خداعهم واشار الى عدم الاعتذار بايمانهم
امره بترغيبهم وترهيبهم مشيرا الى الاعراض
بعقوبتهم بقوله تعالى قل اي لهم اطيعوا الله
اي الذي له الكمال المطلق واطيعوا الرسول اي
النبي له الرسالة المطلقة ظاهرا وباطنا وقوله
تعالى فان تولوا اي عن طاعته بحذف احدى
التاءين خطاب لهم اي فان يتولوا فما ضروه
وانما ضررتم انفسكم فانما عليه اي محمد صلى الله
عليه وسلم ما حمل اي ما حمله الله من اداء
الرسالة واذا ادى فقد خرج عن عهدة
التكليف وعليكم اي وما انتم فعليكم ما حملتم
اي ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان
فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم
لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد
احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى
فالنفع والضر عائد اليكم وان تطيعوه بالاقبال

عائد

ع



على كل ما يامركم به تهتدوا اي الى كل خير وما على الرسول
اي من جهة غيره الا البلاغ اي وما الرسول الا
ناصح وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا
عليه ضرر في توليتكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاذى
بمعنى التاذية ومعنى المبين كونه مقرونا
بالايات والمعجزات روي انه صلى الله عليه وسلم
قال على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة
الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب
وقال ابو امامة الباهلي عليكم بالسواد الاعظم
فقال رجل ما السواد الاعظم فنادى ابو امامة
هذه الاية في سورة النور فان توليتم فانما
عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله تعالى وعد
الله اي الذي له الاحاطة بكل شيء الذين امنوا
منكم وعملوا اي تصديقا لايمانهم الصالحات خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والامة اوله ولمن
معه ومن للبيان ثم اكد غاية التاكيد بلام
القسم لما عند اكثر الناس من الريب في ذلك
بقوله تعالى ليستخلفنهم في الارض اي ارض

العرب والعجم بان يمد زمانهم وينفذ احكامهم فيجعلهم
متطرفين في الارض تصرف الملوك في ممالكهم كما استخلف
الذين من قبلهم اي من الامم من بني اسرايل وغيرهم
من كل من حصلت له مكنة وظهر على الاعداء
بعد الضعف الشديد كما كتب في الزبور ان
الارض يرثها عبادي الصالحون وكما قال موسى
عليه السلام ان الارض لله يورثها من يشا
من عباده والعاقبة للمتقين وقرا ابو بكر بضم
التا الفوقية وكسر اللام والباقون بفتح التا
واللام وليمكنن لهم اي في الباطن والظاهر
دينهم الذي ارتضى لهم وهو دين الاسلام
وتمكينه تثبيته وتوكيده واضافته اليهم
اشارة الى رسوخ اقدامهم فيه وانه الذي لا
ينسخ لما بشرهم بالتمكين اشار لهم الى مقدار
بقوله تعالى وليبدلنهم من بعد خوفهم اي الذي
كانوا عليه امنا وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين
خايفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون
في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما
يأتي



ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح
فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسير
حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا
ليس فيه حديدة وانجز الله تعالى وعده
واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد
بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة
وملكوا خزاينهم واستولوا على الدنيا و
استعبدوا ابنا القياصرة وملكوا شرقا
وغربا امكنة لم تحصل قبلهم لامة من الامم
كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي
الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتي ما زوي لي منها ولما قتلوا عثمن
رضي الله عنه وخرجوا على علي ثم ابنه الحسن
نزع الله تعالى ذلك الامر كما اشير اليه بمن
وتنكير امنا وجاء الخوف واستمر يتطاول
ويزداد قليلا الى ان صار في زماننا هذا
الى امر عظيم وذلك تصديقا لقوله عليه
الصلاة والسلام الخلافة بعدي ثلاثون
سنة ثم يملك الله من يشا فيصير ملكا

ثم تصير بزيزي قطع سبيل وسفك دما واخذ
اموال بغير حقها والثلاثون خلافة ابو بكر
سنتان وخلافة عمر عشرة وخلافة عثمان اثني
عشر وخلافة علي ستة والبزيزي بكسر البا
وتشديد الزاي الاولى والقصر السلب والتغلب
وقوله قطع السبيل نصب اما عطف بيان لقوله
بزيزيا وبدل منه وقرا ابن كثير وابو بكر بسكون
البا الموحدة وتخفيف الدال والباقون بفتح الموحدة
وتشديد الدال ثم اتبع ذلك بنتيجة بقوله تعالى
تعليلا للتمكين وما معه يعبدونني اي وحدي
وقوله تعالى لا يشركون بي شيئا حال من الواو
في يعبدونني لا يشركون فان قيل فما محل يعبدونني
اجيب بانه مستانف لا محل له كان قايلا قال
ما لهم مستخلفون ويومنون فقال يعبدونني
ويجوز ان يكون حالا من وعدهم او وعدهم الله
ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب
ولما كان التقدير فمن ثبت على دين الاسلام
وانقاد لاحكامه واستقام نال هذه البشرى
عطف عليه قوله تعالى ومن كفر اي ارتد وكفر
هذه

هذه النعمة بعد ذلك اي بعد الوعد والخلافة
فاولئك اي البعداء من الخير هم الفاسقون اي الخارجون
عن الدين خروجا كاملا لا يقبل معه معذرة ولا
يقال لصاحبه عثرة بل يقام عليه الاحكام
بالقتل وغيره ولا يراعى فيه ملام ولا توخذهم
رافة عند انتقام كما تقدم اول السورة فيمن لزمه
الجلد وقيل المراد بالكفر كفران النعمة لا الكفر بالله
وقوله تعالى فاولئك هم الفاسقون اي العاصون
لله وقوله تعالى واقيموا الصلاة فانها قوام ما
بينكم وبين ربكم معطوف على اطيعوا الله واطيعوا
الرسول قال الزمخشري وليس ببعيد ان يقع
بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال
لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه
واتوا الزكاة فانها نظام ما بينكم وبين اخوانكم
واطيعوا الرسول اي في كل ما يامركم به وكررت
طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها لعلكم ترحمون
اي لتكونوا على رجاء من الرحمة ممن لا راحم
في الحقيقة غيره والفاعل في قوله تعالى لا تحسبن
ضمير المخاطب اي لا تحسبن ايها الطالب الذين كفروا اي
وان ازدادت كثرتهم على العدو وتجاوزت عظمتهم

لاحد معجزين اي لاهل ودنا وقيل لنا في الارض
اي فانهم ماخوذون لامحالة وقرا ابن عامر
وحمزة باليا على الغيبة قال النحاس ما علمت
احدا من اهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو
يلحن قراة حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات
الا بمفعول واحد ليحسبن واجيب عن ذلك
من وجهين احدها ان المفعول الاول محذوف
تقديره ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين
الثاني ان حذف احد المفعولين ضعيف عند
البصريين ومنه قول عنترة
ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب الاكرم
اي تظني غيره واقعا الثاني ان المفعولين هما
قوله معجزين في الارض قاله الكوفيون
وقراء الباقون بالتا على الخطاب وفتح السين ابن
عامر وعاصم وحمزة وكسرها الباقون وقوله
سبحانه وتعالى وماواهم النار اي مسكنهم
معطوف على لا يحسبن الذين كفروا معجزين
كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون اهل ودنا
ولا يفوتوننا وماواهم النار فالمراد بهم
المقسمون بالله سبحنه وتعالى جهد

ايمانهم



ايمانهم ولما كانت سكنى الشي لا يكون الا بعد المصير
اليه قال الله تعالى ولبيس المصير اي المرجع
مصيرها فكيف اذا كان على وجه السكنى واختلف
في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية فقال ابن
عباس رضي الله عنهما وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج
ابن عمرو الى عمر رضي الله تعالى عنه وقت الظهيرة
ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رويته ذلك
فنزلت وقال مقاتل نزلت في اسما بنت مرثد
لها غلام كبير فدخل عليها في وقت فكرهته فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان
خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها
فنزلت واللام في ليستاذنكم للامر وملك اليمين
يشمل العبيد والاماء قال بعض المفسرين هذا
الخطاب وان كان ظاهره للرجال فالمراد به
الرجال والنسا لان التذكير يغلب على التانيث
قال الرازى والاولى عندي ان الحكم ثابت
في النسا بقياس جلي لان النسا في باب العورة
اشد حالا من الرجال والنسا اي البالغين

وما قارب البلوغ يستاذنون على كل حال في الليل
والنهار للدخول عليكم كراهة الاطلاع على عوراتكم
والتطرق بذلك الى مساتكم واختلف العلما في
هذا الامر فقيل للندب وقيل للوجوب واستظهر
والذين اي وليستاذنكم الذين ظهروا على
عورات النسا ولكنهم لم يبلغوا الحلم وقيده
بقوله تعالى منكم ليخرج الكفار والارقا وعبر عن
البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلايله ثلاث مرات
في اليوم والليلة وقيل ثلاث استيذانات
في كل مرة فان لم يحصل الاذن رجع المستاذن
كما تقدم المرة الاولى من الاوقات الثلاث
من قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع
وطرح ثياب النوم المرة الثانية وحين تضعون
ثيابكم اي التي للخروج بين الناس من الظهيرة اي شدة
الحر وهو انتصاف النهار و المرة الثالثة
من بعد صلاة العشا لانه وقت الانفصال من
ثياب اليقظة والاتصال بثياب النوم وخص
هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب
والالتحاف باللحاف واثبت من في الموضعين

دلالة



دلالة على قرب الزمن من الوقت المذكور لضبطه
واسقطها في الاوسط دلالة على استغراقه لانه
غير منضبط ثم علل ذلك بقوله تعالى ثلاث
عورات اي اختلالات في الستر والتحفظ لكم
لانها من ساعات وضع الثياب والخلوة قال
البيضاوي واصل العورة الخلل ومنها اعور
اي اذا بدا فيه خلل وقرا انتهى وسميت هذه
الاوقات عورات لان الانسان يضع ثيابه
فيها فربما تبدوا عورته وقرا ابو بكر وحمزة
والكسائي في الوصل ثلاث بالنصب بتقدير
اوقات منصوبا بدلا من محل ما قبله فاقام المضاف
اليه مقامه والباقون بالرفع على انها خبر مبتدا
مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه
اي هي اوقات ويجوز ان يكون مبتدا وخبره
ما بعده ثم بين سبحانه وتعالى حكم ما عدا
ذلك بقوله تعالى مستانفا ليس عليكم اي في
ترك الامر ولا عليهم اي المماليك والصبيان في
ترك الاستيذان جناح اي اثم واصله الميل في
الدخول عليكم في جميع الساعات بعدهن

اي بعد هذه الاوقات الثلاث اذا هجموا عليكم
ثم علل الاباحة في غيرها بحرج الغير بقوله
تعالى **طوافون عليكم** اي لهم ما تحتاجون في
الخدمة كما انتم طوافون عليهم لعمل ما يصلحهم
ويصلحكم في الاستخدام **بعضكم** طواف **على**
**بعض** لعمل ما يعجز عن الاخر او يشق عليه
فلم عم الامر بالاستيذان لا ادى الى الحروج
فان قيل بم رفع بعضكم على بعض اجيب
بانه رفع بالابتدا وخبره على بعض على معنى
طواف على بعض وحذف لان طوافون
يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمر
لتلك الدلالة **كذلك** اي كما بين ما ذكر **يبين**
**الله** اي بما له من احاطة العلم والقدرة
**لكم** ايها الامة **الايات** في الاحكام وغيرها
بعلمه وحكمته **والله** اي الذي له الاحاطة
العامة بكل شي **عليم** بكل شي **حكيم** فيما
يريده فلا يقدر احد على نقضه وختم الاية
بهذا الوصف يدل على انها محكمة لم تنسخ
واختلف في ذلك فقال الزمخشري
عن ابن عباس انه قال اية لا يومن بها
اكثر

اكثر من الناس اية الاذن واني لامر جاريتي اي
زوجتي ان استاذن علي ساله عطا استاذن
على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها
وتلا هذه الاية وعنه ثلاث ايات جحدهن الناس
الاذن كله وقوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم فقال الناس اعظمكم بيتا وقوله واذا
حضر القسمة اولوا القربى وعن ابن مسعود عليكم
ان تستاذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم
وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان
الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان
وعن سعيد بن جبير ان الناس يقولون هي
منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها وقال قوم
هي منسوخة روى البغوي عن ابن عباس
انه قال لم يكن للقوم ستور ولا حجاب
فكان الخدم والولايد يدخلون فربما يرون
منهم ما لا يحبون فامروا بالاستيذان وقد
بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور
فلعل الرواية اختلفت عن ابن عباس ولما
بين تعالى حكم الصبيان والارقا الذين هم

اطوع للامر واقبل لكل خير اتبعه حكم البالغين
من الاحرار بقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم
الحلم اي اذا بلغ اطفالكم الاحرار بلوغ السن
الذي يكون فيه انزال المني راي منيا املا و
اختلف في ذلك السن فقالوا عامة العلما
خمسة عشر سنة اي قمرية تحديدية لا فرق في
ذلك بين الذكر وغيره وقال ابو حنيفة هو
ثماني عشر سنة في الغلام وسبع عشرة سنة
في الجارية وعن علي رضي الله عنه انه يعتبر
القامة ويقدر خمسة اشبار روية اخذ الفرزدق
في قوله

فما زال مذ عقدت يداه ازاره
وسما فادرك خمسة اشبار

واعتبر غيره والانبات للعانة وعن عثمان
رضي الله عنه انه سال عن غلام له فقال هل
اخضر ازاره اي نبت شعر عانته اسند
الاخضرار الى الازار على المجاز لانه مما اشتمل
عليه الازار ونبات العانة الخشن عندنا
علامة على بلوغ ولد الكافر فقط اما



اما اذا راى المني في وقت احتماله وهو استكمال
تسع سنين قمرية فانا نحكم ببلوغه سوا كان
ذكرا ام انثى ام كافرا واما الخنثى فلا بد ان يمني
من فرجيه او يحيض بالفرج ويمني من الذكر فليستا ذنوا
اي على غيرهم في جميع الاوقات كما استاذن الذين
من قبلهم اي من الاحرار الكبار الذين جعلوا قسما
للمماليك فلا يدخل في ذلك الارقا فلا يستدل
بذلك على ان العبد البالغ يستاذن على سيدته
وقيل الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى
عليهم السلام كذلك اي كما يبين لكم ما ذكر
يبين الله لكم اي الذي له الاحاطة والقدرة
اياته الامتيازية اي دلالاته والله الذي يعلم
السر واخفى عليم اي باحوال خلقه حكيم اي فيما
دبر لهم قال سعيد بن المسيب يستاذن
الرجل على امه فانما انزلت هذه الاية في ذلك
وسيل حذيفة ايستاذن الرجل على والدته
قال نعم ان لم تفعل رايت منها ما تكره وعن
انس قال لما كان صبيحة احتلمت دخلت على
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته اني قد

قد احتلمت فقال لا تدخل على النسا انما اتى على يوم
كان اسد سنه ولما ذكر تعالى اقبال الشباب
في تعيين حكم الحجاب اتبعه الحكم عند ادبار الشباب
في القا الظاهر من النسا بقوله تعالى والقواعد من
النساء اي اللاتي قعدن عن الولد والحيض
من الكبر فلا يلدن ولا يحضن واحدتها
قاعد بلا ها وقيل قعدن عن الازواج
ومعنى قوله اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يريدون
الرجال لكبرهن قال ابن قتيبة سميت المرأة قاعد
اذا كبرت لانها تكثر القعود وقال ربيعة هن
العجز اللواتي اذا راهن الرجال استقذرهن فاما
من كان فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة
فلا تدخل في هذه الاية فليس عليهن جناح اي
حرج ان يضعن ثيابهن اي الظاهرة فوق
الثياب الساترة بحضرة الرجال كالجلباب
والردا والقناع فوق الخمار اما الخمار فلا يجوز
وضعه لما فيه من كشف العورة غير متبرجات
بزينة اي من غير ان يردن بوضع الجلباب
والردا الاظهار زينتهن ثم ان الزينة الخفية



في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
او غير قاصدات بالوضع التبرج والتبرج
هو ان تظهر المرأة محاسن ما ينبغي لها ان
تستر ولما ذكر الله تعالى الجائز عقبه بالمستحب
بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها
بقوله تعالى وان يستعففن اي فلا يلقين الردا
والجلباب خير لهن اي من الالقا كقوله
وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا
البعد عن التهمة والله اي الذي جلت عظمته
سميع لقولكم عليم بما في قلوبكم واختلف
في سبب نزول قوله تعالى ليس على الاعمى حرج
اي في مواكلة غيره ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج كذا قال ابن عباس لما انزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى
والعمى والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال
وقد نهانا الله تعالى عن اكل المال بالباطل والاعمى لا
يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا
يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على

الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا
يستوفي من الطعام حقه فانزل الله تعالى هذه
الاية وعلى هذا يكون على بمعنى في اي ليس في
الاعمى اي ليس عليكم في مواكلة الاعمى والاعرج
والمريض حرج قال سعيد بن جبير والضحاك
وغيرهما كانت العرجا والعميان والمرضى يتنزهون
عن مواكلة الاصحا لان الناس يستقذرون
منهم ويكرهون مواكلتهم وعن عكرمة كانت
الانصار في انفسها قزازة فكانت لا تاكل في
هذه البيوت اذا استغنوا وكانوا يقولون
الاعمى ربما اكل اكثر وربما سبقت يده
الى ما سبقت عين اكيلة وهو لا يبصر
والاعرج ربما اخذ في مجلسه مكان اثنين
فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من
رايحة توذي او جرح يبض او نحو ذلك
فنزلت وقال مجاهد نزلت الاية ترخيصا
لهولاء في الاكل من بيوت من سمى الله في هذه
الاية وذلك ان هولا كانوا يدخلون بالرجل
الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده ما
يطعمهم

يطعمهم ذهب بهم الى بيت ابيه وبيت امه وبعض
ما سمى الله تعالى في هذه الاية فكان من اهل
الزمانة يتحرجون من هذا الطعام ويقولون
ذهب بنا الى بيت غيره فنزلت الاية وقال
سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا اغلقوا
منازلهم ويدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون
لا تدخلها وهم غيب فانزل الله هذه الاية
رخصة لهم وقال الحسن نزلت رخصة
لهولاء في التخلف عن الجهاد وقال الكلام عند
قوله تعالى ولا على المريض حرج وقوله تعالى
ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم كلام مستانف
منقطع عما قبله فان قيل اي فايدة في اباحة
اكل الانسان طعامه في بيته اجيب
بان المراد من البيوت التي فيها ازواجكم
وعيالكم فيدخل فيه بيوت الاولاد لان
بيت ولده كبيته قال صلى الله عليه وسلم
ان اطيب ما ياكل المومن كسبه وان ولده
من كسبه وقيل لما نزل قوله تعالى
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل
لاحد منا ان ياكل عند احد فانزل الله

تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي لا حرج
عليكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابايكم
اي وان بعدت انسابهم قال البقاعي ولعله جمع
ذلك فانها من ابايكم وحرمتها حرمتكم او بيوت
امهاتكم كذلك وقدم الاب لانه اجل وهو حاكم
بيته دايما والمال له او بيوت اخوانكم اي من
الابوين او الاب او الام بالنسب او الرضاع فانهم
من اولى من رضي بذلك بعد الوالدين لانهم
منكم اولى بيوتهم او بيوت اخواتكم فانهن بعدهم
من اجل ان ولي البيت اذا كن مزوجات الزوج
او بيوت اعمامكم فانهم شقايق ابايكم سوا كانوا
اشقاء ام لا ولو افرد العم لتوهم انه الشقيق
فقط فانه احق بالاسم او بيوت عماتكم
فانهن بعد الاعمام لضعفهن ولانهن ربما اوليا
بيوتهن الازواج او بيوت اخوالكم لانهم لانكم شقايق
امهاتكم او بيوت خالاتكم اخرهن لما ذكر في العمات
او ما ملكتم مفاتحه قال ابن عباس عني بذلك وكيل
الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس
عليه ان ياكل من تمر ضيعته ويشرب
من



من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وملك
المفاتيح كونها في يده وحفظه قال الضحاك يعني
من بيوت عبيدكم ومما ملكتم لان السيد
يملك منزل عبده والمفاتيح الخزاين لقوله تعالى
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويجوز ان
يكون الذي يفتح به وقال عكرمة اذا ملك الرجل
المفتاح فهو خازن فلا باس ان يطعم الشي اليسير
وقال السدي الرجل يولي طعامه غيره ويقوم
عليه فلا باس ان ياكل منه وقيل او ما ملكتم مفاتحه
ما خزنتموه عندكم وقال مجاهد وقتادة في
بيوت انفسكم مما اخزنتم وملكتم او صديقكم
او بيوت اصدقايكم والصديق هو الذي
صدق في المودة ويكون واحدا وجمعا وكذا
الخليط والقطين والمعد وقال ابن عباس
نزلت في الحارث بن عمرو خرج غازيا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن
زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فساله
عن حاله فقال تحرجت اكل طعامك بغير اذنك
فانزل الله هذه الاية يحكى عن الحسن انه دخل

دار واذا خلفه من اصدقايه وقد استلوا سلالا
من تحت سريره فيها الخبيص ولطايف الاطعمه
وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير
وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم
يريد كبرا الصحابة ومن لقيهم من البدريين
فكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو
غايب فيسال جاريته كيسه فياخذ ما شا
فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا
بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة
الصديق ان جعله الله من الانس والثقة
والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس
والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق
اكثر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا
لم يستغيثوا بالابا والامهات بل قالوا فما
لنا من شافعين ولا صديق حميم والمعنى
يجوز الاكل من بيوت من ذكر وان لم يحضروا
واذا علم رضا صاحب البيت باذن
وقرينة ظاهرة الحال فان ذلك يقوم
مقام الاذن الصريح ولذلك خص

هولا

هولا فانهم يعتادون التبسط بينهم وربما سمج
الاستيذان وثقل كمن تقدم اليه طعاما فاستاذن
صاحبه في الاكل منه فان قيل اذا كان ذلك لابد
من العلم بالرضا فحينئذ لا فرق بينهم وبين غيرهم
احيب بان هولا يكفي فيهم ادنى قرينة بل
ينبغي ان يشترط فيهم الا العلم عدم الرضا بخلاف
غيرهم لابد منه من صريح الاذن او قرينة قوية
هذا ما ظهر لي ولم ار من تعرض لذلك وكان الحسن
وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والاكل
من طعامه بغير اذنه لهذه الاية واحتج ابو حنيفة
بهذه الاية على ان من سرق من ذي رحم محرم انه لا
يقطع لان الله تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم
ودخولها بغير اذنهم فان قيل فيلزم ان لا يقطع
اذا سرق من مال صديقه احيب بان من سرق
من ماله لا يكون صديقا وقيل ان هذا كان اول
الاسلام ثم نسخ فلا دليل له فيه وقرا بيوتكم
وبيوت وبيوتا ورش وابو عمرو وحفص بضم
البا الموحدة والباقون بالكسر وقرا حمزة
والكسائي امهاتكم في الوصل بكسر الهمزة والباقون

بالضم وكسر الجيم حمزة وفتحها الباقون ولما ذكر تعالى
سعدت الاكل ذكر حاله بقوله تعالى ليس عليكم جناح اي
اثم ان تاكلوا جميعا اي مجتمعين او اشتاتا
اي متفرقين واختلف في سبب نزول هذه الاية
فقال الاكثرون نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة
وكانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد
منتظرا النهار الى الليل فان لم يجد من يواكله
اكل ضرورة وقال عطاء عن ابن عباس كان
الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته
فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لاجنح ان اتحرج
معك ان اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت
هذه الاية وقال عكرمة وابو صالح نزلت في قوم
من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف
الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤا
مجتمعين او اشتاتا متفرقين وقال الكلبي كانوا
اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى وكذلك
الزمن والمريض فبين الله تعالى لهم ان ذلك
غير واجب وقيل تحرجوا عن الاجتماع على
الاجتماع الطعام لاختلاف الناس في الاكل

وزيادة



وزيادة بعضهم على بعض تنبيه جميعا حال من فاعل
تاكلوا اشتاتا عطف عليه هو جمع شتت وشتى
جمع شتيت وشتان تثنية شت روي ان رجلا قال
للنبي صلى الله عليه وسلم انا ناكل ولا نشبع قال فلعلكم تاكلون
متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه
يبارك الله لكم فيه وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال كلوا جميعا ولا تفرقوا واذكروا اسم الله عليه فان
البركة مع الجماعة ولما بين تعالى مواطن الاكل وكيفيته
ذكر الحال الذي عليها الداخل الى تلك المواطن وغيرها
بقوله تعالى فاذا دخلتم اي بسبب ذلك او غيره بيوتا
اي من هذه البيوت فسلموا على انفسكم اي على اهلها
الذين هم منكم دينا وقرابة جعل انفس المسلمين كالنفس
الواحدة كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم وقال ابن عباس
اذا لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال
قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق بالسلام
ممن سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا احد فيه فقل السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين ان الملائكة ترد عليه
تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من

مشروعة من لدنه مباركة اي لانه يرجى بها
زيادة الخير والثواب طيبة اي يطيب بها
نفس المستمع والتحية طلب السلامة وحياة للمسلم
عليه والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب
لانها دعوة مومن لمومن يرجى بها من عند الله
تعالى زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
سنين وقيل تسع سنين فما قال لشي فعلته لم فعلته
ولا قال لشي كسرته لم كسرته وكنت واقفا على
راسه اصب الما على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك
ثلاث خصال تنتفع بها قلت بابي انت وامي
يا رسول الله قال متى لقيت من امتي واحدا
فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم
عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها
صلاة الابرار الاوابين تنبيه تحية منصوب
على المصدر من معنى فسلموا فهو من باب
قعدت جلوسا فكانه قال فحيوا تحية وقال
القفال وان كان في البيت اهل الذمة فليقل
السلام



السلام على من اتبع الهدى وكرر قوله تعالى
كذلك يبين الله اي الذي احاط علمه بكل شي علما
لكم الايات ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام
المختتمة به وفصل الاوليين بما هو المقتضى كذلك
وهذا بما هو المقصود منه فقال تعالى لعلكم
تعقلون اي عن الله امره ونهيه وادبه ولما كان
امر الرسول صلى الله عليه وسلم اجل مواطن
تجب الاقامة فيه ويحرم ما عداه من الاوطان
قال تعالى انما المومنون اي الكاملون في الايمان الذين
امنوا بالله اي الملك الاعلى ورسوله اي ظاهرا
وباطنا واذا كانوا معه اي الرسول صلى الله عليه
وسلم على امر جامع اي يجمعهم من حرب حضرت
او صلاة جمعة او عيد وجماعة او تشاور في امر
نزل ووصف الامر بالجمع للمبالغة او من الاسناد
المجازي لانه لما كان سببا في جمعهم نسب الفعل
اليه مجازا لم يذهبوا اي يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا
عما اجتمعوا له بعد رايهم حتى يستاذنوه قال
الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض في
خطبته بالمنافقين ويعيبهم فينظر المنافقون

يمينا وشمالا فاذا لم يراهم احد انسلوا وخرجوا
ولم يصلوا وان ابصرهم احد يثبتوا وصلوا خوفا
فنزلت هذه الاية فكان المومن بعد نزولها لا يخرج
لحاجة حتى يستاذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان المنافقون يخرجون بغير اذن قال
مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان
يشير بيده قال اهل العلم كذلك كل امر اجتمع
عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون
عنه الا باذنه وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه
عن المقام فان حدث سبب يمنعه عن المقام
كان يكونوا في المسجد فتحيض منهم امراة
او يجنب رجل او يعرض له مرض فلا يحتاج
الى الاستيذان ولما كان اعتبار الاذن
كالمصدر لصحة كمال الايمان والمميز للمخلص فيه
اعاده موكدا على اسلوب ابلغ بقوله تعالى
**ان الذين يستاذنونك** اي تعظيما لك ورعاية
للادب **اولئك** اي العالو الرتبة **الذين يومنون**
**بالله** اي الذي له الامر كله **ورسوله** فانه يفيد
ان المستاذن مومن لا محالة وان الذاهب
بغير



بغير اذن ليس كذلك ولما فهم عن الاستيذان
تسبب عن ذلك اعلامه صلى الله عليه وسلم
بما يفعل اذ ذاك بقوله تعالى **فاذا استاذنوك**
**لبعض شانهم** فاذن لمن شئت منهم وهو ما
تشتد الحاجة اليه **فاذن لمن شئت منهم** بالانصراف
اي ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن ففي ذلك
تفويض الامر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستدل به على بعض الاحكام مفوض
الى رايه قال الضحاك ومقاتل المراد عمر بن الخطاب
وذلك انه استاذن في غزوة تبوك في الرجوع
الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت
بمنافق يريد ان يسمع المنافقون ذلك الكلام
فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد اذا استاذنه
اصحابه اذن لهم واذا استاذناه ابى فوالله ما
نراه يعدل قال ابن عباس ان ابن عمر استاذن
النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له
ثم قال يا ابا حفص لا تنسنا في صالح دعائك ولما
كان في الاستيذان ولو لعذر قصور لان فيه
تقديما لامر الدنيا على امر الدين امره الله تعالى

بان يستغفر لهم لقوله تعالى واستغفر لهم الله
اي الذي له الامر كله بعد الاذن ليكون ذلك
شاملا لمن صحت دعواه وغيره ثم علل ذلك
ترغيبا في الاستغفار وتطيبا لقلوب اهل
الاوزار بقوله تعالى ان الله اي الذي لا يخفى عليه
شي غفور اي لفرطات العباد رحيم اي لفرطات
العباد رحيم اي بالتيسير عليهم ولما اظهرت
هذه السورة بعمومها وهذه الايات بخصوصها
من شرف الرسول ما ابهر العقول صرح
بتفخيم شانه وتعظيم مقامه بقوله تعالى
لا تجعلوا اي يا ايها الذين امنوا دعا الرسول
بينكم كدعا بعضكم بعضا قال سعيد بن
جبير وجماعة معناه لا تنادوه باسمه
فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا
ابا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتوقير
فقولوا يا رسول الله يا نبي الله وعلى هذا
يكون المصدر مضافا للمفعول وقال المبرد
والقفال لا تجعلوا دعاه اياكم كدعا بعضكم
لبعض فتتباطون عنه كما يتباطا بعضكم
من بعض اذا دعاه لامر بل يجب عليكم

المبادر



المبادر لامره ويويده قوله تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن امره وعلى هذا يكون
المصدر مضافا للفاعل وقال ابن عباس
احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطتموه
فان دعاه موجب ليس كدعا غيره وروى
عنه ايضا لا ترفعوا اصواتكم في دعايه وهو المراد
من قوله ان الذين يغضون اصواتهم عند
رسول الله وقول المبرد كما قال ابن عادل
اقرب الى نظم الاية ولما كان بعضهم يظهر الموافقة
ويبطن المخالفة حذر من ذلك بقوله تعالى
قد يعلم الله اي الذي لا يخفى عليه خافية الذين
يتسللون منكم اي يتسللون قليلا قليلا ويجعلوا
ذهابهم في غاية الخفا ونظير تسلسل تدرج
وتدخل وقوله تعالى لواذا اي حال ملاوذتهم
واللواذ والملاوذة التستر يقال لاذ فلان
بكذا اذا استتر به وقال ابن عباس لا يلوذ
بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان
يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة
لا سيما في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم

فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من
المسجد في استتار وقد للتحقيق وتسبب
عن علمه تعالى قوله تعالى فليحذر اي يوقع الحذر
الذين يخالفون عن امره اي يعرضون عن امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتصرفون
عنه بغير اذنه وقال ابو بكر الرازي الضمير في امره
لله لانه يليه وقال الجلال الجامع اي الله
ورسوله وكل صحيح فان مخالفة امر احدهما
مخالفة امر الاخر ان اي لئلا تصيبهم فتنة
قال مجاهد بلاء في الدنيا وعن ابن عباس
فتنة قتل وعن عطا زلازل واهوال وعن
جعفر بن محمد سلط عليهم سلطان جائر
او يصيبهم عذاب اليم اي وجيع في الاخرة
تنبيه الاية تدل على ان الامر للوجوب
لان تارك المامور مخالف للامر ومخالف الامر
يستحق العذاب ولا معنى للوجوب الا ذلك
ولما اقام تعالى الادلة على انه نور السموات
والارض ختم الاية بالتحذير لكل مخالف انتج
ذلك ان له كل شي فقال تعالى الا ان لله
ما



ما في السموات والارض خلقا وملكا وعبيدا
فان قيل ما فائدة ذكر عبيدا بعد ملكا اجيب
عنه انما ذكر لئلا يتوهم ان ما لما يعقل فقط
ولما كانت احوالهم من جملة ما هو له وانها
لا تخلفه قال تعالى قد يعلم ما انتم ايها المكلفون
عليه اي من الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفا ق
وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد وذلك ان قد
اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت
ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قول
بعضهم فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد
الوفود وفود ونحو قول زهير
اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله
والمعنى ان جميع ما في السموات والارض
مختص به تعالى فكيف يخفى عليه احوال
المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها
عن العيون واخفائها وقوله تعالى ويوم اي
ويعلم يوم يرجعون اليه فيه التفات عن
الخطاب اي متى تكون او يوم يرجعون المنافقون
اليه للجزاء فينبئهم اي فتسبب عن ذلك

انه يخبرهم بما عملوا اي من الخير والشر فيجازيهم عليه
والله اي الذي لا يخفى عليه خافية بكل شيء من
اعمالهم وغيرها عليم عن عائشة رضي الله تعالى
عنها وعن ابويها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تنزلوا النسا الغرف ولا تعلموهن
الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور اخرجه
ابو عبد الله من السبع في صحيحه واما قول
البيضاوي تبعا للكشاف من قرا سورة النور
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن
ومومنة فيما مضى وفيما بقي فهو موضوع

## سورة الفرقان مكية

الا قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر
الى قوله رحيما فمدني واياتها سبع وسبعون
اية وثمانماية واثنان وسبعون كلمة وعدد
حروفها ثلاثة الاف وسبعماية وثمانون حرفا
بسم الله الذي له الحجة البالغة الرحمن الذي
عم الخلق بنعمه الرحيم الذي وسعت رحمته
كل شي تبارك قال الزجاج تفاعل من البركة
وهي كثرة الخير وزيادة ومعنى تبارك الله

وفيه

وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل
شي وتعالى عنه في صفاته وافعاله وعن
ابن عباس كان معناه جانا بكل بركة وخير وقال
الضحاك تبارك تعظم ولا يستعمل الا لله تعالى
ولا ينصرف فيه ثم وصف ذاته الشريفة بما يدل على
ذلك بقوله تعالى الذي نزل الفرقان اي القران
والفرقان مصدر فرق بين الشيين اذا فصل
بينهما وسمي به القران لفصله بين الحق والباطل
لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا
بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى قوله تعالى
وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث على عبده
اي محمد صلى الله عليه وسلم واضافه الى نفسه تشريف
وفي عود ضمير ليكون ثلاثة اوجه احدها انه
يعود على الذي نزل اي ليكون الذي نزل الفرقان
نذيرا الثاني انه يعود على الفرقان اي ليكون الفرقان
نذيرا واضاف الانذار اليه كما اضاف الهداية
اليه في قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم
قال ابن عادل وهذا بعيد لان المنذر والنذير
من صفات الفاعل المخوف ووصف القران به

مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى الثالث انه يعود
على عبده اي ليكون عبده محمد صلى الله عليه وسلم
للعالمين نذيرا اي وبشيرا وهذا احسن الوجوه
معنى وصناعة لقربه مما يعود اليه والضمير يعود
على اقرب مذكور وللعالمين بنذيرا وانما قدم لاجل
الفواصل ونذيرا بمعنى منذرا اي مخوف ويجوز
ان يكون مصدرا بمعنى الانذار كالنكير بمعنى
الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي
ونذر تنبيه المراد بالعالمين قال البقاعي
اي المكلفين كلهم من الجن والانس والملائكة اه
ولكن في ارساله للملائكة خلاف بين العلماء
فقد نقل الجلال المحلي في شرحه على جمع الجوامع
الاجماع على انه لم يرسل اليهم وغيره صرح بانه
ارسل اليهم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ
فان قيل قوله تعالى تبارك يدل على كثرة الخير
والبركة فالمذكور عقبه لابد وان يكون مبينا
لكثرة الخير والمنافع والانذار يوجب الغم والخوف
فكيف يليق ذكره بهذا الموضع اجيب
بان الانذار يجري مجرى تاديب

الوالد



الوالد كما انه كلما كانت المبالغة في تاديب الوالد
اكثر كان رجوع الخلق الى الله تعالى اكثر وكانت
السعادة الاخروية اتم واكثر وهذا كالتنبيه
على انه لا التفات الى المنافع العاجلة لانه
تعالى لما وصف نفسه ان يعطي الخيرات
الكثيرة فلم يذكر الا منافع الدين ولم يذكر منافع
الدنيا البتة وقوله تعالى الذي له ملك السموات
والارض اشارة الى احتياج هذه المخلوقات الله سبحانه
وتعالى حال حدوثها وانه تعالى هو المتصرف فيها كيف
يشا فلا انكار ان يرسل رسولا الى كل منها تنبيه
يجوز في الذي الرفع نعت للذي الاول او بيانا او
بدلا او خبر المبتدا محذوف او النصب على المدح وما
بعده يدل على من تمام الصلة فليس اجنبيا فلا
يضر الفصل به بين الموصول الاول والثاني اذا جعلنا
الثاني تابعا له ولم يتخذ ولدا اي هو الفرد ابدا
ولا يصح ان يكون غيره تعالى معبودا او وارثا
للملك عنه وهذا رد على النصارى ولم يكن له
شريك في الملك اي هو المنفرد بالالوهية فاذا
عرف العبد ذلك انقطع رجاه عن كل ما

ماسواه ولم يشتغل قلبه الا برحمته واحسانه
وهذا رد على الوثنية والقايلين بعبادة النجوم
والاوثان ولما نفى تعالى الشريك فكان قايلا لقول
ها هنا اقوام يعترفون بنفي الشريك والشركا
والانداد ومع ذلك يقولون بخلقها فعال
انفسهم ورد الله تعالى عليهم بقوله تعالى وخلق
كل شي اي من شانه ان يخلق ومنه افعال العباد
والخلق هنا بمعنى الاحداث اي احدث كل شي
احداثا مراعا فيه التقدير والتسويف فقدره
تقديرا اي هياه لما يصلح له مثاله انه خلق
الانسان على هذا الشكل المقدر الذي تراه فقدره
للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين
والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جابه على
الجبلة المستوية المقدرة وسمي احداث الله
خلقا لانه لا يحدث شيا لحكمة الا على وجه
التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا
فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى
وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شي فقدره
تقديرا في ايجاده ولم يوجد متفاوتا ولو حمل خلق
كل



كل شي على معناه الاصلي من التقدير لصار الكلام
وقدر كل شي فقدره فلم يصر لكبير فايدة وقيل
فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقا
الى امد معلوم واختلف في عود الضمير في قوله تعالى
واتخذوا من دونه اي الله اي غيره الهة على ثلاثة
اوجه احدها انه يعود على الكفار الذي تضمنهم
لفظ العالمين ثانيها انه يعود على من ادعى لله شريكا
وولدا لدلالة قوله تعالى ولم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك ثالثها انه يعود على المنذرين بدلالة
نذيرا عليهم ولما وصف سبحنه وتعالى بصفات
الجلال والعزة والعلو اردفه بتزييف مذهب
من يعبد غيره من وجوه منها انها ليست خالقة
للاشيا لقوله تعالى لا يخلقون شيا والاله يجب ان
يكون قادرا على الخلق والايجاد ومنها انها مخلوقة
بقوله تعالى وهم يخلقون والمخلوق محتاج والاله
يجب ان يكون غنيا وغلب العقلا على غيرهم لان
الكفار كانوا يعبدون العقلا كعزير والمسيح و
الملايكة وغيرهم كالكواكب والاصنام التي ينحتونها
ويصورونها ومنها انها لا تملك لانفسها ضرا

ولا نفعا بقوله تعالى ولا يملكون اي لا يستطيعون
لانفسهم ضرا اي دفعه ولا نفعا اي جلبه ومن
كان كذلك فليس باله ومنها انها لا تقدر على موت
ولا حياة ولا نشور بقوله تعالى ولا يملكون
موتا ولا حياة اي اماتة لاحد واحيا لاحد
ولا نشورا اي بعثا للاموات فيجب ان يكون
المعبود قادرا على ايصال الثواب الى المطيعين
والعقاب الى العصاة فمن لا يكون كذلك
يجب ان يصلح للالهية تنبيه احتج اهل السنة
بقوله تعالى لا يخلقون شيا على ان فعل العبد
مخلوق لله لانه تعالى عاب اهل هولا الكفار
من حيث عبدوا ما لا يخلق شيا وذلك يدل
على ان من خلق يستحق ان يعبد فلو كان
العبد خالقا لكان معبودا الها ولما تكلم
تعالى اولا على التوحيد وثانيا في الرد على
عبدة غيره تكلم ثالثا في مسئلة النبوة وحكى
شبه الكفار في انكار نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم الشبهة الاولى قوله تعالى وقال الذين
كفروا



كفروا اي مظهروا الوصف الذي حملهم على هذا
القول وهو ستر ما ظهر لهم ولغيرهم كالشمس
والاجتهاد في اخفائه ان اي ما هذا اي القران
الا افك اي كذب مصروف عن وجهه افتراه
اي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم واعانه عليه
اي القران قوم اخرون اي من غير قومه وهم اليهود
فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنها بعبارته
وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار
مولى العلاء بن الحضرمي وابن فكيهة الرومي
كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون ان محمدا
ياخذ منهم فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى
فقد جاوا اي قالوا هذه المقالة ظلما وهو
جعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقنا من اليهود
وجعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي
كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحا
العرب وزورا اي بهتانا بنسبة ما هو بري
منه اليه وقرا ابن كثير وابن ذكوان وعاصم
باظهار الدال والباقون بالادغام تنبيه
جاوا واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان

تعرينه وظلما مفعول به وقيل انه على اسقاط الخافض
اي جاوا بظلم الشبهة الثانية قوله تعالى وقالوا
اساطير الاولين اي ما سطره الاولون من اكاذيبهم
جمع اسطورة بالضم كاحدوثة واسطار
اكتتبها اي يطلب كتابتها له من ذلك القوم وحدها
والمعنى ان هذا القران ليس من الله انما هو مما
سطره الاولون كاحاديث رستم واسفنديار
واستنسخها محمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
فهي اي فتسبب عن تكلفه ذلك انها تملى عليه
اي تقرا عليه ليحفظها بكرة قبل ان تنتشر الناس
واصيلا اي عشيا حين ياوون الى مساكنهم
ودايما ليتكلف حفظها بالانتساخ لانه اي لا
يقدر ان يكون من الكتاب او ليكتب وهذا
كما ترى لا يقوله من له مسكة في عقل او مروة
كيف وهو يدعوهم الى المعارضة ولو بسورة
من مثله وفيهم الكتاب والشعراء والبلغاء
والخطبا وهم اكثر منه مالا واعظم اعوانا ولا
يقدرون على شي منه فان قيل كيف قيل
اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت
عليه

عليه فهو يكتبها اجيب بوجهين احدهما
اراد اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه الثاني انها
كتبت له وهو امي فهي تملى اي تلقى عليه
من كتاب ليحفظها لان صورة الالقا على الحافظ
كصورة الالقا على الكاتب وقرا فهي قالون وابو
عمرو والكسائي بسكون الها والباقون بكسرها
ثم امر الله تعالى بجوابهم بقوله تعالى قل اي دالا
على بطلان ما قالوه ومهددا لهم انزله الذي
يعلم السر اي الغيب في السموات والارض
لانه اعجزكم عن اجوركم اجركم بفصاحته وتضمنه
اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشيا مكنونة
لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير
الاولين مع علمكم انما تقولونه باطل وزور وكذلك
باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراته
مما تبهتونه به وهو مجازيكم على ما علم منكم
وعلم منه فان قيل كيف يطابق هذا قوله تعالى
انه كان اي ازلا وابدا غفورا رحيما اجيب
بانه لما كان يقدمه في معنى الوعيد عقبه بما
يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالرحمة

والمغفرة الا القادر على العقوبة اوهو تنبيه
على انهم استوجبوا عكا بن تهم هذه ان يصب
عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم لانه
غفور رحيم يمهل ولا يعاجل انتبهة
الثالثة قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول
اي ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة
وتهكم وتصغير لشانه وتسميته بالرسول
سخرية منهم كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول
ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله
حاله مثل حالنا ياكل الطعام اي كما ناكل ويمشي
اي يتردد في الاسواق اي لطلب المعاش
كما نمشي فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة با
لنبوة يعنون انه يجب ان يكون ملكا
مستغنيا عن الاكل والشرب والتعيش و
كذلك كانوا يقولون له لست انت بملك
لانك تاكل الطعام والملك لا ياكل وان
الملك لا يتسوق وانت تسوق وما قالوه
فاسد لان اكل الطعام لكونه دميا ومشيه
في

في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته
في التوراة ولم يكن سخابا في الاسواق وليس شي
من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع انه ملك
من الملوك ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون
ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك
حتى يتساند في الانذار والتخويف فقالوا
لولا اي هلا انزل اليه ملك اي يصدقه
ويشهد له فيكون معه نذيرا اي داعيا ثم نزلوا
ايضا الى انه لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا
بكنز فقالوا او يلقى اليه كنز اي ينزل عليه كنز
من السما ينفقه فلا يحتاج الى المشي في الاسواق
لطلب المعاش ثم نزلوا فاكتفوا بان يكون
رجلا له بستان فقالوا او تكون له جنة
اي بستان ياكل منها كالمياسير فيتعيش بريعه
وقرا حمزة والكسائي بالنون اي ناكل نحن منها
فيكون له مزية علينا بها والباقون بالياء
وقوله تعالى وقال الظالمون وضع فيه الظاهر
مع المضمر الاصل وقالوا تسجيلا عليهم
بالظلم فيما قالوا ان اي ما تتبعون الا رجلا
مسحورا

اي مجذوعا مغلوبا على عقله وقيل مصروفا عن
الحق ولما نهى تعالى ما ذكر من اقوالهم الناشية
عن ضلالهم التفت سبحنه وتعالى الى رسوله
صلى الله عليه وسلم مسليا له بقوله تعالى
انظر اي يا افضل الخلق كيف ضربوا لك الامثال
اي بالمسحور والمحتاج الى ما ينفعه والى
ملك يقوم معك بالامر فضلوا اي بذلك
عن جميع طرق الهدي فلا يستطيعون
اي في الحال ولا في المال بسبب الضلال سبيلا
اي سلوك لسبيل الوصلة الى ما يستحق ان
يقصد بل هم في مجاهل موحشة وفيافي
مهلكة ولما ثبت انهم لا علم لهم ولا قدرة
ولا يمن ولا بركة اثبت لنفسه سبحانه
وتعالى ما يستحق من الكمال الذي يفيض فيه
على من يشا من عباده ما يشا بقوله تعالى
تبارك اي ثبت ثباتا مقترنا باليمن والبركة لاثبات
الامر الذي ان شا فانه لا مكره له جعل لك اي في الدنيا
خيرا من ذلك اي من الذي قالوه على طريق التهكم
من الكنز والبستان وقوله تعالى جنات تجري من

بدل

بدل من خير ويجوز ان يكون منصوبا باضمار
اعني ثم وصفها بقوله تعالى تجري من تحتها
الانهار اي يكون ارضها عيونا نابعة او موضع اريد
منها جرانها تجري فهي لا تزال ريا يغني صاحبها
عن كل حاجة ولا تحوجه في استمرارها الى سقي ويجعل
لك قصورا ايضا جمع قصر وهو المسكن الرفيع
قال المفسرون القصور هي البيوت المشيدة والعرب
تسمي كل بيت مشيد قصرا ويحتمل ان يكون لكل جنة
قصر فيكون مسكنا ومتنزها ويجوز ان تكون
القصور مجموعة والجنان مجموعة وقال
مجاهد ان شا جعل جنات في الاخرة وقصورا
في الدنيا ولم يشا الله سبحنه وتعالى ما اشار
اليه في هذه الاية الشريفة في هذه الدنيا
الفانية واخره الى الاخرة الباقية وقد عرض
عليه سبحانه وتعالى عليه الصلاة والسلام
ما شا من ذلك في الدنيا فاباه روي انه عليه
الصلاة والسلام قال عرض علي ربي ليجعل لي
بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع
يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا

فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك
وشكرتك وعن عايشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شيت
لسارت معي جبال الذهب جاني ملك فقال
ان ربك يقرا عليك السلام ويقول ان شيت
نبيا عبدا وان شيت نبيا ملكا فنظرت الى
جبريل عليه السلام فاشار الي ان ضع نفسك
فقلت نبيا عبدا قالت وكان النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكيا ويقول
اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس وجبريل عليه
السلام معه فقال جبريل عليه السلام
هذا ملك قد نزل من السما استاذن ربه
في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء
الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ان الله يخيرك ان يعطيك
مفاتيح كل شي لم يعطه احد قبلك ولا يعطه
احد بعدك من غير ان ينقصك مما اداك

شيا



شيا فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعهما لي في
الاخرة فنزل تبارك الذي ان شا الاية
وقرا ابن كثير وابن عامر وشعبة برفع اللام
من يجعل وفيه وجهان احدهما انه مستانف
والثاني انه معطوف على جواب الشرط لان
الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم و
الرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسالة يقول لا
غايب مالي ولا حرم والباقون بالجزم ويجوز
في يجعل لك اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير
الجزم والرفع ثم اضرب سبحانه وتعالى عن
كلامهم في حق رسوله بقوله تعالى **بل** اي لا يظن
انهم كذبوا بما جيت به لانهم لا يعتقدون فيك
كذبا بل **كذبوا بالساعة** اي القيمة فقصرت
انظارهم على الحطام الدنيوي وظنوا ان الكرامة
انما هي بالمال فلا يرجون ثوابا ولا عقابا فلا
يتكلفون النظر والفكر ولهذا لا ينتفعون
بما يورد عليهم من الدلايل **واعتدنا** اي والحال
انا اعتدنا اي هيانا بما لنا من العظمة **لمن كذب**
من هولاء وغيرهم **بالساعة سعيرا**

اي نار الشديدة الانقياد بما اعطوا الحريق
في قلوب من كذبوهم من الانبيا واتباعهم
وعن[2] السعير اسم من اسما جهنم تنبيه الحسن انه
احتج اهل السنة على ان الجنة مخلوقة بقوله
تعالى اعدت للمتقين وعلى ان النار وهي دار
العقاب مخلوقة بهذه الاية اذا راتهم من
مكان بعيد وهو اقصى ما يمكن رويتها
منه وقال الكلبي والسدي في مسيرة عام
وقيل من مسيرة مائة سنة روي انه
صلى الله عليه وسلم قال من كذب علي
متعمدا فليتبوا بين عيني جهنم مقعدا
قالوا وهل لها من عينين قال نعم قوله تعالى
اذا راتهم من مكان بعيد وقال البيضاوي
تبعا للزمخشري اذا كانت بمرأى منهم كقوله
عليه السلام لا ترا انا راهما اي لا تتقاربا
بحيث تكون احدهما بمرأى من الاخرى على
المجاز اه هذا تاويل للمعتزلة بنا منهم
على ان الروية مشروطة بالحياة بخلاف
الاشاعرة فانهم يجوزون رويتها حقيقة

كتغيظها

كتغيظها وزفيرها في قوله تعالى سمعوا لها
تغيظا اي غليانا كالغضبان اذا غلا صدره من
الغضب وزفيرا اي صوتا شديدا اذ لا امتناع
في انها تكون رائية مغتاظة زافرة واشار
البيضاوي الى ذلك بعد ما ذكر بقوله تعالى هذا
وان الحياة لما لم تكن مشروطة زافرة عندنا
بالبنية لمكن ان يخلق فيها حياة فترى
وتتغيظ وتزفر وقال الجلال المحلي
وسماع التغيظ رويته وعلمه انتهى
قال عبد الله بن عمر تزفر جهنم يوم القيمة
زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل
الا خر لوجهه وقيل اذا راتهم زبانيتها
تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار للانتقام
منهم فنسب اليها على حذف مضاف واذا
القوا اي طرحوا طرح اهانة منها النار مكانا
ثم وصفه تعالى بقوله تعالى ضيقا زيادة
في فظاعتها قال ابن عباس تضيق عليهم
كما تضيق الزج في الرمح مقرنين اي مصفدين
زيادة قد قرنت ايديهم الى اعناقهم من الاغلال
وقد قيل الكرب مع الضيق كما ان الروح مع

الضيق كما ان الروح مع السعة وكذلك وصف
الله تعالى الجنة بان عرضها السموات والارض
وجاء في الاحاديث ان لكل مومن من القصور
والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله تعالى على اهل
النار انواع الضيق والارهاق حيث القاهم
في مكان ضيق يتراصون فيها تراصا كما مر
عن ابن عباس انهم يضيق عليهم كما يضيق
الزج في الرمح وهو منقول ايضا عن ابن عمر وسيل
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار
كما يستكره الوتد في الحايط وهم مع ذلك الضيق
مسلسلون مقرونون في السلاسل قرنت
ايديهم الى اعناقهم وقيل يقرن مع كل كافر
شيطانه في سلسلة في ارجلهم تنبيه
مكانا منصوب على الظرف ومنها في محل
نصب على الحال من مكان لانه في الاصل صفة له
ومقرنين حال من مفعول نصب على الحال
من مكان لانه في الاصل صفة له ومقرنين
حال من مفعول القوا وقرا ابن كثير ضيقا
بسكون



بسكون اليا والباقون بكسر اليا المشددة دعوا هنا لك
اي في ذلك المكان البغيض البعيد عن الوقف
ثبورا قال ابن عباس ويلا وقال الضحاك هلاكا
وا ثبوراه هذا حينك وزمانك لانه لا منادم لهم
غيره وليس يخص احدا منهم سواه قال البغوي
وفي الحديث ان اول من يكسى حلة من النار ابليس
فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته
من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون
يا ثبورهم حتى يقفوا على النار لا تدعوا اليوم
اي ايها الكفار ثبورا واحدا لانكم لا تموتون
اذا حلت بهم اسباب الهلاك وادعوا ثبورا كثيرا
اي هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة بل ادعوا
ادعية كثيرة وقال الكلبي نزل هذا كله في ابي جهل
والكفار الذين ذكروا تلك الشبه ولما وصف
تعالى العقاب المعد للمكذبين بالساعة اتبعه
بما يوكد الحسرة والندامة بقوله تعالى قل اي
لهولاء البعداء البغضاء اذلك اي المذكور من
الوعيد وصفة النار خير ام جنة الخلد
اي الاقامة الدايمة التي وعد المتقون

يكسى

اي وعدها الله تعالى اياهم فالراجع الى الموصول
وهو ها اي وعدها محذوف فان قيل كيف
يقال ان العذاب خير ام جنة الخلد وهل يجوز ان
يقول العاقل السكر احلى ام الصبر اجيب بانها
تحسن في معرض التقريع كما اذا اعطى السيد عبده
مالا فتمرد وابى واستكبر فضربه ويقول له هذا
خير ام ذلك قال ابو مسلم الخلد هي التي لا ينقطع
نعيمها والخلد والخلود سواء كالشكر والشكور
قال تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فان قيل
الجنة اسم لدار مخلدة فاي فائدة في قوله تعالى
جنة الخلد اجيب بان الاضافة قد تكون للتبيين
وقد تكون لبيان صفة الكمال كقوله الله الخالق
البارئ وهذا من هذا البيان او للتمييز عن جنات
الدنيا ثم حقق الله تعالى امرها تاكيدا للبشارة
بقوله تعالى كانت لهم جزاء اي ثوابا على اعمالهم
بفضل الله تعالى وكرمه ومصيرا اي مرجعا فان قيل
ان الجنة ستصير للمتقين جزاء ومصيرا لكنها
بعد ما صارت لذلك فلم قال تعالى كانت اجيب
من وجهين الاول ان ما وعد الله تعالى

فهو

فهو في تحققه كالواقع الثاني انه كان مكتوبا في
اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم الله تعالى بازمنة
متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قيل
لم جمع الله تعالى بين الجزاء والمصير اجيب
بان ذلك كقوله تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا
فمدح الثواب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا
بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد
والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف
بخساسة الموضع وضيقه وظلمته فلذلك ذكر
المصير مع ذكر الجزاء تنبيه المتقي يشمل من اتقى
الكفر وان لم يتق المعاصي وان كان غيره اكمل
ثم ذكر تعالى تنعمهم فيها بعد ان ذكر نعيمهم
بقوله تعالى لهم فيها اي الجنة ما يشاؤون من
كل ما يشتهيه انفسهم كما قال تعالى ولكم فيها
ما تشتهي انفسكم وفيها ما تشتهيه الانفس
فان قيل اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا
الدرجات العالية لا بد وان يريدوها
فاذا سالوها ربهم فان اعطاها لم يبق بين
الناقص والكامل تفاوت في الدرجة وان لم

يعطيها لهم فدخل ذلك في قوله تعالى لهم فيها ما
يشاؤن اجيب بان الله تعالى يزيل هذا
الخاطر عن قلوب اهل الجنة ويشتغلون بما
هم فيه من اللذات عن الالتفات الى حال غيرهم
وقوله تعالى خالدين منصوب على الحال
اما من فاعل يشاؤن واما من فاعل
لهم لوقوعه خبرا والعايد على محذوف ما
محذوف اي لهم فيها الذي يشاؤنه حال كونهم
خالدين وقوله تعالى كان على ربك اي وعدهم
ما ذكر وعدا يدل على ان الجنة جعلت لكم
بحكم الوعد والتفضل لا بحكم الاستحقاق وقوله
تعالى مسئولا اي مطلوبا المتلف في السايل
فالاكثر على ان المومنين سالوا ربهم في الدنيا
حيث قالوا ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
روي انه صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من
يدعوا بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم
الا اعطاه الله بها ثلاث اما ان يعجل له دعوته أحديث
واما ان يدخرها له في الاخرة واما ان يصرف
عنه من السوء مثلها قالوا اذا نكثر قال
الله

الله اكثر وروي انه يدعى بالمومن يوم القيمة
حتى يوقفه بين يديه فيقول عبدي اني امرتك
ان تدعوني ووعدتك ان استجيب لك فهل
كنت تدعوني فيقول نعم يارب فيقول اما انك
لم تدعني بدعوة الا استجيب لك اليس دعوتني
يوم كذا وكذا لغم نزل بك ان افرج عنك ففرجت
عنك فيقول نعم يارب فيقول اني عجلتها
لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل
بك افرج عنك فلم ترفرجا قال نعم يارب فيقول
فيقول اني ادخرتها لك في الجنة كذا وكذا ودعوتني
في حاجة اقضيها لك في يوم كذا فقضيتها
فيقول نعم يارب فيقول اني عجلتها لك في الدنيا
ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة اقضيها لك
فلم اقضها لك فلم تر قضاها فيقول نعم يارب
فيقول اني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا يدع الله دعوة دعى بها عبده المومن الا
بين لها اما ان يكون عجلها له في الدنيا
واما ان يكون ادخر له في الاخرة فيقول

فيقول المومن في هذا المقام يا ليته لم يكن عجل له
شي من دعايه وروي لا تعجلوا في الدعاء
فانه لا يهلك مع الدعا احد وروي ادعوا
الله وانتم موقنون بالاجابة وروي
يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت
فلم يستجب لي وروي لا يزال يستجاب
العبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم
يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال
فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر
اي يمل عند ذلك ويدع الدعا فليدع الانسان
وهو موقن بالاجابة وقال محمد بن كعب
القرظي الطلب من الملايكة للمومنين
سالوا ربهم للمومنين بقولهم ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم وقيل ان
المكلفين سالوه بلسان الحال لانهم لما
تحملوا المشقة الشديدة في طاعة الله كان
ذلك قايما مقام السوال قال المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة
سكوتي كلام عندها وخطاب

ولما



ولما ذكر تعالى حالهم في الساعة بعده اتبعه
ذكر حالهم مع معبوداتهم من دونه بقوله تعالى
ويوم اي واذكر لهم يوم يحشرهم اي المشركين
وقرا ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالنون
واختلف في المراد بقوله تعالى وما يعبدون
من دون الله اي غيره فقال الاكثرون من
الملايكة والجن والمسيح وعزير وغيرهم وقال
عكرمة والضحاك والكلبي من الاصنام
وقيل لهم كيف يخاطب الله تعالى الجماد بقوله
تعالى فيقول أانتم اضللتم عبادي هولاء اي
اوقعتموهم في الضلال بامركم اياهم بعبادتكم
ام هم ضلوا السبيل اي طريق الحق بانفسهم
فاجابوا بوجهين احدهما ان الله تعالى يخلق
الحياة فيها ويخاطبها الثاني ان يكون ذلك
بالكلام النفساني لا بالقول اللساني بل بلسان
الحال كما ذكره بعضهم في تسبيح الجماد وكلام
الايدي والارجل ويجوز ان يكون السوال
عاما لهم جميعا فان قيل كيف صح استعمالهم
في العقلا اجيب على الاول بانه

اريد به الوصف كانه قيل ومعبودا تهم الاترك
يقول اذا اردت السوال عن صفة زيد ما زيد
تعني اطويل ام قصير فقيه ام طبيب
وقال تعالى والسما وما بناها ولا انتم
عابدون ما اعبد واما على القول الثاني
فواضح واما على القول الثالث فغلب على غير
العاقل لقلة عبادته او تحقيرا فان قيل
ما فايدة هذا السوال مع ان الله تعالى
كان عالما في الازل بحال المسول عنه
اجيب بان هذا السوال تقريع
للمشركين كما قال لعيسى عليه السلام
أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله وقرا ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون
والباقون باليا وقرا اانتم نافع وابن كثير
بتسهيل الثانية وادخال الف بينهما
وبين همزة الاستفهام وورش وابن كثير
بتسهيل الثانية ولا الف بينها وبين الاولى
ولورش وجه اخر وهو ابدال الثانية
الفا وهشام بتسهيل الثانية وتخفيفها
مع



مع الادخال والباقون بتخفيفها وقرا هولا
ام هم نافع وابن كثير وابو عمرو في الوصل
بابدال الهمزة من امر يا خالصة والباقون بتخفيفها
**قالوا سبحانك** اي تنزيها لك عما لا يليق بك او
تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملايكة او انبيا معصومون
فما ابعدهم عن الضلال الذي هو مختص بابليس
وجنوده او جمادات وهي لا تقدر على شي او
اشعار بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده
فكيف يليق بهم اضلال عبيده **ما كان ينبغي** اي
يستقيم **لنا ان نتخذ** اي نتكلف ان نتخذ
باختيارنا من غير ارادة منك **من دونك**
اي غيرك **من اوليا** للعصمة او لعدم القدرة
فكيف نستقيم لنا ان نامر بعبادتنا فان قيل
ما فايدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم
عبادي هولا ام ضلوا السبيل اجيب
بان السوال عن الفعل ووجوده لانه لولا
وجوده لما توجه هذا العقاب وانما هو عن
توليه فلا بد من ذكره وايلايه حرف
الاستفهام حتى يعلم انه المسول عنه

تسبيحه من اولياء مفعولا اول ومن زايده
لتاكيد النفي وما قبله المفعول الثاني ولما تضمن
كلامهم انا لم نضللهم ولم نحملهم على الضلال
حسن الاستدراك لقولهم **ولكن متعتهم واباءهم**
وهو ان ذكروا سببه اي انعمت عليهم وعلى
اباءهم من قبلهم بانواع النعم والصحة وطول
في العمر في الدنيا فجعلوا ذلك ذريعة الى
اضلالهم عكس القضية **حتى نسوا الذكر**
اي تركوا الايمان بالقران وقيل تركوا
ذكرك وغفلوا عنه **وكانوا** اي في علمك
بما قضيت عليهم في الازل **قوما بورا**
اي هلكى وهو مصدر وصف به ولذلك
يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر
كعابد وعود وقوله **فقد كذبوكم** فيه
التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام
على حذف القول والمعنى فقد كذب
المعبودون دون العابدين **بما** اي
بسبب **تقولون** اي ايها العابدون من
انهم يستحقون العبادة وانهم يشفعون
لكم



لكم وانهم اضلوكم ولما تسبب عن تخليهم عن عبدتهم
انه لا نفع في ايديهم ولا ضر قال تعالى **فما يستطيعون**
اي المعبودون **صرفا** اي لشي من الاشيا عن احد من
الناس لا انتم ولا غيركم من عذاب ولا غيره بوجه
من جيله ولا استفاعة ولا معاكاة **ولا نصرا**
اي منعا لكم من الله ان اراد بكم سوا وهذا
نحو قوله تعالى لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا
وقرا حفص بالتا على الخطاب والباقون بيا على
الغيبة **ومن يظلم** اي بالشرك **منكم** اي ايها المكلفون
**نذقه** اي بما لنا من العظمة **عذابا كبيرا** اي شديدا
في الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية وفي الاخرة
بنار جهنم وروي الضحاك عن ابن عباس انه قال
لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقولهم ما لهذا الرسول الى اخرها انزل الله تعالى
**وما ارسلنا قبلك** اي يا اشرف الخلق احدا
**من المرسلين الا انهم** رجالهم **ليا كلون الطعام**
كما ياكل وياكل غيرك من الادميين **ويمشون**
**في الاسواق** كما تفعل فهذه عادة مستمرة من
الله تعالى في كل رسله وهم يعلمون ذلك بالسماع
من اخبارهم وهذا تاكيد من الله تعالى لانهم لا

يكذبونه صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا قيل لهم مثل هذا
انهم ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق كما قال
تعالى في موضع اخر ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك وجعلنا اي بالعطا والمنع بما لنا
من العظمة بعضكم اي ايها الناس لبعض فتنة
اي بلية والمعنى انه تعالى ابتلى المرسلين
بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم
الجارحة على حد الانصاف وجعل الغني فتنة
الفقير والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة
للوضيع يقول الثاني في كل ما لي لا اكون كالاول
وقال ابن عباس جعلت بعضكم بلاء لبعض
لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من
خلافهم وتتبعوا الهدى وقال مقاتل نزلت
هذه الاية في ابي جهل والوليد بن عقبة والعاص
ابن وايل والنضر بن الحارث وذلك انهم راوا
ابا ذر وابن مسعود وعمار وبلال وصهيب
وعامر ابن فهيرة ودونهم قد اسلموا قبلهم
فقالوا انسلم ونكون مثل هولا وقيل جعلناك
فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز

وجنان

وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا
او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون
طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير
طمع دنيوي وقوله تعالى اتصبرون اي على ما
تسمعون مما ابتليتم به استفهام بمعنى الامر
اي اصبروا وكان ربك اي المحسن اليك احسانا
لم يحسنه الى احد سواك لا سيما بجعلك نبيا
عبدا بصيرا اي بكل شي ومنه عالم بالانسان قبل
الامتحان لم يفده ذلك علما لم يكن عنده ولكن
يعلم ذلك شهادة كما يعلم علم غيب لتقوم
عليهم بذلك الحجة فلا يضيقن صدرك ولا
يستخفنك اقاويلهم فان صبرك عليها سعادتك
وفوزك في الدارين روي انه صلى الله عليه
وسلم قال اذا نظر احدكم من فضل عليه في المال
والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم
وروي انظروا الى من هو اسفل منكم ولا
تنظروا الى من هو فوقكم حذر ان لا تزدروا نعمة
الله عليكم الشبهة الرابعة لمنكري نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وقال الذين لا يرجون

ويفرحون به وهم اذا راوهم عند الموت ويوم
القيمة كرهوا لقاهم وفزعوا منهم لانهم لا
يلقونه الا بما يكرهون وقالوا عند رويتهم
ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو والشدة
النازلة او نحو ذلك حجرا محجورا يضعونها
موضع الاستعاذة فهم يقولون ذلك اذا
عاينوا الملائكة قال سيبويه يقول الرجل
للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من
حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله
ان يمنع المكروه عنه فلا يلحقه وكان المعنى
اسال الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا
وقال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما
ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله وقيل
اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة
لهم حرام محرم عليكم ان تكون لهم البشرى
ولما كان المريد لابطال شي لشدة كراهته له
لا ينفع في ابطاله لغيره بل ياتيه بنفسه
فيبطله عبر تعالى بقوله تعالى وقدمنا
اي وعمدنا بما لنا من القدرة الباهرة في ذلك
اليوم



في ذلك اليوم الذي يرونه فيه الملائكة سواكان
في الدنيا ام في الاخرة الى ما عملوا من عمل اي من
مكارم الاخلاق من الجود وصلة الرحم و
لغاثة الملهوف ونحو ذلك فجعلناه لكونه
لم يوسس على الايمان وانما هو للهوى
والشيطان هبا وهو ما يرى في شعاع
الشمس الداخل في كوة مما يشبه الغبار منثورا
اي متفرقا اي مثله في عدم النفع اذ لا ثواب
فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا
فتكون النار مستقرهم ومقيلهم ولهذا
بين حال اضدادهم وهم المومنون بقوله
تعالى اصحاب الجنة يومئذ اي يوم اذ
يرون الملائكة خير مستقرا من الكفار
واحسن مقيلا منهم والمستقر المكان
الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين
يتجالسون ويتحادثون والمقيل والمكان
الذي ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم
والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان
المترفهين في الدنيا يعيشون على ذلك

الترتيب روي انه يفرغ من الحساب في نصف
ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار وقال ابن مسعود ولا ينتصف النهار
يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار وقال ابن عباس في
هذه الاية الحساب في ذلك اليوم في اوله
وقال يوم القيمة يقصر على المومنين حتى
يكون ما بين العصر الى الغروب تنبيه
في افعل ههنا قولان احدهما انها على بابها
من التفضيل والمعنى ان المومنين خير
في الاخرة مستقرا ومن مستقر الكفار
واحسن مقيلا من مقيلهم ولو فرض ان
يكون لهم ذلك وعلى انهم خير في الاخرة
منهم في الدنيا والثاني ان يكون
لمجرد الوصف من غير مفاضلة وفي ذلك
المعنى قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في
شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال
على الارائك متكيون ذكروا في تفسير الشغل
افتضاض الابكار وانما سمي مكان دعتهم

واستراحهم



واستراحهم الحور مقيلا مع انه لا نوم في الجنة
على طريق التشبيه ثم عطف تعالى على قوله
يرون قوله تعالى **ويوم تشقق السما** اي كل
سما **بالغمام** اي كما تشقق بالنبات فيخرج من
خلال شقوقها وهو غيم ابيض رقيق مثل
الضبابة ولم يكن الا لبني اسرايل في تيههم
تنبيه في هذه اليا ثلاثة اوجه انها سببية
اي بسبب الغمام اي بسبب طلوعه منها ونحوه
السما منفطر به كانه الذي تنشق به السماء
الثاني انها للحال اي متلبسة بالغمام الثالث
انها بمعنى عن اي عن الغمام كقوله تعالى يوم
تشقق الارض عنهم سراعا والبا وعن يتعاقبان
يقول رميت عن القوس وبالقوس وقرا ابو
عمرو والكوفيون بتخفيف الشين والباقون
بتشديدها ثم اشار تعالى من جهل نزول
الملايكة دفعة واحدة بقوله تعالى **ونزل**
**الملايكة تنزيلا** اي بالتدريج بامر حتم لا
يمكنهم التخلف عنه بامر من الامور ولغيره
من الذين طلبوا ان يروهم في حال

واحد تنزيلا في ايديهم صحايف الاعمال قال
ابن عباس تنشقق السما الدنيا فينزل اهلها
وهم اكثر من سما الدنيا واهل الارض جنا
وانسا ثم كذلك حتى تنشقق السما
السابعة واهل كل سما يدورون على السما
التي قبلها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش
فان قيل ثبت ان نسبة الارض الى سماء
الدنيا كحلقة في فلاة فكيف تسع الارض
هولا اجاب بعض المفسرين بان الملايكة
الملايكة تكون في الغمام والغمام يكون مقر الملايكة
ويجوز ان الله تعالى يوسع الارض حتى تسع
الجموع وقرا ابن كثير بنونين الاولى مضمومة و
الثانية ساكنة وتخفيف الزاي ورفع اللام
ونصب الملايكة والباقون بنون واحدة مشددة
ونصب اللام ورفع الملايكة ثم بين تعالى
ان ذلك اليوم لا يقضي فيه غيره بقوله تعالى
الملك يومئذ اي اذ تنشقق السما بالغمام ثم وصف
الملك بقوله تعالى الحق اي الثابت ثباتا لا يمكن
زواله ثم اخبر عنه بقوله تعالى للرحمن اي العام
الرحمة.

الرحمة في الدارين ومن رحمته وحفت ملكه ان
يسر قلوب اهل وده بتعذيب اهل عداوته
الذين عادوهم فيه لتضعيفهم الحق باتباع
الباطل ولولا اتصافه بالرحمة لم يدخل احد
الجنة فان قيل مثل هذا لم يكن قط الا للرحمن
فما الفايدة في قوله تعالى يومئذ اجيب بان
في ذلك اليوم لا مالك له سواه لا في الصورة
ولا في المعنى فتخضع له الملوك وتعنو له الوجوه
وتذل له الجبابرة بخلاف ساير الايام وكان اي
ذلك اليوم الذي تظهر فيه الملايكة الذين
طلب الكفار رويتهم يوما على الكافرين عسيرا
اي شديدا بالعسر والاستعار تنبيه هذا
الخطاب يدل على انه لا يكون على المومنين عسيرا
جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المومن
حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة صلاها
في الدنيا وقوله تعالى ويوم يعض الظالم
اي المشرك لفرط تاسفه لما يرى فيه من الاهوال
معمول لمحذوف ومعطوف على يوم تنشقق وال
في الظالم تحتمل العهد والجنس لكن قال

ابن عباس اراد بالظالم عقبة بن ابي معيط بن
امية بن عبد شمس كان لا يقدم من سفر الا صنع
طعاما ودعى اليه جيرانه واشراف قومه
وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم
ويعجبه حديثه فقدم ذات يوم من سفر فصنع
طعاما ودعا الناس ودعا النبي صلى الله
عليه وسلم فلما قرب الطعام قال النبي صلى
الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك حتى
تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال
عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فاكل صلى الله عليه وسلم
من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن
خلف قال فلما اتى ابي بن خلف قال له
يا عقبة اصبات قال لا فالله لا اصابت
ولكن دخل علي رجل فابى ان ياكل طعامي
الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من
بيتي ولم يطعم فشهدت له والشهادة ليست
في نفسي فقال ما انا بالذي ارضى منك
ابدا الا ان تاتيه وتبصق في وجهه

وتطا

وتطا قفاه وتلطم وجهه وعينه فوجده
ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك عقبة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا
من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل
عقبة يوم بدر صبرا امر عليا رضي الله عنه
فقتله وقيل عاصم بن ثابت افلح الانصاري
واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى الله
عليه وسلم بيده يوم احد طعنه في المبارزة
فرجع الى مكة ومات قال الضحاك لما بصق عقبة
في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بصاقه
في وجهه فاحرق خداه فكان اثر ذلك فيه
حتى مات وقال الشعبي كان عقبة خليل امية
فاسلم عقبة فقال امية وجهي من وجهك
حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله
تعالى ويوم يعض الظالم اي عقبة على يديه
قال الضحاك ياكل يديه الى المرفق ثم تنبت
ولا يزال هكذا كلما اكلها تنبت وقال المحققون
هذه اللفظة للتحسر والغم يقال عض اناملة
وعض على يديه وهو لا يشعر حال كونه

مع هذا الفعل يقول اي يجدد في كل لحظة قوله
ياليتني اتخذت اي ارغمت نفسي وكلفتها
ان اخذ في الدنيا مع الرسول اي محمد صلى
الله عليه وسلم سبيلا اي طريقا الى
الهدى ولما تاسف على مجانبة الرسول
تندم على مصادقة غيره بقوله ياويلتى
اي ياهلاكي الذي ليس لي منادم غيره
لانه ليس بحضرتي سواه ليتني لم اتخذ
فلانا اي ابيا خليلا اي صديقا اوافقه
في اعماله لما علمت من سوء عاقبتها فكنى
عن اسمه وان اريد به الجنس وكل من
اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله
اسم علم عليه لا محالة فجعله كناية
عنه وقرا ابو عمرو بفتح اليا والباقون
بالسكون واظهر الذال عند التا ابن كثير
وحفص وادغمها الباقون ثم استانف
قوله الذي ليتوقع كل سامع ان يقول
لقد اي والله لقد اضلني عن الذكر
اي عمى على الطريق الذي لا ذكر في الحقيقة

غيره

غيره وصرفني عنه والجملة موضع العلة لما
قبلها بعد اذ جاني ولم يكن لي منه مانع ردني
عن الايمان به وقرا نافع وابن ذكوان وعاصم
باظهار الذال والباقون بالادغام وقوله
تعالى وكان الشيطان اشارة الى الخليل
سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان
او الى كل من كان سببا للضلال من عتاة
الجن والانس للانسان خذولا اي شديد
الخذلان يورده ثم يسلمه الى اكبر ما يكون
لا ينصره ولو اراد ما استطاع بل هو في شر
من ذلك لان عليه اثمه في نفسه ومثل
اثمه من اضله تنبيه حكم هذه عام
في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية
الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم
مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل
المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان
يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان
تجد ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق
ثيابك واما ان تجد ريحا خبيثة وقال

وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل وقال صلى الله عليه
وسلم لا تصاحب الا مومنا ولا ياكل طعامك
الا تقي ولما ذكر تعالى اقوال الكفار ذكر قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
وقال الرسول يا رب اي ايها المحسن الي بانواع
الاحسان وعبر باداة البعد هضما لنفسه
ومبالغة في التضرع ان قومي اي قريشا التضرع
الذين لهم قوة ومنعة اتخذوا هذا القران
اي المقتضي للاجماع عليه والمبادرة اليه مهجورا
اي متروكا يعبد الم يومنوا به ولم يقبلوه
واعرضوا عن استماعه تنبيه اشار
بصيغة الافتعال الى انهم عالجوا انفسهم
في تركه على اجا كثير لما يرون من حسن
نظمه ويذوقون من لذيذ معانيه
ورايق اساليبه ولطايف عجايبه
وبديع غرايبه واكثر المفسرون على هذا
القول وقع من النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابو مسلم بل المراد انه يقوله
في



في الاخرة كقوله تعالى فكيف اذا جينا من كل
امة بشهيد الاية والاول اولى لان قوله تعالى
وكذلك اي كما جعلنا لك عدوا من مشركي
قومك جعلنا لكل نبي من الانبيا قبلك رفعة
لدرجاتهم عدوا من المجرمين اي من المشركين تسلية
له صلى الله عليه وسلم كانه تعالى يقول
فاصبر كما صبروا ولا يكون ذلك الا اذا وقع القول
منه وكفى بربك اي المحسن اليك هاديا اي يهدي
بك من قضى بسعادته ونصيرا ينصرك على من حكم
بشقاوته تنبيه احتج اهل السنة بهذه الاية
على انه تعالى يخلق الخير والشر لان قوله تعالى
لكل نبي عدوا يدل على ان تلك العداوة من
جعل الله تعالى وتلك العداوة كفر فان قيل
قوله تعالى يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران
مهجورا كقول نوح عليه السلام رب اني دعوت
دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي
الا فرارا فكما ان المقصود من هذا انزال العذاب
فكذلك ما هنا فكيف يليق هذا من وصفه
الله تعالى بالرحمة في قوله تعالى وما

ارسلناك الا رحمة للعالمين اجيب بان نوحا
عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم واما
النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر هذا لم يدع
عليهم بل انتظر فلما قال تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا فكان ذلك كالامر له بالصبر
على ذلك وترك الدعا عليهم فافترقا الشبهة
الخامسة لمنكري النبوة ما حكاه الله تعالى
عنهم بقوله تعالى وقال الذين كفروا اي
عتوا عداوة وحسدا ما تشهد عقولهم
بصحته من ان القران كلام الله تعالى
لاعجازه لهم مفرقا فضلا عن كونه مجتمعا
لولا اي هلا نزل عليه القران اي انزل الخبر
من اخبر ليلا ثنيا قض قولهم جملة واكدوا
بقولهم واحدة اي من اوله الى اخره كما انزلت
التورية على موسى والانجيل على عيسى
والزبور على داود لنحقق انه من عند الله
ويزول عنا ما نتوهمه من انه الذي
يرتبه قليلا قليلا وهذا الاعتراض في غاية
السقوط لان الاعجاز لا يتخلف بنزوله
او

٩٥
او متفرقا مع ان للتفريق فوايد منها ما اشار
اليه بقوله تعالى كذلك اي انزلناه شيا فشيا
على هذا الوجه العظيم الذي انكروه لنثبت
اي نقوي به فوادك اي قلبك فتعيه وتحفظه
لان المتلقي انما يقوي قلبه على حفظ العلم
شيا فشيا بعد شي وجزا عقب جزو ولو القي
عليه جملة واحدة لتعيا بحفظه والرسول
صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال
داود وموسى وعيسى حيث كان اميا
لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا قارين كاتبين
فلم يكن حد من التلقي والتحفظ فانزل الله
تعالى عليه منجما في عشرين سنة وقيل
في ثلاث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب
الحوادث وجوابات السايلين ولان بعضه
منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما
انزل مفرقا فان قيل ذلك يجب ان يكون
اشارة الى شي تقدمه والذي تقدم هو انزال
جملة فكيف فسر بذلك انزلناه مفرقا اجيب
بان الاشارة الى ان الانزال مفرقا لا الى جملة

والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا
ان ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة
من اقصر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا
به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا
الى المجاذبة قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم
قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته
وقوله تعالى **ورتلناه ترتيلا** معطوف
على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال
تعالى كذلك فرقناه ورتلناه ترتيلا ومعنى
ترتيله قال ابن عباس وبيناه بيانا
والترتيل والتبيين في ترسل وتثبت وقال
السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد
بعضه في اثر بعض وقال الحسن تفرقه اية
بعد اية ووقفه عقب وقفه ويجوز ان
يكون المعنى وامرنا بترتيله وقراءته وذلك
قوله تعالى ورتل القران ترتيلا اي اقراه
بترسل وتثبت ومنه حديث عايشة
في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع
ان يعد حروفه لعدها وقيل هو ان



ان تنزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة
متباعدة وهي عشرون سنة ولم تفرقه في مدة
متقاربة ولما كان التقدير قد بطل ما اتوا به من
هذا الاعتراض عطف عليه **ولا ياتونك** اي يا
اشرف الخلق اي المشركون **بمثل** اي باعتراض
في ابطال امرك يخيلون به العقول الضعفا يجتهدو
في تنميقه وتحسينه وتدقيقه حتى يصير عندهم
في غاية الحسن والرشاقة لفظا ومعنى **الا جيناك**
في جوابه **بالحق** اي الذي لا محيد عنه فيزهق
ما اتوا به لبطلانه فسمى ما يوردون من الشبه
مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا **واحسن**
اي من مثلهم **تفسيرا** اي بيانا وتفصيلا ولما
كان التفسير هو التكشف عما يدل عليه الكلام
وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام
كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا ياتونك
بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه
صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك
او يلقى اليك كنزا او يكون لك جنة او ينزل عليك
القران جملة واحدة الا اعطيناك نحن من الاحوال
ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه

وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه دلالة
على صحته ثم بين تعالى حال هولا المعاندين
في الاخرة بقوله تعالى الذين اي هم الذين يحشرون
اي يجمعون قهرا ماشين مغلوبين على وجوههم
مسحوبين الى جهنم كما انهم لم ينظروا في الدنيا
بعين الانصاف فان الاخرة مرآة الدنيا مهما
عمل هنا راه هناك كما ان الدنيا مزرعة الاخرة
مهما عمل فيها جنى ثمره هناك روى البخاري ان
رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه
يوم القيمة قال الذي امشاه على الرجلين
في الدنيا قادر ان يمشيه على وجهه في الاخرة
وروى البيهقي يحشر الناس يوم القيمة على
ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على
الوجوه وصنف على الاقدام ولما وصف الله
تعالى المتعنتين في امر القران بهذا الوصف
استانف الاخبار عنهم بقوله تعالى اوليك اي
البعدا البغضا شر اي شر الخلق مكانا هو جهنم
واضل سبيلا اي اخطا طريقا من غيرهم وهو
كفرهم ولما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين وكذلك وذكر ذلك في معرض التسلية

يوم القيمة





له صلى الله عليه وسلم ذكر قصص جماعة من
الانبيا وعرفه تكذيب اممهم زيادة في تسليته
القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة
في قوله تعالى ولقد اتينا اي بما لنا من العظمة موسى
الكتاب اي التوراة وجعلنا معه اخاه هارون
وزيرا اي معينا فان قيل كونه كالمنافي لكونه
شريكا له في النبوة والرسالة اجيب بانه لا
منافاة بين النبوة والرسالة والوزارة فقد كان
كان يبعث في الزمن الواحد انبيا ويومرون
بان يوازر بعضهم بعضا تنبيه هارون
بدل او بيان او منصوب على القطع ووزير
مفعول وقيل حال والمفعول الثاني معه ويدل
على رسالة هرون عليه السلام قوله تعالى فقلنا اذهبا
الى القوم اي الذين فيهم قوة وقدرة على ما يعانونه
وهم القبط فرعون وقومه الذين كذبوا باياتنا
فذهبا اليهم بالرسالة فكذبوهما فدمرناهم تدميرا
اي اهلكناهم اي اهلاكا اي فانت يا محمد لست اول من
كذبه الرسل فلك اسوة بمن قبلك فان قيل الفا
للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقب بعثة موسى

وهرون اليهم بل بعده بمدة مديدة اجيب بان
فالتعقيب محمولة على هذا الحكم باهلاك على
الوقوع او على انه على ارادة اختصار القصة
فاقتصر على حاشيتها اولها واخرها لانهما
المقصودان من القصة بطولها اعني الزام الحجة
ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
تنبيه قوله تعالى الذين كذبوا باياتنا ان
حملنا تكذيب الايات على الايات الالهية فهو
ظاهر وان حملناه على تكذيب ايات النبوة
فاللفظ وان كان للماضي فالمراد به المستقبل
القصة الثانية قصة نوح عليه السلام المذكورة
في قوله تعالى وقوم اي ودمرنا قوم نوح لما
كذبوا الرسل كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من
الرسل صريحا وتكذيبهم لواحد منهم تكذيبا
للجميع بالقوة لان المعجزات هي البرهان على
صدقهم وهي متساوية الاقدام في كونها خوارق
لا يقدر على معارضتها فالتكذيب بشي منها
تكذيب للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا
كالبراهمة وهم قوم ينفون بعثة الرسل نسبوا

لا



الى رجل يقال له برهام قد شهد لهم ذلك و
قرره في عقولهم ولانهم عللوا تكذيبهم بانه من
البشر فلزمهم تكذيب كل رسول من البشر ثم
بين تعالى تدميرهم بقوله تعالى اغرقناهم قال
الكلبي امطرنا عليهم السما اربعين يوما واخرج
ماء الارض ايضا في تلك الاربعين فصارت
الارض بحرا واحدا وجعلناهم اي قوم نوح في ذلك
للناس اية اي لمن بعدهم عبرة ليعتبر كل من سلك
طريقهم واعتدنا اي هيانا في الاخرة للظالمين
اي الكافرين وكان الاصل لهم ولكنه تعالى اظهر
تعميما وتعليقا للحكم بالوصف عذابا اليما
اي هولا ما سوى ما يحل بهم في الدنيا القصة
الثالثة قصة هود عليه الصلاة والسلام
المذكورة في قوله تعالى وعادا اي ودمرنا ثمودا
قوم صالح هود بالريح القصة الرابعة
قصة صالح عليه السلام المذكوره في قوله تعا
وثمودا اي ودمرنا ثمودا قوم صالح بالصيحة
القصة الخامسة المذكورة في قوله تعالى واصحاب
الرس اي البير الذي هي غير مطوية مبنية قال

ابن جرير والرس في كلام العرب كل محفور مثل
البير والقبر اي ودمرناهم بالخسف واختلف
في نبيهم فقيل شعيب وقيل غيره كانوا
قعودا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم فهلكوا
جميعا وقال الكلبي الرس بير بفلج اليمامة
قتلوا نبيهم فاهلكهم الله تعالى وفلج بفتح
الفا واللام والجيم قرية عظيمة بناحية اليمن
من مساكن عاد وبسكون اللام واد قريب من
البصرة وقيل الاخدود وقيل بير بانطاكية
قتلوا فيها حبيب النجار وقيل اصحاب
حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقا
وهي اعظم ما يكون من الطير سميت بذلك
لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي
يقال فتخ قيل هو بتا فوقية فخا معجمة او
مهملة وبيا تحتية وجيم وهي تنقض على صبيانهم
فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها
حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه
فاهلكوا وقرونا اي ودمرنا قرونا بين ذلك
اي الامر العظيم المذكور وهو بين كل امتين

من



من هذه الامم وقد يذكر اشيا مختلفة ثم يشير
اليها ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة
ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى
فذلك المحسوب او المعدود ثم قال الله تعالى
كثيرا وناهيك بما يقول فيه سبحانه وتعالى
انه كثيرا استدل البغوي في تفسيره امة وسطا
في البقرة عن ابي سعيد الخدري قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
بعد صلاة العصر فما ترك شيا الى يوم القيمة
الا ذكره في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس
على روس النخل واطراف الحيطان فقال انه
لم يبق من الدنيا فيما مضى الا كما بقي من يومكم
هذا الا وان هذه الامة توفي سبعين امة
هي اخرها واكرمها على الله عز وجل ثم انه تعالى
قال تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم وتاسية
وبيانا للشريعة بالعفو عن امته وكلا اي من هذه
الامم ضربنا اي بينا له من العظة له الامثال
حتى وضح له السبل وقام من غير شبهة
الدليل وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا

اهلاكا وقال الاخفش كسرنا تكسيرا وقال
الزجاج كل شي كسرته وفتته فقد تبرته
ولقد اتوا اي هولا المكذبون من قومك على
القرية التي امطرت اوقع امطارها عن لا يقدر
علي الامطار سواه بالحجارة ولذا قال تعالى
مطر السوء مصدر سا وهي قرية قوم لوط
قال البغوي كانت خمس قري فاهلك الله
اربعا منها لعملهم الفاحشة ونجت نصر واحدة
منهم وهي صغر وكان اهلها لا يعملون العمل
الخبيث فان قيل لم عبر تعالى بالقرية
وهي قري اجيب بانه تعالى قال ذلك
تحقيرا لشانها في جنب قدرته تعالى واهانة
لمن يريد عذابه ودلالة على جمع الفاحشة
لهم حتى كانوا كانهم شي واحد وقوله تعالى
بل كانوا لا يرجون اي لا يخافون نشورا
اي بعثا بعد الموت لانه استقر في انفسهم
اعتقادهم التكذيب بالاخرة واستمروا عليه
قرنا بعد قرن حتى تمكن ذلك منهم تمكينا لا
ينفع معه الاعتبار الا لمن شا الله واذا راوك

اي مع



اي مع ما يعلمون من صدق حديثك وكرم
افعالك لو لم تاتهم بمعجزة فكيف وقد اتيتهم
بما بهر العقول ان اي ما يتخذونك الا
هزوا اي مهزوا بك وعبر تعالى بالمصدر
اشارة الي مبالغتهم في الاستهزا مع شدة
بعده صلى الله عليه وسلم عن ذلك يقولون
اهذا الذي بعث الله رسولا اي في دعواه
محتقرين له ان تاتيه الرسالة وقولهم ان مخففة
من الثقيلة اي انه كاد ليضلنا اي يصرفنا عن الهتنا
اي عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعا الي التوحيد
وكثرة ما يورد مما يسبق الي الذهن انها حجج ومعجزات
لولا ان صبرنا اي عالنا من الاجتماع والتعاضد
عليها اي على التمسك بعبادتها قال الله تعالى
وسوف يعلمون اي في حال لا ينفعهم فيه
العمل وان طالت مدة الامهال في التمكين حين
يرون العذاب عيانا في الاخرة من اضل سبيلا
اي اخطا طريقا اهم ام المومنون ولما كان صلى
الله عليه وسلم حريصا على رجوعهم

ولزوم ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم سلاه
تعالى بقوله تعالى معجبا من حالهم ارايت اي
اخبرني من اتخذ الهه هواه اي اطاعه وبنى
عليه دينه لا يسمع حجة ولا ينظر دليلا فان قيل
لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها
اجيب بان ما هو الا تقديم المفعول الثاني
على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا
زايدا الفضل عنايتك بالمنطلق ولما كان
لا يقدر على صرف الهوى الا الله تعالى تسبب
عن شدة حرصه على هداهم قوله تعالى
افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا تحفظه
من اتباع هواه لا قدرة لك على ام تحسب
ان اكثرهم اي هولا المدعون يسمعون
اي سماع من ينزجر ولو كان غير عاقل
كالبهايم او يعقلون اي ما يرون وان لم يكن
لهم سمع حتى تطمع في رجوعهم باختيارهم
من غير تسر فان قيل انه تعالى نفى عنهم
السمع والعقل فكيف ذمهم عن الدين وكيف
بعث



بعث الرسول اليهم فان من شرط التكليف
العقل اجيب بانه ليس المراد انهم لا يعقلون
شيا بل المراد انهم لا ينتفعون بذلك العقل
فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما انت اعمى
واصم فان قيل لم خص الاكثر بذلك دون الكل
اجيب بانه كان فيهم من امن ومنهم من
عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرسالة
ولما كان هذا الاستفهام مفيدا للنفي استانف
ما افهمه بقوله تعالى ان اي ما هم الا كالانعام
اي في عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم
وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلايل
والمعجزات بل هم اضل اي منها سبيلا لانها
تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها
ممن يسي اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب
ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها
وهولا لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم
ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع
ولا يتقون العقاب الذي هو اشد

المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو
المشروع الهني والعذاب الروي ولما بين
تعالى جهل المعرضين عن دلايل التوحيد
وبين فساد طريقتهم ذكر انواعا من الدلايل
على وجود الصانع اولها الاستدلال بالنظر
اي الى حال الظل مخاطبا راس المخلصين الناظرين
هذا النظر حثا لاهل وده على مثل ذلك
بقوله تعالى **الم تر** اي تنظر **الى ربك** اي صنعه
وقدرته **كيف مد الظل** وهو ما بين طلوع الفجر
الى طلوع الشمس بجعله ممدودا لانه ظل لا شمس
معه كما قال تعالى في ظل الجنة وظل ممدود
اذ لم يكن معه شمس وان كان بينهما فرق
وهو الليل لان ظل الارض الممدود على قريب
من نصف وجهها مدة تحجب نور الشمس
بما قابل قرصها من الارض حتى امتدت
بساطه وضرب فسطاطه كما حجب ظل
ضلالهم انوار عقولهم وغفلة طباعهم
نفوذ اسماعهم **ولو شاء** اي الظل **لجعله**
**ساكنا** اي دايما ثابتا لا يزول
ولا



ولا تذهبه الشمس لاصقا باصل كل مظل من
جبل وبنا وشجر غير منبسط فلا ينتفع به
احد سمي انبساط الظل وامتداده تحركا منه
وعدم ذلك سكونا لكنه تعالى لم يشا بعد
جعله متحركا كما بسوق الشمس له وقال ابو عبيدة
الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفي
ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال سمي فيا
لانه فا من جانب المشرق الى جانب المغرب
ثم **جعلنا الشمس** اي الظل **عليه دليلا** اي ان
الناس يستدلون بالشمس واحوالها
في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا
في مكان وزايلا ومتسعا ومتقلصا فلو لم
يكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت
الظلمة والاشيا تعرف باضدادها ثم **قبضناه**
اي الظل **الينا** اي الى الجهة التي اردنا لا يقدر
احد غيرنا ان يحوله الى جهة غيرها والقبض
جمع المنبسط من الشي معناه ان الظل يعم
جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت
قبض الله الظل **قبضا يسيرا** اي على مهل

وفي هذا القبض اليسير شيا بعد شي من المنافع
ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة واحدة
لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس
جميعا وقيل المراد من قبضها يسيرا قبضها
عند قيام الساعة وذلك بقبض اسبابها
وهي الاجرام التي تلقي الظلال وقوله تعالى
يسيرا كقوله تعالى حشر علينا يسير فان
قيل ثم في هذين الموضعين كيف موقعها
اجيب بان موقعها بيان تفاضل
الامور الثلاثة كان الثاني اعظم من الاول
والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد
ما بينهما في الوقت ولما تضمنت هذه الاية
الليل والنهار وهو النوع الثاني قال تعالى
مصرحا بهما وهو اي ربك المحسن اليك وحده
الذي جعل دليلا على الحق واظهارا للنعمة
على الخلق الليل اي الذي تكامل به مد الظل
لباسا اي ساترا للاشيا شبه ظلامه باللباس
في ستره والنوم سباتا اي راحة للابدان
بقطع المشاغل وهو عبارة عن كونه
موتا



موتا اصغر طاويا لما كان من الاحساس قاطعا
عما كان من الشعور والتقلب فيه دلايل لاهل
البصاير قال البغوي وغيره واهل السبت
القطع وفي جعله تعالى لذلك من الفوايد الدينية
والدنيوية ما لا يعد ولا يحصى وكذا في قوله تعالى
وجعل النهار نشورا اي منشورا فيه لابتغا
الرزق وغيره وفي ذلك اشارة الى النوم واليقظة
انموذج للموت والنشور يحكى ان لقمان قال لابنه
يا بني لا تنام كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر
ثم ذكر النوع الثالث بقوله تعالى وهو اي
وحده الذي ارسل الرياح وقراة ابن كثير
بالافراد لارادة الجنس وقراة الباقون بالجمع
لكونها تارة صبا وتارة دبورا وتارة شمالا
وتارة جنوبا وغير ذلك وليس الدعا عند هبوب
الريح ويكره سبها لخبر الريح من روح الله تاتي
بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها فلا
تسبوها واسئلوا الله خيرها واستعيذوا
بالله من شرها رواه ابو داود والنشر
اي ناشرات السحاب وقراة عامر بضم النون

وسكون الشين على التخفيف وقراة عاصم
بالبا الموحدة مضمومة وسكون الشين
جمع بشور بمعنى مبشر وقراة حمزة والكسا
بفتح النون وسكون الشين على انه مصدر
وصف به بين يدي رحمته اي قدام المطر
ولما كانت الما مسببا عما تحمله الريح من السحاب
اتبعه بقوله تعالى وانزلنا اي بما لنا من العظمة
من السما اي من السحاب او الجرم المعهود
ما ثم ابدل منه بيانا للنعمة به فقال تعالى
طهورا اي طاهرا في نفسه مطهرا لغيره كما قال
تعالى في اية اخرى ليطهركم به كالوضوء
لما يتوضا به فهو اسم لما يتوضا به ولما
يتطهر به كالسحور اسم لما يتسحر به والفطور
اسم لما يفطر به قال صلى الله عليه وسلم
في البحر هو الطهور ماوه الحل ميتته اراد به
المطهر فالما المطهر لانه يطهر الانسان من
الحدث والخبث وذهب بعض الايمة
الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوز ازالة
النجاسة بالمايعات الطاهرة مثل الخل
ورد



ورد بانه لو جاز ازالة النجاسة بها لجاز
ازالة الحدث بها وذهب بعض منهم الى ان
الطهور ما يتكرر منه التطهر حتى جوز الوضو
بالما الذي يتوضا به مرة بعد مرة ورد بان
فعول يات اسما للالة كسحور لما يتسحر به
كما مر فيجوز ان يكون طهور كذلك ولو سلم
اقتضاوه التكرر فالمراد جمعا بين الادلة
فان الصحابة رضي الله عنهم لم يجمعوا الما في
اسفارهم القليلة الما بل عدلوا عنه الى
التيمم بثبوت ذلك لحسن الما وفي المحل
الذي كان يمر عليه فانه يطهر كل جز منه لنحيي
به اي بالما بلدة ميتا اي بالنبات وذكر ميتا
باعتبار المكان ونسقيه اي بالما وهو من
سقاه مزيد سقاه وهما لغتان قال ابن
القطاع سقيتك شرابا واسقيتك والله
تعالى اسقا عباده وارضه مما خلقنا انعاما
اي ابلا وبقرا وغنما واناسي كثيرا جمع انسان
واصله اناسين فابدلت النون يا وادغمت
فيها اليا او جمع انسي وقدم تعالى النبات

لان به حياة الانعام والانعام على الانسان
لان بها كمال حياته فان قيل لم خص الانعام من
بين ما خلق الانعام من الحيوان اجيب بها
بان الطير والوحش تبعد في طلب الما فلا يعوز
الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي
وعامة منافعهم متعلقة بها فكان عليهم
يسقي انعامهم كالانعام سيقيهم فان قيل
لم نكر الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة
اجيب بان حل الناس متنحون بالقرب
من الاودية والانهار ومنافع الما فيهم غنية
عن سقية الما واعقابهم وهم كثير منهم
لا يعيشون الا بما ينزل الله من رحمته وسقيا
سمايه وكذلك قوله تعالى لنحيي به بلدة
ميتا يريد بعض بلاد هولا المتبعدين عن
مظان الما واختلف في عود الهاء في قوله
تعالى ولقد صرفنا بينهم على ثلاثة اوجه
قال الجمهور انها ترجع الى المطر اي صرفنا نزول
الما من وابل وطل وغير ذلك مرة ببلد
ومرة ببلد اخرى قال ابن عباس

ما



ما عام بامطر من عام ولكن الله يصرفه في
الارض وقرا هذه الاية وهذا كما روي مرفوعا
ما من ساعة من ليل ونهار الا والسما تمطر
فيها فيصرفه الله حيث يشا وروي عن ابن
مسعود يرفعه قال ما من ليس من سنة
بامطر من اخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق
فجعلها في السما الدنيا في هذا القطر ينزل منه
كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل
قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا
جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي والبحار وروي
ان الملايكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل
عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد تاتيها
قال ابو مسلم الضمير راجع الى المطر والسحاب
والاظلال وساير ما ذكر الله من الادلة يالهنا
صرفنا هذا القول بين الناس في القران وفي ساير
الكتب والمصاحف التي نزلت على الرسل عليهم
السلام وهو ذكر انشا السحاب وانزال
المطر ليذكروا اي ليتفكروا ويعلموا كمال القدرة
وحق النعمة ويقوموا بشكره تنبيها اصل

يذكروا تذكروا ادغمت التا في الذال وقراة
حمزة والكسائي بسكون الذال ورفع الكاف
مخففة والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين
فابى اي لم يرد اكثر الناس اي بعباده الا كفورا
اي جحودا للنعمة وقلة الاكتراث لها وكفرانهم
قولهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنو كذا وهو
بفتح النون وهمزة اخره وقت النجم الفلاني
على عادة العرب في اضافة المطر الى الانوا
فيكره ان يقول ذلك لانها مدات الانو
فاعل المطر حقيقة فان اعتقد ان الفاعل
له حقيقة كفر روى زيد بن خالد
الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية
في اثر سما كانت من الليل فلما انصرف اقبل
على الناس فقال هل تدرون ماذا قال
ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح
من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال
مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي
وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنو
كذا



كذا وكذا فذاك كافر بي مومن بالكواكب
وافاد تعليق الحكم بالبا انه لو مطرنا في نو كذا
لم يكره ونقل الشافعي عن بعض اصحابه انه كان
يقول عند المطر مطرنا بنو الفتح ثم يقرا ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ولو شينا
لبعثنا اي بما لنا من العظمة ونفوذ الكلمة في
كل قرية نذيرا اي رسولا ينذرهم من البشر او
الملايكة او غيرهم كما قسمنا المطر عليها ولكنا قصرنا
الامر عليك وعظمناك به واجعلناك وفضلناك
على سائر الرسل فلا تطع الكافرين فيما قصدوا
من التغيير على الدعا به بما يبدونه من المقترحات
او يظهرون لك من المداهنة او من القلق من
صادع الانذار ويخيلون لك انك لو اقللت
منه رجوا ان يوافقوك وقابل ذلك بالتشداد
والتصبر وجاهدهم اي بالدعا به اي القران
الذي تقدم التحدث عنه في قوله تعالى ولقد
صرفناه بينهم او بترك طاعتهم المدلول عليه
بقوله تعالى فلا تطع او بالسيف والاقرب

الاول لان السور مكية والامر بالقتال
ورد بعد الهجرة بزمان **جهادا كبيرا** اى
جامعا لكل المجاهدات الظاهرة والباطنة
لانه فى ذلك اقبال كثير من الناس اليك
واجتماعهم عليك فيقوى امرك ويعظم
خطبك وتضعف شوكتهم وتنكسر سورتهم
فان مجاهدة السفها بالحجج من مجاهدة الاعدا
بالسيف ثم ذكر النوع الرابع بقوله تعالى
**وهو الذي مرج البحرين** اى المامر الواسعين
الكثير بان خلاهما متجاورين متلاصقين
وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنع التمازج
**هذا عذب** اى حلو سايغ **فرات** اى شديد
العذوبة بالغ الغاية فيها حتى يضرب الى الحلاوة
ولا فرق بين ما كان منه على وجه الارض وما
كان فى بطنها **وهذا ملح** اى شديد الملوحة
**اجاج** اى مر محرق بملوحته ومرارته لا يصلح
لسقي ولا لشرب تنبيه اشار تعالى باداة القرب
فى الموضعين تنبيها على وجود الموضعين
مع شدة المقاربة لا يلتبس احدهما بالاخر
حتى



حتى انه حفر على شاطئ البحر الملح بالقرب جدا منه
خرج الما عذبا **وجعل** اى الله تعالى **بينهما برزخا**
اى حاجزا من قدرته مانعا من اختلاطهما ثم انه
تعالى اتم بغزير النعمة فى منعهما الاختلاط بالكلمة
التى جرت عادتهم بقولها عند النفوذ تشبيها
لكل منهما بالنفوذ بقوله **وحجرا محجورا** فكان كل
واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له ذلك
كما قال تعالى لا يبغيان اى لا يبغي احدهما على صاحبه
بالملوحة فانتفى البغي ثم كالتعوذ ههنا جعل كل
واحد منهما فى صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ
منه وهو من احسن الاستعارات واشهرها
على البلاغة فان قيل لا وجود للبحر العذب فكيف
ذكره الله تعالى ههنا اجيب بان المراد منه الاودية
العظام كالنيل وجيحون ومن البحر الاجاج البحار
الكبار ثم ذكر النوع الخامس بقوله تعالى **وهو**
اى وحده **الذي خلق من الما** اى المني من الرجل
والمراة **بشرا** اى انسانا **فجعله** اى بعد ذلك بالتطوير
فى اطوار الخلقة والتدوير فى ادوات التربية
**نسبا** اى ذكرا ينسب اليه **وصهرا** اى انثى يصاهر بها

بها فينقسم هذا بعد التطوير الى ذكر وانثى كما جعل
ذلك الما قسمين عذبا وملحا ونحو هذا قوله تعالى
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل النسب
ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه فالنسب
ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها قاله
البغوي وقيل وهو الصحيح النسب من القرابة
والصهر والخلطة التي تشبه القرابة وهو
النسب المحرم للنكاح وقد ذكر الله تعالى انه حرم
بالنسب سبعا وبالسبب سبعا في قوله
تعالى في النسا حرمت عليكم امهاتكم وكان
ربك اي المحسن اليك بارسالك وانزال هذا الذكر
اليك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا
ذا اعضا مختلفة وطبايع متباعدة وجعله
قسمين ذكرا وانثى وربما يخلق من نطفة واحدة
نوعين ذكرا وانثى فهو يوفق من يشا فيجعله
عذب المذاق سهل الاخلاق ويخذل من يشا
فيجعله مر يد الاخلاق كثير الشقاق عريقا في
النفاق ولما ذكر تعالى دلايل التوحيد عاد الى
تهجين سيرتهم فقال تعالى ويعبدون اي هولا

الكفرة



الكفرة من دون الله اي ممن يعلمون انه في الرتبة
دون الله المستجمع لصفات الكمال والعظمة
بحيث انه لا ضرر ولا نفع الا وهو بيده ما لا ينفعهم
بوجه من الوجوه ان عبدوه في ازالته ولا يضرهم
نعمة من نعم الله تعالى عليهم ان تركوه وكان الكافر
اي من مع علمه بضعفه وعجزه على ربه اي المحسن
اليه لا غيره ظهيرا اي معينا للشيطان من الانس
والجن على اوليا الله روي انها نزلت في ابي جهل
ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله تعالى
والملايكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق
والخليط وعلى هذا يكون المراد بالكافر الجنس
فان بعضهم مظاهر لبعض على اظهار نور دين
الله تعالى قال تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي
وهذا اولى لان خصوص السبب لا يقدح
في عموم اللفظ ولانه اوفق لظاهر قوله
ويعبدون من دون الله وقيل معناه وكان
الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع
ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت
به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه

وهذا وهو نحو قوله تعالى اولئك لا خلاق لهم في
الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولما كان التقدير
تسلية له صلى الله عليه وسلم فالزم ما انا مرك
به ولا يزدك تهمك بردهم عما هم فيه فانا ما
ارسلناك عليهم وكيلا عطف على قوله
تعالى وما ارسلناك يا اشرف الخلق بما لنا
من العظمة الا مبشرا بالثواب على الايمان
والطاعة ونذيرا اي مخوفا بالعقاب على
الكفر والمعصية كانه قيل فماذا اقول لهم اذا
طعنوا في الرسالة فقال تعالى قل اي لهم يا
اكرم الخلق حقيقة واعدلهم طريقة ممتحنا
عليهم بازالة ما يكون موضعا للتهمة ما
اسئلكم عليه اي على تبليغ ما ارسلت به من
اجر فتتهموني ان ادعوكم لاجله اذ لا غرض لي الا
نفعكم ثم اكد هذا المعنى بقوله تعالى مستثنيا
لان الاستثنا معيار العموم الا من اي الا اجر
من شا ان يتخذ اي يكلف نفسه ويخالف هواه
ويجعل له الى ربه سبيلا فانه اذا اهتدى
بهداية ربه كان لي مثل اجره لا نفع لي من جهتكم

الا



الا هذا فان سميتم هذا اجرا فهو مطلوبي هلا
مزية في انه لا ينقص احدا شيئا من دنياه افاد
فايدتين ان لا طمع له اصلا في شي ينقصهم والثانية
اظهار الشفقة البالغة حيث لم يقصد بنفعهم
الموصلة لهم الى ربهم ثوابا لنفسه وقيل الاستثنا
منقطع اي لكن من يشا ان يتخذ الى ربه سبيلا
فليفعل وجرى على ذلك الجلال المحلي وقال
ابن عادل في الاول نظر لانه لم يسند السوال
المنفي في الظاهر الى الله تعالى فانه اسنده الى
المخاطبين فكيف يصح هذا التقدير انتهى وقرا
قالون والبزي وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى
مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الثانية
ولهما ايضا ابدالها الفا والباقون بالتخفيف
الهمزتين ولما بين تعالى ان الكفار يتظاهرون
على اذايه وامره ان لا يطلب منهم اجرا امره
ان يتوكل عليه في دفع جميع المضار وفي دفع
جلب جميع المنافع بقوله تعالى وتوكل اي
اظهر العجز والضعف واستسلم واعتمد في

في امرك كله ولاسيما في مواجهتهم بالانذار
وفي ردهم من عنادهم على الحي الذي لا يموت
فلا ضياع لمن توكل عليه فانه الحقيق بان يتوكل
عليه دون الاحيا الذين يموتون فانهم اذا ماتوا
ضاع من توكل عليهم وعن بعض السلف
انه قراها فقال لا ينبغي لذي عقل ان يثق بعدها
بمخلوق وسبح متلبسا بحمده اي نزهه عن كل
نقص مثبتا له كل كمال وقيل صل له شكرا
على نعمته وقيل سبحان الله والحمد لله وحده
وعلى هذا اقتصر الجلال المحلي وكفى به بذنوب
عباده اي ما ظهر منها وما بطن وكل ما سواه
عبد خبيرا اي عالما مطلقا فلا يخفى عليه خافية
شي منها وان دق فلا عليك ان امنوا وكفروا
وهذه الكلمة يراد بها المبالغة تقول كفى بالعلم
كمالا وكفى بالادب مالا وهو معنى حسبك اي
لا تحتاج معه الى غيره لانه تعالى خبير باحوالهم
قادر على مكافاتهم وهذا وعيد شديد
ولما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يتوكل عليه ووصف تعالى نفسه بامور

منها



منها انه حي لا يموت ومنها انه عالم بجميع المعلومات
ومنها انه قادر على كل الممكنات وهو قوله تعالى
الذي خلق السموات والارض على عظمها وما بينهما
من القضا والعناصر والعباد واعمالهم من الذنوب
وغيرها الا يعلم من خلق وقوله تعالى في ستة ايام
اي من ايام الدنيا تعجيب للغبي والجاهل وتدريب
للفطن العالم في الحلم والاناة والصبر على عبادة
الله تعالى في دعوتهم فان قيل الايام عبارة
عن حركة الشمس في السموات فقبل السموات
الايام فكيف قال تعالى خلقها في ستة ايام
اجيب بانه تعالى خلقها في مدة مقدارها
هذه المدة فان قيل يلزم على هذا قدم الزمان
وهو ممنوع اجيب بان الله تعالى خلق هذه
المدة اولا ثم خلق السموات والارض فيها
بمقدار ستة ايام من ايام الاخرة كل يوم
مقداره الف سنة وهو بعيد لان التصريف
وان يكون بامر معلوم لا بامر مجهول
فان قيل لم قدم الخلق والايجاد بهذا المقدار
اجيب بانه يجب على المكلف ان يقطع

الطمع عن مثل هذا فانه بحر لا ساحل له من
ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار
بتسعة عشر وحملة العرش بثمانية والشهور
اثني عشر والسموات بالسبع وعدد الصلوات
ومقادير النصب في الزكوات والحدود و
الكفارات فالاقرار بان كل ما قاله الله حق
هو الدين والواجب ترك البحث عن هذه
الاشيا وقد نص الله تعالى على ذلك في قوله عز
وجل وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب الى قوله بهذا مثلا ثم قال
تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا جواب
ايضا في انه لم يخلقها في لحظة وهو قادر على
ذلك وعن سعيد ابن جبير انما خلقها في ستة
ايام وهو ان يقدر ان يخلقها في لحظة تعليما
لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها
يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين وعن
مجاهد اول الايام يوم الاحد واخرها
الجمعة ولما كان تدبير هذا الملك امرا
باهرا

باهرا اشار اليه باداة التراخي بقوله تعالى
ثم استوى على العرش اي شرع في التدبير
لهذا الملك الذي اخترعه واوجده ولا يجوز ان
يفسر بالاستقرار لانه يقتضي التغير الذي هو
دليل الحدوث ويقتضي التركيب وكل ذلك على
الله محال فان قيل يلزم من ذلك ان يكون
خلق العرش بعد السموات وقد قال تعالى
وكان عرشه على الما اجيب بان كلمة ثم دخلت
على خلق العرش بل على رفعه على السموات
وهو في اللغة سرير الملك وفي رفع قوله
تعالى الرحمن اوجه احدها انه خبر الذي
خلق او خبر مبتدا مضمر اي هو الرحمن
ولهذا اجاز الزجاج وغيره الوقف على
العرش ثم يبتدي الرحمن اي هو الرحمن الذي
لا ينبغي السجود والتعظيم الا له ويكون
بدلا من الضمير في استوى وعلى هذا اقتصر
الجلال المحلي واختلف في معنى الفا في قوله
تعالى فاسأل به على قولين احدهما على بابها
وهي متعلقة بالسوال والمراد بقوله خبيرا

اي عالم بما يخبرك بحقيقته هو الله تعالى ويكون من
التجريد كقولك رايت به اسدا والمعنى فاسال
الله تعالى الخبير بالاشيا قال الزمخشري او فاسل
بسواله خبيرا كقولك رايت به اسدا اي برويته
انتهى قال الكلبي فقوله به يعود الى ما ذكر
من خلق السموات والارض والاستوى على العرش
والبا من صلة الخبير وذلك الخبير هو الله تعالى
لانه لا دليل في العقل على كيفيه خلق السموات
والارض والاستوى على العرش ولا يعلم احد
الا الله تعالى والثاني ان تكون البا بمعنى عن اما
مطلقا واما مع السوال خاصة كهذه الاية
وكقول علقمة بن عبيدة فان تسالوني
بالنسا فانني خبير بادوا النساطيب
والضمير في به لله تعالى وخبيرا من صفات
الملك وهو جبريل عليه السلام وعن
ابن عباس ان ذلك الخبير هو جبريل
وانما قدم الروس الاي وحسن النظم وقال
ابن جرير البا في به صلة والمعنى فاساله
خبيرا وخبيرا نصب على الحال وقيل به

يجري



يجري مجرى القسم كقوله تعالى واتقوا الله الذي
تسالون به فاسيل بهذا الاسم من يخبرك
من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم
كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة
يعنون مسيلمة الكذاب وكان يقال له رحمن
اليمامة وقيل فسيل بسبب سوالك اياه
خبيرا عن هذه الامور وكل امر تريده يخبرك
بحقيقته امره ابتدا وحالا وما لا فلا تضيق
صدرك بسبب هولا المدعوين فان ما
ارسلناك الا وهو عالم بهم فسيعلا كعبك عليهم
وتحسن لك العاقبة وقرا ابن كثير والكسائي
بالنقل وكذا يقرا حمزة في الوقف والباقون
بسكون السين وفتح الهمزة ولما ذكر تعالى
احسانه اليهم وانعامه عليهم ذكر ما بدو من
كفرهم في موضع شكرهم بقوله تعالى واذا قيل
لهم اي من قايل قال لولا الذين يتقلبون
في نعمه اسجدوا اي اخضعوا بالصلاة وغيرها
للرحمن اي الذي لا نعمة لكم الا منه قالوا وما الرحمن
متجاهلين في معرفته فضلا عن كفر نعمته

معبرين باداة ما لا يعقل وقال ابن عربي وانما
عبروا بذلك اشارة الى جهلهم بالصفة دون
الموصوف ثم عجبوا من امره بذلك منكرين
عليه بقولهم أنسجد لما تأمرنا فعبروا عنه
بعد التجاهل في امره والانكار على الداعي اليه
ايضا باداة ما لا يعقل وزادهم اي هذا الامر
الواضح المقتضي للاقبال والسكون شكرا
للنعمة وطمعا في الزيادة نفورا اي عن الايمان
والسجود تنبيه هذه السجدة من عزائم
سجود التلاوة يسن للقاري والسامع
ان يسجد عند قراتها او سماعها وقرا واذا
قيل لهم هشام والكسائي بالاشمام وضم القاف
مع سكون اليا والباقون بكسر القاف وقرا
لما تامرنا حمزة والكسائي باليا التحتيه و
الباقون بالتا الفوقيه وابدل ورش
والسوسي الهمزة وقفا لا وصلا واما ما
حكى تعالى عن الكفار من مزيد النفرة عن السجود
وذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود
والعبادة للرحمن قال عز من قايل
تبارك



تبارك اي ثبت ثباتا لا نظير له الذي جعل في السما
الذي تقدم انه اخترعها واختلف في معنى قوله
بروجا فقال الزجاج ومقاتل قتادة ومجاهد
هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقال
عطية العوفي هي القصور فيها الحرس كما قال
تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة وقال عطا عن
ابن عباس هي الاثني عشر التي هي منازل الكواكب
السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزا
والسرطان والاسد والسنبله والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدالي والحوت
فالحمل والعقرب بيتا للمريخ والثور والميزان بيتا
للزهرة والجوزا والسنبله بيتا لعطارد و
السرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس
والقوس والحوت بيت للمشتري والجدي
والدلو بيت زحل وهذه البروج مقسومة
على الطبايع الاربعة فيكون نصيب كل واحد
منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل
والاسد والقوس مثلثة نارية والسرطان
والعقرب والحوت مثلثة مائيه وجعل فيها

اي السما وقيل البروج سراجا اي شمسا وقرا حمزة
والكسائي بضم السين والرا على الجمع للتنبيه
على عظمته في ذلك بحيث انه اعظم من الوف من
السرج فهو قايم مقام الوصف كما في الذي بعده
كما سياتي وقيل المراد الجمع الشمس والكواكب
الكبار والباقون بكسر السين وفتح الرا والف
بعدها على التوحيد وقمرا منيرا اي مضيا بالليل
ولما ذكر تعالى هاتين الايتين ذكر ما هما ايتاه
بقوله تعالى وهو الذي جعل الليل اي ايته القمر
والنهار اي الذي ايته الشمس خلفة اي ذوي
حالة معروفة في الاختلاف ياتي هذا خلف
ذاك بضد ما له من الاوصاف وقال ابن
عباس والحسن يعني خلفا وعوضا يقوم
احدهما مقام صاحبه لمن فاته عمله في احدهما
قضاه في الاخرة قال شقيق جاء رجل
الى عمر بن الخطاب قال فاتتني الصلاة الليلة قال
ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله
عز وجل جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان
يذكر



يذكر اي يتذكر الاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم انه
لابد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على
العباد وقرا حمزة بسكون الذال وضم الكاف
مخففة من ذكر يعني تذكر والباقون بفتح الكاف
والذال مشددتين او اراد شكورا اي فيشكر نعمة
ربه عليه من الايتان بكل منهما بعد الاخر وحصلت
السامة والملل منه والتواني في الامور المقدرة
بالاوقات وفتر العزم الذي انما يشرع لتداركها
دخول وقت اخر وغير ذلك من الامور التي احكمها
العلي الكبير وعن الحسن من غاية حمله من
التذكر والتشكر بالنهار وكانه كان له في الليل
مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار
مستعتب ولما ذكر تعالى عباده الذين اخذلهم
بتسليط الشيطان عليهم فصاروا حزب ولم
يضفهم الى اسم من اسمائه ايذانا باهانتهم
لهوانهم عنده اشارة الى عباده الذين اخلصهم
لنفسه بقوله تعالى وعباد الرحمن فاضافهم
اليه رفعة لهم وان كان الخلق كلهم عباده واضافهم
الى وصف الرحمة الابلغ التكريم اوليك
فهم

تبشيرا لهم ثم وصفهم بضد ما وصف بالمتكبرين
عن السجود اشارة الى انهم تخلقوا بهذه
الصفة التي اضيفوا اليها بصفات كثيرة الصفة
الاولى قوله تعالى **الذين يمشون** وقال تعالى **على الارض**
تذكيرا بما يصيرون اليه وحثا على السعي على تعالى
الاخلاق **هونا** اي هينين او مشيا هينا مصدر
وصف به مبالغة والهون الرفق واللين
ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله
المومنون هينون والمثل اذا عز اخوك فهن
والمعنى اذا عاسر فياسر والمعنى انهم
يمشون بسكينة وتواضع ووقار لا يضربون
باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا
ولذلك كره بعضهم اي بعض العلما الركوب
في الاسواق ولقوله تعالى ويمشون في الاسواق
تنبيه عباد مرفوع بالابتدا وفي خبره
وجهان احدهما الجملة الاخيرة في اخر السورة
اوليك يجزون وبه بدا الزمخشري والذين
يمشون وما بعده صفات للمبتدا والثاني
ان الخبر الذين يمشون الصفة الثانية

واذا



**واذا خاطبهم الجاهلون** اي بما يكرهونه **قالوا سلاما**
اي تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا
ولا شر اي فنتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام
التسليم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون
فيه من الاثم والايذا وليس المراد التحية لان
المومنين لم يومروا بالسلام على المشركين وعن
ابي العالية نسختها اية القتال ولا حاجة الى ادعا
النسخ باية القتال ولا غيرها لان الاغضا عن
السفها وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة
والشريعة اسلم للعرض والورع واطلق الخطاب
اعلاما بان اكثر خصال الجاهل وهو الذي
يخالف العلم والحكمة الجهل وهو السفه وقد اخذ
من قوله الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق
جهل الجاهلينه ولما ذكر تعالى ما بينهم وبين
الخلق ذكر ما بينهم وبينه وهي الصفة الثالثة
بقوله تعالى **والذين يبيتون** من البيتوتة
قال الزجاج كل من ادركه الليل قيل
بات وان لم ينم كما يقال بات فلان قلقا
والمعنى يبيتون **لربهم** اي المحسن اليهم

سجدا على وجوههم في الصلاة وقدمه لانه انهى
الخضوع واخر عنه قوله تعالى وقياما اي على
اقدامهم وان كان تطويل القيام افضل كما روي
وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل اشق
وابعد من الريا قال الزمخشري والظاهر انه
وصف لهم باحياء الليل او اكثره وقيل من قرا شيا
من القران في صلاة وان قل فقد بات ساجدا
وقايما وقال ابن عباس من صلى بعد العشا
ركعتين فقد بات ساجدا وقايما وقيل
هما ركعتان بعد المغرب والركعتان بعد
العشا وعن عثمان بن عفان قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى عشا الاخرة
في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى
الصبح في جماعة كان كقيام ليلة ولما ذكر
تعالى تهذيبهم للخلق والخالق وصفهم الله
تعالى انهم مع ذلك خايفون وجلون وهي
الصفة الرابعة بقوله تعالى والذين يقولون
ربنا اي المحسن الينا اصرف عنا عذاب
جهنم قال ابن عباس يقولون في سجودهم
وقيامهم



وقيامهم هذا القول وعلل سوالهم بقوله تعالى
ان عذابها كان غراما اي كونها جبلت عليه غراما
اي هلاكا وخسرانا ملحا لازما لا ينفك عنه كما قال
ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا
يبالي ومنه الغريم لملازمته والحاجة فهم يبتهلون
الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم لعدم اعتدادهم
باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم ولما ثبت لهم
هذا الوصف انتج قوله تعالى انها ساءت اي
تناهت هي في كل ما يحصل منه سوء وهي في
معنى بيست في جميع المدام مستقرا اي
موضع استقرار ومقاما اي موضع الاقامة
تنبيه ساءت في حكم بيست كما مر فيها ضمير
مبهم يفسره مستقرا ومقاما وهذا الضمير
هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا
لها ويجوز ان تكون ساءت بمعنى احزنت فيها
ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلات
يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان
يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم ولما
ذكر تعالى افعالهم واقوالهم اتبع ذلك بذكر انفاقهم

وهو الصفة الخامسة بقوله تعالى والذين اذا
انفقوا اي للخلق او الخالق في واجب او مستحب
او مباح لم يسرفوا اي لم يجاوزوا الحد في النفقة
في التبذير فيضعوا الاموال في غير حقها ولم يقتروا
اي لم يضيقوا فيضيعوا الحقوق وكان اي
انفاقهم بين ذلك اي الاسراف والاقتار قواما
اي وسطا تنبيه اسم كان ضمير يعود على الانفاق
المفهوم من قوله تعالى انفقوا وخبرها قواما
وبين ذلك معمول له وقيل غير ذلك وذكر المفسرون
في الاسراف والتقتير وجوها احدها قال الرازي
وهو الاقوى وصفهم بالقصد الذي هو بين
الغلو والتقصير وبمثله امر صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط اذ يقال ما عال من اقتصد
وسال رجل بعض العلما ما البنا الذي لا سرف فيه
قال ما سترك من الشمس واكنك من المطر
قال فما الطعام قال الذي لا سرف فيه ما ستر
عورتك وادفاك من البرد ثانيها وهو قول ابن
عباس الاسراف النفقة في معصية الله تعالى

والاقتار



والاقتار منع حق الله تعالى وقال مجاهد
لو انفق احد مثل جبل ابي قبيس ذهبا في طاعة
الله تعالى لم يكن سرفا ولو انفق صاعا في معصية
الله تعالى كان مسرفا وقال الحسن لم ينفقوا في
معاصي الله ولم يمسكوا عما ينبغي وانشدوا
ذهاب المال في حمد وخير ذهاب لا يقال له ذهاب
وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال
لا اسراف في الخير من الخير وعن عمر بن عبد العزيز
انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه
ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم
وفعلت وصنعت وجا بكلام حسن فقال
ابن عبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام
فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه
والابن حاضر فساله عن نفقته واحواله فقال
النفقة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه
اراد ما في هذه الاية فقال لابنه يا بني هذا ايضا
مما اعده وثالثها المسرف مجاوز الحد في التنعم
والتوسع في الدنيا وان كان من حلال لانه يودي
الى الخيلا وكسر قلوب الفقرا فكانت الصحابة لا

يأكلون الا ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم
ويلبسون ما يستر عوراتهم من الحر والبرد وقال عمر
ابن الخطاب كفى بالسرف ان لا يشتهي الرجل شيئا الا
اشتراه فاكله وقرا نافع وابن عامر يقتروا بضم التحتية
وكسر الفوقية من اقتر وابن كثير وابو عمرو بفتح التحتية
وكسر الفوقية والكوفيون بفتح التحتية وضم الفوقية
ولما ذكر تعالى ما يخلو عنه من امهات المعاصي التي هي
الفحش والمنكر وهي الصفة السادسة بقوله تعالى
والذين لايدعون اي رحمة لانفسهم واستعمالا
للعدل مع الله اي الذي اختص بصفات الكمال
الها اخر اي دعا جليا بالعبادة ولا خفيا
بالريا ولما نفى ما يوجب قتل انفسهم بخسارتهم
اياها اتبعه نفي قتل غيرهم بقوله تعالى ولا يقتلون
النفس رحمة للخلق وطاعة للخالق ولما كان
من الانفس ما لا حرمة له بين المراد بقوله تعالى
التي حرم الله اي منع من قتلها الا بالحق اي بان
تعمل ما يبيح قتلها ولما ذكر القتل الجلي اتبعه الخفي
بتضييع نسب الولد بقوله تعالى ولا يزنون اي
رحمة للمزني بها ولاقاربها ان ينتهك حرماتهم
مع



مع رحمته لنفسه على ان الزنا ايضا جار الى القتل
والفتن وفيه التسبب الى ايجاد نفس بالباطل كما
ان القتل تسبب الى اعدامها بذلك وقد روي في الصحيح
عن عبد الله بن مسعود انه سال النبي صلى الله عليه
وسلم اي ذنب اعظم وفي رواية اكبر عند الله قال ان
يدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل
ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان
تزاني بحليلة جارك فانزل الله تصديق ذلك والذين
لايدعون مع الله الها اخر الاية وقد استشكل
تصديق الاية للخبر من حيث ان الذي فيه قتل خاص
وزنا خاص والتقييد بكونه اكبر والذي فيها
مطلق القتل والزنا من غير تعرض لعظم ولا
اشكال لانها نطقت بتعظيم ذلك من سبعة اوجه
الاول الاعتراض بين المبتدا الذي هو وعباد وما
عطف عليه والخبر الذي هو اولئك يجزون الغرفة على
احد الروايتين بذكر هذه الثلاثة خاصة وذلك
دال على مزيد الاهتمام الدال على الاعظام الثاني
الاشارة باداة البعد في قوله تعالى ومن يفعل ذلك
الفعل العظيم القبيح مع قرب المذكورات فدل على

ان البعد في رتبتها فهو اشارة الى جميع ما تقدم
لانه بمعنى ما ذكر فلذلك وحده وادغم لام
يفعل في الذال ابو الحارث والباقون بالاظهار
الثالث التعبير باللقي مع المصدر المزيد الدال
على زيادة المعنى في قوله تعالى يلق اثاما دون
يأثم ويلق اثاما اي جزاء اثمه الرابع التقييد
بالمضاعفة في قوله تعالى مستانفا يضاعف
باسهل اسر له العذاب جزا ما التزم لنفسه
هواها الخامس التهويل بقوله تعالى يوم
القيمة الذي هو اهول من غيره بما لا يقاس
السادس من الاخبار بالخلود الذي اقل درجاته
ان يكون مكثا طويلا بقوله تعالى ويخلد فيه مهانا
وقرا يضاعف ويخلد ابن عامر وشعبة برفع
الفا والدال والباقون بجزمهما واسقط الالف من
يضاعف مع تشديد العين ابن كثير وابن عامر
فالجزم على انهما بدلان من يلق بدل اشتمال
والرفع على الاستيناف والسابع التصريح بقوله
تعالى مهانا فلما عظم الامر من هذه الاوجه على ان
كلا من هذه الذنوب كبيرة فاذا كان الاثم كبيرا
كان

٤١٩

كان الاخص المذكور اعظم من مطلق الاثم لانه زاد
عليه بما صار به خاصا فثبت بهذا انها كباير فان
الولد والزنا بحليلة الجار اكبر ما ذكر فوجه تصديق
الاية للخبر وقرا حفص مع ابن كثير بصلة الهاء بالياء
من فيه قبل مهانا فان قيل ذكر انه من صفات عباد
الرحمن صفات حسنة فكيف بعد ذلك ان
يطهرهم عن الامور العظيمة مثل الشرك والقتل
والزنا فلو كان الترتيب بالعكس كان اولى
اجيب بان الموصوف بتلك الصفات السالفة
قد يكون متمسكا بالشرك تدينا وبقتل الموءدة
تدينا وبالذي قد تدينا فبين تعالى ان المراد
لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن
حتى يتجنب تلك الكباير واجاب الحسن بان
المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين
سيرة المسلمين وسيرة الكفار كانه تعالى قال
وعباد الرحمن الذين لا يدعون مع الله الها
اخر وانتم تدعون ولا يقتلون وانتم تقتلون
الموءدة ولا يزنون وانتم تزنون ولما تم تعالى
تهديد الفجار على هذه الاوزار اتبعه ترغيب

الابرار الى العزيز الغفار بقوله تعالى الا من تاب اي رجع
عن كل شي مما كان فيه من هذه النقايص وامن اي
اوجد الاساس الذي لا يثبت عمل بدنه وهو الايمان
واكد رجوعه بقوله تعالى وعمل عملا صالحا اي موسسا
على اساس الايمان فان قيل العمل الصالح يستغني عنه
يدخل فيه الايمان والتوبة فذكرهما قبل العمل الصالح
يستغني عنه اجيب بانهما افراد بالذكر لعلو شانها
تنبيه اختلف في هذه الاستثنا على وجهين
احدهما انه استثنا متصل وهو ما دل عليه
الجمهور لانه من الجنس والثاني انه منقطع ورجحه
ابو حيان معللا بان المستثنى منه محكوم
عليه بانه يضاعف له العذاب فيصير التقدير
الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف
له العذاب ولا يلزم من انتفا التضعيف انتفا
العذاب غير المضعف بخلافه في المنقطع فان التقدير
لكن من تاب الى اخره فلا يلقى هذا البتة ووجه
كلام الجمهور لان ما ذكر ليس بلازم اذ المقصود
الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل به ما ذكر الا
ان يتوب واما اصابته اصل العذاب وعدمه
فلا



فلا تعرض في الاية ثم زاد تعالى في الترغيب بالاتيان
بالفا رابط الجزا وبالشرط دليلا على انه سببه
فقال تعالى فاولئك اي العالو الرتبة يبدل الله
اي الذي له العظمة والكبريا سياتهم حسنات قال
ابن عباس ومجاهد هذا التبديل في الدنيا فيبدل
الله تعالى قبايح اعمالهم في الشرك بمحاسن الاعمال
في الاسلام فيبدلوا بالشرك ايمانا وبقتل المومنين
قتل المشركين وبالزنا احصانا وعفة فكانه
تعالى يبشرهم بتوفيقهم لهذه الاعمال الصالحة
فيستوجبوا بها الثواب وقال الزجاج السيية
بعينها لا تصير حسنة فالتاويل ان السيية
تمحوا بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر
يحبط الله عمله ويثبت عليه السيات وقال
سعيد بن المسيب ومكحول ان الله تعالى يمحوا
السية عن العباد ويثبت له بدلها الحسنة
بحكم هذه الاية وهذا هو ظاهر الاية ويدل له ما
روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اني لاعلم اخر رجل يخرج من النار
رجل يوتى به يوم القيمة فيقال له اعرضوا

عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض
عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا
وكذا وعملت كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم فلا
يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه
ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة
حسنة فيقول يا رب قد عملت شيا لا اراها
هاهنا قال ابو هريرة فلقد رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
وكان الله اي الذي له الجلال والاكرام على الاطلاق
ازلا وابدا غفورا اي ستور الذنوب كل من تاب
بهذا الشرط رحيما بان يعامله بالاكرام كما يعامل
المرحوم فيعطيه مكان كل سيئة حسنة روى
البخاري عن ابن عباس ان هذه الاية نزلت في
اهل الشرك لما نزلت صدرها قال اهل مكة
فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله
واتينا الفواحش فانزل الله الا من تاب الى رحيما
روى البخاري في التفسير ان ناسا من اهل
الشرك كانوا قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا
محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الله
يقول



تقول وتدعوا اليه وحسن لو تخبرنا ان لما عملنا
كفارة فنزلت هذه الاية ونزل قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ومن تاب اي ذنوبه غيرها ذكر وعمل تصديقا
لادعائه التوبة صالحا ولو كان كل من بينه
وعمله ضعيفا ورغب سبحنه وتعالى في ذلك
بقوله تعالى معلما انه يصل الى الله فانه يتوب
اي يرجع واصلا الى الله اي الذي له صفات الكمال
فهو يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيات
متابا اي رجوعا مرضيا عند الله بان يرغبه
تعالى في الاعمال الصالحة فلا يزال كل يوم في زيادة
في نيته وعمله فيخف عليه ما كان ثقيلا
وليتيسر عليه ما كان عسرا ويسهل عليه
ما كان صعبا كما مر في ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بايمان ولا يزال كذلك
حتى يحبه فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها ورجله
الذي يمشي بها بان يوفقه للخير فلا يسمع الا
ما يرضيه وهكذا او كما وصف سبحنه

عباده بانهم تحلوا باصول الفضايل وتخلوا عن
امهات الرذايل ورغب في التوبة لان الانسان
لعجزه لا ينفك عن النقص مدحهم بصفة اخرى وهي
الصفة المذكوره في قوله تعالى والذين لا يشهدون
اي لا يحضرون الزور اي القول المنحرف عن الصدق كذبا
كان او مقاربا له فضلا عن ان يتفوهوا به للتخير
فلا يسمع او يقروا عليه في مواعظ عيسى بن مريم
عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم
يشهدون شهادة الزور بحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل
وعن ابن الحنفيه اللهو والغنا وعن مجاهد
اعياد المشركين ثم عطف عليه بما هو اعم منه
بقوله تعالى واذا مروا باللغو اي الذي ينبغي ان يطرح
من الكلام القبيح وغيره مروا كراما اي امرين
بالمعروف ناهين عن المنكرات تعلق بهم او نهي
اشارة او عبارة على حسب ما يومرون نافعا
فان لم يتعلق بهم ذلك كانوا معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه لقوله
تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا
لنا



وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي
الجاهلين ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح
عن الذنوب والكناية عن ما يستهجن التصريح
به وعن الحسن لم تشغلهم المعاصي وقيل اذا سمعوا
من الكفار الاذى اعرضوا عنه ثم ذكر الصفة
الثامنة بقوله تعالى والذين اذا ذكروا اي ذكرهم
غيرهم كائنا من كان لانهم يعرفون الحق بنفسه لا بقائله
بايات ربهم اي الذي وفقهم ليذكر احسانه اليهم
في حسن تربيته اليهم بالاعتبار بالايات المرئية
المسموعة لم يخروا اي لم يستطعوا عليها صما اي غير
واعين لها وعميانا اي غير متبصرين بما فيها كمن لا
يسمع ولا يبصر كابي جهل والاخفش بن شريف (لعله الاخنس)
بل خروا سامعين باذان واعية مبصرون نا
بعيون راعية فالمراد النفي نفي الحال وهي صما وعميانا
دون الفعل وهو الخرور فالمراد نفي القيد دون
المقيد كما تقول لا يلقاك زيد مسلما هو نفي للسلام
لا للقا الصفة التاسعة المذكورة في قوله تعالى
والذين يقولون اي علما منهم لعدا تصافهم بجميع
ما مضى انهم اهل للامامة ربنا هب لنا من ازواجنا

اللاتي قرنتهن بنا كما فعلت كنبيك محمد صلى الله
عليه وسلم فرحت ازواجه في كلامك القديم
وجعلته لاجههن يتلى على تعاقب الازمان
والسنين **وذرياتنا قرة اعين** كنا بان تراهم
مطيعين لك ولا شي اسر للمومن من ان يرى
حبيبه يطيع الله تعالى وعن محمد بن كعب ليس
اقر لعين المومن من ان يرى زوجته واولاده
سطيعون الله وعن ابن عباس هو الولد اذا راه
يكتب الفقه وخصوا الازواج والاولاد بذلك
لان الاقربين اولى بالمعروف لتنبيه من في قوله
تعالى من ازواجنا يحتمل ان تكون بيانية
كانه قيل هب لنا قرة اعين وهو من قولهم
رايت منك اسدا اي انت اسد وان تكون
ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم بما
تقر به عيوننا في طاعة فالصلاح والتوا
بجمع القلة في اعين لان المتقين الذين يفعلون
الطاعة ويسرون بها قليلون في جنب العاصين
وقيل سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم
في الجنة ليتم لهم سرورهم ووحد القرة لانها



لانها مصدر واصلها من القر لان العرب تتاذى من
الحر وتتروح الى البرد وتذكر قرة العين عند السرور
بارد وعند الحزن حار وقال الازهري معنى قرة
العين ان يصادف قلبه من يرضا فتقر عينه الى
النظر الى غيره وقرا نافع وابن كثير وابن عامر
وحفص بالف بعد الياء على الافراد **واجعلنا للمتقين
اماما** اي ايمة يقتدون بنا في امر الدين باضافة
العلم والتوفيق للعمل فاكتفى بالواحد للدلالة على
الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم نخرجكم طفلا
او ارادوا اجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق
كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة
في الدين يجب ان يطلب ويرغب فيها وقال
الحسن يقتدى بالمتقين ويقتدى المتقون بنا
وقيل هذا من المقلوب اي اجعل المتقين لنا اماما
واجعل لنا اماما واجعلنا مؤتمين مقتدين
بهم وهو قول مجاهد وقيل نزلت هذه الاية
في العشرة المبشرين بالجنة ولما بين تعالى
صفات المتقين المخلصين بين بعده احسانه
اليهم بقوله تعالى **اوليك** اي الموصوفون بتلك الرتبة

العظيمة لعظم المنزلة **يجزون** اي فضلا من الله تعا
على ما وفقهم من هذه الاعمال الزاكية والاحوال الصافية
**الغرفة** اي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد
اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل
على ذلك قوله تعالى وهم في الغرفات امنون
وقيل هي من اسما الجنة ولما كانت القرب في
غاية التعب لمنافاتها النفس وهواها وتجمع
البدن رغب فيها بان جعلها سببا لهذا الجزا
بقوله **بما صبروا** اي اوقعوا الصبر على امر ربهم
ومرارة غربتهم بين الجاهلين في افعالهم
واقوالهم واحوالهم وغير ذلك من معاني خلالهم
ولما كانت المنزل لا يطيب الا بالكرامة والسلامة
قال تعالى **ويلقون فيها** اي الغرفة **تحية** اي
دعا بالحياة من بعضهم لبعض ومن الملايكة
الذين لا يرد دعاوهم ولا يمترى في اخبارهم
لانهم عن الله ينطقون وذلك على وجه الاكرام
والاعظام مكانا ما اهانهم عباد الشيطان
وقيل ملكا وقيل بقاء دايما **وسلاما**
من الله ومن الملايكة وغيرهم وسلامة
من



من كل آفة مكان ما اصابوهم بالمصايب اللهم
وفقنا لطاعتك واجعلنا من اهل رحمتك و
ارزقنا مما رزقتهم في دار رضوانك يا ارحم
الراحمين وقرا حمزة والكساي وشعبة بفتح اليا
وسكون اللام وتخفيف القاف من اللقي كما قال
تعالى فسوف يلقون غيا والباقون بضم اليا
وفتح اللام وتشديد القاف ان يجعلهم الله تعالى
لاقين بايسر امر كما قال تعالى ولقاهم نضرة
وسرورا **خالدين فيها** اي الغرفة لا يموتون
ولا يخرجون بمكان ما ازعجوهم من ديارهم
حتى هاجروا ودل على امرها وعظم قدرها
بابلغ مدحها في مظهر التعجب بقوله تعالى **حسنت**
ما احسنها **مستقرا** اي موضع استقرار **ومقاما**
اي موضع اقامة وهذا مقابل ساءت
ومثله في الاعراب ولما شرح سبحانه وتعالى
صفات المتقين واثنى عليهم من اجلها وشرح
ثوابهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى **قل** اي لكفار مكة **ما يعبا** اي يصنع
**بكم** اي ايها الكافرون من نعبات الجيش

ولا يعتد بكم ربي اي المحسن الي والمكرم برحمانيته
المخصص لي بالاحسان برحيميته وانما خصت
بالاضافة لاعترافه دونهم لولا دعاوكم
اي عبادتكم وما متضمنة لمعنى الاستفهام
وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر
كانه قيل واي عبا يعبا بكم لولا عبادتكم وطاعتكم
اياه كما قال تعالى ما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه
وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد
وقال قوم ما يعبا ما يبالي بمغفرتكم ربي
لولا دعاوكم معه الهة وما يفعل بعذابكم
لولا شركتكم كما قال تعالى ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم لولا دعاوكم اي نداوكم
في الشدائد كما قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى
فاخذناهم بالباسا والضرا لعلهم يتضرعون
ويجوز ان يكون ما نافية وجرى على ذلك
الجلال المحلي فسوف اي فتسبب عن تكذيبكم
ان يجازيكم على ذلك ولكنه على قوته وقدرته
و



واختيار لا يعاجلكم بل يكون جزاء هذا التكذيب
عند انقضاء ما ضربه لكم من الاجال لزاما اي لازما
يحيق بكم لا محالة فاعتدوا وتهيأوا لذلك اليوم
فكل ات قريب وكل بعيد عندكم قريب عنده
وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم
بين القتلى لزاما قتل منهم سبعون واسر
منهم سبعون وعن ابن مسعود خمس قد مضين
الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من انص
قرا سورة الفرقان لقي الله وهو مومن
بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة
بغير حساب حديث موضوع

## سورة الشعرا مكيه

الا قوله والشعرا الى اخرها فمدني وهي مايتان
وست وعشرون اية والف ومايتان وتسع
وتسعون كلمة وخمسة الاف وخمسماية واثنان
واربعون حرفا روى البغوي عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت

طه والطواسين من الواح موسي عليه السلام بسم الله
الذي علو كلامه علي عظمة شانه عز مرامه الرحمن
اي لا يعجل علي من عصاه الرحيم الذي يحيي قلوب
اهل وده بالتوفيق لما يرضاه **طسم** قال ابن عباس
عجزت العلما عن علم تفسيرها وفي رواية عنه
انه قسم من اسما الله تعالي وقال قتادة اسم من
اسما القران وقال مجاهد اسم السورة وقال محمد
مجاهد ابن كعب القرظي اقسم بطوله وسناه
وملكه ولهذا الاختلاف قال الجلال المحلي
الله اعلم بمراده بذلك وقد قدمنا الكلام علي اوايل
السور في اول سورة البقرة وقرا حمزة والكسائي
وشعبة بامالة الطا والباقون بالفتح واظهر
حمزة النون من سين عين ابن مسعود طس م
مقطوعة من بعضها **تلك** اي هذه الايات
العالية المرام الحايزة علي مراتب التمام المولفة
من هذه الحروف التي يتناطقون بها وكلمات
المستكم **ايات الكتاب** اي القران الجامع لكل
فرقان **المبين** اي الظاهر اعجازه المظهر الحق من
الباطل ولما كان عنده صلي الله عليه وسلم

من



من مزيد الشفقة وعظم الرحمة علي قومه قال
تعالي تسلية له **لعلك باخع** اي هالك **نفسك**
غما واسفا من اجل **ان لا يكونوا** اي قومك **مومنين**
راسخين في الايمان اي لا تبالغ في الحزن والاسف
فان هذا الكتاب في غاية البيان في نفسه والابانة
للغير وقد تقدم في غير موضع انه ليس عليك
الا البلاغ ولو شينا لهديناهم طوعا او كرها والبخع
ان يبالغ بالذبح النخاع بالخا والبا وهو عرق
يستبطن القفا وذلك اقصي حد الذابح ولعل
للاشفاق اي اشفق علي نفسك ان تقتلها حسرة
علي ما فاتك من ايمان قومك نصرة وغراه وعرفه
اي غمه وحزنه لا ينفع كان وجود الكتاب
ووضوحه لا ينفع ثم انه تعالي اعلمه بان كل ما
هم فيه انما هو بارادته لقوله سبحانه وتعالي
**ان نشا ننزل عليهم** وعبر بالمضارع فيهما اعلاما
بدوام القدرة وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون
النون الثانية واخفاها عند الزاي وتخفيف
الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي
ثم قال تعالي محققا للمراد **من السما** اي التي جعلنا

حبلنا بروجا للمنافع واشار الى تمام القدرة بتوحيدها
بقوله سبحنه وتعالى اية اي قاهرة كما فعلنا ببعض من
قبلهم بنتق الجبل ونحوه تنبيه هنا همزتان
مختلفتان ابدل نافع وابن كثير وابو عمرو الهمزة
الثانية المفتوحة بعد الكسرة ياء خالصة وحققها
الباقون ثم اشار تعالى الى تحقق هذه الاية بالتعبير
بالماضي في قوله سبحنه وتعالى عطفا على ننزل
لانه في معنى انزلنا فظلت اي عقب الانزال من
غير مهلة اعناقهم اي التي هي موضع الصلابة
وعنها تنشا حركات الكبر والاعراض لها خاضعين
اي منقادين تنبيه خبر عن اعناقهم واستشكل
جمعه جمع سلامة لانه مختص بالعقلاء واجيب
عنه باوجه احدها ان المراد بالاعناق روساهم
ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما يقال لهم الروس
والنواصي والصدور قال القايل في محل
من روس الناس مشهورة ثانيهما انه على
حذف مضاف اي فظل اصحاب الاعناق ثم حذف
وبقي الخبر على ما كان عليه قبل حذف المخبر عنه
مراعات للمحذوف ثالثها انه لما اضيف الى العقلاء
اكتسب



اكتسب منهم هذا الحكم كما يكتسب التانيث بالاضافة
لمونث في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم
رابعها قول الزمخشري اصل الكلام فظلوا لها
خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع
وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة
كان الاهل غير مذكور ونوزع في التنظير لان الاهل
ليس مقحما البتة لانه المقصود بالحكم خامسها
انها عوملت معاملة العقلا كقوله تعالى ساجدين
خاضعين وطايعين في يوسف والسجدة وقيل
انما قال تعالى خاضعين لموافقة رؤوس الاي
ليكون على نسق واحد وما ياتيهم اي الكفار من ذكر
اي موعظة او طايفة من القران يذكرونها به فيكون
سبب ذكرهم وشرفهم من الرحمن اي الذي يذكرونه
مع احاطة نعمته لهم محدث اي بالنسبة الى تنزيله
وعلمهم به واشار سبحنه وتعالى الى دوام تكبرهم
بقوله سبحنه وتعالى الا كانوا عنه معرضين
اي اعراضا هو صفة لهم لازمة فلما كان حال المعرض
عن الشي مال المكذب به قال الله سبحنه وتعالى
فقد اي فتسبب عن هذا الفعل منهم انه قد كذبوا

اي بالذكر بعد اعراضهم وامضوا في تكذيبهم بحيث
ادي بهم الى الاستهزاء به المخبر عنهم ضمنا في قوله تعالى
فسياتيهم اي اذا مسهم عذاب الله تعالى يوم بدر
ويوم القيمة انبا اي عظيم اخبار وعواقب ما اي
العذاب الذي كانوا به يستهزءون اي يعرفون
من انه كان حقا او باطلا وكان تحقيقا بان يصدق
ويعظم امره او يكذب فيستحق امره ثم قال تعالى
تعجبا اولم يروا الى الارض اي على سعتها واختلاف
نواحيها ونبه على كثرة ما صنع من جميع الاصناف
بقوله تعالى كم انبتنا اي بما للناس العظة فيها
بعد ان كانت يابسة ميتة لا نبات فيها من كل
زوج اي صنف متشاكل بعضه لبعض فلم يبق صنف
يليق بهم في العاجلة الا اكثرنا من الانبات منه
كريم اي كثير المنافع محمود العواقب وهو صفة
لكل ما يحمد ويرضى وهو ضد اللئيم وها هنا
يحتمل معنيين احدهما النبات النافع وخص ذكر الصا
والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفها
جميعا بالكرم وتنبيه على انه سبحنه وتعالى
ما انبت شيا الا وفيه فايدة لان الحكيم لا يفعل
فعله

فعلا الا لحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون
فلم يتصل الى معرفتها العاقلون ولما كان ذلك
باهر العقل منبها له في كل حال على عظيم اقتدار
صانعه وبديع اختياره وصل به قوله تعالى ان في ذلك
اي الانبات العظيم لاية اي دلالة على كمال قدرته سبحنه
وتعالى فان قيل حين ذكر الازواج دل عليها بكلمتي
الكثرة والاحاطة وكان لا يحصيها الا عالم الغيب فكيف
قال ان في ذلك لاية وهلا قال لايات اجيب
بوجهين ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا
فكانه قال ان في ذلك الانبات لاية ثانيهما ان يراد
ان في كل واحد من تلك الازواج لاية والحالة
انه ما كان وما كان اكثرهم اي البشر مومنين
في علم الله تعالى وقضايه فلذلك لا ينفعهم مثل
هذه الايات العظام وقال سيبويه كان زايدة
وان اي والحال ان ربك اي الذي احسن اليك
بالارسال وسخر لك قلوب الاصفيا وذوي عنك
الادوا والاشقيا لهو العزيز اي ذو العزة ينتقم
من الكافرين الرحيم يرحم المومنين ولما كان مع
ما ذكر في ذكر القصص تسلية للنبي صلى الله عليه

وسلم فيما يقاسيه من الاذي والتكذيب وكان
موسي عليه السلام قد اختص بالكتاب الذي ما
بعد القران مثله والايات التي ما اوتيها احد
قبله بدا بذكره فقال تعالى واذ اي واذكر اذ نادى
ربك اي المحسن اليك بكل ما يمكن الاحسان به في هذه
الدار ثم ذكر المنادي بقوله تعالى موسى اي حين
راي الشجرة والنار واختلف اهل السنة في النداء
الذي سمعه موسي عليه السلام اهو الكلام
القديم او صوت من الاصوات قال ابو الحسن
الاشعري رضي الله عنه هو الكلام القديم فكما ان
ذاته لا تشبه ذوات سائر الذوات مع ان الدليل
دال على انها معلومة ومرئية في الاخرة
من غير كيف ولا جهة فكذا كلامه منزه عن
مشابهة الحرف والصوت مع انه مسموع وقال
الماتريدي هو من جنس الحروف والاصوات
واما المعتزلة فقد اتفقوا على ان ذلك النداء
كان بحروف واصوات علم به موسي من قبل الله
تعالى فصار معجزا علم به موسي من قبل الله
ان الله تعالى مخاطبا له فلم يحتج مع ذلك
الي

الي واسطة ثم ذكر تعالى ما له النداء بقوله تعالى
ان ائت القوم اي الذين فيهم قوة واي
قوة الظالمين رسولا ووصفهم بالظلم لكفرهم واستعبا دهم
بني اسرائيل وذبح اولادهم وقوله تعالى قوم
فرعون اي معه بدل او عطف بيان القوم الظالمين
وقوله تعالى الا يتقون استيناف اتبعه ارساله
اليهم للانذار تعجبا من افراطهم في الظلم واجترائهم
عليه ولما كان من المعلوم بان من اتى الناس
بما يخالف هواهم لم يقبل قال رب اي ايها الرفيق
بي اني اخاف ان يكذبون فلا يترتب على اتياني
اليهم اثر فاجعل لي قبولا ومهابة تحرسني بها
من يريدني بسوء وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بفتح اليا والباقون بالسكون ويضيق صدري
من تكذيبهم لي ولا ينطلق لساني باداء الرسالة
للعقدة التي فيه بواسطة تلك الجمرة التي لذعته
في الطفولية فارسل اي فتسبب عن ذلك الذي
اعتذرت به عن المبادرة الي الذهاب عند الامر
الى هرون اخي ليكون لي عضدا على ما امضي له
من الرسالة ويحتمل ان تكون تلك العقدة باقية

عند الرسالة وان يكون قد زالت عنه الدعوة
ولكن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحا
المصاقع الذين اوتوا سلاطة اللسان وبسط
المقال وهارون كان بتلك الصفة فاراد ان
يقرن به ويدل عليه قوله تعالى واخي هرون
هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هارون
ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به و
اشدد به عضدي وهذا الكلام مختصر وقد
بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار
حيث قال فارسل الى هارون فجا بما يتضمن
معنى الاستنبا ومثله في تقصير الطويلة
في الحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم
الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث
اقتصر على ذكر طرفي القصة الطويلة كلها
كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد
الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما
فاهلكناهم فان قيل كيف ساغ لموسى عليه
السلام ان يامره ربه بامر فلا يقبله بسمع
وطاعة من غير توقف وتثبت بعلل

وقد



وقد علم ان الله عليم بحاله اجيب بانه
قد امتثل وتقبل ولكنه التمس بعد ذلك وتمهيد
العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس
بتوقف في التماس الامر ولا بتعلل فيه وكفى
بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل
ثم زاد في الاعتدال في طلب العون خوفا من
ان يقتل قبل تبليغ الرسالة بقوله تعالى ولهم
على ذنب اي تبعة ذنب بحذف المضاف او سمي
باسمه كما تسمى جزا السيئة سيئة وهو قتل
القبطي وسماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار
قصته المبسوطة في مواضع فاخاف بسبب
ذلك ان يقتلون اي يقتلوني به قال الله تعالى
كلا اي ارتدع عن هذا الكلام فانه لا يكون شي مما
خفت لا قتل ولا غيره وكانه لما كان التكذيب
مع ما قام عليه من الصدق من البراهين
القوية لصاحبها الشارحة لصدره العلية
لامره عدم ما وقد اجبناك الى الاعانة باخيك
فاذهبا اي انت واخوك متعاضدين الى ما
امرتك به مويدين باياتنا الدالة على صدقكما

تنبيه فاذهبا عطف على ما دل عليه حرف
الردع من الفعل كانه قيل ارتدع عما تظن فاذهب
انت واخوك باياتنا انا اي بما لنا من العظمة
معكم مستمعون اي سامعون لانه تعالى لا
يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع
جار مجرى الاصغا والاستماع من السمع
بمنزلة النظر من الروية ومنه قوله تعالى
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا
سمعنا قرانا عجبا ويقال استمع الى حديثه
وسمع حديثه اصغا اليه وادركه بحاسة
السمع ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون
صب في اذنيه البرم وهو الكحل المذاب ويروي
البيرم وهو بزيادة اليا فان قيل لم قال معكم
بلفظ الجمع وهما اثنان اجيب بانه تعالى
اجراهما مجرى الجمع تعظيما لهما او معكما ومع بني
اسرايل نسمع ما يجيبكم فرعون فاتيا
اي فتسبب عن ذهاب ما ذكرته الحراسة
والحفظ اني اقول لكما ايتيا فرعون نفسه

دان



وان عظمت مملكته وجلت جنوده فقولا
اي ساعة وصولكما اليه ومن عنده انا رسول رب
العالمين اي المحسن الى جميع الخلق المدبر لهم مصالحهم
فان قيل هلا ثني الرسول كما ثني في قوله تعالى
انا رسولا ربك اجيب بان الرسول يكون
بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته واما هاهنا فهو
اما لانه مصدر بمعنى الرسالة والمصدر يوجد
من مجي الرسول بمعنى رسالة قوله لقد كذب
الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
اي برسالة والواشون الساعون بالكذب
عند ظالم وما فهت بمعنى ما تكلمت واما لانهما
ذو شريعة واحدة فنزلا منزلة رسول واما لانه
من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما
فصار كالشيئين المتلازمين كالعينين
واليدين وقال ابو عبيدة يجوز ان يكون الرسول
بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولي
ووكيلي وهولا رسولي ووكيلي كما قال
تعالى وهم لكم عدو ثم ذكر له ما قصد من
الرسالة اليه فقال معبرا باداة ح

التفسير لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بمعنى
الرسالة التي تتضمن القولات اي بان ارسل اي خل
واطلق واعاد الضمير على معنى رسول فقال معنا بني
اسرايل اي قومنا الذين استعبدتهم ظلما ولا سبيل لك
عليهم يذهب بهم الى الارض المقدسة التي وعدنا الله
تعالى بها على السنة الانبيا من ابانا عليهم السلام
وكان فرعون استعبدهم اربعماية سنة وكانوا في ذلك
الوقت ستماية وثلاثين الفا وروي ان موسى رجع
الى مصر عليه جبة صوف وفي يده عصاة ومكتل
معلق في راس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه
واخبر هارون بان الله تعالى ارسلني الى فرعون
وارسل اليك حتى ندعوا فرعون الى الله تعالى فخرجت
امهما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك
فلو ذهبتما اليه قتلكما فلم يمتنعا لقولها وذهبا
الى باب فرعون ليلا ودقا الباب ففزع البوابون
وقالوا من بالباب وروي ان البواب اطلع
عليهما وقال من انتما فقال موسى انا رسول
رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان
مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين
فقال

فقال فرعون ايذن له لعلنا نضحك منه وقيل
لم يوذن لهما الى سنة فدخلا عليه وادا برسالة الله
عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشا في بيته فلما
عرفه قال له منكرا عليه الم نربك حذف فاتيا فرعون
وقولا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع
من الاختصار كثير في القران فينا اي في منازلنا
وليدا اي صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه
ولبثت فينا اي لا في غيرنا باعتبار انقطاعك الينا
وتعززك بنا من عمرك سنين ثلاثين سنة مما لنا عليك
من الحق ما ينبغي ان يمنعك من مواجهتنا بمثل هذا
وكانه عرض بما يفهم كناية عن مدة مقامه عنده بانها النكد صح
كانت نكدة لانه وقع فيما كان يخافه وفاته ما كان
يحتاط به من ذبح الاطفال وكان موسى يلبس من
ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه
وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثا المثلثة
عند التا والباقون بالادغام ولما ذكر بما يجمله
عن الحيا معه ذكره وبنا يخاف من عاقبته فقال
مهولا له بالكناية وفعلت فعلتك اي من قتل
القبطي ثم اكد نسبته اليه ذلك مشيرا الى انه عامله

عاملة بالحكم تجهيلا له فقال التي فعلت وانت
اي والحال انك من الكافرين قال الحسن والسدي
من الكافرين بالهك ومعناه على ديننا هذه الذي
تعيبه وقال اكثر المفسرين اي الجاحدين لنعمتي
عليك بالتربية وعدم الاستعباد بقوله ربيناك
فعاقبتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا
وهذا رواية العوفي عن ابن عباس وقال ان فرعون
لم يكن يعلم ما الكفر والربوبية قال له موسى
مجيبا له على طريقة النشر المشوش واتقا
بوعد الله تعالى بالسلامة فعلتها اذا اي اذ
قتلته وانا من الضالين اي من الجاهلين بان
ذلك يودي الى قتله او المخطيين كمن يقتل
خطا من غير تعمد للقتل قال ابن جرير والعرب
تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال
الى ماسنا ففررت اي فتسبب عن فعلها اني
فررت منكم اي منك لسطوتك من قومك
لاغرايهم اياك علي لما خفتكم على نفسي ان تقتلوني
بذلك القتيل الذي قتلته خطا وانا ابن اثني عشر
سنه مع كونه كافرا مهدر الدم فوهب لي ربي

اي

اي الذي احسن الي بتربيتي عندكم تحت كنف امي
امنة على ما حدثتم من الظلم حكما اي علما وفهما
وقيل نبوة وجعلني من المرسلين اي فاجهد
الان جهدك فاني لا اخاف لقتل ولا غيره ولما اجتمع
في كلام فرعون من تعبير وبداه بجوابه عن التعبير
ولانه الاخير فكانه اقرب ولانه اهم وهو معنى ما
تقدم من انه على طريقة النشر المشوش بانه
يبدا بهذا الاخير قبل الاول ولهذا اكد على امتنانه
عليه بالتربية فابطله من اصله مع تخالة مبكتا
منكرا عليه غير انه حذف حرف الانكار اجمالا
في القول واحسانا في الخطاب وابان تسمى نعمة
الانعمة بقوله وتلك نعمة اي التربية السقيا العظيمة
في الشناعة التي ذكرتنيها تمنها على ان عبدت اي
تعبيدك وتذليلك قومي بني اسرايل اي جعلتهم
عبيدا اذلا وعدوانا وهم ابناء الانبيا ولعلم
يوسف عليه السلام عليكم بالمنة باحيا نفوسكم
اولا وعتق رقابكم ثانيا مالا تقدرون له على جزا
اصلا ثم ما كفاك ذلك حتى فعلت ما لم يفعله
مستعبد فامرت بقتل ابنايهم فكان ذلك

بسبب وقوعي اليك لاسلم من ظلمك ولو لم تفعل
ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم فكيف تمن
علي بذلك وقيل معناه انك تعد علي ان بني اسرايل
عبيدك ولا منة للمولي علي العبد في تربيته وقال
الحسن انك استعبدت بني اسرايل فاخذت
اموالهم وانفقت منها علي فلا نعمت لك بالتربية
وقيل ان الذي تولي تربيتي هم الذين استعبدتهم
فلا منة لك علي لان التربية كانت من قبل امي
ومن قومي ليس لك الا مجرد الاسم وهذا ما يعد
انعاما فان قيل لم جمع الضمير في منكم وخفتكم
مع افراده في تمنها وعبدت اجيب بان الخوف
والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن
ملايه الموتمرين بقتله كما مرت الاشارة
اليه قوله تعالي ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك
واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد
ولما قال له ابوه ان ههنا من يزعم انه رسول
رب العالمين وادخله عليه **قال له فرعون**
عند دخوله حايدا عن جوابهم به منكرا
لخالقه علي سبيل التجاهل كما انكر هولاء الرهط
متجاهلين



متجاهلين وهم اعرف الناس بغالب افعاله كما كان
فرعون يعرف لقول موسي عليه السلام لقد علمت
ما انزل هولاء الا رب السموات والارض **وما رب**
**العالمين** اي الذي تزعمان انه رسوله وانما اتي بما دون
من لانها يسال بها عن طلب الماهية كقولك ما العنقا
ولما كان جواب هذا السوال لا يمكن تعريفه الا
بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وربما
هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذلك عدل
موسي عليه السلام الي جواب ممكن فاجاب
بصفاته تعالي كما قال تعالي اخبارا عنه **قال رب**
اي خالق ومبدع ومدبر **السموات** كلها **والارض**
والمتباعدت اجرامها بعضها من بعض **وما بينهما**
اي بين السموات والارض فلما عاد ضمير التثنية علي
جمعين اعتبارا بالجنسين وخصه بهذه الصفات
لانها اظهر خواصه واثاره وفيه ابطال لدعواه
انه اله ومعني قوله **ان كنتم موقنين** اي ان كان
يرجي منكم الايقان الذي يودي الي النظر الصحيح
نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع وان موقنين
بشي قط فهذا اولي ما توقنون به

لظهوره وانارة دلايله ولما ذكر موسى عليه السلام
هذا الجواب الحق قال فرعون لمن حوله من اشراف
قومه قال ابن عباس وكانوا خمسماية رجل عليهم
الاسورة وكانت للملوك خاصة الا تستمعون جوابه
الذي لم يطابق السوال يسالته عن حقيقة وهو يجيبني
بالفاعلية ولما كان يمكن ان يعتقد ان السموات
والارضين واجبة لذاتها وهي غنية عن الخالق
قال لهم موسى زيادة في البيان ربكم ورب
ابايكم الاولين فعدل عن التعريف بخالقية السموات
والارض الى التعريف بكونه تعالى خالقا لهم و
لابايهم اذ لا يمكن ان يعتقد في نفسه وفي ابايه
واجداده كونهم واجبين لذواتهم لان المشاهدة
دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد
الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون
واجبا لذاته واستحال وجوده الا بالموثر
فكان التعريف بهذا الاثر ولكن فرعون لم يكتف
بذلك ولهذا قال ان رسولكم على طريق التهكم
اشارة الى ان الرسول ينبغي ان يكون اعقل الناس
ثم زاد الامر بقوله الذي ارسل اليكم وانتم اعقل
الناس



الناس لمجنون لا يفهم السوال فضلا عن ان يجيب
عنه فكيف يصلح للرسالة من الملوك فلما قال
ذلك عدل موسى عليه السلام الى طريق ثالث اوضح
من الثاني بان قال قال رب المشرق والمغرب
اي الشروق والغروب ووقتهما وموضعهما وما
بينهما من المخلوقات لان التدبير المستمر على هذا الوجه
العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر قادر وهذا بعينه
طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمرود بانه
استدل اولا بالاحيا والاماتة وهو الذي ذكره
موسى عليه السلام بقوله ربكم ورب ابايكم
الاولين فاجابه نمرود وقال انا احيي واميت
فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي
ذكره موسى عليه وسلم بقوله رب المشرق
والمغرب ان كنتم تعقلون فكانه عليه السلام
قال ان كنتم من العقلاء عرفت انه لا جواب
عن سوالك الا ما ذكرت لك لانك طلبت مني
تعريف حقيقته ولا يمكن تعريف حقيقته الا بنفس

حقيقته ولا بالجزا حقيقته فلم يبق الا ان اعرف
حقيقته باثار حقيقته وقد عرفت حقيقته
باثار حقيقته فمن كان عاقلا بان لاجواب عن
سوالك الا ما ذكرته فلما انقطع فرعون عن الجواب
ولزمته الحجة تكبر عن الحق وعدل عن التخويف
بان قال لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من
المسجونين اي واحدا ممن هم في سجني على
ما تعلم من حالي في اقتداري ومن سجوني
وقطاعتها ومن حال من فيها من شدة الحصر
والغلظ في الحجر قال الكلبي كان سجنه اشد من
القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه في هوة
ذاهبة في الارض بعيدة العمق وحده منفرد
ان لا يسمع ولا يبصر منها شيا وقرا ابن كثير
وحفص وعاصم باظهار الذال عند التا
والباقون بالادغام ثم ذكر موسى عليه السلام
كلاما مجملا ليعلق فرعون قلبه به فيعدل
عن وعيده بان قال مدافعا بالتي هي احسن
ارخاء للعنان لارادة البيان معنى لا يبقى
عذر ولا نسيان لان من العادة الجارية
السكون



السكون الى الانصاف والرجوع الى الحق والاعتراف
ا ولو اي اسجني ولو جيتك بشي مبين اي هل
يحسن ان يذكر هذا مع اقتداري على ان اتيتك بشي
بدليلين بين لان على وجود الله وعلى انني رسوله
فعند ذلك قال طمعا في ان يجد موضعا للتكذيب
او التلبيس فات به اي تسبب عن قولك هذا
لي اقوال ايت بذلك الشي ان كنت من الصادقين اي
فيما ادعيت من الرسالة تنبيه الواو في اولو جيتك
واو الحال وليتها الهمزة بعد حذف الفعل
كما علم مما تقرر فان قيل كيف قطع الكلام
بما لا تعلق له بالاول وهو قوله تعالى اولو
جيتك بشي مبين اي باية بينة والعجز
لا يدل على الله كدلالة سائر ما تقدم اجيب
بانه يدل بما اراد ان يظهر من انقلاب
العصا حية على الله وعلى توحيده وعلى انه
صادق في ادعاء الرسالة فالذي ختم به كلامه
ما تقدم فالقى اي فتسبب عن ذلك ونفقه
بان القى موسى عصاه التي تقدم في غير سورة
ان الله تعالى راه اياها ولم يصرح باسمه

اكتفا بصفهم لانه غير ملتبس **فاذا هي ثعبان** اي حية
في غير الكبر **مبين** اي ظاهر ثعبان بينة روي
انها لما انقلبت حية ارتفعت الى السما قدر ميل
ثم انحطت مقبلة الى فرعون تقول يا موسى
مرني بما شئت ويقول فرعون اسالك بالذي
ارسلك الي ما اخذتها فاخذها فعادت
عصا فان قيل كيف قال هنا ثعبان مبين
وفي رواية اخرى فاذا هي حية تسعى وفي رواية
اخرى ثالثة كانها جان والجان مايل الى الصغر
والثعبان الى الكبر لجيب بان الحية اسم الجنس
ثم لكبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها
وسرعتها ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله
تعلى والجان خلقناه من قبل من نار السموم
ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت
ثعبانا ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام
لما اراه اية العصا قال فرعون هل غيرها قال
نعم **ونزع يده** اي التي كانت احترقت لما اخذ
الجمرة وهو في حجر فرعون وبذل فرعون جهده
في علاجها بجميع من قدر عليه من الاطبا

فعجزوا



فعجزوا عن ابرايها نزعها من جيبه بعد ان اراه
اياها على ما يعهده منها ثم ادخلها في جيبه
**فاذا هي** بعد النزع **بيضا للناظرين** يعني الوادي
من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع
الشمس يغشى البصر ويسد الافق فعند هذا
اراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر
امورا اولها انه **قال للملا حوله** لما وضح له هذا
الامر تمويها على عقولهم خوفا من ايمانهم **ان هذا لساحر**
**عليم** اي شديد المعرفة بالسحر قوله حال
من الملا ومفعول القول قوله ان هذا لساحر
عليم ولما اوقعهم بما حيلهم به احالهم الى انفسهم
فقال ليلقيهم الجلباب الانفة لما فهم من سلطان
المعجزة **يريد ان يخرجكم من ارضكم** اي هذه التي
هي قوامكم **بسحره** اي بسبب ما اتى به فانه
يوجب استتباع الناس فيتمكن مما يريده ثم قال
لقومه الذين كانوا يزعم انهم عبيده وانه الههم ما
دل على انه حادث قواه فحط عن منكبه كبريا
الربوبية وارتعدت فرايصه لما استولى عليه
من الدهش والحيرة ثم حتى جعل نفسه

مامورا بعد ان كان يدعي كونه امرا بل الها
قادرا فماذا تامرون اي في مدافعته عما يريد بنا
قالوا اي الملا اي الذين كانوا حوله ارجه واخاه
اي اخر امرهما ومناظرتهما الى اجتماع السحرة
ولم يامر بقتلهما ولا بقاربه فيسجن من يلقى
الروح منا امره على من يشا من عبادة فرفنا
به كل شي ولا يهاب هو غير خالقه وقرا قالون
بغير همز واختلاس كسرة الها وورش والكساي
بغير همز واشباع كسرة الها وابن كثير وهشام
بالهمزة الساكنة وصله الها مضمومة
وابو عمرو بالهمزة وضم الها مقصورة وابن
ذكوان بالهمزة وكسر الها مقصورة وعاصم
وحمزة بغير همز واسكان الها وابعث في المداين حاشرين
اي رجالا يحشرون السحرة واصل الحشر الجمع
بكره فانه قيل ان فرعون اراد قتل موسى
فقالوا له لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس
شبهة في امره ولكن اخره واجمع له سحرة
ليغلبوه ولا يثبت له عليك حجة وعارضوا
قوله ان هذا الساحر عليم بقولهم ياتوك بكل سحار

اي



اي يبلغ في السحر نحوا وابكلية الاحاطة وصيغة
المبالغة لنبطا منوا من نفسه ويسكنوا عن
بعض قلقه عليم اي منتهاه في العلم به بعدما
تناهى في التجربة وعبر بالبنا للمفعول في قوله
فجمع السحرة اشارة الى عظمة ملكه اي بايسر امر
لما له عندهم من العظمة لميقات يوم معلوم اي
في زمانه ومكانه وهو ضحى يوم الزينة كما مر في
طه وعن ابن عباس وافق يوم السبت من اول
يوم من سنتهم وهو يوم النيروز وقيل
اي بقول من يقبل لكونه عن فرعون للناس اي
عامة وقوله هل انتم مجتمعون فيه استبطاهم في
الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحقاقهم
كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا
اراد ان يحركه منه ويحثه على الانطلاق كما يخيل
له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه
قوله تابط شرا اسم شاعر هل انت باعث
دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
والثاني منصوب على محل الاول واخا عون
منادى او عطف بيان له وعليها فتقتصر

الكشاف لعلنا نتبع ولانتبع موسى في دينهم السحرة
اي في دينهم ان كانوا هم الغالبين موسى واتوا باداه
السكر مع جزمهم بالغلبة تمويها بانه ان لم
يحسن في وعده لم ينجحوا له قال مجيبا الى ما
ساله نعم لكم ذلك وقرا الكسائي بكسر العين
والباقون بالفتح وزادهم بالاحسن منه عند
اهل الدنيا موكدا بقوله وانكم اذا اي اذا غلبتم
لمن المقربين اي عندي وزاد اذا هنا زيادة
في التاكيد ولما قال لهم فرعون ذلك قالوا
لموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
قال لهم موسى اي مريدا لابطال سحرهم لانه لا يمكن
منه الا بالقائهم القوا ما انتم ملقون فان قيل
كيف امرهم بفعل السحر اجيب بانه لم يرد ذلك
امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن بتقديم
ما هو فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق
فالقوا اي فتسبب عن قول موسى عليه
السلام وتعقيبه ان القوا حبالهم وعصيهم اي التي
اعدوها للسحر وقالوا مقسمين بعزة فرعون
وهو من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف

بغير الله



بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله تعالى
او باسم من اسمايه او صفة من صفاته كقولك
والله والرحمن ورب العرش وعزة الله وقدرة
الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بابايكم ولا بامهاتكم
ولا بالطواغيت ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون
ولقد استحدث الناس في هذا الباب في الاسلام
جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان
الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته
على شي لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم
براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم
جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف
ثم انهم اكدوا يمينهم بانواع من التاكيد بقولهم
انا لنحن اي خاصة لا استثنى الغالبون وذلك
لفرط اعتقادهم في انفسهم ولاتيانهم باقصى
ما يمكن ان يوتى به من السحر فالقى اي فتسبب
عن صنع السحرة وتعقبه بان القى موسى عصاه
التي جعلت اية له وتسبب عن لقايه قوله تعالى
فاذا هي تلقف اي تبتلع في الحال بسرعة ونهمة

ما يافكون اي مما يقلبونه عن وجهه وحقيقته
بسحرهم وكيدهم ويزورونه ويخيلون في حبالهم
وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين
او افكهم سمى تلك الاشيا افكا مبالغة وقرا
حفص بسكون اللام وتخفيف القاف وقرا
الباقون بفتح اللام وتشديد القاف وشدد
البزي التاء في الاصل وخففها الباقون فالقي
السحرة اي عقب فعلها من غير تلبث ساجدين
اي فسجدوا لسرعة عظيمة حتى كان ملقيا
القاهم من قوة اسراعهم علما منهم بان هذا
من عند الله فامسوا اتقيا بررة بعدما كانوا
في صبح ذلك اليوم سحرة كفرة روي انهم
قالوا ان يك ما جا به موسى سحرا فلن يغلب
وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف
عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من عند
الله فامنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة
وامسوا شهدا بررة وانما عبر عن الخرور
بالالقا لانه ذكر مع الالقات فسلك به
طريقة المشاكلة وفيه ايضا مع مراعات
المشاكلة



المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان
رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا
فطرحوا طرحا فان قيل فاعل الالقا ما هو
لو صرح به اجيب بان الله تعالى بما خولهم
من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة
الباهرة قال الزمخشري ولك ان لا تقدر فاعلا
لان القوا بمعنى خروا وسقطوا ولما كانه
قيل هنا فعلهم فما كان قولهم قيل قالوا امنا برب
العالمين اي الذي دعى اليه موسى عليه
السلام اولا لما تكلم وقولهم رب موسى وهرون
عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان
يدعي الربوبية وارادوا ان يعزلوه ومعنى
اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي دعى
اليه موسى وهرون عليهما السلام ولما امر
السحرة باجمعهم ثم يا من فرعون ان يقول
قومه ان هولاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم
يومنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى عليه
السلام فيسلكون طريقهم فلبس على القوم
وبالغ في التنفير عن موسى بوجوه احدها

ان قال امنتم له اي لموسى قبل ان اذن
اي انا لكم فسارعتكم الى الايمان به دالة على
ميلكم اليه تنبيه ها هنا همزتان مفتوحتان
قرا الجميع بابدال الثانية الفا وخفف الثانية
حمزة والكسائي وشعبة وسهلها الباقون غير
حفص فانه اسقط الاولى والثانية عنده
وهي المبدل بها ثانيها قوله تعالى انه لكبيركم الذي علمكم
السحر وهذا تصريح بما رمز به اولا و
تعريض منه بانهم فعلوا ذلك عن مواطية
بينهم وبين موسى وقصروا في السحر ليظهر امر
موسى والا ففي قوة السحر تفعلوا مثل
ما يفعل ثالثها قوله فلسوف تعلمون وهو
وعيد وتهديد وتشديد رابعها قوله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي يد كل
واحد اليمنى ورجله اليسرى ولاصلبنكم اجمعين
وهذا الوعيد من اعظم الاهلاكات ثم انهم اجابوا
عن هذه الكلمات من وجهين الاول قولهم
قالوا لا ضير اي لا ضرر علينا وخبر لا محذوف
تقديره في ذلك انا اي بفعلك ذلك ان قد رك

الم



الله تعالى عليه الى ربنا اي احسن الينا بالهداية
بعد موتنا باي وجه كان منقلبون اي راجعون
في الاخرة الثاني قولهم انا نطمع اي نرجوا
ان يغفر اي يستر بالمغفرة لنا ربنا خطايانا
اي التي قدمناها على كثرتها ثم علل اطماعهم
مع كثرة الخطايا بقولهم ان كنا اي كوننا هو
لنا كالحيلة اول المومنين اي من اهل هذا
المشهد او من رعية فرعون او من اهل
زمانه ولما ظهر من امر فرعون ما شاهدوه
وخيف ان يقع منه لبني اسرائيل وهم
الذين امنوا وكانوا في قوم موسى عليه
السلام ما يودي الى الاستيصال امره
الله تعالى ان يسري بهم كما قال تعالى واوحينا
اي بما لنا من العظمة حين اردنا فصل
الامر وانجاز الوعد الى موسى ان اسر بعبادي
ليلا وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم
يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزدادوا
الا عتوا وفسادا وقرا نافع وابن كثير
بكسر النون ووصل الهمزة بعدها من سرى

وقرا الباقون بسكون النون وقطع الهمزة بعدها
ثم علل امره له بالسير في الليل بقوله
تعالى انكم متبعون اي لا يظن انهم لكثرة ما راوا
من الايات يكفون عن اتباعكم فاسرع بالخروج
لتبعد واعهم الى الموضع الذي قدرت في الازل
ان يظهر معجزتي والمراد توافقهم في البحر ولم يكتم
اتباعهم عن موسى لعدم تاثره به والمعنى
اني بنيت تدبير اسركم وامرهم على ان يتقدموا.
ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا
مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم روي
انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم
ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى
بقومه وروي ان الله اوحى الى موسى
ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في
كل بيت ثم اذبحوا الجدا واضربوا بدماءها
ابوابكم فاني سامر الملايكة ان لا يدخلوا
بيتا على بابه دم وامرهم بقتل ابكار القبط
واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم
اسري بعبادي حتى تنتهي الى البحر
فياتيكم امري



امري وروي ان قوم موسى قالوا لقوم
فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا ثم
استعاروا منهم حليهم بهذا السبب ثم
خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب
البحر فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم
كما قال تعالى فارسل فرعون اي لما اصبح وعلم
بهم في المداين حاشرين اي رجالا يجمعون الجنود
بقوة وسطوة وان كرهوا ويقولون تقوية
لقلوبهم وتحريكا لهممهم ان هولاء اشارة باداة
القرب تحقيرا لهم الى انهم في القبضة وان بعدوا
لما بهم من العجز وبالسرعة من الفوة فلبسوا
بحيث يخاف فوتهم لشرذمة اي طايفة وقطعة
من الناس قليلون اي بالنسبة الى ما للناس من
الجنود التي لا تحصى فذكرهم اولا بالاسم الدالة
على القلة بالشرذمة وهي الطايفة القليلة
ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا
ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل
فجعل كل حزب منهم قليلا واختار اجمع السلامة
الذي هو القلة مع انهم كانوا ستماية

الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين وذلك
بالنسبة لما ارسله خلفهم فان الذي ارسله
فرعون في اثرهم الف الف وخمسماية الف ملك
ومع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم
وكان مقدمته سبعماية الف كل رجل على حصان
وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون
في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل
قوم موسى قال الزمخشري ويجوز ان يريد
بالقلة الذلة والقماة ولا يريد قلة العدد والمعنى
انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع عليهم غلبتهم
وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق
صدرنا كما قال تعالى عنهم وانهم لنا لغايظون
اي بما جونا به من انفسهم وبما استعاروه من
الزينة من الاواني واواني الذهب والفضة وفاخر
الكسوة فلا رحمة في قلوبهم بجمعهم وانا لجميع
حذرون اي من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال
الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا
الي حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى
اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر قهره وسلطانه

وقرا



وقرا ابن ذكوان والكوفيون بالف بعد الحا والباقون
بغير الف قال ابو عبيدة والزجاج هما بمعنى واحد
يقال رجل حذر وحذر وحاذر بمعنى واحد وقيل بل
بينهما فرق فالحذر المتيقظ والحاذر الخايف وقيل
الاول المتجدد لانه اسم فاعل والثاني للثبات
لانه صفة مشبهة وقيل الحاذر المسلح الذي له
شوكة السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما
يفعل حذرا يحكي انه كان يتصرف في خراج مصر
وانه يجزيه اربعة اجزاء احدها لوزرايه
وكتابه وجنوده والثاني لحفر الانهار وعمل
الجسور والثالث له ولولده والرابع يفرق
في المدن فان لحقهم ظلما وظما واستجبارا وفساد
علة اوموت على مثل قوامهم ويروي انه
قصده قوم فقالوا نحتاج الي تحفر خليجا النهر
ضياعا فاذن في ذلك واستعمل عليهم عاملا
فاستكثر ما حمل من خراج تلك الناحية الى بيت
المال فسال عن مبلغ ما انفقوه في خليجهم فاذا
هو ماية الف دينار وامر بحملها اليهم فامتنعوا
من قبولها فقال اطرحوها عليهم فان الملك

اذا استغنى بمال الرعية يعني رعيته افتقر
وان الرعية اذا استغنت بمال ملكهم استغنى
واستغنوا ولما كان التقدير اطاعوا امره
ونفروا على كل صعب وذلوا عطف عليه قوله
تعالى بما آل اليه امرهم **فاخرجناهم** اي فرعون
وجنوده بما لنا من القدرة من مصر ليلحقوا
بموسى وقومه اخراجا حثيثا لا يسع احد بالخروج
منه **من جنات** اي بساتين كانت على جانبي النيل
يحق لها ان تذكر **وعيون** اي انهار جارية في الدور
من النيل وقيل عيون تخرج من الارض لا يحتاج
معها الى نيل ولا مطر **وكنوز** اي اموال ظاهرة
من الذهب والفضة وسميت كنوزا لانه لم
يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله تعالى
منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون
ثمانماية الف غلام كل غلام على فرس عتيق
في عنق كل فرس طوق من ذهب **ومقام**
من المنازل **كريم** اي مجلس حسن للامرا والوزرا
يحفه اتباعهم وعن الضحاك المنابر وقيل
السرر في الحجال وذكر بعضهم انه كان





اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثماية كرسي من
ذهب يجلس عليها الاشراف عليهم الاقبية من
الديباج مخوصة بالذهب **كذلك** اي اخراجنا كما
وصفنا **واورثناها** اي تلك النعم السنية بمجرد
خروجهم بالقوة وبعد اغراق فرعون وجنوده
بالفعل **بني اسرائيل** اي جعلناهم بحيث يرثونها
لانا لم نبق له مانعا يمنعهم منها بعد ان كانوا مستعبدين
تحت ايدي اربابها واستشكل ارثهم لها بالفعل
لقوله تعالى في الدخان قوما اخرين وسياتي
الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في ذلك المحل بل
قيل ان بني اسرائيل لم يرجعوا الى مصر بعد
ذلك ولما وصف تعالى الاخراج وصرف وصف
اثره بقوله تعالى مرتبا عليه بالفعل وعلى
الايراث بالقوة **فاتبعوهم** اي جعلوا انفسهم
تابعة لهم **مشرقين** اي داخلين في وقت شروق
الشمس بطلوعها صبيحة الليلة التي سار فيها
بنوا اسرائيل ولولا تقدير العزيز العليم بخرق
ذلك للعادة لم يكن بذلك على حكم العادة
في اقل من عشرة ايام فانه تحير الملوك عن

عن سنله واستمروا الي ان لحقوهم عند بحر القلزم فلما
ترا الجمعان اي راي كل منهما الاخر قال اصحاب
موسى ضعفا وعجزا استصحابا لما كانوا فيه من
عندهم من الذل ولانهم قل منهم بكثير بحيث
يقال ان طليعة الي فرعون كانت على عدد
بني اسرايل وذلك محقق لتخليل فرعون
لهم وكانه عبر عنهم باصحاب دون بني اسرايل
لانه كان قد امن به كثير من غيرهم انا لمدركون
اي يدركنا فرعون وقومه وقد صرنا بين سدين
العدو ورانا والبحر امامنا ولا طاقة لنا بذلك
قال اي موسى عليه الصلاة والسلام وثوقا
بوعد الله تعالى كلا اي لا يدركونكم اصلا ثم علل
ذلك تسكينا لهم بقوله ان معي ربي اي بنصره
فكانهم قالوا وما عساه يفعل وقد وصلونا
قال سيهدين اي يدلني على النجاة روي ان
مومن ال فرعون كان بين يدي موسى عليه
السلام فقال اين تذهب فهذا البحر امامك
وقد غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر ولعلي
اومر بما اصنع فاوحينا اي فتسبب عن كلامه

الدالي



كلامه الدال على المراقبة انا اوحينا ونوم باسم
الكليم جزاله على ثقته به سبحنه وتعالى فقال
تعالى الى موسى وفسر الوحي الذي فيه معنى القول
تعالى ان اضرب بعصاك البحر اي الذي امامكم وهو
بحر القلزم الذي يتوصل اهل مصر منه الى الطور
والى مكة المشرفة وما والاها وقيل النيل فضربه
فانفلق تسبب ضربه لما ضربه امتثالا لامر ربه
وصار اثني عشر فرقا على عدد اسباطهم فكان
كل فرق اي جزو قسم عظيم منهم كالطود اي
الجبل في اشراقه وطوله وصلابته بعدم السيلان
العظيم المتطاول في السما الثابت في قعر لا يتزلزل
لان الما كان منبسطا في ارض البحر فلما انفلق
وانكشفت فيه الطرق انضم بعضه الى بعض
فاستطال وارتفع في السما بين تلك الاجزا
مسالك سلكوها لم يقبل منها سرح الراكب قال
الزجاج لما انتهى موسى الى البحر هاجت الامواج
والبحر يرمي بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله
يا ابن امراة عمران فقد غشينا فرعون والبحر امامنا
فقال موسى ههنا فخاض يوشع الما وجاز البحر

ما يواري حافر دابته الما وقال الذي يكتم ايمانه
يا كليم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه
بلجامه حتى صار الزبد من شدقيه ثم اقحم البحر
فارسب في الما وصنع القوم مثل ذلك فلم يقدروا
فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه
ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فصار
فيه اثنى عشر طريقا لكل سبط طريقا فكان
الرجل على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده روي
ان موسى قال عند ذلك من كان قبل كل شي
والمكون لكل شي والكاين بعد كل شي وهذا
معجز عظيم من وجوه احدها ان تفرق ذلك
الما معجز وثانيها ان اجتماع ذلك الماء
فوق كل فرق منه حتى صار كالجبل معجز ايضا
وثالثها انه ثبت في الخبر انه تعالى ارسل
على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما
حيرهم فاحتبسوا القدر الذي تكامل معه
عدد بني اسرايل وهذا معجز ثالثها ورابعها
ان جعل الله في تلك الجدران المايية كوى
ينظر بعضهم الى بعض وهذا معجز رابع
وخامسها




وخامسها ان بقي الله تلك المسالك حتى قرب اليها
فرعون فطمعوا ان يتخلصوا من البحر كما تخلص
موسى عليه السلام وهذا معجز خامس فايدة
لكل من جميع القرا في الرا من فرق الترقيق والتفخيم
ولما كان التقدير وادخلنا كل شعب في طريق
من تلك الطرق عطف عليه **وازلفنا** اي قربنا
بفطنتنا **ثم** اي هناك **الاخرين** اي فرعون
وقومه حتى سلكوا مسالكهم قال ابو عبيدة
وازلفنا اخلفنا ومنه ليلة المزدلفة اي ليلة
الجمع عن عطا بن السايب ان جبريل عليه
السلام كان بين بني اسرايل وقوم فرعون
وكان يسوق بني اسرايل ليلحق اخرهم
اولهم **وانجينا موسى ومن معه** وهم من تبعوه
من قومه وغيرهم **اجمعين** بانطباق البحر عليهم
لما تم دخولهم البحر خروج بني اسرايل منه
ويقال هذا البحر بحر القلزم وقيل هو بحر من
وراء مصر يقال له اساف **ان في ذلك** اي الامر
العظيم العالي الرتبة من قصة موسى فرعون
وما فيها من العظات **لاية** اي علامة عظيمة

دالة على قدرة الله تعالى لان احدا من البشر
لا يقدر عليه وعلى حكمته وكون وقوعه مصلحة
في الدين والدنيا او على صدق موسى لكونه معجزة
له وعلى التحذير من مخالفة امر الله تعالى
ورسوله عليه السلام وفي ذلك تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم لانه قد يغتم بتكذيب
قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبه الله تعالى
بهذا الذكر على ان له اسوة بموسى وغيره **وما
كان اكثرهم** اي لان اهل مصر الذين شاهدوها
والذين وعظوا بسماعها **مومنين** اي متصفين
بالايمان الثابت اما القبط فما امن منهم الا
السحرة ومومن ال فرعون وامراة فرعون
والمراة التي دلتهم على عظام يوسف عليه
السلام واما بنو اسرايل فكان كثير منهم
متزلزلا تبدت كل قليل ويقول ويفعل ما هو
كفر حتى يتداركهم الله تعالى على يد موسى
عليه السلام ومن بعده واول ما كان
من ذلك سوالهم لما جاوزوا البحر ان يجعل
لهم الها كالاصنام التي مروا عليها واما
غيرهم



غيرهم ممن تاخر عنهم فحالهم معروف وامرهم
مكشوفة فقد سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا
واتخذوا العجل وطلبوا روية الله جهرة **وان ربك**
اي المحسن اليك باعلا امرك واستنقاذ الناس
من ظلام الجهل على يدك **لهو العزيز** اي القادر
على الانتقام من كل فاجر **الرحيم** بعباده لانه
تعالى افاض عليهم نعمه وكان قادرا على ان
يهلكهم فدل ذلك على كمال رحمته وسعة
جوده وفضله ولما تم سبحانه وتعالى ما
اراد من قصة موسى عليه السلام ليعرف
محمدا صلى الله عليه وسلم ان تلك المحن
مثل الذي اصابته كانت حاصلة لموسى اتبعه
دلالة على رحمته وزيادة في تسليته بينه
قصة ابراهيم عليه السلام وهي القصة الثانية
بقوله تعالى **واتل** اي اقرا قراة متتابعة يا اشرف
الخلق **عليهم** اي كفار مكة وقوله تعالى **نبا**
اي خبر **ابراهيم** قراة نافع وابن كثير وابو عمرو
في الوصل بتسهيل الهمزة الثانية وخففها
الباقون وفي الابتدا بالثانية الجميع

يحققون ويبدل منه اذ اي حين قال لابيه وقومه
تنبيها على ضلالهم لا استعلاما لانه كان عالما بحقيقة
حالهم ولكنه سالهم بقوله ما اي شي تعبدون
اي تواظبون على عبادته ليريهم ان ما يعبدونه
ليس من استحقاق العبادة في شي كما تقول
للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق
ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال قالوا في جوابه
نعبد اصناما فان قيل قوله عليه السلام ما
تعبدون سوال عن المعبود فحسب فكان القياس
ان يقولوا اصناما كقوله تعالى ويسالونك ما
ذا ينفقون قل العفو وكقوله تعالى ماذا قال
ربكم قالوا الحق وكقوله تعالى ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا اجيب بان هولا قد اجابوا
بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين
فاشتملت على جواب ابراهيم عليه السلام
وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من
الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على
قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا
على زيادة نعبد وحده ومثاله لمن يقول
لبعض



لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول
البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي
وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار
دون الليل يقال ظل يفعل كذا اذا فعل
بالنهار والعكوف الاقامة على الشي ثم ان ابراهيم
عليه السلام قال منبها على فساد مذهبهم
هل يسمعونكم اي يسمعون دعاكم او يسمعونكم
تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ اي حين تدعون
عليه فعلى الاول هي متعدية لواحد اتفاقا
وعلى الثاني هي متعدية لاثنين قامت الجملة
المقدرة مقام الثاني وهو قول الفارسي
وعند غيره الجملة المقدرة حال وقرا نافع
وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند
التا والباقون بالادغام او ينفعونكم ان عبدتموهم
او يضرون ان لم تعبدوهم ولما اقام ابراهيم
عليه السلام عليهم الحجة الباهرة هذه وهو
ان الذي يعبدونه لا يسمع دعاهم حتى يعرف
مقصودهم ولو عرف ذلك لما صح ان يبذل النفع
ويدفع الضر فكيف يعبد ما هذا صفته

ولم يجدوا ما يدفعون به حجته الا التقليد قالوا
بل وجدنا اباءنا كذلك اي مثل فعلنا بهذا الفعل
العالي الشأن ولو لم يكن عند من نعبدهم شيء من
ذلك ثم صوروا حالة ابائهم في نفوسهم
تعظيما لامرهم بقولهم يفعلون اي فنحن نفعل
كما تعلمون فانهم حقيقون منا بان لا نخالفهم
مع سبقهم لنا الى الوجود فهم ارصن منا عقولا
واعظم تجربة فلولا انهم راوا ذلك حسنا
ما واظبوا عليه وهذا تقليد محض حال
ادنى نظر كما تفعل البهائم والطير في تبعها
لاولها ثم ان ابراهيم عليه السلام قال
معرضا عن جواب كلامهم لما راه ساقطا
لا يرتضيه عاقل افرايتم اي تسبب عن قولكم
هذا اني اقول لكم ارايتم اي ان لم تكونوا
رايتموهم روية موجبة لتحقق امرهم فانظروهم
نظرا شافيا ما كنتم تعبدون اي مواظبين
على عبادتهم انتم واباؤكم الاقدمون اي الذين
هم اقدم ما يكون فان التقدم والاولوية
لا يكون برهانا على الصحة والباطل ولا

يتغلب



ولا يتغلب حقا بالقدم فانهم عدو لي اي اعداء لي
وانما وحده على ارادة الجنس ويجي العدو والصديق
في معنى الواحد والجماعة قال القائل
وقوم على ذوي مبرة اراهم عدوا وكانوا صديقا
ومنه قوله وهم لكم عدو تشبيها بالمصادر
كالحنين والصهيل وقيل هو من المقلوب
ارادني عدو لهم فان من عاديته فقد عاداك
وقرا نافع افرايتم بتسهيل الهمزة التي هي عين
الكلمة ولورش ايضا ابدالها الفا واسقطها
الكسائي اي وحققها الباقون فان قيل لم قال
فانهم عدو لي ولم يقل فانها عدو لكم اجيب
بانه عليه السلام صور المسئلة في نفسه
بمعنى اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها
عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انها نصيحة
نصح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا
به ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون
ذلك ادعا الى القبول وابعث الى الاستماع
منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك
المثابة ولانه دخل من التعريض وقد يبلغ

التعريض للتصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل
فيه فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى
عند الشافعي رضي الله تعالى عنه ان رجلا
واجهه بشي فقال لو كنت بحيث انت
لاحتجت الى ادب وسمع رجلا ناسا يتحدثون
في الحجر فقال ما هو بيتي وبيتكم وقوله **الا رب**
**العالمين** اي مدبر هذه الاكوان كلها ويصح ان
يكون استثنا منقطعا بمعنى انهم عدو لي
لا اعبدهم لكن رب العالمين فاني اعبده
وان يكون متصلا على ان الضمير لكل معبود
عبدوه وكان من اباهم من عبد الله
تعالى فكانه قال الا رب العالمين فانه
ليس بعدوي بل هو وليي ومعبودي
ثم شرع بصفة ما هم فيه به عالمون
من انه على الضد الاقصى من كل ما عليه
اصنامهم بقوله **الذي خلقني** اي اوجدني
على هيئة التقدير والتصوير **فهو**
اي فتسبب عن تفرده بخلقي انه هو لا غيره
**يهدين** اي الى الرشاد اي لا غيرهم ولا يعلم

باطن

باطن المخلوق ويقدر على التصرف فيه غير
خالقه ولا يكون خالقه الا سميعا بصيرا
ضارا نافعا له الكمال كله وذكر الخلق
بالماضي لانه لا يتجدد في الدنيا والهداية
بالمضارعة لتجددها وتكررها لانه يقال
لما اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك
هدايته المتصلة التي لا تنقطع اي كل ما
يصلحه ويعينه والا فمن هداه الى ان يهتدي
بالثدي في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة
الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن
هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك دينا ودنيا
**والذي** اي **هو** لا غيره **يطعمني ويسقين** اي يرزقني
ويغذيني بالطعام والشراب ولو اراد اعدم ما
اكل وما اشرب او اصابني بآفة فلا استطيع معها
الاكل ولا الشرب ومنه يذكر الطعام والشراب على
عدادهما تنبيه يجوز في والذي يطعمني ويسقين
ان يكون مبتدا وخبره محذوف لدلالة ما قبله
عليه وكذا الذات بعده ويجوز ان يكون
اوصافا فالذي خلقني ودخول الواو جائز

ان يكون اوصافا للذي خلقني ودخول الواو جائز
كقولك الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة
من المزدحم وتكرير الموصول على وجهين
في الدلالة على ان لكل واحد من الصلات
مستقلة باقتضا الحكم **واذا مرضت** اي  **فهو يشفين**
باستيلا بعض الاخلاط وقسرها على الاجتماع
لا بطبيب ولا بغيره فان قيل لم اضاف المرض
الى نفسه مع ان المرض والشفا من الله
تعالى واجيب بانه قال ذلك استعمالا
بحسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت
ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
واجاب الرازي ان اكثر اسباب المرض يحدث
بتفريط الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك
ومن ثم قال الحكما لو قيل لاكثر الموتى ما سبب
اجالكم لقالوا التخم وبان الشفا محبوب وهو من
اصول النعم والمرض مكروه وليس من النعم
لاجرم لم يضفه الى الله تعالى ولا ينتقض ذلك
باسناد الاماتة اليه كما سياتي فان الموت
ليس بضرر لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس
به

به وحال الموت لا يحصل الاحساس به انما الضرر
في مقدماته وذلك هو عين المرض لان الارواح
اذا كملت في العلوم والاخلاق كان بقاوها
في هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها عنها عين
السعادة بخلاف المرض **والذي يميتني** بقبض روحي
في الدنيا ليخلصني من افاتها **ثم يحيين** للمجازاة في
الاخرة كما شفاني من المرض ولهذا التراخي بين الموت
والاحيا اتى بثم هنا لان الاماتة في الدنيا والاحيا
في الاخرة ولما ذكر البعث ذكر ما يترتب عليه بقوله
**والذي اطمع** هضما لنفسه واطراحا لاعماله **ان
يغفر** اي يمحو ويستر **لي خطيئتي** اي تقصيري من
ان اقدره حق قدره **يوم الدين** اي الجزا روي ان
عايشة قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان
في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك
نافعه قال لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لي
خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم
على قومه انه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه
الافعال فان قيل لم قال والذي اطمع والطمع
عبارة عن الظن والرجا وهو عليه السلام

كان قالها بنكل اجيب بان في ذلك اشارة
الي ان الله تعالى لايجب عليه لاحد شي فانه يحسن
منه تعالى كل شي ولا اعتراض لاحد عليه في فعله
فان قيل لم اسند لنفسه الخطيئة مع ان الانبيا
معصومون اجيب بان مجاهد قال هي قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله
لسارة هي اختي ورد بان هذا معاريض كلام
وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها
الاستغفار والاولى في الجواب ان استغفار الانبيا
تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه
قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم
لاممهم وليكون لطفا لهم باجتنابهم المعاصي
والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان
قيل لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما
المغفرة في الدنيا اجيب بان اثرها يتبين يومئذ
وهو الان خفي لايعلم ولما حكى الله تعالى عن
ابراهيم عليه السلام ثناؤه عليه ذكر بعد ذلك
دعاه ومسالته بقوله سبحانه وتعالى رب
اي يا ايها المحسن الي هب لي حكما اي علما متقنا
بالعلم



بالعلم وقال ابن عباس معرفة حدود الله
واحكامه وقال الكلبي النبوة لان النبي ذو
حكمة وذو حكم بين عباد الله ثم بين علي ان
الاعمال دائما هو على محض الكرم فان من نوقش
الحساب عذب وقوله والحقني بالصالحين اي الذين
جعلتهم ايمة للمتقين في الدنيا والاخرة وهم الانبيا
والمرسلون وقد اجابه الله تعالى حيث قال وانه
في الاخرة لمن الصالحين وفي ذلك تنبيه على ان
تقديم الثنا على الدعا من المهمات فان قيل لم
لم يقتصر ابراهيم عليه السلام على الثنا ولاسيما
يروى عنه انه قال حسبي من سوالي علمه بحالي
اجيب بانه عليه السلام انما ذكر ذلك حين
اشتغاله بدعوة الخلق الى الحق فانه قال فانهم
عدو لي الا رب العالمين ثم ذكر الثنا ثم ذكر الدعا
لما ان الشارع لابد له من تعليم الشرع فاما
حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه تعليم الشرع
اقتصر على قوله حسبي من سوالي علمه بحالي تنبيه
الالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في
جملتهم ويجمع بينه وبينهم في المنزلة والدرجة

في الجنة ثم انه عليه السلام طلب زيادة في
الاخرة بقوله واجعل لي لسان صدق اي ذكرا جميلا و
قبولا عاما وثنا حسنا بما اظهرت من خصال
الخير في الاخرين اي من الناس الذين يوجدون
بعدي الى يوم الدين لاكون للمتقين اماما فيكون
لي مثل اجورهم فان من سن سنة حسنة كان
له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة قال ابن
عباس اعطاه الله تعالى بقوله وتركنا عليه
في الاخرين فاهل الايمان يتلونه ويثنون عليه
وقد جعله الله شجرة مباركة فرع منها
الانبيا الذين احيا الله بهم قلوبهم ذكره الذي
من اعظمه ما كان على لسان اعظمهم النبي
الامي صلى الله عليه وسلم من قوله صل
على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الى
اخره ولما طلب عليه السلام سعادة الدنيا
وكان لا نفع لها الا باتصالها سعادة الاخرة
التي هي الجنة طلبها بقوله واجعلني اي مع ذلك
كله بفضلك ورحمتك من ورثة جنة النعيم
لان



لان فيها النظر الى وجه الله الكريم وهو السعادة
الكبرى وشبهها بالارث الذي يحصل بغير
اكتساب اشارة الى انها لا تنال الا بمنه وكرمه لا بشي
من ذلك ولما دعى لنفسه ثنى باحق الخلق بيره
بقوله واغفر لابي بالهداية والتوفيق الى الايمان
لان المغفرة مشروطة بالايمان وطلب المشروط
متضمن لطلب الشرط فقوله واغفر لابي كانه دعا
له بالايمان وقيل ان اباه وعده بالاسلام
لقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه فدعاه قبل ان يتبين
له انه عدو لله كما سبق في سورة التوبة
وقيل ان اباه قال له انه على دينه باطنا وعلى
دين نمرود ظاهرا وتقية او خوفا فدعا له
لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف
ذلك تبرا منه ولذلك قال له في دعايه
انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في الحال
ليس بضال لما قال ذلك وقيل ان الاستغفار
للكفار لم يكن ممنوعا اذ ذاك ولا تخزني اي
ولا تفضحني يوم يبعثون اي العباد فان قيل

ان اباه وعده بالاسلام لقوله تعالى وماكان
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه فان قيل كان قوله واجعلني من ورثة
جنة النعيم كافيا عن هذا وايضا قال تعالى
الخزي اليوم والسوء على الكافرين فما كان نصيب
الكفار فقط كيف يخافه المعصوم اجيب
بان حسنات الابرار سيات المقربين فكذا
درجات الابرار خزي المقربين وخزي كل
واحد بما يليق به ولما نبه عليه السلام
على ان المقصود هو الاخرة صرح بالتنزيه
في الدنيا بقوله يوم لا ينفع اي احدا مال اي
يقتني اي يبذله لشافع او ناصر وقاهر
ولا بنون ينتصر بهم او يقتص فكيف بغيرهم
وفي الاستثنا قوله الا من اتى الله بقلب سليم
فانه ينفعه ذلك الثاني انه مفعول به
لقوله تعالى لا ينفع اي لا ينفع المال والبنون
الا هذا الشخص فانه ينفعه ماله المصروف
في وجوه البر وبنوه الصلحا لانه علمهم واحسن
اليهم الثالث انه بدل من المفعول
المحذوف



المحذوف او مستثنى منه اذ التقدير لا ينفع مال
ولا بنون احدا من الناس الا من كانت هذه صفته
واختلف في القلب السليم على اوجه قال الرازي
اصحها ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل
والاخلاق الرذيلة الثالث انه الخالص من
الشرك والنفاق وهو قلب المومن وجرى على
هذا الجلال المحلي واكثر المفسرين فان الذنوب قل ان
يسلم منها احد وهذا معنى قول سعيد بن المسيب
السليم هو الصحيح وهو قلب المومن فان قلب
الكافر والمنافق مريض قال تعالى في قلوبهم
مرض الثالث انه الذي سلم وسالم واسلم
وسالم واستسلم الرابع انه هو اللديغ اي
القلق المنزعج من خشية الله لكن قال
الزمخشري ان القولين الاخرين من بدع التفاسير
وقوله تعالى وازلفت الجنة حال من واو يبعثون
ومعنى ازلفت قربت اي قربت الجنة للمتقين
فتكون قريبة من موقف السعدا ينظرون
اليها ويفرحون بانهم المحشورون اليها زيادة
الى شرفهم وبرزت الجحيم اي كشفت وظهرت

النار الشديدة للغاوين اي الكافرين فيرونها
مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون
اليها زيادة في هوانهم تنبيه في اختلاف
الفعلين ترجيح لجانب الوعد على الوعيد
حيث قال في حق المتقين وازلفت اي قربت
وفي حق الغاوين وبرزت اي ظهرت ولا يلزم
من الظهور القرب وقيل وقيل لهم تبكيتا وتنديما
وتوبيخا وابهم القايل ليصلح لكل احد تحقيرا
لهم ولان المنكي نفس القول لا كونه من معين
اينما اي اين الذين كنتم تعبدون في الدنيا
ثم حقق معبوداتهم بقوله تعالى من دون
الله الملك الذي
اي من ادنى رتبة من رتب
لا كقوله وكنتم تزعمون انهم ينفعونكم و
يقربونكم في هذا اليوم هل ينصرونكم بدفع
العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسكم
فكبكبوا اي فتسبب عن عجزهم ان القوا
فيها اي في مهواة الجحيم هم اي الاصنام
وما شابهها من الشياطين ونحوهم والغاوون
اي الذين ضلوا بهم والكبكبة تكرير الكب
لتكرير.



لتكرير معناه كانه من التهيي في النار ينكب
مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وقال
الزجاج طرح بعضهم فوق بعض وقال العيني
القوا على رؤسهم وجنود ابليس وهم اتباعه ومن
اطاعه من الانس والجن وقيل ذريته اجمعون
ولما لم يتمكنوا من قول في جواب استفهامهم
قبل القايهم قالوا اي العبدة وهم فيها اي الجحيم
يختصمون اي مع معبوداتهم وقولهم تالله اي
الذي له جميع الكمالات ان كنا لفي ضلال مبين اي
ظاهر جدا لمن كان له قلب سليم معمول القول
وما بينهما وهو وهم فيها يختصمون جملة حالية
معترضة بين القول ومعموله وقيل ان
الاصنام تنطق وتخاصم العبدة ويويده
الخطاب في قولهم اذ اي حين نسويكم برب العالمين
في استحقاق العبادة تنبيه اذ منصوب
اما بمبين او بمحذوف اي ضللنا في وقت تسويتنا
لكم بالله في العبادة وما اضلنا اي ذلك الضلال
المبين الا المجرمون اي الاولون الذين اقتدينا
بهم من روسائنا وكبرائنا كما في اية اخرى

ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيل
وعن ابن جريج ان ابليس وابن ادم الاول وهو
قابيل وهو اول من سن القتل وانواع المعاصي
فما اي فتسبب عن ذلك انا ما لنا اليوم
وزادوا في نعيم النفي بزيادة فقالوا من شافعين
اي يكونون سببا لادخالنا الجنة كالمومنين
تشفع لهم الملايكة والنبيون والمومنون ولا
صديق حميم اي قريب يشفع لنا يقول ذلك
الكفار حتى تشفع الملايكة والنبيون
والمومنون والصديق هو الصادق في وداك
الذي يهمه ما اهمك مع موافقة الدين وعن
جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الرجل ليقول في الجنة ما
فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول
الله تعالى اخرجوا له صديقه الى الجنة
فيقول من بقي في النار فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم قال الحسن استكثروا من
الاصدقا المومنين فان لهم شفاعة يوم
القيمة فان قيل لم جمع الشافع ووحد





الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما
اهمك قال الزمخشري فاعز من بيض الانوق اه
قاله الجوهري الانوق على فعول طير وهو الرخمة في
المثل اعز من بيض الانوق لانها تحرزه فلا يكاد يظفر
بها لان اوكارها في رؤس الجبال والاماكن الصعبة
البعيدة وعن بعض الحكما انه سيل الصديق فقال
اسم لا معنى له اي لا يوجد ولما وقعوا في هذا الهلاك
وانتفى عنهم الخلاص تسبب عنه تمنيهم المحال فقالوا
فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من
المومنين اي الذين صار الايمان لهم وصفا لازما
فازلفت لهم الجنة تنبيه انظر ما احسن ما رتب
ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سالهم
اولا عما يعبدون سوال مقرر لا مستفهم ثم انحى
الى الهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
ولا تسمع وعلى تقليدهم اباهم الاقدمين وكسره
واخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون
حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم ثم تخلص منها
الى ذكر الله عز وجل فعظم شانه وعدد نعمته من
لدن خلقه وانشاه الى حين وفاته مع ما يرجى

في الاخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوة
المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاولين ثم وصله
بذكر يوم القيمة وثواب الله تعالى وعقابه
وما يدفع اليه المشركون يوميذ من الندم والحسرة
على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة الى الدنيا
ليومنوا ويطيعوا **ان في ذلك** اي المذكور من قصة
ابراهيم وقومه **لاية** اي عظيمة على بطلان الباطل
وحقوق الحق **وما** اي والحال انه ما **كان اكثرهم**
اي الذين شهدوا منه هذا الامر العظيم الذي سمعوه
عنه **مومنين** اي بحيث صار الايمان صفة لهم ثابتة
وفي ذلك اعظم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
**وان ربك** اي المحسن اليك بارسالك وهداية الامة
بك **لهو العزيز** اي القادر على ايقاع النقمة بكل
ما خالفه **الرحيم** اي الفاعل فعل الراحم في امهاله
العصاة مع ادرار النعم ودفع النقم وارسال الرسل
ونصب الشرايع لكي يومنوا واحدا من ذريتهم ولما
اتم سبحانه وتعالى قصة الاب الاعظم الاقرب ابراهيم
عليه السلام اتبعها بقصة الاب الثاني الاقرب وهو
نوح عليه السلام وهي القصة الثالثة مقدما لها
على



على غيرها لما له من القدم في الزمان اعلاما بان
البلا قديم ولانها ادل على صفتي الرحمة والنقمة
اللتين هما اثر العزة بطول الامهال على طول
مدتهم ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع اهل الارض
فقال **كذبت قوم نوح** وهم اهل الارض كلها من
الادميين قبل اختلاف الامم بتفرق اللغات
**المرسلين** اي بتكذيبهم نوحا عليه السلام لانه اقام
الدليل على نبوته بالمعجزة ومن كذب بالمعجزة
فقد كذب بجميع المعجزات لتساويها اقدامها في
الدلايل على صدق الرسول وقد سئل الحسن
البصري عن ذلك فقال من كذب واحدا من
الرسل فقد كذب الكل لان الاخر جاء بما جاء به الاول
بتانيث القوم يومي باعتبار معناه وكذا
يصغر على قويمة ويذكر باعتبار لفظه وتذكيره
اشهر واختير التانيث هاهنا للتنبيه
على ان فعلهم احسن الافعال والحالة انهم مع عتوهم
وكثرتهم كانوا عليه سبحانه وتعالى اهون شي
واضعفه بحيث هبا منثورا وكذا من بعدهم
ولاجل التسلية عبر بالتكذيب في كل قصة **اذ**

اي حين قال لهم اخوهم اي في النسب لا في الدين نوح وذكر
الاخوة زيادة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم
واشار بقاله الى حسن الادب نوح عليه السلام
مع قومه واستجلابهم برفقه ولينه لقوله لهم
الا تتقون الله بان تجعلوا بينكم وبينه وبين
الحفظة وقاية بطاعته بالتوحيد وترك الالتفات
الى غيره ثم علل اهليته للامر عليهم بقوله
اني لكم اي مع كوني لخالكم يسرني ما يسركم ويسوءني
ما يسوؤكم رسول اي من عند خالقكم فلا بد وجهه
لي عما امرت به امين اي مشهور بالامانة بينكم
لا غش عندي كما تعلمون ذلك مني على طول
خبرتكم لي ثم تسبب عن ذلك الرفق الجزم
بالامر فقال فاتقوا الله اي اوجدوا الخوف
والحذر والتجوز الذي لخص بالجلال والجمال
لتجوز والاصل السعادة فتكونوا من
اهل الجنة واطيعون فيما امركم به من توحيد الله
وطاعته ثم نفى عن نفسه التهمة بعد ان اثبت
امانته بقوله وما اسئلكم عليه اي على هذا الحال
الذي اتيتكم به واشار الى الاغراق في النفي من اجر
لتظنوا



لتظنوا اني جعلت الدعا سببا لذلك ثم اكد النفي
بقوله ان اي ما اجري اي ثوابي في دعائكم
الا على رب العالمين اي الذي يدبر جميع الخلائق
ورباهم وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص
بفتح اليا في اجري في المواضع الخمسة في هذه السورة
والباقون بالسكون ولما انتفت التهمة تسبب
عن انتفائها اعادة ما قدمه اعلاما بالاهتمام
به زيادة في الشفقة عليهم فقال فاتقوا الله
اي الذي حاز صفات العظمة واطيعون ولما اقام
الدليل على نصحه وامانته قالوا اي قومه منكرين
عليه ومنكرين لاتباعه استنادا الى الكبر الذي
نشا عنه بطر الحق وغمض الناس اي احتقارهم
انؤمن لك اي لاجل قولك هذا وما اوتيته
من اوصافك والحال انه قد اتبعك الارذلون
اي فيكونوا اتباعنا بل سببا لاستوائنا معهم والرذالة
الخسة والذلة وانما استرذلوا لاتضاع نسبهم
وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل
الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة والصناعة
لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش في اصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم مازالت اتباع
الانبيا كذلك حتى كادت من سماتهم وامارتهم
الجاتهم الى هرقل حين سال ابا سفيان عن اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفا
الناس واراذلهم قال مازالت اتباع الاتباع
الانبيا كذلك وعن ابن عباس هم الفاقة وعن
عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة
ولما كانت هذه الشبهة في غاية الركاكة
لانه نوحا بعث الى جميع قومه فلا يختلف الحال
بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب وخستها
اجابهم بقوله قال وما اي شي علمي بما كانوا يعملون
قبل ان يتبعوني اي ما لي وللبحث عن سرايرهم
وانما قال لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في
ايمانهم وانهم لم يومنوا عن نظر وبصيرة
وانما امنوا هدى وبديهة كما حكى الله عنهم
في قوله الذين هم اراذلنا بادي الراي ثم اكد
انه لا يبحث عن بواطنهم في قوله تعالى ان اي
ما حسابهم في الماضي والاتي الا على ربي
اي المحسن الي فهو محاسبهم ومجازيهم

واما



واما انا فلست بمحاسب ولا مجاز لو تشعرون
اي لو كان لكم نوع شعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا
ما قلتم مما هو دابر على امور الدنيا فقط ولا
نظر له الى يوم الحساب فان الغنى عن الدين
والنسب نسبة التقوى ولما اوهم قولهم
هذا استدعا طرد هولا الذين امنوا معه وتوقيف
ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه
اجابهم بقوله عليه السلام وما اي ولست
انا بطارد المومنين اي الذين صار الايمان
لهم وصفا راسخا فلم يرتدوا عنه للطمع
في ايمانكم ولا الغيرة من اتباع شهواتكم ثم علل
ذلك بقوله ان انا الا نذير اي محذر لا وكيل
قابض على البواطن ولا متعنت على الاتباع
مبين اوضح ما ارسلت به فلا ادع فيه لبسا وقرا
قالون بمد انا في الوصل بخلاف عنه والباقون
بالقصر ولما اجابهم بهذا الجواب وقد ايسوا
مما راموه لم يكن منهم الا التهديد بان قالوا
لئن لم تنته ثم سموه باسمه جفا وقلة ادب
بقولهم يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين

قال مقاتل والكلبي عن المقتولين بالحجارة وقال
الضحاك من المشتومين فعند ذلك حصل
الياس لنوح من فلاحهم فلذلك قال شاكيا
الى الله ما هو اعلم به من توطية للدعا
عليهم معرضا عن تهديدهم له صبرا واحتسابا
لانه من لازم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
رب اي ايها المحسن الي ان قومي كذبون
اي فيما جيت به فليس الغرض من هذا اخبار
الله تعالى بالتكذيب لعلمه بانه عالم الغيب
والشهادة ولكنه اراد لا ادعوك عليهم
لما اوذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل
دينك ولانهم كذبوك في وحيك ورسالتك
فافتح اي احكم بيني وبينهم فتحا اي حكما
يكون لي فيه فرج وبه من المضيق مخرج
فاهلك المبطلين ونجني ومن معي اي في الدين
من المومنين مما تعذب به الكافرين
ثم لما كان في اهلاكهم وانجايه من بديع
الصنع ما يجل عن الوصف اظهره في
مظهر العظمة لقوله تعالى فانجيناه ومن معه
اي



اي الذين اتبعوه في الدين على ضعفهم وقلتهم
في الفلك اي السفينة وجمعه فلك قال الله
تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد
بوزن قفل والجمع بوزن اسد وقال
تعالى المشحون اي الموقر المملو من الناس
والطير والحيوان لان سلامة المملو احد اغرب
ولما كان اغراقهم كلهم من الغرايب عظمه باداة
البعد فقال تعالى ثم اغرقنا بعد اي بعد انجا
نوح ومن معه الباقين اي من بقي على الارض
فلم يركب معه في السفينة على قوتهم وكثرتهم
ان في ذلك اي الامر العظيم من الدعا والامهال
ثم الانجا والاهلاك لاية اي عظيمة لمن شاهد
ذلك او سمع به وما اي والحال انه ما كان
اكثرهم اي العالمين بذلك مومنين وقد كان
ينبغي لهم اذ فاتهم الايمان لمحض الدليل يبادروا
بالايمان حين راوا العذاب وان ربك اي المحسن
اليك بارسالك وتكثير اتباعك وتعظيم اشياعك
لهو العزيز اي القادر بعزته على كل من قسرهم
على الطاعة واهلاكهم في اول اوقات المعصية الرحيم

اي الذي يخص من يشا من عباده بخالص وداده
ولما فرغ من ذكر قصة نوح عليه السلام شرع
في قصة هود عليه السلام وهي القصة
الرابعة فقال تعالى كذبت عاد اي تلك القبيلة
التي مكن الله تعالى لها في الارض بعد قوم
نوح المرسلين بالاعراض عن معجزة هود عليه
السلام ثم سلى محمدا صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى اذ اي حين قال لهم اخوهم اي في
النسب لا في الدين هود بصيغة العرض تاديا
معهم وتلطفا بهم الا تتقون اي يكون منكم
تقوى لربكم الذي خلقكم فتعبدونه ولا تشركون
به ما لا يضركم ولا ينفعكم ثم علل ذلك بقوله
اني لكم رسول اي فهو الذي حملني على انا اقول
لكم ذلك امين اي لا اكتم عنكم شيئا مما امرت به
ولا اخالف شيئا منه فاتقوا اي فتسبب عن ذلك اني
اقول لكم اتقوا الله اي الذي هو اعظم من كل شي
واطيعون اي في كل ما امركم به من طاعة الله
وترك معاصيه ومخالفته ثم نفى عن نفسه
التهمة في دعايه لهم بقوله وما اي والحال

اي

ما اسالكم عليه اي دعاي لكم من اجر فتتهموني
به وانما انا رسول داع ان اي ما اجري ثوابي
الا على رب العالمين فهو الذي يثيب العبد
على عمله ولما فرغ من دعايهم الى الايمان اتبعه
انكار بعض ما هم فيه لان حالهم حال الناسي
لذلك بالطوفان الذي اهلك الحيوان واهدم
البنيان بقوله لهم اتبنون بكل ريع جمع ريعة
وهو في اللغة المكان المرتفع ومنه قولهم
كم ريع ارضك وهو ارتفاعها وقال ابن
عباس الريع كل شريف وشرف وقال
مجاهد هو الفج بين الجبلين وقال الضحاك
كل طريق اية اي علامة على شدتكم لانه لو كان
لهداية او نحوها لكن بعض ذلك ولكنكم
تعبثون بمن يمر في الطريق الى هود عليه السلام
وتسخرون منه والجملة حال من ضمير تبنون
وقيل كانوا يبنون الاماكن المرتفعة ليعرف
بذلك غناهم فنهوا عن ذلك ونسبوا الى
العبث وقال سعيد بن جبير هي بروج
الحمام ثم ذكرهم بزوال الدنيا بقوله وتتخذون

مصانع قال مجاهد قصورا مشيدة وقال
الكلبي هي الحصون وقال قتادة مأخذ الما
يعني الحياض واحدها مصنعة ولما كان
هذا الفعل حال الراجي للخلود قال لهم لعلكم
اي كأنكم تخلدون فيها فلا تموتون ثم بين
لهم افعالهم الخبيثة بقوله واذا بطشتم اي اردتم
البطش باحد بضرب او قتل بطشتم جبارين
اي من غير رافة قال البغوي والجبار الذي يضرب
ويقتل على الغضب تنبيه انما قدرنا الارادة
ليلا يتحد الشرط والجزا وجبارين حال ولما
خوفهم هود عليه السلام لهذا الانكار وهو
اتخاذ الابنية العالية يدل على حب الدنيا
واتخاذ المصانع يدل على حب البقا والجبارية
تدل على حب التفرد بالعلو وهي ممتنعة
الحصول للعبد خوفهم بهذا الانكار عقاب
الجبار تسبب عن ذلك قوله فاتقوا الله اي
الذي له صفات الجلال والاكرام واطيعون زيادة
في دعائهم الى الاخرة وزجرا لهم عن حب الدنيا والا
شتغال بالشرف والتجبر ثم وصل هذا الوعظ
بما



بما يؤكد القبول بان نبههم على نعم الله تعالى
عليهم واتقوا الذي امدكم اي جعل لكم مددا وهو
اتباع الشي ما يقويه على الانتظام بما تعلمون
اي ليس فيه نوع خفا حتى تغفلوا عن تقييده با
لشكر ثم فصل ذلك المجمل بقوله امدكم بانعام
تقويكم على الاعمال وتاكلون منها وتبيعون وبنين
يعينونكم على ما تريدون عند العجز وجنات
اي بساتين ملتفة الاشجار بحيث تستر داخلها
وعيون اي انهار تشربون منها وتسقون انعامكم
وبساتينكم ثم خوفهم بقوله تعالى اني اخاف
عليكم قال ابن عباس ان عصيتموني اي فانكم
قومي يسوءني ما يسوءكم عذاب يوم عظيم
في الدنيا والاخرة فانه قدر على الانعام فهو
قادر على الانتقام وتعظيم اليوم اعظم من
تعظيم العذاب ولما بالغ عليه السلام في وعظهم
نبههم على نعم الله سبحانه وتعالى حيث اجملها
ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم
عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما
تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعدد

ما يعلمون من نعمة وانه كما قدر ان يتفضل عليكم
بهذه النعمة قادر على الانتقام منكم فلم يقدد
الله تعالى هدايتهم قالوا له راضين بما هم
عليه سوا علينا اوعظت اي خوفت وحذرت
ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوا عما نحن فيه
فان قيل لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان
اخصر والمعنى واحد اجيب بان ذلك
التراخي لتراعي اولان المعنى ليس واحدا بل
بينهما فرق لان المراد سوا علينا افعلت
هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا
من اهله ومباشرته وهو ابلغ من قلة
اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ وقرا
قوله تعالى ان اي ما هذا اي الذي جيتنا
به الا خلق الاولين قرا نافع وابن عامر
وعاصم وحمزة بضم الخا واللام اي ما هذا الذي
نحن فيه الان عادة الاولين في حياة ناس وموت
اخرين وعافية قوم وبلا اخرين وقرا الباقون
بفتح الخا وسكون اللام اي ما هذا الا كذب
الاولين وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه لانا
اهل

اهل قوة وشدة ونجدة وبلاغة وبراعة
ولما تسبب عن هذا التكذيب سبب عنه قوله
سبحانه وتعالى فكذبوه ثم تسبب عن تكذيبهم
قوله تعالى فاهلكناهم في الدنيا بريح صرصر
وسياتي بيانه ان شا الله تعالى في سورة الحاقة
ان في ذلك اي الاهلاك في كل قرن للمكذبين والانجا
للمصدقين لاية اي عظيمة لمن بعدهم على انه
سبحانه وتعالى فاعل ذلك وحده وانه مع
اوليايه ومن كان معه لا يذل وانه على اعدايه
ومن كان عليه لا يعز وما كان اكثرهم اي اكثر
من كان بعدهم مومنين اي فلا تحزن انت يا
اشرف الرسل على من اعرض عن الايمان وان
ربك اي المحسن اليك بارسالك وغيره من النعم
لهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الرحيم
في انعامه واكرامه واحسانه مع عصيانه وكفرانه
وارسال المنذرين وتاييدهم بالايات المعجزة
ثم اتبع قصة هود عليه السلام قصة صالح
عليه السلام وهي القصة الخامسة بقوله تعالى
كذبت ثمود وهم اهل الحجر المرسلين وقرا نافع

وابن كثير وعاصم باظهار المثناة عند المثلثة و
الباقون بالادغام واشار تعالى الى زيادة التسلية
بمفاجاتهم بالتكذيب من غير تامل ولا توقف بقوله
تعالى اذ اي حين قال لهم اخوهم اي في النسب
لا في الدين صالح لصيغة الغرض تادبا معهم و
تلطفا بهم كقول من تقدم قبله الا تتقون الله ثم
علل ذلك بقوله تعالى اني لكم رسول من رب العالمين
فلذلك عرضت عليكم هذا لاني مامور بذلك امين
في جميع ما ارسلت به اليكم من خالقكم الذي لا
احد ارحم منه بكم ثم تسبب عن قوله اني لكم
رسول قوله فاتقوا الله اي الذي له الغنى
المطلق واطيعون فيما اتيتكم به من عند الله ثم نفى
عنه ما قد يتوهم من لا عقل له بقوله وما
اسالكم عليه اي ما جئتكم به واغرق في النفي
بقوله من اجر ثم زاد في تاكيد هذا النفي بقوله
ان اي ما اجري على احد الا على رب العالمين
فهو المتفضل المنعم على خلقه ثم شرع ينكر عليهم
اكلهم خيره وعبادة غيره بقوله اتتركون اي من
ايدي النوايب التي لا يقدر عليها الا الله سبحانه
وتعالى

وتعالى فيما هاهنا اي في بلادكم هذه من النعم
حالة كونكم امنين لا تخافون وانتم تبارزون الملك
القهار بالعظايم فايدة تكتب في ما هاهنا
في مقطوعة عن ما ثم فسر ما اجمله بقوله
سبحانه وتعالى في جنات اي بساتين تستر الداخل
فيها وتخفيه لكثرة اشجارها وعيون تسقيها
مع ما لها من البهجة وغير ذلك من المنافع
وزروع اي ساير الانواع ونخل طلعها اي ما
يطلع منها من الثمر هضيم قال ابن عباس هو اللطيف
ومنه قولهم كشح هضيم وقيل هو الجواد الكريم
من قولهم يد هضوم اذا كانت تجود بما لديها
وقال اهل المعاني هو المنظم بعضه الى بعضه
في وعايه قبل ان يظهر والطلع عنقود التمر
قبل خروجه من الكم وقال الزمخشري الطلع
هو الذي يطلع من النخلة كنصل السيف في
جوفه شماريخ القنو والقنو هو اسم للخارج
من الجذع كما هو بعرجونه فان قيل لم قال
ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول
النخل اول شيء كما تتناول النعم الابل كذلك

من بين الازواج حتى انهم لا يذكرون الجنة ولا يقصدون
الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل
قال زهير يسقي جنة سحقا وسحقا جمع سحوق
ولا يوصف به الا النخل اجيب بوجهين احدها
انه جعل النخل بافراده بعد دخوله في جملة ساير
الشجر تنبيها على انفرادها عنها اجيب بوجهين
احدها انه جعل النخل بافراده بعد دخوله في
جملة ساير الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم
يعطف عليها النخل ولما ذكر ما انعم الله تعالى به
عليهم اتبعه افعالهم الخبيثة بقوله تعالى و
تنحتون اي والحال انكم تنحتون اظهارا للقدرة
من الجبال وقرا بيوتا ورش وابو عمرو وحفص
بضم البا والباقون بكسرها وقرا فرهين
ابن عامر والكوفيون بالف بعد الفا اي
حاذقين وقرا الباقون بغير الف اي بطرين
الحاكم الى شي من ذلك فاتقوا اي فتسبب
عن ذلك اني اقول لكم اتقوا الله الذي له
جميع العظمة بان تجعلوا بينكم وبين عذابه
وقاية باتباع اوامره واجتناب

زواجره



زواجره واطيعون اي في كل ما امرتكم به عنه
فاني لا امركم الا بما يصلحكم ولا تطيعوا امر المسرفين
اي المجاوزون الحدود وقال ابن عباس رضي الله
عنهما المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين
عقروا الناقة تنبيه استعير الطاعة التي هي
انقياد للامر لامتثال الامر او جعل الامر مطاعا
على المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم لك علي امره
مطاعة وقوله سبحانه وتعالى واطيعوا امري
ثم وصف المسرفين بما بين سرفهم بقوله
سبحنه وتعالى الذين يفسدون في الارض بالمعاصي
ولا يصلحون اي لا يطيعون الله في امرهم به فان
قيل فما فايدة ولا يصلحون بعد قوله سبحنه
وتعالى يفسدون اجيب بان في ذلك دلالة
على خلوص فسادهم فليس فيه شي من الصلاح
ولما عجزوا عن الطعن في شي مما دعاهم اليه
عدلوا عن التخييل على عقول الضعفا بان
قالوا انما انت من المسحرين قال مجاهد
وقتادة من المسحورين المخدوعين اي ممن
سحر مرة بعد مرة اي حتى غلب على

على عقله وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن
عباس اي المخلوقين المعللين بالطعام والشراب
ولست بملك وعلى هذا يكون قولهم ما انت الا
بشر مثلنا تاكيدا له قبل السحر هو المخلوق لغة
تخييلا اي فما وجه خصوصيتك عنا بالرسالة
فات باية اي علامة تدل على صدقك ان
كنت من الصادقين اي الراسخين في الصدق
فقال لهم صالح ما تريدون قالوا نريد
ناقة عشرا تخرج من هذه الصخرة فتلد
سقبا ففقوا بيت فكر فقال له جبريل
صل ركعتين واسال ربك الناقة ففعل فخرجت
الناقة وبركت بين ايديهم وانتجت سقبا مثلها
في العظم وعن ابي موسى رايت مصدرها
فاذا هو ستون ذراعا فلما راها قال لهم صالح
هذه ناقة اخرجها ربي من الصخرة كما اقترحتم
لها شرب اي نصيب من الماء يوم معلوم ولكم
شرب يوم اي نصيب من الماء في يوم معلوم
لا ازدحام بينكم وبينها وعن قتادة اذا كان
يوم شربها شربت ماءهم ولا يشربون في
يومهم

في يومهم ما ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر
خوفهم بما تسبب عن عصيانهم بقوله فياخذكم
اي يهلككم عذاب يوم عظيم بسبب ما حل فيه
من العذاب فهو ابلغ من وصف العظيم واشار
الى سرعة عصيانهم بفاء التعقيب في قوله فعقروها
اي فقتلوها بضرب ساقها بالسيف واسند
العقر الى كلهم لان عقرها برضاهم فكانهم فعلوا
ذلك فاصبحوا اي فتسبب عقرهم لها انهم اصبحوا
حين راوا مخايل العذاب نادمين على عقرها
من حيث انه لم يفض الى العقاب والهلاك لا من
حيث انه معصية الله ورسوله وليس على
وجه التوبة او كان ذلك عند رؤية الياس
فلم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود
على عقرها ان في ذلك اي ما تقدم في هذه
القصة من الغرايب لاية اي دلالة عظيمة على
صحة ما امروا به عن الله وما اي والحال انه مع ذلك
ما كان اكثرهم مومنين بل استمروا على ما هم عليه
وان ربك اي المحسن اليك باحسن الاخلاق لهو
العزيز اي فلا يخرج شيء عن قبضته وارادته

الرحيم اي في كونه لم يهلك احدا حتى يرسل اليهم
رسولا مبين لهم ما يرتضيه الله تعالى وما
يسخطه ثم اتبع قصة لوط وهي القصة السادسة
فقال كذبت اي ذات من تقدم كانهم تواصوا به
قوم لوط المرسلين لان من كذب رسولا كما مضى
فقد كذب الكل ثم بين اسراعهم في الضلال
بقوله تعالى اذ اي حين قال لهم اخوهم اي في
البلد لا في الدين ولا في النسب لانه ابن اخي ابراهيم
عليهما الصلاة والسلام وهما من بلاد الشرق
من ارض بابل وكانه عبر بالاخوة لاختيارة
لمجاورتهم ومناسبتهم بمصاهرتهم واقامته
معهم في مدينتهم مدة مديدة وسنين عديدة
واتيانه بالاولاد من نسايهم مع موافقته
لهم في انه قد قروي ثم بينه بقوله سبحانه
وتعالى لوط بصيغة العرض كغيره ممن تقدم
الا تتقون الله تعالى فتجعلون بينكم وبين
سخطه وقاية ثم علل ذلك بقوله سبحانه وتعالى
اني لكم اي خاصة رسول فلا تسعني المخالفة
امين لا غش عندي ولا خيانة ثم تسبب عن

ذلك



ذلك بقوله سبحانه وتعالى فاتقوا الله اي
الملك الاعظم فانه قادر على ما يريد فلا تعصوه
واطيعون اي لان طاعتي سبب نجاتكم لاني لا امركم
الا بما يرضيه ولا انهاكم الا عما يغضبه ثم نفى عن
نفسه ما يتوهم كما تقدم لغيره بقوله سبحانه
وتعالى وما اسألكم عليه اي الدعا الى الله سبحانه
وتعالى من اجر اي فتتهموني بسببه ان اجري
الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
اي المحسن اليكم بايجادكم عوده الى الاتي اي
انتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة
وهي اتيان الذكور لم يفعل هذا الفعل غيركم من
الناكحين من الخلق ويحتمل عوده الى الماتي
اي انتم اخترتم الذكران من العالمين كالاناث
منهم وعلى هذا يحتمل ان يراد الذكران من
الادميين ومن غيرهم توغلا في الشر وتجاهرا
بالتهتك قال البقاعي وان يراد الادميون
وجرى عليه البغوي واكثر المفسرين اي تريدون
الذكران من اولاد ادم مع كثرة الاناث وعليهن
وغلبتهن وتذرون اي وتتركون لهذا الغرض

ما خلق لكم اي للنكاح ربكم اي المحسن اليكم وقوله
سبحانه وتعالى من ازواجكم فيصح ان يكون للتبعيض
ويكون المخلوق لذلك هو القبل وكانوا يفعلون
ذلك بنسايهم ثم قالوا نحن لم نترك نسانا
اصلا وراسا وان كانوا قد فهموا ان مراده
تركهن حال الفعل في الذكر قال مضربا عن
مقالهم لما اراد به جبهه عن الحق وتماديا في
الفجور بل انتم قوم عادون اي متجاوزون
عن حد الشهوة حيث زادوا على ساير الناس
بل والحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا
من جملة ذلك او لخفا بان تواضعوا بالعدوان
كارتكابكم هذه الجريمة ولما اتضح الحق
عندهم وعرفوا انه لا وجه لهم في ذلك وانقطعت
حجتهم قالوا متعسفين لين لم تنته وسموه باسمه
خفا وغلظة بقوله تعالى يا لوط اي عن
انكارك هذا علينا لتكونن من المخرجين اي ممن
اخرجناه من بلدنا على وجه قطيع من تعنيف
واحتساب املاك كما هو حال الظلمة اذا
احلوا البغض ممن يغضبون عليه كما كان

يفعل

يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة وفي هذا
اشارة الى انه غريب عندهم وان عادتهم
المستمرة نفي من اعترض عليهم قال مجيبا
لهم اني مؤكدا المضمون ما ياتي به لعملكم من
القالين اي المبغضين غاية البغض لا اقف
عند الانكار عليه بالابعاد تنبيه قوله
سبحانه وتعالى من القالين ابلغ من ان
يقول اني لعملكم قال كما يقول فلان من العلما
فهو ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد
له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة
مساهمته لهم في العلم والقلا البغض الشديد
لان البغض يقلي الفؤاد والكبد والقالي
المبغض كما قال القايل

والله ما فارقتكم قاليا لكم
ولكن ما يقضى فسوف يكون

ثم ان لوطا عليه السلام دعا الى الله سبحانه
وتعالى بقوله رب نجني واهلي وقوله مما يعملون
يحتمل ان يريد من عقوبة عملهم قال الزمخشري
وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة

ثم ان الله تعالى قبل دعاه كما قال تعالى فنجيناه
واهله مما عذبناهم به باخراجنا له من بلدهم
حتى استحقاقهم له ولم نوخر عنهم الى حين
خروجهم الا اجله واكد بقوله تعالى اجمعين اشارة
الى انه نجى اهل بيته ومن تبعه على دينه الا عجوزا في
حكم الغابرين اي الماكثين الذين تلحقهم الغيرة بما
يكون من الداهية فانا لم ننجها لقضاينا بذلك
في الاول لكونها لم تتابعه في الدين ولم تخرج معه
وكانت مايلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل
انها خرجت فاصابها حجر في الطريق فاهلكها
فان قيل كان اهله مومنين ولولا ذلك لما طلب
لهم النجاة فكيف استثنت الكافرة منهم اجيب
بان الاستثنا انما وقع من اهل بيته كما مرت
الاشارة اليه ثم دمرنا اي اهلكنا الاخرين
اي الموخرين عن اتباع لوط لما كان المراد بقوله
سبحانه وتعالى ثم دمرنا حكمنا بتدميرهم
عطف عليه قوله سبحنه وتعالى وامطرنا
عليهم مطرا قال وهب بن منبه الكبريت
والنار وقال قتادة امطر الله تعالى على

شداد



شداد القوم بحجارة من السما فاهلكتهم فسا
مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع
المضاف الى المنذرين فاعل فسا وذلك لان الفاعل
فعل الذم او المدح يجب ان يكون معرفا بلام
الجنس او مضافا الى المعرف بلام الجنس ليحصل الابهام
المقصود ثم التفصيل ولا ياتي ذلك في لام العهد
والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك
اي انجا لوط ومن معه واهلاك هولا الكفار الفجار
لاية اي دلالة عظيمة على ما يصدق الرسل جميع
ترغيبهم وترهيبهم ولما كان من اتى بعد هذه
الامم كقريش ومن بعدهم قد علموا اخبارهم وضموا
الى تلك الاخبار نظر الديار والتوسم في الاثار قال
تعجبا من حالهم في ضلالهم وما اي والحال ما
كان اكثرهم مومنين بما وقع لهولا وان ربك
لهو العزيز اي في بطشه لاعدايه الرحيم في لطفه
باوليايه ثم اتبع قصة لوط عليه الصلاة والسلام
وهي القصة السابعة قال تعالى كذب اصحاب
الايكة اي الغيضة ذات الارض الجيدة التي تبتلع
الما وتنبت الشجر الكثير الملتف المرسلين

لتكذيبهم شعيبا عليه الصلاة والسلام فيما اتى
به من المعجزة المساوية في خرق العادة وعجز
المتحدين بها عن مقاومتها لبقية المعجزات التي اتى بها
الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقرا نافع وابن كثير
وابن عامر الايكة بلام مفتوحة من غير الف وصل
وبعد اللام همزة مفتوحة بعدها يا ساكنة
وخفض تا التانيث قال ابو عبيدة وجدنا في
بعض التفاسير الفرق بين ليكة والايكة
فقيل ليكة هو اسم القرية التي كانوا فيها
والايكة البلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيها
بما بين مكة وبكة ثم بين سبحانه وتعالى
وقت تكذيبهم بقوله سبحانه وتعالى اذ اي
حين قال لهم شعيب برفق ولطف الا تتقون
الله الذي تفضل عليكم بنعمه ولم يقل اخوهم
شعيب لانه لم يكن منهم ولا من اهل الايكة في النسب
لانهم كانوا اهل بدو وكان عليه الصلاة والسلام
قرويا لان الله تعالى لم يرسل نبيا الا من اهل
القرى تشريفا لهم لان البركة والحكمة في الاجتماع
ولذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التعرب
بعد



بعد الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله
به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة ولما ذكر
مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان منهم وكان الله
سبحانه وتعالى بعثه الى قومه اهل مدين واصحاب
الايكة ثم اكد ما قاله بقوله اني واشار الى تنبيههم
ان اطاعوه بقوله لكم رسول اي من عند الله فهو
امرني ان اقول لكم ذلك امين اي لا خيانة عندي
ولا غش فلذلك ابلغ جميع ما ارسلت به ولذلك
تسبب عنه قوله سبحانه وتعالى فاتقوا الله
اي المحسن اليكم بهذه الفيضة وغيرها واطيعون
لما ثبت من نصحي لكم ثم ذكر ما ذكر من تقدمه
من الانبيا من نفي ما يتوهم ان لهم رغبة في الاجرة
بجره على دعايهم فقال وما اسالكم عليه اي دعاي
لكم الى الايمان بالله سبحانه وتعالى من اجر ثم زاد في
البراءة من الطمع في احد من الخلق بقوله ان اي ما
اجري الا على رب العالمين اي المحسن الى الخلايق كلهم
فانا لا ارجو احدا سواه ثم نصحهم بقوله سبحانه
وتعالى اوفوا الكيل اي اتموه اتماما لا شبهة فيه
اذا كلتم كما توفونه اذا اكتلتم ولا تكونوا من المخسرين

اي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن كما
قال تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون اي الكيل واذا كالوهم
اي كالوا لهم او وزنوا لهم يخسرون ينقصون الكيل
او الموزن وزنوا اي لانفسكم ولغيركم بالقسطاس
اي الميزان الاقوم واكد معناه بقوله سبحانه وتعالى
المستقيم وقيل هو بالرومية العدل وقرا حمزة
والكسائي وحفص بكسر القاف والباقون بالفتح
تنبيه الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف
وزايد فامر بالواجب الذي هو الايفا بقوله سبحانه
وتعالى اوفوا الكيل ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف
بقوله سبحانه وتعالى ولا تكونوا من المخسرين
ولم يذكر الزايد لانه ان فعله فقد احسن وان
لم يفعله فلا اثم عليه والوزن في ذلك كالكيل
ولهذا عم في النهي عن النقص بقوله سبحانه
وتعالى ولا تبخسوا اي لا تنقصوا الناس
اشياهم اي في كيل او وزن او غير ذلك ثم
اتبع ذلك بما هو اعم بقوله سبحانه وتعالى
ولا تعثوا اي لا تتصرفوا في الارض من غير
تامل

تامل حال كونكم مفسدين اي في المال وغير ذلك كقطع
الطريق والقتل ثم خوفهم بعد ان وعظهم ونهاهم
عن الفساد من سطوة الجبار ما احل بمن هو
اعظم منهم بقوله سبحنه وتعالى واتقوا الذي
خلقكم اي من نطفة فاعدامكم اهون شيء عليه
واشار في ضعفهم وقوة من كان قبلهم بقوله
سبحانه وتعالى والجبلة اي الجماعة والامم الاولين
الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كانهم
الجبال قوة وصلابة لاسيما قوم هود بلغت بهم
الشدة حتى قالوا من اشد منا قوة وقد اخذهم
الله سبحانه وتعالى اخذ عزيز مقتدر ثم
انهم اصابوه بالقدح في الرسالة اولا وباستفصال
الوعيد ثانيا بان قالوا انما انت من المسحرين
الذين كرر سحرهم مرة بعد اخرى حتى اختلفوا
فصار كلامهم على غير قوام او من المعللين
بالطعام والشراب كما مضى في صالح عليه
السلام اي فانت بعيد عن الصلاحية للرسالة
ثم اشاروا الى عدم صلاحية البشر لها مطلقا
ولو كانوا اعقل الناس بقولهم وما انت الا بشر

مثلنا اي فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك وانوا
بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين
للرسالة مبالغة في تكذيبه ولهذا قالوا وان
نظنك لمن الكاذبين اي في دعواك تنبيه
مذهب البصريين ان هذه المخففة من الثقيلة
اي وان نظنك والذي يقتضيه السياق ترجيح
مذهب الكوفيين هنا في ان ان نافية فانهم
ارادوا باثبات الواو في وما انت للمبالغة في
نفي رسالته بتعداد ما ينافيه فيكون مرادهم
انه ليس لنا ظن يتوجه الى غير ذلك الكذب
وهو ابلغ من اثبات الظن به ثم ان شعيبا
عليه الصلاة والسلام كان توعدهم بالعذاب
ان لم يومنوا فقالوا فاسقط علينا كسفا اي
قطعا من السما اي السحاب او الحقيقة ان
كنت من الصادقين اي العريقين في الصدق
المشهورين فما اهله لتصدقك فيما الزمن
امرك لنا باتخاذ الوقاية من العذاب تنبيه
انظر الى حسن لطف شعيب عليه السلام
كيف هددهم بما لله عليهم من القدرة في خلقهم
وخلق

وخلق ما كان اشد منهم قوة واهلاكهم بانواع
العذاب لما عصوه بتكذيب رسلهم وقرا حفص
بفتح السين والباقون بالسكون وهنا همزتان
مكسورتان فقالون والبزي بتخفيف الاولى قال
لهم شعيب مجيبا لهم ربي اعلم بما تعملون فيجازيكم
به فان شا عجل لكم العذاب وان شا اخره الى اجل
معلوم واما انا فليس علي الا البلاغ وانا مامور به
فلم اخوفكم من نفسي ولا ادعيت قدرة على عذابكم
فطلبكم ذلك مني مضموم الى ظلمكم بالتكذيب فكذبوه
اي استمروا على تكذيبه فاخذهم اي فتسبب عن
تكذيبهم ان اخذهم عذاب يوم الظلة وهي السحابة
على نحو ما طلبوه من قطع السما روي ان الله تعالى
حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد وهو
شدة الحر مع سكون الريح فاخذ بانفاسهم
لا ينفعهم ظل ولا ما ولا شراب فاضطروا الى ان
خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها
بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم
نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين
اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين

صيحة جبريل عليه السلام واصحاب الايكة بعذاب
يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وقد منا ان
تعظيم اليوم ابلغ من تعظيم العذاب ان في ذلك
الامر العظيم من الايجاد المطرد لكل رسول ومن
اطاعه والاخذ المطرد لكل رسول ومن لم اطاعه
لمن عصاه في كل عصر بكل قطر بحيث لا يستند
من الفريقين انسان قاص ولا دان لاية اي دلالة
واضحة عظيمة على صدق الرسل وان يكونوا
جديرين بتصديق العباد لهم في جميع ما قالوه
من البشاير والنذاير بان الله سبحانه وتعالى
يهلك من عصاه وينجي من والاه لانه الفاعل
المختار لما يريد وما كان اكثرهم اي اكثر قومك
كما كان من قبلهم مومنين مع انك قد اتيت
قومك بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم بك
معرفة قبل ذلك فكيف وهم عارفون بانك
كنت قبل الرسالة اصدقهم لهجة واعظمهم
امانة واغزرهم عقلا واعلاهم همة وابعدهم
عن كل دنس وان ربك اي المحسن اليك
بكل ما يعلي شانك ويوضح برهانك لهو العزيز
فلا



فلا يعجزه احد الرحيم بالامهال لكي يومنوا او واحدا
من ذريتهم هذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل
الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديد المكذبين له فان قيل كيف كررت في هذه السورة
في اول الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة
منها تدل بحق في ان يفتتح بما افتتحت به صاحبتها
وان يختم بما اختتمت به ولان في التكرير تقرير
للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا
ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد
ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان
امكن في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر
وابعد من النسيان ولان هذه القصص
طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب
غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير
وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح
اذنا او ينشق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده
بالصقل او يجلوا فهما قد غطى عليه تراكم الصدا
في ذلك دلالة على ان البقية مقصورة على ان
الدعا الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب

المدعو الى ثوابه ويبعده عن المطامع الدنية والاغراض
الدنيوية ولما ذكر سبحانه وتعالى قصص الانبيا عليهم
الصلاة والسلام اتبعه بما يدل على نبوته صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى وانه اي الذكر الذى اتاهم
هذه الاخبار وهم عنه معرضون وهم له تاركون
لتنزيل رب العالمين اي الذي رباهم بشمول علمه
وعظيم قدرته بما يعجز عنه اقل شي منه نجوما
نزل به اي نجوما على سبيل التدريج من الافق
الاعلى الذي هو محل البركات وعبر عن جبريل
عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى الروح
دلالة على انه مادة خير وان الارواح تحيي
بما ينزل به من الهدى وقال سبحانه وتعالى
الامين اشارة الى كونه عليه السلام معصوما
من كل دنس فلا يمكن منه خيانة على قلبك يا اشرف
الرسل ففي هذا تقرير حقيقة تلك القصص
وتنبيه على اعجاز القران ونبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وان الاخبار عنها ممن لا يتعلمها
لا يكون الا وحيا من الله تعالى وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو وحفص بتخفيف الزاي والروح
الامين

الامين بنصبهما فان قيل لم قال على قلبك وهو
انما نزل عليه اجيب بانه ذكر ليعلم ان ذلك المنزل
محفوظ الرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه
التغيير ولان القلب هو المخاطب في الحقيقة لانه
موضع تمييز واختيار واما ساير الاعضا فمسخرة
له ويدل على ذلك الكتاب والسنه والمعقول فمن
الكتاب قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك
واستحقاق الجزا ليس الا على القلب اي على ما في
القلب قال الله سبحانه وتعالى لا يواخذكم الله
باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم
ومن السنه قوله صلى الله عليه وسلم الا وان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله
واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
ومن المعقول ان القلب اذا غشي عليه وقطع
ساير الاعضا لم يحصل به الشعور واذا افاق
القلب شعر بجميع ما نزل بالاعضا عند
ذلك وان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على
الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من
التعلق ثم تصعد منه الى الدماغ فينتقش

بهالوح المخيلة ولما كان السياق في هذه
السورة للتحذير قال تعالى معللا للجملة
التي قبله لتكون من المنذرين اي المخوفين
المحذرين لمن اعرض عن الايمان وفعل ما نهي
عنه من المعاصي وقوله سبحنه وتعالى
بلسان عربي مبين يجوز ان يتعلق بالمنذرين
فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا
اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب
واسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين ويجوز ان يتعلق بنزل فيكون
المعنى نزله باللسان العربي لئلا يقولوا اصلا
ولقالوا ما يصنع بما لا نفهمه فيتعذر
الانذار به وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما بلسان قريش ليفهموا ما
فيه فلما كان العربي ما قد يشكل على بعض
العرب قال الله سبحنه وتعالى مبين
اي بين في نفسه كاشفا لما يراد منه غير
تارك لبسا عند من تدبر على ما يتعارفونه
العرب في مخاطباتها من ساير لغاتها
بحقايقها ومجازاتها على اتساع اراداتها

و



واستعاراتها ومن يحيط بذلك حق الاحاطة غير
العليم الحكيم الخبير البصير ولما كان الاستكثار
من الادلة مما يسكن النفوس وتطمئن به القلوب
قال تعالى وانه اي هذا القران اصوله وكثير من
قصصه وامهات فروعه لفي زبر اي كتب الاولين
كالتوراة والانجيل والزبور وان محمدا ونعته
لفي كتب الاولين اولم يكن لهم اي لكفار مكة ذلك
اية اي على صحة القران او نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وقرا ابن عامر بالتا الفوقية ورفع اية
على انهما الاسم والخبر لهم والباقون بالتا التحتية
ونصب اية على انها خبر وقوله تعالى ان يعلمه
اي هذا الذي ياتي به نبينا من عندنا هو اسمه
علما بني اسرايل اي يعرفون بنعته المذكور
في كتبهم والمعنى اولم يكن لهولا المنكرين على
بني اسرايل علامة ودلالة على نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم لان العلما الذين كانوا من بني
اسرايل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم
كعبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد
واسيد قال الله سبحانه وتعالى واذا تتلى عليهم

عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من
قبله مسلمين قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث
اهل مكة الى اليهود بالمدينة فسالوهم عن
محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا الزمانه
وانا لنجد في التوراة نعته وصفته فكان
ذلك اية على صدقه قال في خط في المصحف
علما بواو قبل الالف على لغة من يميل الالف
الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة
والزكاة والربا قال الله سبحانه وتعالى
ولو نزلناه اي القران على ما هو عليه من
الحكمة على بعض الاعجمين اي على رجل ليس
بعربي اللسان او بلغة العجم فقراه عليهم
اي كفار مكة ما كانوا به مومنين لفرط عنادهم
واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من
اتباع العجم وقالوا ما نفقه قولك وجعلوه
عذرا لجحودهم ونظيره ولو جعلناه قرانا
اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته تنبيه
الاعجمين جمع اعجمي جمع سلامة لانه حينئذ
ليس من باب افعل فعلاء بخلاف ما لو كان

جمع



جمع اعجم فان مونثه عجماء بوزن افعل فعلاء
وهو عند البصريين لا يجمع هذا الجمع الا ضرورة
حلافا اسودين واحمرين وقال ابو عطية
جمع اعجم يقال الاعجمون جمع اعجم وهو الذكر
لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له اعجم وذلك
يقال للحيوانات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
جرح العجماء جبار واسند الطبري عن عبد الله
ابن مطيع انه كان واقفا بعرفة وتحته جمل
فقال هذا اعجم ولو انه انزل عليهم ما كانوا
يومنون ولما كان ذلك محل عجب وكان
ربما ظن له ان الامر على خلاف حقيقته قرر
مضمونه وحققه بقوله سبحانه وتعالى
كذلك اي مثل ادخالنا التكذيب به بقراءة الاعجم
سلكناه قال ابن عباس والحسن ومجاهد
ادخلناه الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين
اي كفار مكة بقراءة النبي صلى الله عليه
وسلم وهذا يدل على ان الكل بقضاء الله
سبحنه وتعالى وقدره وقيل الضمير في سلكناه
عائد القران قال ابن عادل وهو الظاهر

اي سكتناه جملة في قلوب المجرمين كما سلكناه في
قلوب المومنين ومع ذلك لم ينجع فيهم وفي جملة
لا يومنون به وجهان احدهما الاستينا فعلى
جهة البيان والايضاح لما قبله والثاني انها
حال من الضمير في سلكناه اي سلكناه غير مومن
به اي من اجل ما جبلوا عليه من الاجرام وجعل
على قلوبهم من الطبع والختام حتى يروا العذاب
الاليم اي الملجي الى الايمان فحينئذ يومنون حيث لا
ينفعهم الايمان ويطلبون الامان حيث لا
امان ولما كان اتيان البشر فجاة قال سبحنه
وتعالى فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون باتيانه
فيقولوا اي تاسفا واستسلاما وتلهفا في تلك
الحالة لعلمهم بانه لا طاقة به بوجه هل نحن
منظرون اي مهمسرحا لنا في اجالنا فنسمع
ونطيع فان قيل ما معنى التعقيب في
فياتيهم بغتة فيقولوا اجيب بانه ليس
المعنى ترادف روية العذاب ومفاجاته
وسوال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى في
ترتبها في الشدة كانه قيل لا يومنون
بالقران



بالقران حتى يكون رويتهم للعذاب عما هو اشد
منها وهو لحوقه بهم مفاجاة عما هو اشد منهم
منه وهو سوالهم النظرة مثال ذلك ان يقول
لمن يعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك
الله فانه لا يقصد بهذا الترتيب ان مقت الله
يوجد عقب مقت الصالحين وانما قصدك
الى ترتيب شدة الامر على المسيء فانه يحصل
له بسبب الاساة مقت الصالحين عما هو اشد
من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا
الاسلوب فيحل موقعه ولما اوعدهم النبي
صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال الله تعالى
افبعذابنا اي وقد تبين لهم كيف اخذنا للامم
الماضية والقرون الخالية والاقوام العاتية
يستعجلون اي بقولهم امطر علينا حجارة اسقط
علينا كسفا من السما ونحو ذلك افرايت اي
هب اي ان الامر كما يعتقدون من طول عيشهم
في النعيم ان متعناهم اي في الدنيا برغد العيش
وملاذ الحياة سنين ثم جاءهم اي بعد تلك
السنين المتطاولة والدهور المتواصلة

ما كانوا يوعدون من العذاب ما اي شيء اي اغنى عنهم اي فيما اخذهم من العذاب ما كانوا يمتعون من رفع العذاب وتحقيقه اي لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكون كانهم لم يكونوا في نعيم قط وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزد على تلاوة هذه الاية فقال له ميمون لقد وعظت فابلغت وما اهلكنا من قرية اي من القرى السالفة بعذاب الاستيصال الا لها منذرون رسولهم ومن تبعه من امته ومن سمعوا من الرسل باخبارهم مع اممهم من قبلهم ثم علل الانذار بقوله سبحانه وتعالى ذكرى اي تنبيها عظيما على ما كان فيه النجاه او جعل المنذرين نفس الذكرى كما قال تعالى قد انزلنا اليكم ذكرا رسولا وذلك اشارة الى امعانهم في التذكير حتى صاروا اياه وما كنا ظالمين اي في اهلاك شيء منها لانهم كفروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد الاعذار اليهم ومتابعة الحجج ومواصلة الوعيد تنبيه الواو في قوله تعالى وما كنا واو



الحال من نون اهلكنا فان قيل كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجيب بان الاصل عزل الواو لان الجملة صفة القرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم ولما كان الكفرة يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تتنزل به الشياطين اكذبهم الله سبحانه وتعالى بقوله سبحانه وتعالى وما تنزلت به الشياطين اي ليكون سحرا وكهانة او شعرا واضغاث احلام كما يقولون وما ينبغي اي وما يصح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون اي التنزل به وان اشتدت معالجتهم على تقدير ان تكون لهم قابلية لذلك ثم علل هذا بقوله تعالى انهم عن السمع اي لكلام الملائكة لمعزولون اي محجوبون بالشهب ولما كان القرآن داعيا الى الله سبحانه وتعالى ناهيا عن عبادة غيره تسبب عن ذلك قوله سبحنه وتعالى فلا تدع مع الله اي الجامع لكل الصفات الها آخر فتكون

اي فتسبب عن ذلك ان يكون من المعذبين من
القادر على ما يريد بايسر امور واسهله
وهذا خطاب لنبيه صلى الله عليه وسلم
والمراد غيره يقول انت اكرم الخلق لدي واعزهم
علي ولئن اتخذت الها غيري لعذبتك فيكون
الوعيد زجرا له ويكون هو اقبل وروى
محمد بن اسحاق بسنده عن علي رضي الله عنه
انه قال لما نزل على النبي صلى الله عليه
وسلم وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله
سبحانه وتعالى امرني ان انذر عشيرتي
الاقربين وضقت بذلك ذرعا وعرفت اني
اناديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت
عليها حتى جاءني رجل فقال يا محمد انك الا
تفعل ما تومر يعذبك ربك فاصنع لي صاعا
من طعام واجعل عليه رجل شاة واملا
لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب
ثم ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني به
ثم دعوتهم له وهم يومئذ اربعون رجلا

يزيدون

يزيدون رجلا او ينقصون رجلا فيهم اعمامه
ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما
اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجئته به
فلما وضعته تناول صلى الله عليه وسلم
جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها في
نواحي الصحفه ثم قال خذوا باسم الله فاكل
القوم حتى ما لهم بشي حاجة وايم الله ان كان
الرجل الواحد منهم لياكل مثل ما قدمت
لجميعهم ثم قال وايم اسق القوم فجيئتهم بذلك
العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله
ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما اراد
صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بادره ابو
لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم
ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الغد يا علي ان هذا الرجل قد سبقني
الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل
ان اكلمهم فعد لنا الطعام مثل ما صنعت
ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام
فقدمته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا

ثم نكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا بني عبد المطلب اني قد جيتكم بخير الدنيا والاخرة
وقد امرني الله ان ادعوكم اليه وايكم يوازرني
على امري ويكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم
فاحجم القوم عنها جميعا فقلت وانا احدثهم سنا
انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه قال فاخذ برقبتي
ثم قال ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم
فاسمعوا واطيعوا فقام القوم يضحكون
ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي
وتطيع وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل
وانذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فجعل الرجل
اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر
ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال
ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد
ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما
جربنا عليك الا الصدق قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد قال ابو لهب تبا لك
ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت اي

خسرت

خسرت يدي ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما
كسب وفي رواية فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه
فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم ان
اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم
مصدقي الى اخر ما مر وعن ابي هريرة قال قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل هذه
الاية قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا
انفسكم لا اغني عنكم من الله شيا يا بني عبد مناف
لا اغني عنكم من الله شيا يا عباس بن عبد المطلب
لا اغني عنك من الله شيا يا صفية عمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اغني عنك من
الله شيا وروى ابو يعلى عن الزبير
ابن العوام ان قريشا جاته فحذرهم وانذرهم
فسالوه ايات سليمان في الريح وداود في
الجبال وعيسى في احيا الموتى ونحو ذلك
وان يسير الجبال ويفجر الانهار ويجعل الصخر
ذهبا فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه

وهم عنه فلما سري عنه اخبرهم انا عطي ما سالوه
ولكنه ان اراهم فكفروا عجلوا فاختار صلى الله عليه
وسلم الصبر عليهم ليدخلهم الله سبحانه وتعالى باب
رحمته فلما كانت النذارة انما هي للمشركين امرها بضدها
لاضدادهم بقوله سبحنه وتعالى **واخفض جناحك**
اي لن غاية اللين وذلك لان الطاير اذا اراد ان يرتفع
رفع جناحيه واذا اراد ان ينحط كسرهما وخفضهما
فجعل ذلك مثلا في التواضع ومنه قول بعضهم **شعر**
وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا
ينهاه عن التكبر بعد التواضع **لمن اتبعك من المومنين**
اي سوا كانوا من الاقربين ام من الابعدين فان قيل
المتبعون للرسول صلى الله عليه وسلم فما معنى قوله
سبحانه وتعالى لمن اتبعك من المومنين اجيب بوجهين
احدهما ان تسميهم قبل الدخول في الايمان مومنين
لمشارفتهم ذلك الثاني ان يريد بالمومنين المصدقين لمشارفتهم
بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف لم يوجد منه الا
التصديق فقط اما ان يكونوا منافقين او فاسقين
والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح فمن هذا للتبعيض
اراد

اراد عموم الاتباع فهي للتبيين واختلف في الواو في
قوله تعالى **فان عصوك** على اوجه احدها انها ضمير الكفار
اي فان عصاك الكفار في امرك لهم بالتوحيد الثاني ضمير
العشيرة وهذا اقرب كما جرى عليه السلف والجلال المحلي الثا ني
انها ضمير المومنين اي فان عصاك المومنون في فروع
الاسلام وبعض الاحكام بعد تصديقك والايمان برسا لتك
وقال ابن عادل هذا في غاية البعد **فقل** اي تاركا لما
كنت تعاملهم من اللين **اني بريء** اي منفصل غاية الانفصال
**مما تعملون** اي من العصيان الذي انذر منه القران
**وتوكل** اي فوض في عصمتك ونجاتك وجميع امورك
**على العزيز** اي القادر على الرفع عنك والانتقام منهم
**الرحيم** اي الذي نصرك عليهم برحمته وقرا نافع وابن
عامر فتوكل بالفاء على الابدال من جواب الشرط
والباقون بالواو ثم اتبع الامر بالتوكل الوصف
المقتضي لجميع اوصاف الكمال بقوله سبحنه وتعالى
**الذي يراك** اي بصرك وعلمك **حين تقوم** من نومك
الى التهجد وقال مجاهد اي يراك اينما كنت وقال اكثر
المفسرين كما قاله البغوي حين تقوم الى الصلاة اي
من نوم او غيره **و** يرى **تقلبك** في الصلاة قايما

وراكعا وساجدا في الساجدين قال عكرمة عن ابن عباس
اي المصلين وقال مقاتل مع المصلين في جماعة يقول يراك
حين تقوم وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع المصلين
وقال مجاهد يرى تقلب بصرك في المصلين فانه يبصر من
خلفه كما يبصر امامه وروى ابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون قبلتي هاهنا
فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لاراكم
من وراء ظهري وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما اراد تقلبك في اصلاب الانبيا من نبي الى نبي
حتى اخرجك في هذه الامة وقيل ترددك في تصفح احوال
المجتهدين من اصحابك لتطلع عليهم من حيث لا يشعرون
وتستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله سبحانه
وتعالى وكيف يعملون لاخرتهم كما يحكى انه نسخ فرض قيام
الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما
يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات
فوجدها كبيوت الزنابير انه هو اي وحده وتكثير الحسنات
السميع اي لجميع اقوالكم العليم اي بجميع ما تسرونه
وما تعلنونه من اعمالكم وشمول العلم يستلزم تمام القدرة
فصار كانه قال انه هو السميع البصير تثبيتا للتوكل

عليه



عليه ولما بين سبحانه وتعالى ان القران لا يصح ان يكون
مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بانه بين ان محمدا صلى الله
عليه وسلم لا يصح ان يتنزلوا عليه من وجهين بقوله تعالى
هل انبئكم اي اخبركم خبرا جليا نافعا في الدين عظيم الجدوى
في الفرقان بين اوليا الرحمن واخوان الشياطين على من تنزل
وتردد الشياطين حين تسترق السمع ولما كان كانه قيل
ثم اشار الى احد الوجهين بقوله سبحانه وتعالى تنزل
على سبيل التدريج والتردد على كل افاك كذاب اثيم اي فاجر
مثل مسيلمة الكذاب وغيره من الكهنة واشار الى ثاني الوجهين
بقوله تعالى يلقون السمع اي فكونهم يلقون السمع الى الشياطين
فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى
الناس فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشيا لا يطابق اكثرها
كما جاء في الحديث الكلمة يحفظها الجني فيقرها في اذن وليه
فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه
وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها
او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس ويجوز ان يعود
الضمير على الشياطين ومعنى القائهم السمع انصاتهم الى الملا
الاعلى قبل ان يرجموا فيحفظون منهم بعض المغيبات
ويوحونه الى اوليائهم ويلقون الشي المسموع الى الكهنة

وأكثرهم أي الفريقين كاذبون أما الشياطين
فإنهم يسمعون لما لم يسمعوا وأما الأفاكون
فإنهم يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم فإن
قيل كيف قال وأكثرهم كاذبون بعدما
حكم عليهم أن كل واحد منهما أفاك أجيب
بأن الأفاكين الذين يكثرون الكذب لا أنهم الذين
لا ينطقون إلا بالكذب فأراد أن هؤلاء الأفاكين
قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وأكثرهم
مفتر عليه ولما قال الكفار لم لا يجوز أن يقال
الشياطين تنزل بالقرآن على محمد صلى الله عليه
وسلم كما أنهم ينزلون بالكهانة على الكهنة
وبالشعر على الشعراء ثم إنه تعالى لما فرق بين
محمد صلى الله عليه وسلم وبين الكهنة ذكر هنا
بين ما يدل على الفرق بينه وبين الشعر بقوله
سبحانه وتعالى والشعراء يتبعهم الغاوون أي
الضالون المائلون عن السنن الأقوم إلى كل فساد
يجر إلى الهلاك وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم
ليسوا كذلك بل هم الساجدون والباكون
الزاهدون رضي الله عنهم وقرأ نافع
بسكون



بسكون التاء الفوقية وفتح الباء الموحدة والباقون
بتشديد الفوقية وكسر الموحدة ولما قرر حال
أتباعهم بين أنهم أغوى منهم لتهتكهم في شهوة
اللقلقة باللسان حتى حسن لهم الزور والبهتان
دل على ذلك بقوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد
من أودية القول من المدح والهجو والنسيب
والرثاء والمجون وغير ذلك يهيمون أي يمرون
سير البهائم حائرين عن طريق الإنصاف والسب
بالجرم والهجو ومدح من لا يستحق المدح
ونحو ذلك ولذا قال سبحانه وتعالى وأنهم
يقولون ما لا يفعلون أي لأنهم لا يقصدون وإنما
ألجأهم إليه الفن الذي سلكوه فأكثروا أقوالهم
لا حقائق لها وقيل إنهم يمدحون الجود والكرم
ويحثون عليه ولا يفعلونه ويذمون البخل
ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شيء
صدر منهم تنبيه قال المفسرون أراد شعراء
الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر مقاتل أسماءهم فقال منهم عبد الله بن
الزبعرى السهمي وجبيرة بن أبي وهب

المخزومي وشافع بن عبد مناف وابو عزة
عمرو بن عبد الله الجمحي وامية بن ابي الصلت
الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول
كما قال محمد وقالوا الشعر واجتمعوا اليهم
غواة قومهم يسمعون اشعارهم حين هجوا
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون
عنهم قولهم فذلك قوله تعالى يتبعهم
الغاوون وهم الرواة الذين يروون هجا المسلمين
وقال قتادة هم الشياطين ثم ان الله تعالى لما
وصف شعر الكفار بهذه الاوصاف استثنى
شعر المسلمين الذين كانوا يهجون شعر
الجاهلية ويهجون الكفار وينافحون عن
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان
ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب ابن مالك
فقال سبحانه وتعالى الا الذين امنوا اي بالله
ورسوله وعملوا اي تصديقا لايمانهم الصالحات
اي التي شرعها الله سبحانه وتعالى ورسوله
وذكروا الله مستحضرين ماله من الكمال
كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن الذكر وروي ان

كعب

كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ان المومن يجاهد بسيفه واحسانه والذي
نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل
مكة في عمرة القضا وابن رواحة يمشي بين يديه
وهو يقول خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم
نضربكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهب الخليل عن خليله فقال عمر يا ابن رواحه
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حرم الله تقول شعرا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا عمر فهي اسرع فيهم من نضح النبل
وعن البرا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوم بني قريظة لحسان بن ثابت اهجو المشركين
فان جبريل معك وعن عايشة رضي الله عنها
قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اهجوا
قريشا فانه اشد عليهم من رشق النبل فارسل
الى ابن رواحه فقال اهجهم فلم يرض فارسل الى
كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت
فقال حسان قد ان لكم ان ترسلوا الى هذا

الاسد ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذى
بعثك بالحق لافرينهم بلساني فرى الاديم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر
اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسبا حتى يخلص
لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله
لقد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق لاسلنك
منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عايشة
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لحسان ان الروح القدس لا يزال يويدك
ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم
حسان فشفى واشتفا قال حسان شعر

هجوت محمدا برا حنيفا    رسول الله شيمته الوفا
هجوت محمدا فاجبت عنه    وعند الله في ذاك الجزاء
فان ابي ووالدتي وعرضي    لعرض محمد منكم فداء
فمن يهجو رسول الله منكم    ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا    وروح القدس ليس له كفا

وورد في مدح الشعر عن ابي بن كعب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر
حكمة



حكمة وعن ابن عباس قال جا اعرابي الى النبي
صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من
شعر امية بن الصلت شي قال نعم قال هات الله
وانشد فقال هيه فانشد بيتا فقال هيه
فانشده ماية بيت • وعن جابر بن سمرة قال
جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من
ماية مرة فكان اصحابه يتناشدون الشعر •
ويتذاكرون اشيا من الجاهلية فربما تبسم معهم
وعن عايشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح •
فخذ الحسن ودع القبيح وعن الشعبي كان
ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر
وكان علي رضي الله تعالى عنه اشعر الثلاثة
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه
كان ينشد الشعر في الشعر ويستنشده •
فروي انه دعى عمر بن ابي ربيعة المخزومي
واستنشد القصيدة التي قالها من التمني
انت غاد مبتكر غداة غد ام رايح فمهجر
فانشد القصيدة بن ربيعة الى اخرها وهي
قريبة من سبعين بيتا ثم ابن عباس

رضي الله عنهما اعاد القصيدة جميعا وكان
حفظه بمرة واحدة ثم بين سبحانه وتعالى
ما حمل المومنين على الشعر وهو انتصارهم
من المشركين بقوله سبحنه وتعالى **وانتصروا**
اي بهجوهم الكفار **من بعد ما ظلموا** بهجو الكفار
لهم لانهم بدوا بالهجا ثم اوعد شعرا
المشركين وغيرهم من الكفار بقوله سبحنه
وتعالى **وسيعلم الذين ظلموا** بالشرك وهجو
رسول الله صلى الله عليه وسلم **اي منقلب**
اي مرجع **ينقلبون** اي يرجعون بعد الموت
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
الى جهنم والسعير وفي هذا تهديد شديد
لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين
ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب
ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلا
ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه
هذه الاية اللهم اجعلنا ممن جعل هذه
الاية بين عينيه فلم يغفل عنها وروى
الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس رضي
الله

الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر
الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى
صلى الله عليه وسلم واعطيت فواتح القران وخواتيم
السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش
واعطيت المفصل نافلة وعن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله اعطاني السبع مكان
التورية واعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني
بالحواميم والمفصل ما قراهن نبي قبلي وما رواه
البيضاوي تبعا للزمخشري من ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قرا سورة الشعرا كان له من اجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به
وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد
من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه
وسلم حديث موضوع والله اعلم

سورة النمل
مكية